الهِنْدُ في العَهْدِ الإِسلاميِّ

للعلاَّمة عبد الحي بن فخر الدين الحسني

(١٢٨٧ ـ ١٣٤١ هـ)

رَاجَعَه وقدم له (نجل المؤلف)

العلاَّمة أبو الحسن علي الحسني النَّدويُّ

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

مجمع الإمام احمد بن عرفان الشهيد
لأحياء المعارف الإسلامية

رارِ عرفات، دارة الشيخ علم الله

الإهداء

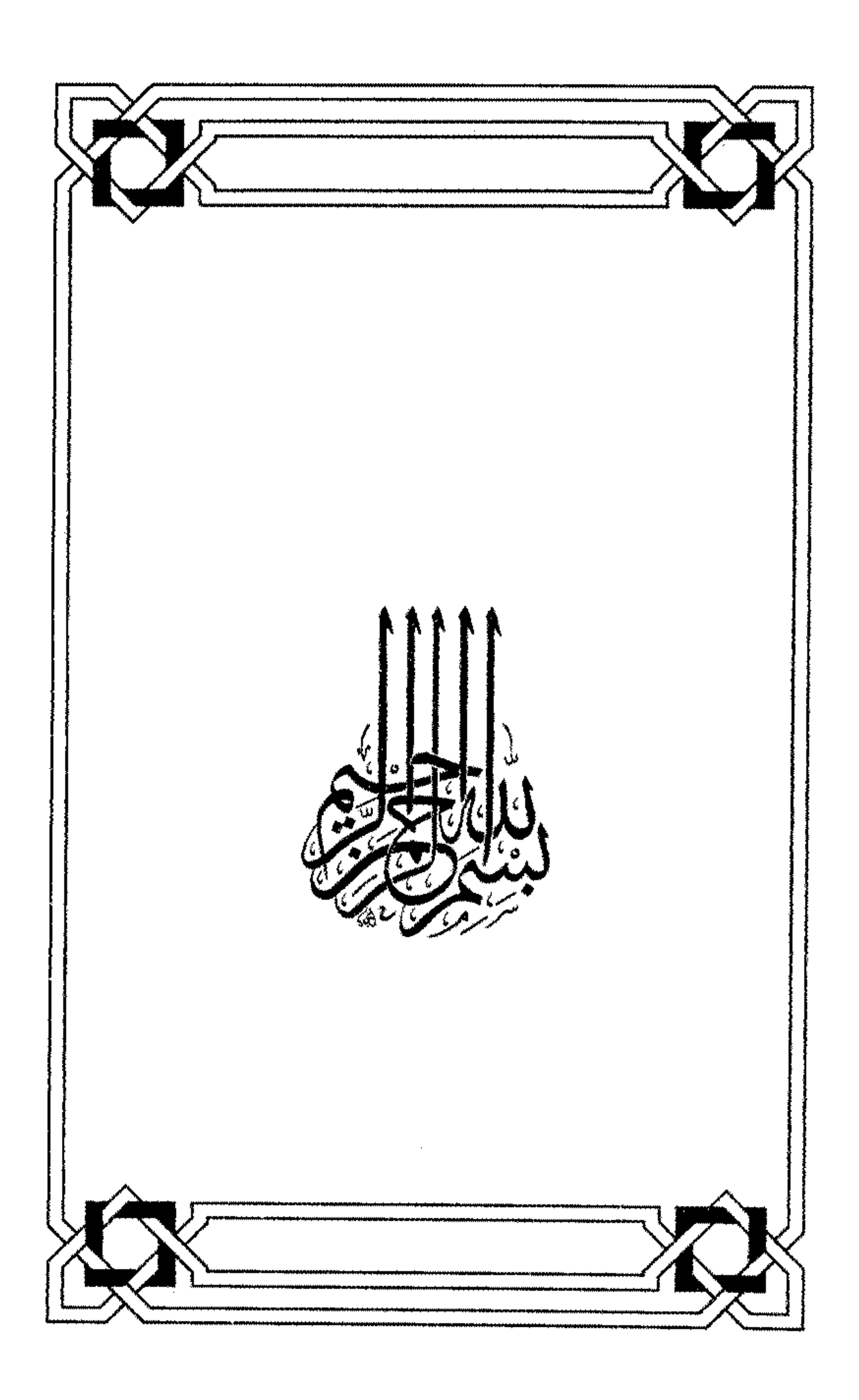
إلىٰ

روح سماحة العلامة الإمام أبى الحسن على الحسنى الندوى رحمه الله الذى كان كثير الاهتمام بمولفات والده العلام، فطبع جلها بتحقيقه وعنايته ، وكان رحمه الله يشتاق إلىٰ إعادة طبع هذا لكتاب "الهند فى العهد الإسلامي" بعد أن نفدت الطبعة الاولىٰ واخراج طبعة أنقيته محققة ولكن أعجله عنه ضعف صحته ومرضه الذى توفى فيه، فهى من سعادة "مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد" ومسئوليته بأنهم يقدمون الكتاب إلى القراء ويحققون أمنيته.

تقبل الله هذا العمل وجعله من حسنات شيخنا رحمه الله.

النـــاشـــر

www.abulhasanalinadwi.org



www.abulhasanalinadwi.org

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف (باختصار)

بقلم العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

هو الشريف العلاَّمة عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليٍّ بن أبي طالب ، انتقل جده قطب الدين محمد المدني من بغداد إلى الهند في فتنة المغول ، وجاهد في سبيل الله ، وتولى مشيخة الإسلام في دهلي ، وتوفي سنة ٦٧٧ هـ بمدينة كرا ، ونهض من ذريته كثيرٌ من أئمة العلم والمعرفة ، وقادة الجهاد والإصلاح ، أشهرهم السيد العارف علم الله النقشبندي (المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ) والسيد الإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد سنة ١٢٤٦ هـ.

ولد المؤلف لثماني عشرة ليلة خلون من رمضان سنة ١٢٨٦ هـ (٢٢ من ديسمبر ١٨٦٩ م) في زاوية السيد علم الله على ميلين من بلدة برلي من أعمال لكهنؤ.

كان بيتُه بيت علم ودين ، وصلاح وإرشاد ، وكان أبوه السيد فخر الدين فاضلاً عارفاً ، كاتباً ومؤلفاً كبيراً بالفارسية ، شاعراً طيِّع القريحة باللغتين (الأردية والفارسية) يغلب عليه التواضع والقناعة ، وحب الخمول والانطواء ، فلم ينل حقَّه من الشهرة والتقدير ، ولكثيرٍ من أعمام المترجَم وأخواله مكانةٌ

مرموقةٌ في الدِّين والعلم ، ووجاهةٌ عند الناس ، لاسيما الشيخان الجليلان السيد ضياء النبي ، والسيد عبد السلام ، فكانا مرجع الخلائق في التربية وتزكية النفوس ، تشدُّ إليهما الرِّحال ، ويغشاهما الرجال من أقاصي البلاد وأدانيها ، فنشأ على الخير والصلاح ، وتربَّى في حجر الدين والعلم ، وظهرت فيه نبالةٌ ونبوغٌ مبكر[1] ، يبشر بمستقبلٍ في عالم العلم والتأليف .

قرأ الكتب الدراسية من صرف ، ونحو ، وفقه ، وأصول ، وتفسير ، وعلوم عقلية على أشهر علماء لكهنؤ ، مثل الشيخ محمد نعيم الفرنكي المحلي ، ومولانا السيد أمير علي المليح آبادي ، وأخوند أحمد شاه الأفغاني ، والشيخ فضل الله ، وغيرهم ، ثم سافر إلى بهوبال وهو إذ ذاك محطُّ رحال العلماء والطلبة ، فقرأ سائر الكتب الدراسية على الشيخ القاضي عبد الحقِّ الكابلي ، والعلوم الرياضية على العلامة السيد أحمد الدَّهلوي ، رئيسَ الأساتذة في معهد ديوبند سابقاً . والحديث على العلامة المحدِّث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، والأدب على ابنه الشيخ محمد ، والطب على الطبيب الشهير عبد العلي ، ثم رحل وسافر ، فزار دهلي ، وباني بت ، وسهارنبور ، وسرهند ، وديوبند ، وكنكوه ـ المراكز العلمية الدينية الكبرى في الهند يومئذ ـ واجتمع بالعلماء والمشايخ ، منهم الشيخ العلامة رشيد أحمد الكنكوهي ، والعلامة المحدث الشيخ نذير حسين الدهلوي ، والشيخ عبد الرحمن الباني بتي ، وأجازوه ، وبايع الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مرادآبادي ، وأخذ عن صهره الشيخ ضياء النبي ، وأبيه السيد فخر الدين ، وأجازاه ، وكتب إليه الشيخ الإمام إمداد الله المهاجر المكِّي ، وأجازه .

كان رحمه الله متألماً لواقع المسلمين ، حريصاً على إصلاحهم وإنهاضهم وقد نهضت يومئذ جماعةٌ في قيادة مولانا محمد علي المونكيري وفِّقت لتأسيس جمعية سنة ١٣١١ هـ ، اشتهرت في العالم الإسلامي بندوة العلماء ، من

(١) تدلُّ عليه رسالته التي كتبها إلى زعيم التعليم العصري السيد أحمد خان مؤسس الجامعة الإسلامية في علي كره ، وهو في عنفوان شبابه ، ورحلته التي دوَّنها وهو في السادسة والعشرين من عمره .

أهدافها الرئيسية التقريب بين علماء المذاهب ، ورفع الجفوة من بينهم ، وتقصير الفجوة بين الطوائف الإسلامية ، وتنسيق الجهود في إصلاح التعليم والمسلمين ، وتطوير مناهج الدرس ، فصادف ذلك رغبته وذوقه ، فشارك في نشاطها ، وأعمالها منذ نشأتها ، ثم تفرَّغ لخدمتها ، وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها سنة ١٣١٣ هـ ، وأقام في لكهنؤ مركزها والمركز الثقافي والحضاري الكبير ، واشتغل بالطبِّ ، ومداواة المرضى لكسب المعاش ، ولم يزل يخدم النَّدوة ، ودار العلوم التابعة لها تطوعاً واحتساباً مدَّة حياته ، وحاز ثقة أعضاء الندوة ، وأصدقائها ، فاختاروه «ناظماً» لندوة العلماء ، أي مديراً لشؤونها في سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) ، واستمرَّ على ذلك إلى أن توفي .

كان رحمه الله لطيف العشرة ، كريم الصحبة ، أليفاً ، ودوداً في تحفظ واعتدال ، وكان متناسب الأعضاء ، حسن الهندام ، حسن الشارة ، نظيفَ الأثواب ، له ذوقٌ رفيعٌ يحب الظرافة في كل شيء ، وكان للنفوس والقلوب إليه انجذاب ، وقد ألقيت عليه المحبة والمهابة ، وكان صاحب عقلٍ وسكينة ، وتواضعٍ مع عزَّة نفس ، ووقار ، وقلَّة كلام ، وحياء ، وصبرٍ ، وحلمٍ ، وتوكُّلٍ ، واستقامة ، وتورُّعٍ ، وإقبال على الطاعة والإفادة ، منصرفاً عن الاشتغال بما لا يعنيه ، وسفساف الأمورَ إلى معالي الأمور واشتغال بما يفيده في الدنيا والآخرة ، ويبقى أثره ، فاستطاع أن ينتج بسعيه الفردي ما تقوم به اللجان المنظمة ، والمجامع العلمية في عامة الأحوال ، في حياة لم تطل كثيراً[1] ، وكانت موزعةً بين واجبات متنوعة ، تكاد تكون متناقضةً ، وكان مقتصراً على التأليف والتدوين ، لم يكن له كبير اهتمام بنشرها ، واطِّلاع الناس عليها ، معروفاً بصلة الرَّحم ، والإحسان إلى الأقارب والأصدقاء ، وإصلاح ذات البين ، والتحري في أكل الحلال ، والإعانة على نوائب الحق ، قانعاً بالكفاف ، لم يدخر مالاً ، ولم يقتن عقاراً ، حريصاً على اتباع السنة ، شديد التعظيم للحديث النبويِّ ، كثير الحب والإيثار له ، يحب التوسط والاقتصاد في كلِّ

---

(١) مات رحمه الله وله من العمر ثلاث وخمسون سنة بالحساب الشَّمسي ، وخمس وخمسون سنة بالحساب الهلالي .

شيء ، نفوراً عن التفاخر والرياء ، بعيداً عن الجدل والمراء ، عفيف اللسان ، واليدِّ ، والبطن ، قد سلم المسلمون من لسانه ويده ، وأمن الناس بوائقه .

وكان متضلعاً من العلوم ، راسخ القدم في آداب اللغة العربية ، والفارسية ، والأردية ، كاتباً مترسلاً ، سائل القلم في العربية ، على كتابته رواءٌ وطلاوةٌ ، وفي عبارته عذوبةٌ وملاحةٌ ، وهو من الكُتَّاب والمؤلفين المعدودين في العربية ؛ الذين نبغوا في الهند ، وتجرَّد إنشاؤهم العربي عن الآثار العجمية ، و«السبك الهندي»[1] إلى حدٍّ بعيد ، وتحرَّروا عن تقليد الحريري ومن كان على شاكلته[2] ، بارعاً في الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والسير ، والتاريخ ، أما ما يختص بشبه قارة الهند فلم يكن له نظير في العلم بأحوالها ، ورجالها ، وحضارتها ، وحركة العلم والتأليف في عهد الدولة الإسلامية ، وكان عاكفاً على مطالعة الكتب ، والتصنيف ، ولم يزل مشتغلاً بهذا الموضوع إلى آخر يوم من أيام حياته .

وكان قد نشأ على الاطلاع والجمع ، وعلى معرفة طبقات الرجال وخصائصهم ، ودقائق أخبارهم ، وعلى مذاهب السَّادة الصوفية ، ومشاربهم ، وأذواقهم ، وانشعاب طرقهم ، ومصطلحاتهم ، وتعبيراتهم مدارسةً وممارسةً ، رزقه الله صفاء الحس ، وثقوب النظر ، وحسن الملاحظة ودقتها ، وسعة القلب ، وسلامة الصدر ، فأفرغ هذه المواهب كلَّها في المكتبة التاريخية العظيمة ، التي خلَّفها للأجيال القادمة .

ومن مؤلفاته العظيمة «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» ذكر فيها تراجم أعيان الهند المسلمين ، ومآثرهم ، وكل ما اتصل به من أخبارهم ،

---

(١) نشأ في الهند بعد الفتح الإسلامي بفعل الثقافات ، واللغات المختلفة أسلوب جديد في الفارسية ، لا هو فارسي خالص ، ولا هو هندي قح ، يسميه أهل إيران «سبك هندي» وكذلك وقع فيما يختص بالأدب العربي ، والإنشاء العربي ، يصح أن نسميه «السبك الهندي» .

(٢) يرى القارىء نموذج هذا الإنشاء الذي يجري مع الطبع في التراجم الطويلة في «نزهة الخواطر» خصوصاً الجزء الأخير ؛

وانتهى إليه علمه ، من تعلُّمهم وأعمالهم ، وكناهم وألقابهم ، وأنسابهم ، وسني وفاتهم في ثمانية أجزاء ، لخص فيها ، واقتبس من ثلاثمئة كتابٍ في العربية والفارسية والأردية ، ما بين خطي ومطبوع ، حتى أصبح الكتاب يحتوي على تراجم أكثر من أربعة آلاف وخمسمئة ونيف ، وقد ظهر هذا الكتاب في ثمانية أجزاء من دائرة المعارف بحيدرآباد .

كتاب «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف» في أوله مقدمةٌ جليلةٌ بحث فيها عن مناهج التعليم في هذه البلاد ، وما حدث فيها من التغيير في كلِّ عصر منذ فتح المسلمون الهند إلى عهدنا هذا ، ثم تكلَّم على الفنون ، كالصَّرف ، والنحو ، واللغة ، والبلاغة ، والعروض والشعر ، والإنشاء والتاريخ ، والجغرافية ، والفقه ، والحديث ، وأصولهما ، والتفسير وأصوله ، والتصوف ، والأخلاق ، والكلام والمناظرة ، والمنطق ، والطبيعيات ، والرياضة والطب ، فذكر تاريخ كل فن مطلقاً ، ثم ذكر تاريخ الفن في الهند ، ثم ذكر ما وضع فيها علماء الهند من الكتب ، ومن برع فيها منهم ، وهو كتاب جليل ، غزير المادة في هذا الموضوع ، وخلاصة دراسات طويلة ، واسعة دقيقة ، وقد طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق باسم : «الثَّقافة الإسلامية في الهندً» سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) .

وكتاب «جنة المشرق ومطلع النور المشرق» في التاريخ الهندي الإسلامي ، والخطط ، والآثار ، وهو في يد القراء باسم «الهند في العهد الإسلامي» ، وليس الخبر كالمعاينة .

ومن مؤلفاته «تلخيص الأخبار» كتاب مختصر ، نفيس في الحديث ، جمع فيه الأخبار بحذف الأسانيد الواردة في الصحاح الخاصة بتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، وفضائل الأعمال والأخلاق على غرار «الأدب المفرد» للإمام البخاري ، و«رياض الصالحين» للنووي ، إلا أن هذا الكتاب الذي نتحدث عنه مختصر ، وفي جزء لطيف ، ثم تناوله بالشرح في عدة أجزاء . وأسماه «منتهى الأفكار في شرح تَلخيصّ الأخبار» يدل على علوِّ كعبه في علم الحديث ، وسلامة فكره ، وبعده عن التعصب .

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ في العربية ، وفي أردو ، يبلغ عددها إلى ستة عشر كتاباً ،

أهمها «كل رعنا» في تاريخ شعر أردو وشعرائه ، تلقي بالقبول ، وقررته عدة جامعات للتدريس في الدراسات الأدبية العليا. و«ياد أيام» في تاريخ ولاية كجرات ، وحضارتها ، وعهدها الذهبي الإسلامي ، وهو نموذجٌ رائعٌ لتدوين التاريخ على النمط العلمي المفيد ، ومثالٌ جميلٌ للإنشاء الأدبي التاريخي.

وتوفي رحمه الله لخمس عشرة ليلة خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ هـ ، الموافق ٢ من فبراير ١٩٢٣ م ، ونقل جثمانه إلى راي بريلي مسقط رأسه ، وصُلِّي عليه في جمع حاشد ، ودفن عند قبر السيد العارف علم الله في زاويته. وعقب ابنين: عبد العلي الحسني[1] ، وعلياً أبا الحسن ، هو كاتب هذه السطور ، وابنتين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

* * *

(١) هو الدكتور السيد عبد العلي الحسني مدير ندوة العلماء سابقاً ، توفي رحمه الله في ٢١ من ذي القعدة ١٣٨٠ هـ الموافق ٧ من مايو ١٩٦١ م.

تقديم الكتاب

بقلم العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي
(ابن المؤلف)

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله أما بعد! فإذا صحَّ أنَّ «الوطن المألوف بمنزلة الأم ، لها حق لا يضاع ، وإلَيها حنين لا ينكر[1]» فقد سجل تاريخ العلم ، والأدب ، والكتابة ، والتأليف ، أمثلةً رائعةً ، وآيات باهرةً من هذا الوفاء الكريم ، والبرِّ السامي النزيه لأبناء البلاد البررة لأمهم الحَنون؛ التي ولدتهم ، وأرضعتهم ، والتي قضوا في أحضانها أطيب أيام حياتهم ، وأصفاها ، وعاش فيها ودفن آباؤهم الذين يحبُّونهم ، ويجلُّونهم ، ولهم فيها آثار وذكريات ، وتغنَّى بها الشعراء قديماً وحديثاً ، فقال ابن الرومي :

ولـــي وطـــنٌ آليـــتُ أن لا أبيعـــه ... وأن لا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عمـرت بـه شـرخ الشبـاب منعَّمـاً ... بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبـب أوطـانَ الـرجـال إليهـم ... مـآربُ قضـاهـا الشبـاب هنـالكـا
إذا ذكـروا أوطـانَهـم ذكـرتهـم ... عهـودُ الصِّبـا فيهـا فَحنُّـوا لـذلكـا

وقال الآخر :

بـلادٌ بهـا نيطـت علـيَّ تمـائمـي ... وأوّل أرض مـسَّ جسمـي تـرابهـا

وقد كان المسلمون بفضل التعاليم الإنسانية الخلقية التي تلقُّوها في مدرسة الرسالة المحمدية ، من أوفى الأمم والشعوب للبلاد التي ولدتهم ، وأنشأتهم ، أو آوتهم واحتضنتهم ، ومن أبرِّ الأبناء لتلك الأمهات المعنوية ، ومن أحرص

---

(١) كلام مقتبس من مقدمة «جنة المشرق» لمؤلفها التي سميناها «الهند في العهد الإسلامي».

www.abulhasanalinadwi.org

عباد الله على شكر النعمة ، ومعرفة الحقِّ والفضل ، وأحرصهم على تسجيل الأخبار ، وتخليد الآثار ، وإثارة الدفائن وإيضاح المعالم والكشف عن المجاهل ، والبحث عن الحقيقة وتحرِّي الصدق والدقة ، والأمانة في الحكاية والرواية ، ساعدهم في ذلك ذوقُهم التاريخي الذي رافقهم من أول رحلتهم ، وفجر نشأتهم ، وطبيعةُ التحقيق التي اقترنت بحياتهم وأخلاقهم منذ عنوا بفنِّ الحديث والرواية ، ودوَّنوا علم الأصول ، وفنَّ أسماء الرجال ، فكانوا روَّاد البحث العلمي ، وحاملي فنَّ التاريخ الأمين في كثيرٍ من البلاد التي وردوا فيها .

وإذا أراد الله ببلد خيراً ، وأراد أن يخرجه من الظلمات إلى النور ، ومن الخفاء إلى الظهور ، ومن حياة العزلة والخمول ، والقناعة بالنزر اليسير ، والانطواء على النفس ، إلى حياة الشهرة والاتصال ببقية الأسرة الإنسانية ، والعالم المترامي الواسع ، وركب الحياة السيَّار ، وأراد أن يسلِّط عليه أضواء قويةً من العلم والتحقيق ، ساق إليه المسلمين ، فاتَّخذوه وطناً ، وسكناً ، ومعاشاً ، ومدفناً ، ولم يعتبره بقرةً حلوباً ، أو ناقةً ركوباً ، يحلبون ضرعها ، ويركبون ظهرها ، ويجزُّون صوفها ، ثم يتركونها هزيلةً عجفاء ، أو منتوفةً شوهاء ، ولا يعتبرون نفوسهم كالإسفنج يتشرب الثروة في مكان ، ويصبُّها في مكان[1] ، بل وهبوا هذه البلاد أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة ، وأخلاق وسجايا ، ومقدرة وكفاية ، وتنظيم وإدارة ، وأقبلوا عليها بالعقل النابغ ، والشعور الرَّقيق ، والذوقَ الرَّفيع ، والقلب الولوع ، واليد الحاذقة الصناع ، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة ، ومن عهد الطفولة إلى عهد الشباب الغضِّ ، وآمنت بعد خوف ، واستقرَّت بعد اضطراب ، وأخذت الأرض زخرفها ، وبلغت المدنية أوجها ، وتحوَّلت الصحارى الموحشة ، والأراضي القاحلة إلى مدن زاخرة ، وأراض خصبة ، وتحوَّلت الغاباتُ حدائق ذات بهجة ، وأشجارُ البرية أشجاراً مثمرة مدنية ، ونشأت علومٌ لا علم بها للأولين ، وفنونٌ وأساليب في الحضارة والحكم والفنِّ لا عهد بها في الماضي ، وانتشرت

(١) كما كان شأن الإنكليز في الهند ، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى ، وإيطاليا في طرابلس وبرقة .

التجارة وازدهرت الزراعة ، فكأنَّما ولدت هذه البلاد في العهد الإسلامي ميلاداً جديداً ولبست ثوباً قشيباً.

هذه قصة أسبانيا التي سماها المسلمون بلاد الأندلس ، فلم يكن العالم يعرف عنها إلا الشيء القليل الذي لا يشرح الصدر ، ولا يبعث الآمال ، فلما دخلت هذه البلاد في ولاية العرب المسلمين ، وفي حضانة الإسلام بلفظ أصح ، انتقلت من الظلام إلى النور ، ولفظت الأرض خزائنها ، وصبتَ خيراتها ، فكانت أمنية الفاتحين ، وأغنية الشعراء والمتغزلين ، وموضوع المؤرخين والجغرافيين ، وكانت جنة الدنيا ، وسوق العلم ، ومثابة العلماء ، ومنتجع الشعراء ، وكانت ذات مدرسة في الفقه ، والشعر ، والأدب ، والفلسفة ، والفنِّ المعماريِّ ، وكانت فيها مرسية ، وبلنسية ، وجيّان ، وشاطبة ، وقرطبة ، وإشبيلية ، وغرناطة ، وكانت فيها مدينة الزهراء ، وقصر الحمراء.

وهذه قصَّة مصر ، والشام ، والعراق ، وإيران ، وتركستان بعد الفتح الإسلاميِّ ، فكانت كماء راكد قد أسنَّ ، وكانت مطية للرومان والفرس ، ينعمون بثرواتها ، وحاصلَاتها ، وبكدح عملتها وفلاحيها ، ولم تكن هذه البلاد قبل فتح المسلمين ذات طابعٍ خاصٍّ في المدنية والآداب ، والفن ، ولم ينبغ فيها علماء ، وشعراء ، وفقهاء ، ومشرِّعون ، وحقوقيون ، ومبدعون ، وعمالقة الفكر ، وعباقرة الفن ، دوَّى اسمهم في الآفاق وسارت بمصنفاتهم الرفاق ، وردَّد العالم صوتهم من أقصاه إلى أقصاه ، وسُمع صدى أفكارهم وتحقيقاتهم في الشرق والغرب ، حتى جاء الإسلام ، فكانت البصرة ، والكوفة ، والموصل ، وبغداد في العراق ، ودمشق ، وحلب ، وحمص ، ونابلس والقدس الإسلامي ، وطرابلس ، وحماة في الشام ، والفسطاط ، والقطائع ، والقاهرة ، وأسيوط ، والمنصورة ودمياط في مصر ، وسمرقند ، وبخارى ، والشاش[1] ، وخوارزم في تركستان ، والري ، وهمدان ، ونيسابور ،

---

(١) وتسمى الآن طاشقند.

وشيراز ، وطوس ، وأصفهان في إيران[١] ظهر فيها نوابغ لا يحصيهم إلا من أحصى حصى البطحاء ، ورمال الدهناء.

وهذه قصَّة شمال إفريقية من ليبيا إلى مراكش ، فلم نُعرف هذه البلاد إلا بالقسوة ، والفروسية ، وشدَّة الشكيمة ، واستعصاء أهلها على الفاتحين حتى ضرب بأهلها البربر المثل في الوحشية ، والنخوة ، وتشاغلها بالحروب الدَّاخلية ، وشدَّة تمسكها بالعادات القديمة ، والتقاليد القبلية ، لا لغة راقية ، ولا حضارة رقيقة ، ولا دين معقول ، ولا مدينة مشهورة حتى جاء الإسلام ، فكانت فيها مدينة قيروان ، وفاس ، ومكناس ، ومراكش ، وباجة ، وسوسة ، وسرقسطة ، وبجاية ، وتلمسان ، وتونس ، أنجبت أفذاذاً في الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتصوُّف ، والشعر والأدب ، والنقد ، والتاريخ ، والفلسفة ، يطل استقصاؤهم ، وكانت فيها مدارس كجامع القرويين وجامع زيتونة تخرج فيها وعلّم أئمةٌ في العلوم والفنون ، وخلَّفوا آثاراً باقيةً ما دامت اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية.

وهذه قصة الهند ، فكانت تعيش في عزلة عن العالم يحجزها عن العالم المتمدن البحر في الجنوب والشرق ، وسلسلة الجبال من أكثر جبال العالم ارتفاعاً وطولاً في الشمال والغرب ، لا يتمثلها العالم المتمدن ، ولا يراها إلا في مرآة العقائد المتطرفة ، والأساطير الشائعة عن الرياضات المرهقة ، والزهد المتبتل ، وتعذيب الجسم ، والتغلب على مطالب النفس ، وقهرها ، والتمسُّك بفلسفة وحدة الوجود ، والبراعة في بعض العلوم الرياضية ، والفلك ، واتساع المساحة ، وخصب الأرض ، ووفور الخيرات ، ولا تفتح نافذة ينظر منها العالم إلى هذه البلاد المطوية المغلقة إلا عن طريق بعض الفاتحين كالإسكندر المقدوني ، أو عن طريق بعض المحققين الباحثين كأبي الريحان البيروني[٢] (م ـ ٤٤٠ هـ) قد وقفت مدنيتها على ما كانت عليه قبل آلاف من السنين ، ولم

---

(١) وقد اقتصرنا على قليل من أسماء المدن التي لمعت في التاريخ الإسلامي على سبيل المثال ، وإلا هي أكثر من أن تستقصى.

(٢) يرجع إلى كتابه «تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة».

تشتغل إليه الحاذقة في زيادة الثروة وتسهيل الحياة ، وترقيق المدنية ، وتوسيع الثقافة كما اشتغلت في بلاد مجاورة ، فبقيت على ما كانت عليه[1] من مدنية ، وفنٍّ ، وزراعة وأساليب للحياة ، حتى دخلها المسلمون فحملوا إليها أجمل ما عندهم من عقيدة توحيد ، ومساواة إنسانية وحقوق عامة لجميع الطبقات ، ومدنية رقّت حواشيها ، وطالت ذيولها ، وثقافة شارك في توسيعها وتهذيبها عبقريات عدّة شعوب ، وتجارب عدة أمم. وإدارة قد مارسوها ، وأتقنوها في ميادين شتّى ، فدخل معهم الهواء الطريّ النقيّ ، ولقاح الأفكار المتباينة ، والفنّ الذي نضج واختمر ، وتنظيم البلاد وسياسة الحكم التي طالت تجربتهم فيها ، والتقت الفروسية التركية ، وقوة الإرادة المغولية ، والنخوة الأفغانية مع الشريعة الإسلامية السّمحة ، والطموح العسكري الإداريّ الذي لا يخضع لصعوبة ، ولا يؤمن بخطر ، ومع طبيعة البلاد والشعوب التي اختلطوا بها ، الرقيقة الوادعة التي تتدفق برسالة الحبّ والرفق ، والغناء المطرب ، والشعر الرقيق ، والكرم الأصيل ، وحبّ التعمّق في كلّ علم وفنٍّ ، التقى كلّ ذلك في إنشاء حضارة جديدة تستحقّ أن تسمّى «الحضارة الهندية الإسلامية» أو «الحكم المغولي الإسلامي الهندي» وفي تكوين فنٍّ معماريٍّ يستحقّ أن يسمّى «الفن الإسلامي الهندي» فإذا تجلّت هذه العبقرية الممزوجة المركبة في أساليب الحكم والإدارة والتنظيم؛ كانت عبقرية علاء الدين الخلجي (م ٧١٦ هـ) في قوانين التجارة ، والمعاملة ، والتسعير ، ورخص المواد الغذائية ، وصلاح أخلاق التجار ، وأهل الحرف.

وإذا كانت عبقريةٌ تجلت في الحبّ والحنان ، والأنغام والألحان؛ كانت عبقريةُ الأمير التركي الهندي الأمير خسرو[2] أمير شعراء الهند (م ٧٢٥ هـ)

---

(١) اقرأ صفة الهند وما كانت عليه من مدنية وإنتاج وصناعة وثمار وفواكه وأدوات مدنية ومرافق الحياة في منتصف القرن العاشر الهجري بقلم السلطان بابر التيموري الرسام المصور في كتابه الخالد «تزك بابري» أو اقرأ ترجمته بالعربية في كتابنا «المسلمون في الهند» ص ٢٦، ٢٧

(٢) هو من أصل تركي صميم وخؤولته من الهند ، ولد في بتيالي في الولاية الشمالية ، وكان إماماً في الشعر والموسيقى، وله اختراعات ، واجتهادات فيهما.

فظهرت في شعره الرقيق الرائق ، الذي كاد يسيل رقَّةً وعذوبةً وكان يضرب على أوتار القلب ، وظهرت في تفننه في أغراض الشعر وضروبه ، واقتداره على عدَّة لغات.

وإذا كانت عبقرية تجلّت في الإنسانية السامية ، والأخلاق الفاضلة ، والحياة النافعة ؛ كانت عبقرية الشيخ نظام الدين محمد البدايوني الدَّهلويِّ (م ٧٢٥هـ) التي ظهرت في زهده ، وشفقته على الخلق ، وإيثارهم على النفس.

وإذا تجلت هذه العبقرية في طيب القلب ، وتأمين البلاد ، وخدمة العباد ؛ كانت عبقرية فيروز تغلق (م ٧٩٩ هـ) التي تجلّت في الأمن المنقطع النظير ؛ الذي لم تعرفه البلاد من قبل ، وفي كثرة الأنهار ، وتنظيم الريِّ ، وتعايش أهل البلاد السلميِّ ، وارتفاع المظالم ، وقلَّة نسبة الجنايات.

وكانت عبقرية شير شاه السوري (م ٩٥٢ هـ) في سنِّ القوانين ، وضبط البلاد ، وترفيه السُّكَّان ، وتجلّت في هذا الشارع الذي كان يبتدىء من ماء نيلاب في أقصى الشمال الغربي إلى سناركاؤن في أقصى الشرق ، وبناء الخانات ، وتهيئة أسباب الراحة والخفارة للقوافل والسابلة ، وفي وضع دستور الحكم العام الحكيم ، وتحقّق كل ذلك في خمس سنوات.

وإن تجلّت هذه العبقرية في الجمع بين الفضائل العلمية والعملية ، وبين السيف والقلم والقدرة الأدبية الشعرية في لغات متنوعة ؛ كانت عبقرية الأمير عبد الرحيم خانخانان (م ١٠٠٥ هـ) القائد العسكري الكبير ، ومن أركان الدولة المغولية الذي جمع بين قيادة الجيوش ، وصدارة الأدب والشعر ، وتربية الأدباء والشعراء ، ويعتبر من الشعراء المفلقين في اللغات التركية ، والفارسية ، والهندية الوطنية[١].

وإذا تجلّت هذه العبقرية في الذوق الرقيق ، وحسن الاختيار ، وصفاء

(١) هو عبد الرحيم بن بيرم خان (أحد مؤسسي الدولة المغولية) من أصل تركي أصيل ، وأمه هندية ، ويعتبر من أئمة الشعر الهندي (غير الأردوية) كان يتلقب فيه برحيم ، ويقر بفضله أدباء الهنادك ويعدُّونه من شعرائها المعدودين الذي نبغوا في المسلمين ، اقرأ ترجمته الحافلة في «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» في الجزء الخامس.

الحسِّ ، ورقَّة الشُّعور؛ كانت عبقرية جهانكير (م ١٠٣٧ هـ) في ترقية الثمار والفواكه ، وفي تلقيح الأشجار ، والتفنن في المأكل والمشرب ، وإذا تجلَّت هذه العبقرية المزدوجة المركبة ، الرقيقة المهذبة في الفنِّ المعماريِّ ، والهندسة ، والبناء ، والآثار الجميلة الخالدة ، كانت عبقرية شاهجهان التي تجلَّت في التاج محل الدرة الفريدة المعمارية ، وفي جامع شاهجهان في «دهلي» والقلعة الحمراء ، وإذا تجلت هذه العبقرية في قوّة الإرادة ، وقدرة الإدارة ، وقيادة الجيوش ، وإخضاع البلاد لحكم واحد ، وقانون واحد ، والإشراف عليها في وقت واحد؛ تجلَّت في عبقريةً أورنكً زيب في ً إخضاعً جنوب الهند الذي تمرَّد علَى الفاتحين الأولين ، وبقي محافظاً على استقلاله ، وشخصيته أكثر الوقت ، وفي ديانته وتقواه ، وأخذه بالعزائم ، وظهرت في تدوين «الفتاوى الهندية» وفي إحياء السنن النبوية ، وإزالة العادات والشعائر الجاهلية التي تمسَّك بها أجداده ، وعضُّوا عليها بالنواجذ ، وإذا تجلَّت هذه العبقرية في ميدان العلم ، والفكر الإسلاميِّ ، والغوص في مقاصد الشريعة ، وأسرار الكتاب والسنة ، وتمحيص الحقِّ والباطل ، والخالص والزائف؛ تجلَّت في معارف الشيخ شرف الدين يحيى المنيري (م ٧٨٦ هـ) وحمية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (م ١٠٣٤ هـ) وحكمة الشيخ ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦ هـ) فكانت الهند عالماً مستقلاً لا بالمعنى القديم الذي كانت تعيش فيه قبل دخول الإسلام ، ولكن بالمعنى الجديد الذي وصلت إليه بعد الفتح الإسلامي من تفوُّق في أساليب الحكم ، وبراعة في كثير من العلوم الإسلامية وقيادة لعدَّة حركاتٍ إصلاحيَّة ، وإبداعٍ في كثير منَ فنون الحضارة والاجتماع .

فكانت في حاجة إلى استعراض شامل تاريخيٍّ دقيق ، ومقارنة أمينة بين الماضي والحاضر ، وما كان للهند منَ تراث ، وبقَايا ، وما حمل إليها المسلمون من طرف وهدايا ، وكانت في حاجة إلَى مؤرخ واسع الاطِّلاع ، دقيق الإحصاء ، واسع الصبر والأناة ، قد نقب في المكتبة الإسلامية ، وعاش فيها مدَّةً طويلةً لا يرى اللذة إلا في إحياء مآثر السلف ، وإيتائهم ما يستحقون من الاعتراف والشُّكر .

وقد كان من سعادة الأندلس الإسلامية أن قُيِّض لها مؤرخٌ وصَّافٌ ، وأديبٌ

رسَّامٌ ، مثل محمد لسان الدين بن الخطيب من وزراء دولة غرناطة ، فألف كتابه الفريد «الإحاطة في أخبار غرناطة» في ثلاثة أجزاء ، فكان موسوعةً صغيرةً فيما يتَّصل بعاصمة العرب المسلمين الأخيرة في الأندلس ، وقد طرق في هذا التاريخ باباً قلَّ من سبقه إليه من مؤرخي العرب ، وهو أنه افتتح الكتاب بقسم جغرافي خطَّط فيه ولاية غرناطة وما يتبعها من القرى والجنَّات ، وذكر فيه عوائد أهلها ، ومعايشهم ، وأزياءهم ، وجندهم ، وسلاحهم ، وكثيراً مما يتعلَّق بحالهم الاجتماعية لعهده.

وقد فاق هذا الأثر العلميَّ الخالد أثرٌ آخر لمؤلِّف مغربيٍّ جاء بعده يجدر أن يتطاول به المغرب على بلاد الشرق الإسلامية ، وهو يحيط بالأندلس إحاطةً أكمل ، وأشمل ، وأوفى ، وأجمل ، وهو الكتاب الطائر الصيت : نفح الطيب لغصن الأندلس الرطيب للعلامة أحمد المقرىء المغربي المالكي (م ١٠٤١ هـ)[١] وهي دائرة معارف ، ومعجم مستقل في كل ما يتعلق بالأندلس ، مشحون بالتاريخ ، والأدب ، والشعر والملح في أسلوب أدبيٍّ وسجع ، وفيه فوائد كثيرةٌ ، ومادةٌ غزيرةٌ وعلم منثورٌ ونوادر وحكاياتٌ ممزوجٌ بأخبار غير الأندلسيين[٢] وما لا صلة له بالموضوع بأدنى مناسبة ، ولكنه لا يخلو من الفائدة ، وإن كان ينقصه التنقيح والتأليف المرتَّب على النَّسق الجديد ـ والكتاب في أربعة أجزاء كبار؛ إلا أن الجزء الثالث والرابع في ترجمة لسان الدين بن الخطيب وحده ، وقد أولع به هواة الأدب والإنشاء البليغ والنثر الفني قديماً وحديثاً ، واعتنوا به اعتناءً كبيراً.

وكانت سعادة مصر من هذا الوصف والتصوير ، وتخليد الآثار ، وحفظ الأخبار أوفى وأوفر من كل قطر زها في العهد الإسلاميِّ ، وذلك بفضل ابنها البار العلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي (م ٨٤٥ هـ) فقد ألَّف كتابه العظيم «كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط

---

(١) مات شهيداً سنة ٧٠١ هـ.

(٢) العبارة مقتبسة من تقديم الكتاب للأستاذ رفيق العظم.

والآثار[1]» المشهور بخطط مصر (في جزءين كبيرين) وقد استقصى فيه الدقيق والجليل ، ولم يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ، ذكر فيه المدن والمسالك ، والشوارع ، والحارات ، والدروب ، والأزقة ، والخوخ ، والرحاب ، والدور ، والقصور ، والحمامات ، والمارستانات ، والقياسرة ، والخانات ، والفنادق ، والأسواق ، والقناطر ، والجسور ، والبرك ، والسجون ، والمساجد ، والمدارس ، والخانكاهات ، والربط ، والمشاهد والجواسق ، والمقابر ، والكنائس ، وذكر الأعياد ، والمواسم ، والدواوين ، ورتب الأمراء ، والخزائن ، ورتبة الوزارة ، وهيئة خلعهم ، ومقدار جاريهم ، وذكر فيه صلاة العيد ، وما يتعلق بها ، وذكر المناظر ، والمنتزهات ، والعوائد التي كانت بقصبة القاهرة ، والمكوس ، والصناعات ، والنظر في المظالم والجيوش والحجبة ، وأحكام السياسة ، ومذاهب أهل مصر ونحلهم ، ولكن الحديث أكثره منصرفٌ إلى القاهرة ، ودائرٌ حولها ، وما كانت عليه القاهرة المعزية في حياته من مدنية ، وعمارة ، وعادات ، واجتماع ، وطراز للحياة ، وآثار باقية ، وقد مضى على وفاة المؤلف أكثر من خمسة قرون وما جاء بعده ـ على كثرة المؤلفين والمؤرخين في مصر ـ من يخلفه في تسجيل ما جدَّ وتغيَّر ، وفي وصل الحاضر بالغابر ، وعلى كلٍّ فالكتاب مأثرةٌ علميةٌ تأليفيةٌ تتباهى بها مصر ، وبرهانٌ ساطعٌ على وفاء علماء المسلمين ومؤلفيهم لأوطانهم ، وهمتهم السامية في التأليف والتدوين ، وتخليد الآثار .

أما الشام فقد صنف ابن عساكر (م ٥٧١ هـ) كتابه المشهور «تاريخ دمشق»[2] الذي هو بمكتبة أو بدائرة معارف أشبه منه بكتاب مفرد ، وأكثره تراجم رجال ، ثم وقعت فترة طويلة في صفة الشام ، وذكر أخباره ، وآثاره ، ومدينته ، وحضارته ، وما حباه الله من جمالٍ ، وكمالٍ ، وسحرٍ ، وشعرٍ ، وما طرأ عليه

(١) قال المقريزي (م ٨٤٣ هـ) إن أول من صنف فيهما أبو عمر بن يوسف الكندي ، ثم القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وأكبر الظن أن هذه الكتب قد ضاعت ، ولم تنته إلينا .

(٢) قال العماد عن أجزاء «تاريخ دمشق» : وهو يحتوي على سبعمئة كراسة ، كل كراسة عشرون ورقة ، وقال : إنَّه في خمسمئة وسبعين جزءاً والنسخة الجديدة في ثمانمئة جزء .

من تطورات ، وحكومات ، وعادات ، وصناعات ، وأوضاع ، وتصوير ما عليه منّ تطورات ، وحكومات ، وعادات ، وصناعات ، وأوضاع ، وتصوير ما عليه هذا البلد من حياة ، واجتماع ، وزراعة ، وتجارة ، حتى قام أحد أبنائه الأوفياء وهو الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً (م ١٣٧٣ هـ الموافق٢/ نيسان سنة ١٩٥٣) فألف كتابه القيم «خطط الشام»[1] وضمنه تاريخ البلد المدني والسياسي ، وتاريخ العلوم والآداب التي ازدهرت فيها ، وما كان عليه القطر في عهده من زراعة ، وتجارة ، وما يستورده من الخارج ، وما يصدره إليه ، وما يستطرف من مصنوعاته ومنتجاته ، وما يحتوي عليه من معادن وخيرات ، وما يمتاز به من حيوانات دواجن ، واستعرض القوة الحربية ، والحالة الاقتصادية ، والأمور الخيرية ، ومظاهر الحياة المدنية والدينية في مختلف العهود والآثار القديمة (العاديات) وذكر أهم مدن القطر ، وخصائص أهله ، واللغات التي تكلم بها أهل هذه البلاد في عصور مختلفة ، فجاء هذا الكتاب نبراساً مضيئاً ، ودليلاً مرشداً في جغرافية هذه البلاد وتاريخها ، ومدنيتها ، وثقافتها ، واجتماعها ، فاستحق المؤلف شكر أبناء وطنه ، وكلّ معجب بالشام ، معترف بفضله في تاريخ الإسلام.

وقد اقتصرنا في هذا الفصل على التعريف الإجمالي بالكتب التي ألفها أبناء البلاد في خطط هذه البلاد ، وآثارها ، ووصفها ، وإلا فالكتب التي ألفها المؤلفون الإسلاميون في وصف بلاد إسلامية وتاريخها وخططها أكثر من أن تستقصى في هذه العجالة ، وخير ما كتب في هذا الموضوع ، وأوسع ما ألف فيه «كتاب الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية» للمرحوم الأمير شكيب أرسلان (م ٣٦٦ هـ الموافق ديسمبر ١٩٤٦ م) والكتاب في ثلاثة أجزاء ، وكان الظن أن تكون ثمانية ولكن حالت المنية دون إتمامه ، وقد حشد فيه المؤلف المعلومات الجغرافية ، والتاريخية ، فأصبح كتاباً موسوعةً في وصف الأندلس ورغماً على أنّه لم يتم أوسع كتاب عربي كتب عن الأندلس في العصر الحاضر.

---

(١) في خمسة أجزاء (ظهر هذا الكتاب سنة ١٣٤٣ هـ الموافق سنة ١٩٢٥ م).

وقد كانت للهند[1] الإسلامية شخصيةٌ إسلاميةٌ ممتازةٌ ودورٌ مستقلٌّ في توسيع الحضارة الإسلامية وتجارب الحكم ، ومجال العلوم الدينية إذا لم يكن لها دور في إنشائها وتكوينها ، كما قدَّمنا في السطور الماضية ، وهي حلقةٌ ذهبيةٌ في سلسلة الذهب التي يتحلَّى بها جيد الإسلام ، ويتجمَّل بها تاريخ المسلمين ، وقد نشطت حركة التأليف والتدوين منذ فجر الإسلام في هذه البلاد ، ونبغ فيها مؤلِّفون ، ومؤرِّخون يعدُّون بالمئات ، ولكن جلُّ مؤلفاتهم وآثارهم العلمية إمَّا تدور حول البلاد وشخصيات الملوك ، وإما تدور حول الزوايا ومن كان فيها من الشيوخ الكبار ، وأكبر هممهم تدوين أخبار الفتوح ، وأخبار الشجاعة ، والكرم ، وتسجيل الخوارق ، والكرامات ، والمجاهدات ، والرياضات ، والقليل النادر منها ما يتحدَّث عن العلماء والأدباء ويسجل أخبارهم ، وهذا القليل النادر يتجرَّد عن ذكر التفاصيل التي تتكون بها سيرهم الحقيقية ، وتتمثَّل بها صورتهم الواقعية ، أما ما كانت عليه البلاد في مختلف العهود من حضارة ومدنية ، ورقيٍّ ، وتقدُّم ، وما كانت عليه سياسة البلاد ، وأساليب الحكم ، والتنظيم الإداري ، وتحصيل المالية والجبايات ، وقيادة الجيوش ، ونظام الحروب ، وكيف كانت الحالة الاقتصادية ، وإلى أين وصلت مجابي البلاد ومواردها في حكومات مختلفة وعهود مختلفة ، وكيف كانت طريقة الملوك الإسلاميين في القضاءَ والعدلَ ، وفصل الخصومات ، وما هي عاداتهم في الجلوس للناس ، والخروج في المدن ، والجولات في المملكة ، وما هي عاداتهم وسننهم في الأعياد والمواسم ، وما هي الأيام التي كانوا يحتفلون بها ، وكيف كانوا يظهرون سرورهم في الأفراح ، وعطفهم على الرعية ، وما هي الرتب والمناصب الرئيسية في دور حكمهم ، وكيف كانوا يقلدونها أهلها ، وما هي جرايات أهل المناصب ومرتباتهم ، وما هي الحقوق والتكريمات التي كانوا يتمتعون بها ، ثم ما هي الأمور الخيرية التي وفق لها الملوك المسلمون في عهدهم الطويل ، وما هي المآثر والمبرات التي شادوها لترقية البلاد ، وترفيه العباد ، وإطعام الجائع ، وإغاثة الملهوف ، وتأمين السبل ، وما هي

---

(١) إذا أطلقنا كلمة الهند فإنما نعني بها : شبه القارة الهندية ، والقطر الهندي كلُّه قبل التقسيم .

سوابقهم ، وأوّلياتهم ، ومخترعاتهم في السياسة ، والحكم ، وتنظيم البلاد ، وتحصيل الخراج ، وترقية الزراعة والتجارة ، وما هي طرازهم الخاص في الفنِّ المعماريِّ ، وما هي التحسينات التي أدخلوها على المدينة ـ إلى غير ذلك مما تهم معرفته. فقد صورهم بعض المؤرخين المتحيزين إلى فئة الخاضعين لأغراض سياسية ، أو طائفية ، ملوكاً جبارين ، غلاظاً شداداً ، قَساةً جفاةً ، لا يحملون إلا السّيف ولا يحسنون إلا صناعة الحرب ، ولا يعرفون إلا لغة الدم والدرهم ، لا ذوق عندهم ، ولا ذكاء ، ولا أصالة في فنهم ، ولا اختراع.

وكان الذي يطالع مؤلفات مؤرخي الهند المسلمين ـ وجلها بالفارسية ـ لا يستطيع أن يقدِّم لهذا العهد صورةً مشرقةً ، أو يهتدي إلى مآثرهم في ضوء هذه الكتب ، فإمَّا يتجرد أكثرها عن هذه المواد تجرداً يمكن المؤرخين المتشائمين المغرضين من تأييد دعواهم وإمَّا يجدها القارىء مبعثرةً في هذه الكتب الكبيرة الضخمة ، مطمورةً تحت ركام أخبار الحروب والفتوح ، وقصص السطوة ، والقسوة ، والصلات السنية السخية ، والجوائز المشدهة للعقول ، وكأنَّ القارىء يشعر في أثناء قراءته بأنه يمشي في نفق مظلم لا ضوء فيه ، ولا هواء ، فلا يتبيَّن من يمرُّ به في هذه الرحلة ، ولا يرىَ الأزيَاء ، ولا يعرف النقود التي كانوا يتعاملون بها ، والقواعد التي يلتزمونها ، وأسس الحكم التي يسيرون عليها ، إلا بعض اللمعات ، أو بعض الأضواء التي يراها في «تاريخ فيروز شاهي» لضياء الدين البرني (مات بعد ٧٥٨ هـ) و«تحفة فيروز شاهي» لسراج عفيف و«تاريخ كازار إبراهيمي» المعروف بتاريخ فرشته لمحمد قاسم البيجابوري[١].

فكانت الهند في حاجة إلى مؤرخٍ للرجال ، «كابن خلكان (م ٦٨١ هـ) ومستعرض للتاريخ العلميِّ كحاجيِّ خليفة جلبي (م ١٠٨١ هـ) ووصَّاف كالمقريزيِّ (م ٨٤٥ هـ) حتى توفَّى هذه البلاد التي ذكر فيها الرجال وازدهر فيهَا

---

(١) ويستثنى من ذلك إلى حد ما كتاب «آئين أكبرى» و«أكبر نامه» لأبي الفضل الناكوري وما ألف من الكتب بعدهما عن الملوك التيموريين كـ «بادشاه نامه» و«مآثر عالمكيري» إلا أنها مختصة بشخصيات معينة وعهود خاصة.

العلم واتسعت فيها المدنية حقَّها من التاريخ ، والتسجيل والتصوير ، وقد وفّق الله العلامة السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (م ١٣٤١ هـ) ليمثل هؤلاء الثلاثة العظماء فيما يختصّ بالهند ، ترجمةً ، وتاريخاً ، واستعراضاً ، وتصويراً ، وطالما سمت همة أصحاب النفوس الكبيرة إلى تمثيل أشخاص مختلفين ، وإلى القيام بعمل ينوء بالعصبة أولي القوة ، وقد أنتج بعض الأفراد في تاريخ الإسلام العلمي قديماً وحديثاً ما قد تعجز عنه المجامع العلمية في هذا الزمان ، فتاريخ دمشق عمل رجل[١] واحد ، ولسان العرب[٢] إنتاج رجل واحد ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري[٣] أثر رجل واحد ، وتاج العروس في شرح القاموس وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين تأليف رجل واحد[٤] ومعجم المصنفين مأثرة رجل واحد[٥] ، فألف أولاً كتابه «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»[٦] ـ في تراجم أعيان الهند ـ من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري في ثمانية أجزاء ، تشتمل على أكثر من أربعة آلاف وخمسمئة ترجمة ، وقد اقتدى فيه بابن خلكان في الدقّة والاقتصاد ، ووضع الرجال في منازلهم ، وألّف كتابه «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»[٧] ، وهو دليلٌ شاملٌ لمؤلفات علماء الهند ، مع تاريخ دخول العلوم الإسلامية في هذا القطر وتطورها ، وتاريخ مناهج الدرس فيه ، والمراحل التي مرّت بها .

---

(١) هو ابن عساكر (م ٥٧١ هـ) .

(٢) هو ابن منظور (م ٧١٤ هـ) وكتابه لسان العرب في ٢٠ جزءاً .

(٣) هو للمحدث الكبير الحافظ ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٣ هـ) وهو في ١٣ جزءاً .

(٤) هو العلامة السيد مرتضى بن محمد الزبيدي البلكرامي (م ١٢٠٥ هـ) كتابه «تاج العروس» يقع في عشرة مجلدات كبار ، و«إتحاف السادة المتقين» يقع في عشرين مجلداً .

(٥) هو العلامة محمود حسن خان التونكي (م ١٣٦٦ هـ) وكتابه يقع في ستين مجلداً و٢٠ ألف صفحة وتحتوي على تراجم أربعين ألفاً من المصنفين .

(٦) قامت دائرة المعارف الثمانية (بحيدر آباد الدكن ـ الهند) بطبع هذه السلسلة وقد ظهر الجزء الأخير وهو الجزء الثامن في ١٩٧٠ م .

(٧) طبع هذا الكتاب باسم «الثقافة الإسلامية في الهند» في دمشق ، طبعه المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٨ م .

ثم أقبل على هذا الموضوع الذي هو من أشد الموضوعات العلمية في هذه البلاد غموضاً وخمولاً ، ومواده كما قدمنا إما منثورةٌ مبعثرةٌ في ثنايا السطور في الأسفار الكبيرة ، وهي إشاراتٌ لا تفي بالغرض ، ولا تسمن ، ولا تغني من جوع ، وإمَّا هي مطمورةٌ مغمورةٌ ، تحتاج إلى نفض أتربة ، وإزالة أنقاض ، ثم إنَّ كثيراً منها يوجد في غير مظانِّها ، فلا يهتدي إليها ، ولا يتفطن بها إلا من عاش بين الكتب ـ بين مطبوع ، ومخطوط ـ مدَّة طويلةً ، وأرهق عينه وأضنى نفسه في مطالعة كلِّ ما ألف في التاريخ ، والأخبار والتصوُّف ، وما لا يتَّصل بالتاريخ عن قريب وبعيد ، ويكون كالنحلة تدور بين الأشجار ، وتجلس على الرَّياحين والأزهار ، فتمتص منها الرحيق ، فتحوله إلى عسل مصفًّى ، فيه شفاءٌ للناس ، ويرزق صبرها ، وحرصها ، وتلطفها ، وحكمتها في قضاء وطرها وإخلاصها في عملها ، وإيثارها في نفع غيرها .

فألف هذا الكتاب الذي أتشرَّف بتقديمه ، والذي أسماه «جنة المشرق ، ومطلع النور المشرق» وسميناه «الهند في العهد الإسلامي» فذكر فيه جغرافية البلاد وموقعها من الأرض وما يتعلَّق بها ، ثم ذكر حاصلات الهند (وهو باب يكاد هذا الكتاب ينفرد به في اللغة العربية) وقد ساعدته على إكماله وتحقيقه صناعته الطبية ، فذكر حاصلاتها بين أشجار ، وفواكه ، وأزهار ، ورياحين ، وحشائش ، وعقاقير ، وأصناف النبات ، ثمّ ذكر معادن البلاد ، وما تهمُّ معرفته من أحوال الهند ، من ديانات ، ولغات ، وغير ذلك ، ثم تناول الجغرافية بالتفصيل ، وأهمُّ ما جاء فيه ذكر كور الهند ، وأشهر مدنها ، وقراها في الدولة الإسلامية ، وتوصل بذلك إلى ذكر ما كانت عليه الهند في العهد الإنجليزي ، ثم استعرض تاريخ الحكومات الإسلامية في الهند ، المركزية منها والإقليمية (ملوك الطوائف) في إجمال واختصار ، ولكن في تحقيق ودقَّة؛ إلى آخر ملوك الهند في دهلي ، وذكر الثورة الهندية الشهيرة ، وقيام الإمارات الإسلامية ، وقد ألحقنا به تذييلاً وتكميلاً بقلم نجله الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، مع بعض الزيارات بقلمنا ، إكمالاً للفائدة ، فصار به هذا الكتاب مطابقاً للأحداث الأخيرة .

ويلي كلَّ ذلك القسمُ الذي هو قيمة هذا الكتاب العلمية والتاريخية ، وميزته

بين الكتب ، وهو الفنُّ الثالث في الخطط والآثار ، فيرى فيه القارىء صورةً واضحةَ القسمات ، ظاهرة الملامح للعهد الإسلامي الزاهر الذي كان هدفاً للظلم والقسوة من كثيرٍ من المؤرخين الأوربيين والهنادك ، وموضع الغفلة والاستهانة من كثير من مؤرخي المسلمين والمشتغلين بالعلم والدراسات في الجامعات والمجامعَ العلمية ، واشتمل هذا الفنُّ على خطط الملوك في الأحكام السياسية ، ونظام المملكة ، وعاداتهم في الجباية ، وفي العدل والقضاء ، ومآثرهم الإنسانية ، وآثارهم في الأمور النافعة ، وذكر العساكر وترتيبها ونظامها ، وقد نجح المؤلف في تقديم كمية العساكر الإسلامية ، والبحرية ، وذكر صفة القتال ، وذكر المناصب ، وأهلها ، وفيها تفاصيل دقيقة ، ثم ذكر ما أحدثه الملوك المختلفون في عهدهم في السياسة ، وفي الخروج للناس ، إلى غير ذلك ، وتحدَّث عن الأعياد ، والمواسم ، والأيام المشهودة ، وآداب التحية .

ويلي ذلك فصلٌ من أهم فصول الكتاب وأكثرها قيمةً علميةً في ذكر السنين ، والشهور ، والسَّاعات ، وطريق المسلمين في الهند في التاريخ ، والنقود ، والموازين وتقسيم الأرض بحسب المساحة وأصنافها ، وأحكام العشر والخراج ، ومالية الدولة الإسلامية ، ولا يقدر قيمة هذا الفصل وما جاء فيه من معلومات قيمة ، ومدى نجاح المؤلف في جمعها إلا من اضطر إلى البحث في هذا الموضوع ، وطالع آلافاً من الصفحات .

ثم انتقل إلى الفصل الأخير وهي المؤسسات الخيرية ، والأمور النافعة التي قام بها الملوك المسلمين ، والآثار المعمارية ، والتحف الفنية التي خلفوها وراءهم ، وزينوا بها هذه البلاد ، من شوارع عامة ، وتنظيم البريد ، وحياض ، وأنهار ، وحدائق ، وبساتين ، وجوامع ، ومدارس ، وقد استقصى فيها استقصاءً كبيراً ، ومارستانات (مستشفيات) وملاجىء للفقراء والعجزة (بلغورخانه) واستطرد إلى ذكر المقابر العظيمة ، والمشاهد ، وختم الكتاب بذكر نوادر ما صنع المسلمون في عهد حكمهم ، ونبوغهم ، ونشاطهم العقلي ، وحريتهم السياسية ، وهي عصارة دراسة طويلة ، ومكتبة ضخمة .

لقد نزل مستوى الدراسات والبحث العلمي نزولاً كبيراً في هذا العصر ، حتى

قلَّت قيمتها ، وهانت منزلتها ، ففي كل شهر يطالعنا كتاب له اسم هائل ، وموضوع ضخم ، قد جمعت فيه معلومات ، والتقطت على عجل ، ومن غير تمحيص ، وهضم من بعض كتاب المتقدمين ، ورصفت ترصيفًا على طراز المؤلفين الأوربيين ، ولكن تنقصها الأصالة العلمية ، والرسوخ في الموضوع ، والفقه العميق له ، أما هذا الكتاب الذي لم يتبجَّح به مؤلفه ، ولم تقم له دعايةٌ في سوق العلم ، بل بقي مغموراً نصف قرن تقريباً بين ما خلفه المؤلف من مخطوطات وأوراق ـ فإنَّ فصلاً واحداً منه يتضمن ما انتشر في مكتبة ، وإنَّ صفحةً واحدةً منه تقوم بكتاب كبير ، وهكذا أعمال السلف المخلصين التي أريد بها وجه الله ، ورضا الضمير ، وخدمة العلم ، وتحلَّت بالإخلاص ، والتطوع ، وروح الاحتساب ، وتميَّزت بالخفاء ، والتواضع والخمول ، حتى قدَّر الله ظهورها في أوانها ، وبعد أن مضى على وفاة المؤلف عقودٌ من السنين.

وقد كانت هذه قصة هذا الكتاب فقد تعرض للتلف مرتين: مرَّة في سنة ١٩٢٣ م ، لما أخذه أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي وهو تلميذ المؤلف ، لينشره من دار المصنفين بأعظم كره (الهند) التي كان يرأسها ويديرها ، فقدمه للمطبعة في دهلي ، فكانت الحروف العربية نادرة في الهند فبقي الكتاب في ركام من الأوراق ، حتى وصلت إليه الأرضة وخرمته ، وقد طبع من الكتاب ٢٩٢ صفحة ، ولما اطلع على ذلك ابن المؤلف الدكتور عبد العلي الحسني ، أنقذه من هذا العدو الفاتك ، وأخذه من هذه المطبعة الغافلة ، وصحَّح هذا الكتاب ، وملأ فراغه في ضوء مؤلفات المؤلف ، ومصادر الكتاب ، حتى أكمل هذه النسخة ولم تتهيأ الأسباب لنشره ، فهجم عليه السوس مرَّة ثانية ، وتلفت بعض صفحاته ، فجاهدنا فيه مرَّةً ثانيةً ، وبحثنا عن النسخ الأخرى ، فوجدنا نسخة للجزء المطبوع بمكتبة دار المصنفين ، فأكملنا به الناقص ، وصححنا به الغلط ، وجهزنا الكتاب للطباعة والنشر في شكل نهائي لا نقدر على أحسن منه ، وقد شاهدنا تيسير الله تبارك وتعالى ونصرته في حفظ هذا التراث الثمين ، واستخراج هذا الكنز الدَّفين ، إنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

وكان هذا الأثر العلمي أمانةً عند ورثة المؤلف وأفراد الأسرة ، وأمانة الأفراد عند الأفراد ، والمخطوطات عرضةٌ للحوادث ، والإهمال والتلف ، يشهد بذلك

تاريخ المكتبات الفردية والذخائر العلمية التي خلفها الآباء للأبناء ، لذلك عزمت أسرة المؤلف على أن تتخلّى عن مسؤوليتها في أقرب زمان ، فيكون هذا الكتاب ملكاً للأمّة التي كتب لها ، وزينةً لمكتبات العالم .

وقد هيأ الله لذلك الأسباب وذلّل الطريق لنشره ، وها نحن أولاء نقدم هذا الأثر العلمي الكبير ، راجين من الله الثواب ، متوقعين من القرّاء الرِّضا والإعجاب ، والله الهادي إلى الصواب ، وإليه المرجع والمآب .

ويرى كاتب هذه السطور من الأمانة والاعتراف بالجميل أن يشكر إخوانه وزملاءه الذين ساعدوه في مراجعة هذا الكتاب وتصحيحه ومقارنته بالأصول والمصادر القديمة والتقاط المعلومات الجديدة لإكمال الكتاب ، وموافاته للعصر الحديث ، وفي مقدمة هؤلاء الزملاء الأستاذ أبو العرفان الندوي مدرس دار العلوم ندوة العلماء ، وكان له القسط الأكبر في هذا الجهد العلمي ، والأستاذ محيي الدين ، والعزيز نذر الحفيظ الندوي ، والمؤلف يدين لجميعهم بالفضل ويشكرهم على مساعدتهم الغالية .

وأخيراً لا آخراً أشكر الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، فإنّه اطلّع على هذا الأثر العلمي وطلبه من ورثة المؤلف ، وقرر نشره من دائرة المعارف العثمانية ، وضم هذه المأثرة إلى مآثره الكبيرة الكثيرة في إنقاذ الكتب القيمة التي نسجت عليها العنكبوت ، وتوسط في انتشارها ووصولها إلى أيدي القراء والباحثين ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على خير خلقه ، وبارك ، وسلم .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلِّف

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سوَّاه ، ونفخ فيه من روحه ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحقُّ المبين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

أما بعد: فإني لما فرغت من تأليف «نزهة الخواطر ، وبهجة المسامع والنواظر» في مجلدات حافلة ، وأسفار شاملة في تراجم أعيان الهند[1] . وكان وقع لي في أثناء تأليفه أمور ، لا يسعني الإعراض عنها ، وأن أضرب صفحاً عما ينجم منها ، فأحببت أن أفرد لها كتاباً أجمع فيه أخبار الهند من جهات مختلفة ، وأذكر فيه علماً قد أغفلوه ، وأنفرد بفنٍّ لم يذكروه ، إلا على وجه الإخلال والنقص بحيث لا يشفي العليل ، ولا يروي الغليل ، ممَّا يشتمل على جغرافية الهند ، وموقعها في الأرض ، وأشهر بلدانها ، وأخبار الملوك من المسلمين إجمالاً ، ووقائع ملوك الطوائف الإسلامية في الأقطار ، وأذكر الملوك ، والأمراء في العصر الحاضر ، وأذكر تسلُّط الإنكليز عليها ، والثورة التي وقعت بها للتخلص من سلطة الإنكليز ، وجمل شؤون الهند من الخطط والآثار ، والأحكام السياسية ، وطريق العدل والقضاء ، والجلوس للناس ، وأبيِّن

---

(١) ظهر الكتاب في ثمانية أجزاء ، طبعتها دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ودار عرفات (رأي بريلي) الهند وطبع أخيراً في دار ابن حزم ببيروت في ثلاث مجلدات .

طريقهم في أخذ المالية ، ومكاييلهم ، وموازينهم ، ونقودهم ، وأقسام الأرض ، وأذكر طرفاً من المشاهد المعروفة ، والمراصد المشهورة ، والخصائص والرسوم ، والصنائع والعلوم ، وغير ذلك من الأمور التي ستقف على جميعها في موضعه إن شاء الله تعالى؛ إذ هو علمٌ يرغب فيه الملوك والكبراء ، ولا ترغب عنه القضاة والفقهاء ، وتحبه العامة والرؤساء ، وينتفع به كلُّ مقيمٍ ومسافرٍ ، ويحظى به الموظف والتَّاجر .

وما تمَّ لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ، ولقائي العلماء ذوي الشأن ، ومعاطاتي الأجلاء ، واختلافي إلى الأدباء ، والتفطن بهذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفته ، والبحث والرجوع إلى الكتب الكثيرة التي لا تكاد تحصر ، حتى أتقنته مع بذل المال الوافر ، والزمان الطويل ، ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة ، والصبر على التعب ، وترك المستلذات ، وَلا يعرف فضل كتابي هذا إلا من نظر في الكتب التي صنفوها في أخبار الهند ، أو دوّخ البلدان ، وكان من أهل العلم والفطنة ، ولابن الوردي :

إنَّما يعرف فضل العلم من سهرت عيناه في تحصيله

وقال آخر :

إنَّما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه

ثم إني لا أبرىء نفسي من الزلل ، ولا كتابي من الخلل ، ولا أصفه خلواً من الزيادة والنقصان ، ومفلتاً من الغلط والنسيان ، وليس لي في ذلك إلا جهد المقلِّ ، وهمَّةٌ انقادت ، فارتقت بي إلى هذا الطود المطل ، والمعصومُ الواحد العلاَّم ، القدُّوس عن السهو والأوهام .

وإني لم أقصد بتأليفه ، ولا جهدت نفسي لتصنيفه لهواً ، ولا لعباً ، ولا رغبةً سرت إليها ، ولا رهباً ، ولكن رأيت التصدِّي له واجباً ، والانتداب له مع القدرة فرضاً لازباً ، مع أنَّ الوطن المألوف بمنزلة الأم ، لها حقٌّ لا يضاع ، وإليها حنينٌ لا ينكر ، فوجب لذلك علينا إعلام المسلمين بما علمناه ، وإفادتهم بما أفادنا الله بفضله فأتقنَّاه .

وهذا الكتاب يشتمل على ثلاثة فنون : الأول في الجغرافية ، والثاني في

التاريخ ، والثالث في الخطط والآثار؛ والغرض من هذا الترتيب تسهيل طريق الفائدة من غير مشقة.

وسمَّيته «جنة المشرق ، ومطلع النور المشرق[1]» والله المعين على ما اعتمدناه ، والمرشد إلى سلوك ما قصدناه من غير حول منَّا ، ولا قوة إلا بالله ، وسألت الله سبحانه أن لا يحرمنا ثواب التَّعب فيه ، ولا يكلنا إلى نفسنا فيما نحاوله وننويه ، وجائزتي على ما أوضعت إليه ركاب خاطري ، وأسهرت في تحصيله بدني وناظري دعاءُ المستفيدين ، أو ذكرٌ زكيٌّ من المؤمنين ، بأن أحشر في زمرة الصَّالحين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير.

* * *

(١) وقد سميناه: «الهند في العهد الإسلامي».

الفنُّ الأول

في جغرافية الهند ، وفيه مقدمة ، وأربعة أبواب

مقدمة

في تفسير الألفاظ المتكررة في ذكر الأقاليم والبلدان

قد يتكرر بعض الألفاظ في ذكر الأقاليم والبلدان ، مما يشتبه على الناس ، فجئنا بها هاهنا مفسرةً مبيَّنةً مسهلةً على الطالب أمرها ، وهي البحر المحيط ، والبحر والبحيرة ، والنهر والترعة ، والخليج والرأس ، والجبل والسهل ، والأقاليم ، وطول البلد وعرض البلد ، والدرجة والدقيقة ، والصُّلح والعنوة ، والخراج والفيء ، والغنيمة والصدقة ، والخمس والقطيعة .

البحر المحيط

فالبحر المحيط قسمٌ عظيم من الماء المالح ، غامر أكثر الكرة الأرضية ، ويقال له الأوقيانوس ، كالأوقيانوس الهندي إلى جنوب آسيا .

البحر والبحيرة ، والنَّهر والترعة

والبحر قسم متسع من الماء الملح ، أصغر من الأوقيانوس .

والبحيرة قطعة من الماء العذب الراكد ، تحيط بها الأرض من كل الجهات .

والنهر مجرى عظيم من الماء العذب ، يصب في بحر بعد جريانه مسافةً ، كماء السند ، «وكنك» ، ودونه الجدول ، يقال له : النهيرة ، وهو نهر صغير يصب في نهرٍ آخر ، كماء «كومتي» وغيره .

والترعة نهر مصنوع عميق يجمع بين بحرين أو نهرين ، أو قطع آخر من الماء يصلح لعبور السفن الكبيرة ، أو للزوارق ، أو يفيد لسقي الأراضي فقط .

الخليـج

والخليج جزء كبير من البحر المالح ، داخل في البر ، ومن هذا القبيل «خليج بنكاله» .

الـرأس

والرأس هو حرف من جبل ، أو من أرض مرتفعة ، داخل في البحر ، ومن هذا القبيل «راس كماري» من أرض «كرناتك» .

الـجبـل

والجبل ما ارتفع من الأرض كثيراً ، فإن ارتفع قليلاً فهو الهضبة ، ومتى اتصلت الجبال بعضها ببعض ، وامتدت إلى مسافة بعيدة ، سميت سلسلة جبال ، كسلسلة «هماليه» في أرض الهند ، ولابدَّ لكلِّ جبلين من وهدة بينهما ، وإن كانت صغيرة؛ فهي شعبة ، أو كبيرة؛ فهي واد ، أو ضيقة بين صخور قائمة عن الجانبين ، فهي مضيق .

الـسَّهـل

والسهل ما استوى من الأرض استواءً تقريبياً ، وقد يكون صغيراً ، مروي بالعيون ، فيسمَّى مرجاً ، وقد يكون واسعاً ، مروياً بالمطر ، مفروشاً بالعشب دون الشجر ، فيسمى بقعةً ، وقد يكون معموراً بالرمال دون النبات ، فيسمى باديةً ، أو صحراء ، وقد يكون في الصحراء قطع يسيل إليها الماء المطري مما حولها ، فتتمادى في الرطوبة والخصب ، كأنها جزيرة خضراء في وسط بحر من الرمل ، فتسمى روضة ، فإن سال إليها ماء نهرٍ أو عينٍ ، فأنبتت شجراً كثيراً ، سميت : غوطةً .

الإقليم

زعم القدماء أن ثلاثة أرباع الأرض مغمورةً بالماء ، والربع الباقي مكشوف ، والمسكون من المكشوف ثلثه ، وهو ما بين خطِّ الاستواء إلى القطب الشمالي ، وينقسم إلى سبعة أقطاع ، يسمُّون كل قطعة منها إقليماً ، ويريدون بها المساكن المائلة عن معدِّل النهار ، فالأول : يبتدىء من أقصى بلاد الصين ، ويمر على ما يلي الجنوب من الصين ، وفيه جزيرة «سرانديب» وعلى سواحل البحر من جنوب بلاد السند ، ثم يقطع البحر إلى جزيرة العرب ، وأرض اليمن ، ويقطع بحر القلزم إلى بلاد الحبشة ، ويقطع نيل مصر ، وينتهي إلى بحر المغرب ، ووقع فيه من المدن المعمورة مدن جنوب الهند ، وصنعاء ، وعدن ، وحضرموت ، ونجران ، وعمان ، ومدينة صاحب الحبشة ، وجنوب بريرة ، وغانة من بلاد سودان المغرب .

والثاني : يبتدىء في المشرق ، فيمرُّ على بلاد الصين ، وبلاد الهند ، ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد ، وتهامة ، والبحرين ، ثم يقطع بحر القلزم ، ونيل مصر ، إلى أرض المغربً ، ومن المدن المشهورة فيه مدن بلاد الصين ، والهند ، وبلاد التتر ، ومكة ، والمدينة ، واليمامة ، والطائف ، وجدة ، وجبال البربر إلى أرض المغرب .

والثالث : يبتدىء من المشرق ، فيمرُّ على شمال بلاد الصين ، ثم الهند ، ثم كابل ، وكرمان ، وسجستان ، وفارس ، والأهواز ، والعراقين ، والشام ومصر ، والإسكندرية ، إلى غيرها من البلاد .

والرابع : يبتدىء من أرض الصين ، والتبت ، والختن ، ويمرُّ على جبال كشمير ، وبدخشان ، وغور ، وتيراه ، وبلخ ، ومرو ، ونيسابور ، وجرجان ، والري ، وقم ، وكاشان ، وهمدان ، وآذاربيجان ، والموصل ، والثغور ، وجزيرة قبرص ، وصقلية ، إلى البحر المحيط .

والخامس : يبتدىء من أرض الترك ، ويمرُّ على كاشغر ، وفرغانة ، وإسبيجاب ، وسمرقند ، وبخارى ، وخوارزم ، وبحر الخزر ، إلى باب

الأبواب ، وأرمينية ، ودروب الروم ، وعلى رومية الكبرى ، وبلاد الأندلس ، وينتهي إلى البحر المحيط .

والسادس : يبتدىء من مساكن ترك المشرق من الأراضي التركمانية ، وفاراب ، وبلاد الخزر ، وشمال بحرهم ، ويمرُّ على قسطنطينية ، وأرض فرنجة ، وشمال الأندلس ، حتى ينتهي إلى بحر المغرب .

والسابع : إنما هو في المشرق غياض وجبال ، يأوي إليها فرق من الترك ، ويمر على بلغار ، والروس ، والصقالبة ، وينتهي إلى البحر المحيط .

طول البلد

وأما طول البلد ، فالمراد به بعده عن أقصى العمارة ، سواء أخذه في معدل النهار ، أو في خط الاستواء ، الموازي لهما ، وذلك تشابه بينهما ، فكلٌّ منهما يقوم مقام الآخر ، ولأنَّ ما يستعمل من هذه الصناعة ، إنَّما هو مستنبط من آراء اليونانيين ، وهم ابتدؤوا العمارة من أقرب نهاية العمارة إليهم ، وهي الغربية ، فطول البلد على هذا ، هو بعده عن المغرب ، وفي هذه النهاية بينهم اختلاف ، فبعضهم يبتدىء بالطول من ساحل بحر أوقيانوس الغربي ، وهو البحر المحيط ، وبعضهم يبتدىء به من سمت الجزائر الواغلة في البحر المحيط قريباً من مئتي فرسخ ، تسمى جزائر الخالدات ، ولذلك ربما يوجد للبلد الواحد في الكتب نوعان من الطول ، بينهما عشر درجات .

عرض البلد

وأما عرض البلد ، فمعناه بعده الأقصى عن خط الاستواء نحو الشمال ، لأنَّ البلد والعمارة في هذه الناحية ، وتحاذيه من السماء قوس عظيمة شبيهة به ، واقفة بين سمت الرأس ، وبين معدل النهار ، ويساويه ارتفاع القطب الشمالي ، فلذلك يعبَّر عنه به .

الدَّرجة والدقيقة

وأما الدرجة والدقيقة ، فقالوا : الدرجة ما تقطعه الشمس في يوم وليلة من

الفلك ، وفي مساحة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً ، وتنقسم الدرجة إلى ستين دقيقة ، والدقيقة إلى ستين ثانية ، والثانية إلى ستين ثالثة ، وهكذا .

الصُّلح

وأما الصُّلح فيجيء في قولنا : فتح بلد كذا وكذا صلحاً أو عنوةً ، والصلح من الصَّلاح ، وهو ضدُّ الفساد ، وفي هذه المواضع ضد الخلف ، ومعناه : أن المسلمين كانوا إذا نزلوا على حصن أو مدينة ، وخافهم أهله ، فخرجوا إلى المسلمين ، وبذلوا عن ناحيتهم مالاً أو خراجاً ، أو وظيفةً يوظفونها عليهم ، ويؤدُّونها في كلِّ عامٍ على رؤوسهم وأرضهم ، أو مالاً يعجلونه لهم .

العنوة

وأمَّا العنوة ، وهو ضدُّ الصلح ، يقال : أخذته عنوة ، أي : قسراً ، أو قهراً ، وفتحت هذه المدينة عنوةً ، أي بالقتال ، قوتل أهلها حتى غُلبوا عليها ، أو عجزوا عن حفظها ، فتركوها ، وجلوا من غير أن يجري بينهم وبين المسلمين فيها عقد صلح .

الخراج

وأمَّا الخراج ، قيل للبلاد التي فتحت صلحاً ، ووظف ما صولحوا عليه على أرضهم خراج ؛ لأنَّ تلك الوظيفة أشبهت الخراج ، الذي لزم الفلاحين ، وهو الغلَّة ؛ لأنَّ جملة معنى الخراج الغلة .

الفيء

وأما الفيء في اللغة : فهو الرجوع ، وفي الاصطلاح : كل ما استقر للمسلمين ، وفاء إليهم من الكفار في كل عام ، مثل مال الخراج ، وجزية الرؤوس ، كأموال بني النضير ، ووادي القرى ، وفدك ؛ التي فتحت صلحاً ، لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وكأموال السواد ؛ التي فتحت عنوةً ، ثم أقرت بأيدي أهلها ، يؤدّون خراجها في كلِّ عام ، في أيام عمر بن الخطاب رضي الله

عنه ، كلٌّ منهما يسمى فيئاً لا اختلاف بين أهل العلم ، والفرق بينهما أن ما فتح عنوةً كان فيئاً للمسلمين الذين شهدوا الفتح يقسم بينهم ، وأما الذين رغبوا في الصلح من غير أن يأتيهم أحد من المسلمين ، فأمره إلى رسول الله ﷺ ، والأئمة من بعده يقسمون أمواله على من يرون .

الغنيمة

وأما الغنيمة ، فهو ما غنم من أموال المشركين من الأراضي ، كأرض خيبر ، قسمها النبي ﷺ بين أصحابه بعد إفراز الخمس ، ومنها الأموال الصامتة التي يؤخذ خمسها ، ويقسم باقيها على من حضر القتال ، للفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهم .

القطيعة

وأما القطيعة ، فلها معنيان : أحدهما : أن يعمد الإمام إلى قطعة من الأرض ، يفرزها عما يجاورها ، ويهبها لمن يرى ، ليعمرها ، وينتفع بها ، إما أن يجعلها مساكن ، ويسكنها من يشاء ، وإما أن يجعلها مزدرعاً ينتفع بما يحصل من غلّتها ، ولا خراج عليه فيها ، وربما جُعل على مزدرعها خراجٌ ، وأما القطيعة الأخرى فهي أن يقطع السلطان من يشاء من قواده ، وغيرهم من القرى والنواحي ، ويقطع عليهم عنها شيئاً معلوماً يؤدونه في كل عام ، قلَّ أو كثر ، توفرت غلّتها ، أو نزرت ، لا مدخل للسلطان معه في أكثر من ذلك . كذا في المعجم .

* * *

البـاب الأول

في جغرافية الهند ، وموقعها في الأرض ، وما يتعلَّق بها

هذه البلاد يحدُّها شمالاً سلسلة جبال «همالية» الفاصلة بينها وبين بلاد التبت ، وهي تمتدُّ من شمالي كشمير شرقاً بميلة إلى الجنوب ، حتى تحاذي (٩٢) من الطول الشرقي ، ويحدُّها شرقاً خط مَفروض في (٩٢) من الطول الشريق ، من السلسلة المذكورة إلى نره «برهم بوتر» ، وكذلك النهر المذكور ، وخليج بنكاله ، وجنوباً بحر الهند أيضاً ، ونهر الهند والسند ، ومعظم عرضها (١٦٢٠) ميلاً ، ومعظم طولها (١٤٠٠) من الأميال الجغرافية ، ومساحتها نحو (١٣٨٢٦٢٤) ميلاً مربعاً من أميال الجغرافية .

جبـال هـذه البـلاد

أما جبال هذه البلاد ، فمنها سلسلة جبال همالية الفاصلة بين الهند وبلاد التبت ، وهي كقوس يمتدُّ من شمالي كشمير شرقاً بميلة إلى الجنوب إلى شمالي آسام ، طولها (١٥٠٠) ميل ، وعرضها من (١٥٠) إلىَ (٢٥٠) ميلاً ، وارتفاع بعضها نحو (٢٩٠٠٠) قدم ، والناظر يراها من مسافة (٢٢٥) ميلاً ، وفيها من الشجر : السنديان ، والصنوبر إلى ارتفاع (١٢٠٠٠) قدم ، وهي تصلح للسكنى إلى ارتفاع (٩٥٠٠) قدم منها ، وفيها من المعادن : الذهب ، والنحاس ، والحديد ، والآنك ، والمغناطيس ، والملح ، والجص ، والبورق ، والكبريت ، والشب ، والأنتيمون ، والثلج لا يفارقها أبداً ، ومنها سلسلة جبال في غربي نهر السند حيث تجري إلى الجنوب ، وهي تمتدُّ إلى الجنوب من طرف

همالية إلى ساحل بحر الهند ، وتحد الهند غرباً ، والقوافل من غربها لا تدخل في أرض الهند إلا من شعابها ، وأوسعها وادي خيبر في الشمال ، ووادي بولن في الجنوب ، ومنها سلسلة جبال في شرقي آسام وبنكاله ، وهي تمتدُّ إلى الجنوب بميلة إلى الغرب إلى ناحية «جانكام» ، ومنها سلسلة جبال السواحل الغربية من سُورت إلى رأس كماري في جنوبي الهند ، بينها وبين شط البحر ما بين أربعين وسبعين ميلاً ، وارتفاعها ما بين خمسة آلاف وستة آلاف قدم ، والسواحل الشرقية تجاه الغربية ، وهي بين ١١ و١٦ من العرض الشمالي ، وارتفاع بعضها نحو (٣٠٠٠) قدم ، وأكثر المياه تجري إلى جهة الشرق لارتفاع السلسلة الغربية عن الشرقية ، وتوصل بين السلسلتين من جهة الجنوب في عرض (١١) شمالاً ، ومنها جبال «نيلكري» أي الجبال الزرق ، ارتفاع بعضها (٦٠٠٠) قدم ، وقيل (٩٥٠٠) قدم ، وهي أفضل بلاد الهند في طيب الهواء ، لا يعرف هناك مرض الهواء الأصفر ، ومنها سلسلة جبال «بندهياجل» و«ست بورا» كلاهما تمتدَّان إلى الشرق من خليج «كمباية» إلى غربي «بهار» و«أريسه» والفاصلة بينهما نهر «تريدا» ، ومنها سلسلة جبال «أرا بارا» وهي تمتدُّ إلى الجنوب بميلة إلى الغرب ، وتمرُّ على «أجمير» وتقطع «راجبوناته» على نصفين.

أنهار هذه البلاد

وأما أنهار هذه البلاد فهي طويلةٌ ، واسعةٌ ، بطيئة الجريان ، عميقةٌ حتى يصلح الكثير منها لسير السفن ، منها نهر الهند ، ويقال له : نهر السند ، ونهر «مهران» أيضاً ، مخرجه في الوجه الشمالي من جبال «همالية» حيث الطول (٨٠,٥٥) شرقاً ، والعرض (٣١,٣٣) شمالاً ، فوق سطح البحر نحو (١٨٠٠٠) قدم ، وطولها نحو (١٨٠٠) ميلاً ، وهو يجري أولاً بين الجبال إلى الشمال الغربي ، ثم ينعطف إلى الجنوب الغربي ، ويجتمع مع نهر كابل ، وأنهار أخر من نواحي أفغانستان ، وعدَّة أنهار كبار من جهة الشرق ، ثم يتشعب ، ويصبُّ في بحر الهند في مواضع عديدة ، وتسير فيه السفن الكبيرة إلى حدِّ مدينة لاهور ، وهي عن البحر نحو (٧٦) ميلاً على أحد الأنهار التي تصب في نهر الهند ، وعرض إحدى تلك الشعب عند مصبها نحو ١٢ ميلاً ، ويصعد

فيه أكبر المراكب ٣٠ ميلاً ، وينحدر من وادي كشمير ، وجبال همالية في تلك النواحي خمسة أنهار ، طول بعضها نحو (٥٠٠) ميل ، وهذه الخمسة تجتمع فتكوِّن نهراً واحداً ، يسمى : «جناب» وهو الذي يمرُّ على مدينة «ملتان» ، وإلى الجنوب من ملتان على نحو (١٠٠) ميل ، يجتمع مع نهر «بياس» ، ونهر «ستلج» منحدرين من جبال همالية أيضاً ، وطولهما نحو (٩٠٠) ميل من مخرجهما إلى مصبهما في نهر الهند ، ومنها نهر «كنك» مخرجه من جبال همالية بين (٧٩و٨٠) من الطول الشرقي ، و(٣١و٣٢) من العرض الشمالي فوق سطح البحر نحو (١٣٠٠٠) قدم ، وهو يخرج في واد تحيط به جبال عالية ، ويسمَّى منفذه من الوادي : فم البقرة ، وعرضه هناك نَحو ٢٧ قدماً ، وعمقه نحو قدم ونصف ، وهو يجري أولاً إلى الغرب ، ثم إلى الجنوب ، ثم ينحرف إلى شرقي الجنوب ، ويأتيه نهيراتٌ كثيرةٌ من الجبال المجاورة له ، وعند وصوله إلى «هردوار» حيث العرض (٢١,٥٢) شمالياً ، والطول (٧٨,٢) شرقياً ، يكون ارتفاعه فوق سطح البحر ألف قدم فقط ، فيكون قد هبط نحو مئتي وألف قدم ، في جريه مسافة ألف ميل ، لا يهبط سوى ألف قدم ، وذلك سبب لبطء جريانه ، وفي هذه المسافة يمرُّ على عدة مدن ، منها «كانبور» و«إله آباد» و«بنارس» و«بتنه» وغيرها ، ويجتمع معه أحد عشر نهراً كبيراً ، وعرضه بين «هردوار» و«إله آباد» نحو ميل وربع ، وعند «إله آباد» يجتمع معه نهر «جمن» فيصير عرضه ثلاثة أميال ، حيث لا جزائر ، وأكثر من ذلك حيث يكون في المجرى جزائر ، وعلى بعد خمسمئة ميل من البحر يكون عمق مجراه نحو ثلاثين قدماً ، وعلى بعد ثلاثمئة ميل من البحر يكون عمقه سبعون قدماً ، وعلى بعد عشرين ومئتي ميل من البحر ينقسم إلى قسمين : أصغرهما يسمى «هوكلي» ، وهو الذي يمرُّ على «كلكته» ، وأكبرهما يبقى على الجهة الأصلية ، ويصبُّ في خليج «بنكاله» إلى شرقي مصب «هوكلي» على نحو ثمانين ميلاً ، وأما نهر «برهم بُتر» فمخرجه في شمالي جبال همالية في بلاد «التبت» ، وهو يجري أولاً إلى الشرق ، ثم ينعطف إلى الجنوب ، ثم إلى الجنوب الغربي ، ثم يرتدُّ إلى الجنوب ، ويصبُّ في نهر «كنك» قبل وصوله إلى البحر نحو ثلاثين ميلاً ، ويأتيه نحو ثمان وخمسين نهراً من الجانبين ، كلُّها تجري فيها الزوارق ، وعرضه فوق مصبه نحو

ستين ميلاً ما بين سبعة وخمسة أميال ، ويصبُّ في نهر «كنك» أيضاً من شماله نهر «كهاكهره» ، وهو يخرج من جبال همالية ، وطوله خمسمئة ميل ، ويلتقي بكنك قبل وصوله إلى مدينة «بتنه» ، ويأتيه من الغرب نهر «جمن» ، وهو يخرج من جبال همالية حيث الطول (٧٨,٢٣) شرقياً ، والعرض (٣٠,٥٨) شمالياً ، ويصبُّ فيه نهيراتٌ كثيرةٌ ، ويصبُّ في «كنك» عند مدينة «إله آباد» وطوله نحو ثمانمئة ميل .

وأما نهر «صون» فمخرجه في أواسط البلاد ، وهو يجري إلى الشمال الشرقي ، ويصبُّ في «كنك» بقرب مدينة «بتنه» .

وأما نهر «نربدا» فمخرجه بقرب مخرج نهر «صون» ، وهو يجري إلى الغرب بميلة إلى الجنوب ، طوله خمسون وسبعمئة ميل ، ويصب في خليج «كنبايه» ، وبقربه مصب نهر سورت ، وطوله نحو ستين وأربعمئة ميل .

وأما نهر «كوداوري» ، فمخرجه في جبال السواحل الغربي ، وهو يجري إلى الشرق ، ثم إلى الجنوب الشرقي خمسون وثمانمئة ميل ، ويصبُّ في خليج «بنكاله» ، وفي جبال السواحل الغربي أيضاً مخرج نهر «كرشنا» ، وهو يجري إلى الشرق خمسين وستمئة ميل ، ويصب في خليج «بنكاله» ، وإلى الجنوب منه نهر «بنار» ، طوله خمسون وثلاثمئة ميل ، ونهر «كلرون» ، وأنهار أخر كثيرةٌ لا حاجة إلى ذكرها .

هواء بلاد الهند

أما هواء بلاد الهند فمختلفٌ باختلاف العرض ، والارتفاع ، ومجاورة الجبال ، والأنهار ، والرياح .

فهواء «آسام» ، وأرض «بنكاله» حارٌّ رطبٌ جدّاً ، وأرضها مخصبةٌ ، ويقرب منه هواء «مليبار» ، و«كوكن» ، و«كجرات» .

وهواء «راجبوتانه» و«السند» حارٌّ يابسٌ جدّاً ، وأرضها مرملةٌ ، ويقرب منه هواء بنجاب .

وهواء «كشمير» ، والجبال ، باردٌ يابسٌ ، وهواء باقي البلاد معتدلٌ ، وأرضها مخصبةٌ في الغالب .

أما الرياح والأمطار ، فهبوبها ونزولها مختلف باختلاف وضع البلاد ، فالجهات الشرقية الشمالية ، تهبُّ فيها الرياح من الجهة الجنوبية الشرقية من يونيو إلى أكتوبر ، وينزل فيها المطر في هذه الأشهر ، أما السواحل الغربية وما يليها ، فيصيبها المطر بالرياح التي تهبُّ فيها من الجهة الجنوبية الغربية من يونيو إلى أكتوبر ، وغالب الأمطار في الصيف تنزل على سفوح الجبال والأرض التي تليها من جهة هبوب الرياح .

أما السَّواحل الجنوبية الشرقية ، فغالب أمطارها تنزل من أكتوبر إلى نوفمبر ، والرياح تهب فيها من الجهة الشمالية الغربية في هذه الشهور ، أما الجهات الجنوبية الشرقية وما يليها؛ فيصيبها الأمطار من يونيو إلى نوفمبر ، والرياح تهب فيها أولاً من الجهة الجنوبية الغربية ، وبعدها من الجهة الشمالية الشرقية ، أما الجهات الغربية الشمالية ، فغالب أمطارها تنزل في الشتاء والرياح تجري من الجهة الغربية .

فائدة: ولكثرة المياه والنبات ، وحرارة الشمس تكثر الأبخرة المسببة للحميات ، وأمراض الأمعاء ، ولاسيما القولنج ، وأمراض الكبد ، والطحال ، وفي نواحي «كلكته» ، ورأس خليج «بنكاله» تكثر الحمَّى والسحج ، والذرب في فصل الشتاء ، وأمراض الكبد ، والهواء الأصفر في فصل الحرِّ واليبس ، وفي نواحي مدراس تكثر الحمَّى والسحج ، والأمراض الكبدية ، ولاسيما من شهر أوغسطس إلى نوفمبر ، وفي كلِّ الجهات تكثر أمراض الكبد في الغرباء القادمين من الأقاليم الباردة ، ويكثر العشا فيها بين الأهالي الأصليين ، وفي الجهات الشمالية تحدث أمراض الرئة مع الحميات ، ويوجد داء الفيل في نواحي جبال «همالية» .

حاصلات هذه البلاد

أمَّا حاصلات هذه البلاد فكثيرةٌ جدّاً ، قد اعتنت العلماء بجمع أنواع نباتها

وأشجارها ، فكانت أكثر من ثمانية آلاف نوع من النبات ، وسبع وخمسين وأربعمئة نوع من الشجر ، وما زالوا يكشفون غيرها في آجام البلاد ورياضها الواسعة؛ ومن حواصلها: الحنطة ، والشعير ، والذرة ، والجاورس ، والأرز ، والعدس ، والماش ، والحمَّص ، وغيرها ، ولاسيما الأرز الذي يذكرون منه سبعا وعشرين صنفاً ، ومنها قصب السكر ، والقطن ، والتبغ ، والتوت ، والنارجيل ، والنخل ، والخيزران ، والتنبل ، والتبك الذي تؤخذ منه الأخشاب الصالحة لبناء السفن في أبحر الأقاليم الاستوائية ، وهو السَّاج عند العرب ، ومن أثمارها: الموز ، والرمان ، والأترج ، واللوز ، والعنب ، والتمر الهندي ، والليمون ، والأنبه؛ وفي الجهات الشمالية: التفاح ، والإجَّاص؛ وهناك أيضاً شجر القرفة ، وجوز القي ، وشجر الصندل ، والفلفل ، والخشخاش الذي منه الأفيون ، والنيل.

ومن أعجب أشجار الهند: شجر «بركد» ، وهو شجر الجمّيز ، شجر طويل الأغصان ، تتدلى فروعه إلى الأرض ، فتتأصل فيها وتصير أشجاراً متصلةً بالشجرة الأصلية ، ثم تتدلى أغصان تلك الأشجار فيكون كذلك ، حتى تملأ الشجرة الواحدة مساحةً كبيرةً ، وتصير غيضةً واسعةً ، وقد عدوا لبعضها نحو ثلاثة آلاف جذع ، ولها ثمر صغير يسمى جميزا ، وشجرة الحماط.

ومنها شجر «باكر» بالباء العجمية ، شجر عظيم مظل ، ورقه عريض كورق الأترج ، يلتف بعضه ببعض ويظل ، ويستريح الناس فيه أيام الحرِّ وإن كانوا ألوفاً ، ويحصل منه اللك أيضاً ، وله منافع غير ذلك.

ومنها شجر «مولسري» بكسر السين المهملة ، شجرٌ عظيمٌ موزونٌ مظلٌّ ، حسن الشكل ، وزهره صغيرٌ مدوَّر مشرفٌ ، حسن الرائحة ، وبعد يبسه تزيد رائحته يربُّونه في الأدهان ، وعطره معروفٌ ، لا يعادله شيء في الرائحة والعطرية.

ومنها «بيبل» بكسر الباء العجمية وسكون التحتية ثم باء عجمية مفتوحة ، ثم لام ، شجرٌ معروفٌ في الهند عظيم ، يعظمه الهنادك ، ويحصل منه اللك ، وثمره عظيم النفع يسمونه «بيبلي» وقيل: إنه دار فلفل.

ومنها شجر «نيم» بكسر النون وسكون التحتية والميم ، شجرٌ عظيم في الهند ، من أنفع الأشجار ، ورقه أكبر من ورق الرمان ، وزهره يكون أصفر ، وفيه العطرية ، وثمره مدوَّرٌ مستطيلٌ كالفستق ، وطعمه مرٌّ.

ومنها «شيشم» بكسر الشين المعجمة بعدها ياء تحتية ثم شين معجمة مفتوحة ثم ميم شجرٌ عظيمٌ ، كثير المنافع ، يتخذ من أخشابه الصناديق ، والمصاريع ، وأجزاء السرير ، ويستعمل جرادته في الأمراض.

ومنها «آبنوس» الذي تؤخذ منه الأخشاب الصالحة للصناديق والعصي ، والأمشاط ، والمكحلة وغيرها ، وحباته قدر حبات المشمش ، وطعمه شديد الحلاوة ، يسمُّونه تيندو ، بكسر الفوقية.

ومنها «الساج» ويسمونه السال ، شجرٌ عظيمٌ كثيرُ الأوراق ، يعلو قدر الجنار ، وأخشابه تصلح لبناء السفن ، منابته أودية الجبال ، وله ثمرٌ قدر الفوفلي.

ومنها: «ساكون» شجرٌ عظيمٌ ، يعلو كالسَّاج ، وأخشابه تصلح لبناء السفن ، والأعمدة ، والصناديق ، والمصاريع ، ولونها تشبه لون أخشاب الصندل.

ومنها: «الصندل» شجرٌ عظيم ، تؤخذ منه أخشاب حسنة اللون ، طيب الرائحة ، تصلح للصناديق والأمشاط ، وغيرهما ، ويتَّخذ منه دهن كثير العطرية.

ومنها «ديودار» شجرٌ عظيمٌ ينبت في سلسلة جبال همالية ، وأخشابه تصلح للأعمدة.

ومن أشجار الفواكه شجر «الأنبج» يسمونها أنبه ـ بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الباء الموحدة ـ وهي شجرةٌ تشبه أشجار النارنج ، إلا أنَّها أعظم أجراماً ، وأكثر أوراقاً ، وظلُّها أكثر الظلال غير أنه ثقيلٌ ، فمن نام تحته وعك ، فإذا كان ثمرها اخضرَّ قبل تمام نضجه؛ أخذوا ما سقط منه ، وجعلوا عليه الملح ، وصيَّروه ، كما يصير اللسيم والليمون ، وكذلك يصيرون أيضاً الزنجبيل الأخضر ، وعناقيد الفلفل ، ويأكلون ذلك مع الطعام ، ويأخذون بإثر كل لقمة

يسيراً من هذه المملوحات ، فإذا نضجت الأنبج في أوان الخريف اصفرت جهاتها ، فأكلوها كالتفاح ، فبعضهم يقطعها بالسكين ، وبعضهم يمصُّها مصّاً ، هي حلوةٌ يمازجها يسير حموضة ، ولها نواةٌ كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار ، ولها أقسامٌ كثيرة تربو على مئات .

وفيه يقول الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي :

إن كنت تبغي أطيب اللذات	فعليك صاح بأنبه الثمرات
في حسن مرأى في نباهة سيرة	في لطف ذات في سمو صفات
من طعمها في كل قلب شهوةٌ	فكأنها مجموعةُ الشهوات

يا حسن حمرتها وخضرتها وصفرتها على الأشجار في الروضات

فكأنها ألوان وجنات الحبا	ئب مسَّها العشَّاق في الخلوات
وإذا عصارتها مصصت وجدتها	أحلى كمثل رضاب محبوبات
وترى ثماراً علقت في غصنها	مختوم راحٍ في أكفِّ سقاة
لم يختلف كمثالها الأثمار في الـ . .	ألوان والأذواق والهيئات
هذا ولا تحسبه صنفاً واحداً	بل جملة الأصناف مختلفات
سبحان من بالفضل فضَّلها على	أشهى مذوقات ، ومشمومات
بالجامعية فاقت الأثمار كالـ . .	إنسان فاق جميع حيوانات
جلَّ القدير الفرد من في ثمرة	بالصنع يجمع سائر الثمرات
وإذا تجلَّى في الغصون رأيته	داني الصفات بعيد موصوفات
لله درٌّ بهائها ووفائها	من غصنها تنفكُّ بالعبرات
للمرء فيه منتهى حاجاته	تغنيه عن ماء وعن أقوات
وإذا دعاك الله صاحِ فواته	وتمتَّعن به قبيل فوات
وإذا انقضت أيامه كالبرق لا	يجديك حينئذ سوى الحسرات

لا غرو إن قصرت مداها أن أيام السرور تمرُّ كالسَّاعات

يا صاح ما هذا الجمود فقم بنا	نخرجْ إلى الأنهار والدَّوحات
فالغيم تبكي مثل صب هائم	والبرق يضحك نحو مبتسمات
والورق يصفق باتفاق غصونها	والطير يسجع باختلاف لغات

أو ما ترى الماء المبارك كيف أنبت سائر الأزهار والحبات

فدع التنسُّك ساعةً بخلاعة ‏ نقضي فرائض هذه الأوقات

نلهو ونترامى الثمار وجوهها ‏ وقشورها ببدائع الحركات

نفري شرور الدهر عنا يومنا ‏ بترنم يحيي العظام رفات

ولِئنْ يلمك اللائمون فقل لهم ‏ الاضطرار يبيح محظورات

ومنها: شجر «جامن» بفتح الجيم وضم الميم، وأشجاره عاديةٌ، ويشبه ثمرة الزيتون، وهو أسود اللون، ونواة واحده كالزيتون، وطعمه كالإجَّاص ما بين الحلاوة والحموضة، وهو من أنفع ثمار الهند، كما نبيِّنه في موضعٍ آخر إن شاء الله تعالى.

ومنها: شجر «مهوا» بفتح الميم والواو، وأشجارها عادية، وأوراقها كأوراق الجوز إلا أنَّ فيها حمرة وصفرة، وثمرها مثل الإجَّاص الصغير، وفي أعلى كلِّ حبة منها ثمرة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة، وطعمها كطعم العنب، إلا أنَّ الإكثار من أكلها يحدث صداعاً، ومن العجب أنَّ هذه الحبوب إذا يبست في الشمس، كان مطعمها كمطعم التين، ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت، ويستصبحون به، وخشبه كخشب الساج في الصفاء والصلابة.

ومنها: شجرة «كتهل» بفتح الكاف وسكون التاء العجمية، وهي شجرة عادية، أوراقها كأوراق الجوز، وثمرها يخرج من أصل الشجرة، فما اتصل منه بالأرض حلاوته أشدُّ، ومطعمه أطيب مما كان فوق ذلك، وثمرها يشبه القرع الكبار، وجلوده تشبه جلود البقر، فإذا اصفرت في أوان الخريف قطعوه، وشقوه، فيكون في داخل كلِّ حبة المئة والمئتان فيما بين ذلك من حبات تشبه الخيار، بين كل حبة وحبة صفاقٌ أصفر اللون، ولكلِّ حبة نواةٌ، فإذا شويت تلك النواة، أو طبخت، يكون طعمها أطيب وألذ، ويدَّخرون هذه النوى في التراب الأحمر، فتبقى إلى سنة أخرى، وفيه يقول الشرواني:

أتطلب من ثمار الهند نَوعاً ‏ ينوب عن الدواء لكلِّ داء

خذ الأكتال واضرب عن سواها ‏ فكل الصيد في جوف الفراء

ومنها: «بدهل» بفتح الموحدة وسكون الدال العجمية وفتح الهاء، شجر عظيم كشجر الجوز، وورقه عريضٌ كبيرٌ، وثمره يقارب التدوير مع الزوائد، طعمه ضارب إلى الحموضة يغلب عليها الحلاوة، وفي بعضه تغلب الحموضة

على الحلاوة ، ورائحته تقارب رائحة السفرجل ، وأهل الهند يدخلونه في الخل فيحمض ، ويشهي الطعام.

ومنها: «بيل» بكسر الموحدة وسكون التحتية ، يقارب البطيخ حجماً ، وورقه أصفر ، وفي طعمه عفوصةٌ وقبض ، ورائحته كرائحة الخمر شديد العطرية ، يدرك بتموز ، وأهل الهند يجعلونه في السكر حال قطفه فيستحل طعمه العفص ، وربما ربوه مع الزنجبيل فيعتدل برده جداً.

ومنها: شجر «الصُّبّار» وهو التمر الهندي ، يقال له الخمر والحومير ، وهو شجر عظيم كالرُّمان شكلاً ، وأكبرها حجماً ، وورقه كورق الصنوبر ، وللتَّمر المذكور غلف نحو شبر ، داخلها حب كالباقلاء شكلاً ، ودونها حجماً ، ويدرك أواخر الربيع ، وأجوده الأحمر اللين ، الخالي عن العفوصة ، الصادق الحمض ، المنقى من الليف ، وأهل الهند يجعلونه حال القطف في السكر فيستحل طعمه الحامض.

ومنها «النارجيل» وهو جوز الهند ، وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأناً ، وأعجبها أمراً ، وشجره يشبه شجر النخل ، وجوزها يشبه رأس ابن آدم ، لأنَّ فيها شبه العينين والفم ، وعليها ليف شبه الشعر ، وأهل الهند يصنعون من ليفه حبالاً يخيطون به المراكب عوضاً من مسامير الحديد ، ويصنعون منه الحبال للمراكب ، ومن عجائبه أنه يكون في ابتداء أمره أخضر ، فمن قطع بالسكين قطعةً من قشره وفتح رأس الجوز ، شرب منها ماءً في نهاية من الحلاوة والبرودة ، ومزاجه حارٌّ معين على الباءة ، فإذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة ، وجعلها شبه الملعقة ، وجرد بها مافي داخل الجوزة من الطعم ، فيكون طعمه كطعم البيضة إذا شويت ولم يتم نضجها كلَّ التمام ، ويتغذى به ، ومن عجائبه أنه يصنع منه الزيت ، والحليب ، والعسل.

ومنها «تار» شجرة طويلة كشجر النارجيل ، يمتد إلى مئة ذراع فما دونها ، ولا أغصان لها إلا ما عليها كالظلة ، وهي أكثر ما تكون في كجرات ، والدكن ، وبلاد بنكاله ، ونواحيها ، ولها ثمر لطيف مدور ، عليه قشرةٌ غليظة ، وبعدها قشرةٌ رقيقةٌ ، ويكون في أيام الشتاء ، يسمى غليلي ، طعمه كرطب النارجيل ، وفيه ماء حلو ، ويصنعون من عصارة هذه الشجرة خمراً يسمونها «نازي»

و«سيندهي» ، يستعملها عوام تلك البلاد ، فيها يقول واحد من العربان نزل نوساري :

أكلت بومـلاً شربت تاري مرحباً يا نوساري

وقد يستخرجون عصارتها بطريقٍ آخر ، وهو حلو للغاية يسمونها «نيره» و«دودهي» لا سكر فيها .

ومنها : «كولر» بالكاف العجمية ، وهو الجميز يشبه ثمره الأملج ، ولكنه يحمرُ بعد ينعه ، ويحلو ، يأكلونه بدون السكر ، ويربونه أيضاً ، ويتّخذون منه الشراب .

ومنها : «كهرني» بكسر الكاف وخفاء الهاء ، شجرٌ عظيمٌ كشجر «كثهل» وثمره كالفستق يصفر بعد ينعه ، وفيه الحلاوة ، يأكِلونه بدون السكَر ، وله منافع عظيمة ، نذكرها في موضعٍ آخر .

ومنها : «كمرك» بفتح الكاف ، وسكون الميم ، والراء المهملة والكاف ، ثمرٌ هندي له ستة أضلاع ، يصفر بعد ينعه ويحمضُ ، وشجره كشجر الجوز ، وأفعاله مقاربة بأفعال الريباس .

ومنها : «فالسه» وهو في الفواكه الهندية ، يشبه الينشوق شكلاً ، ولوناً ، وشجره كشجر الكمثرى حجماً ، وهو يقوي القلب ، والمعدة ، والكبد الحارين ، ويدفع العطش ، وحرقة البول ، وشرابه يفرح وينشط ، وله منافع أخرى ، نبينها في غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى .

ومنها : «النارنج» وهو على ثلاثة أصناف : الحلو ، والحامض ، وما بين الحلو والحامض ، أما الحلو فكثيرٌ في بلاد الهند ، وهو طيِّب جداً ، وأحسنها ما يكون في «بثول» وفي «سلهث» وغيرهما ، ولله در القائل :

كـأنما النـارنـج لمـا بـدت صفـرتـه فـي حمـرة كـاللهيـب

وجنـة معشـوق رأى عـاشقـاً فـاحمـرّ ثـم اصفـرّ خـوف الـرقيـب

ومنها : «أمرود» وهو الذي يقال له جَوّافة[1] ، وهو أجناس لطيفة ، أكله بعد

---

(١) وكان أهل الهند يسمونه بالعربية الكمثرى كما سيجيء في الأبيات .

الغذاء يمنع صعود البخار إلى الرأس ، وفيه تقوية للمعدة والقلب ، وطعمه أطيب وألذّ من التفاح ، وأحسنها ما يكون في إله آباد ، ولنعم ما قيل فيه :

وكمثرى تراه حين يبدو ... على الأغصان مخضرَّ الثياب
كثدي خريدة أبدته منها ... له طعم ألذُّ من الشراب

ومنها : «شريفه» وهي التي يسميها أهل اليمن السفرجل الهندي ، وهي ألذ الفواكه ، وأحلاها ، تقوي الجنان ، وتنفع الخفقان ، وقال فيه الشرواني :

تمتع بالشريفة يا حبيبي ... وقابلها بتشريف ولاطف
ألم تر ما بها من طيبات ... تروق الذائقين جنى اللطائف

ومنها «أنناس» ويقال لها : العنناس ـ بتشديد النون الثانية ـ وينبغي أن يسمَّى بعين الناس ، لأن العيون التي فيه تشبه عيونهم ، وهو من ألذ الفواكه الهندية ، يفرح القلب ، ويقويه ، ويدفع الخفقان ، وقال فيه صاحب المناقب الحيدرية :

قلبي الشجي يقول لست بناس ... يا بن الكرام محاسن العنناس
من طيبه يشفي العليل من الجوى ... وهو الدواء لصاحب الوسواس
كم من عيون أحدقت بجماله ... لتصون ذلك عن عيون الناس
والناس من أشواقهم وغرامهم ... يتطلَّعون إليه وهو يقاسي
كرباً من الخوف المصفر لونه ... ولعلمه بتشوش الحرَّاس
فالله يحمي روضةً يبدو بها ... هذا الجميل الطيب الأنفاس

وفي الهند غير ذلك من الفواكه والأثمار ما يوجد في غيرها من الأقطاع أيضاً ، ولذلك نتركها خوفاً للإطالة .

ومن نوادر الهند ورق «التنبول» ويسمُّونها «بان» شجره يغرس كما تغرس دوالي العنب ، ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب ، أو يغرس في مجاورة النارجيل فيصعد عليه ، ولا ثمر للتنبول ، وإنما المقصود منه ورقه ، وهو يشبه ورق العليق ، وأطيبه الأصفر ، وتجتنى أوراقه كلَّ يوم ، وكيفية استعماله أن يأخذ ورق التنبول فيجعل عليه شيئاً من النورة و«الكات» ، ويأخذ الفوفل فيكسر حتى يصير أطرافاً صغاراً فيذر عليه ويلفه ، ثم يجعله الإنسان في فمه ، ويعلكه ، فيفرح ويعين على الجماع ، ويجعله الإنسان عند رأسه ليلاً ، فإذا استيقظ من نومه أخذ منه فيذهب بما في فمه من رائحة كريهة ،

أو يأخذ منه بعد الطعام فينقي الفم ، ويطيب النكهة ، وفي ذلك قال الشيخ أحمد بن علان ، وهو إذ ذاك بالهند :

لطـائـفٌ الهنـد ثـلاثٌ أتـت الأنـب والنـرجـس والبـان
قـال لـي الخـان نسيـت النسـا والحـقُّ مـا قـد قـالـه الخـان

* * *

بعض الأزهار والرياحين
والأشياء العطرة في بلاد الهنـــد

أعلاها وأغلاها «الزعفران» يزرعونها في بلاد كشمير بقربة «بم بور» على خمسة وعشرين ميلاً من سري نكر ، وتنبت شجرته في أرض يابسة ، ويرتفع ساقه إلى أربعة أصابع ، ثم تبدو فيها زهرةٌ سوسني اللون ، وله أربعة أوراق وفيها أربعة شعرات معصفرية اللون في طول أنملة ، وهي الزعفران ، وتحصل من كشمير خمسمئة منٍّ ، فلا تعلم أرض في الدنيا تحصل منها في هذه الكمية والكيفية ، وهو يفرح القلب ، ويقوي الحواس . ويكون شديد العطرية .

«ناكيسر» بالكاف الفارسي ، شجرٌ عظيم كشجر الجوز ، منبته بورنيه ، ورنكبور وغيرهما من بلاد بنكاله ، وزهره شديد العطرية ، وعطره حادُّ الرائحة ، يقوي الباه شرباً وطلاءً .

«مولسري» شجرٌ عظيم موزون ، وزهره شديد العطرية يجعلون منه العلائق ، وعرقه يقوي الأرواح ويفرح .

«هارسنكهار» مركب من هار معناه العلاقة ، وسنكهار ـ بكسر السين المهملة وفتح الكاف العجمية ـ معناه الزينة ، شجر حسن المنظر ، يعلو ويرتفع ، وزهره من أحسن أزهار الهند ، يجعلون منه القلائد ، ويأخذون منه اللون المعصفري .

«نيلوفر» ينبت في الغدائر ، وزهره يعلو على الماء ، ويحسن المنظر ، وهو من أنفع الأزهار في الأمراض الحارة .

«بيلا» نبت هندي ، يسمُّونها : «رائي بيل» منبته أرض بنكاله ، والدَّكن ، وأكثر بلاد الهند ، وزهره عطر الرائحة ، وهو على ثلاثة أصناف : رائي بيل ،

وموتيا ، وموكره ، متقاربة في الشكل والرائحة و[illegible] القلائد ، وعطره من أحسن أعطار الهند ، ودهنه قريب النفع بدهن الياسمين ، ولكنَّه أحرُّ منه .

«جنبا» بفتح الجيم المعقود وسكون النون ، وفتح الباء العجمية والألف ، شجر هندي يعلو قدر شجر الجوز ، وزهره يكون على ثلاثة أصناف : أبيض ، وأصفر ، ووردي ، ورائحته شديد العطرية .

«تيسو» بكسر التاء العجمية ، وضمِّ السين المهملة ، شجر مشهور في بلاد الهند ، زهره نارنجي ، حسن المنظر .

«خس» بفتح الخاء المعجمة وسكون السين المهملة . وهو غير الخس المعروف ، نبت هنديٌّ ، عطر الرائحة ، يستعملونه أيام الحرِّ ، ويجعلون منه العرائش والمراوح ، وعطره من أحسن أعطار الهند .

«العود الهندي» ويُسمِّيه أهل الهند : «أكر» بفتح الهمزة والكاف الفارسي ، ينبت في جبال «سلهث» من أعمال بنكاله ، وفي بعض جبال الدكن ، والجزائر الملحقة بهما ، وشجره يشبه شجر البلوط ، ولا ثمر له ، وعروقه طويلةٌ ممتدةٌ ، وفيها الرائحة العطرة ، وعطره من أنفع أعطار الهند وأقواها جدَّاً ، وله منافع ، سنذكرها في ذكر الأدوية .

الحشائش والعقاقير وأصناف النبات

أما الحشائش والعقاقير ، وأصناف النبات النافعة في حفظ الصِّحَّة ، وإزالة الأمراض ، ومقاومة السموم المشروبة والملدوغة؛ التي تنبت بأرض الهند ، فهي كثيرةٌ ، لا يحصيها إلا من أحصى رمل عالج ، وهي على صنفين : أحدهما : الأدوية التي لا تختصُّ بأرض الهند ، بل تنبت ببلاد أخرى أيضاً ، والثاني : ما يختص بأرض الهند ، ولا ينبت بأرض غيرها إلا على سبيل الندرة ، فالتي لا تختصُّ بأرض الهند نتركها خوفاً للإطَّالة ، وأما التي تختصُّ بأرض الهند ، فنقتصر منها على الأشهر؛ لئلا يطول الكتاب ، والبسط والتفصيل يقتضي دفتراً لذلك على حدة .

فمنها : «الأنيس» بفتح الهمزة وكسر المثناة الفوقية وسكون التحتية والسين

المهملة ، أصل عشب هندي ، طوله قدر الإصبع ، وظاهره يكون أغبر ، وباطنه أبيض ، حار في الثانية ، يابس في الأولى مع رطوبة فضلية ، يقوي الباه ، ويهضم الطعام ، ويحبس الإسهال ، ويدفع البلغم والصفراء ، ويمنعهما عن الفساد ، وينفع البواسير ، والاستسقاء الزقي الحادثين بهما .

ومنها : «أروسه» بفتح الهمزة وضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح السين بعدها هاء ، ينبت في بنكاله ، وفي أكثر بلاد الهند ، وهو ما بين الشجر والعشب ، يرتفع إلى ذراعين وأزيد منها ، وورقه كورق الخلاف ، وساقه يكون ذا العقد ، وخشبه يكون أبيض ، وزهره أبيض وقد يكون أحمر والبنفسجي ، حارٌّ يابسٌ في الأول ، وقيل : بارد ، وزهره بارد عند الجمهور ، وهو ينفع الدق ، والسعال ، وضيق النفس ، والربو ، والحميات البلغمية والصفراوية ، والغثيان ، والقيء ، واليرقان ، وحرقة البول ، وقروح مجاري البول .

ومنها : «الإسكندر» بكسر الهمزة وسكون السين المهملة ، وفتح الكاف العجمية بعدها نون ودالٌ مهملة ، أصل شجر هندي ، يجلب من «ناكور» ومن غيرها من البلاد ، حارٌّ يابس مع رطوبة فضلِّية ، ينفع السعال والربو ، وضيق النفس ، وورم الأعضاء ، والبرص ، ويسمن البدن ، ويقوي الباه ، والصلب ، والرحم ، وأهل الهند يزعمونه مقام البهمن الأبيض .

ومنها : «الأملج» بفتح الهمزة وسكون الميم وفتح اللام وسكون الجيم ، ويقال لها : بالمد «آملج» ثمر شجر عظيم كشجر الجوز ، ورقه يكون أخضر ، وخشبه مجوهر كخشب الدلب ، ولكنهً أصلب منه ، وثمره يشبه الكمثرى الصغير غير الأملس مما يلي عنقه ، والحديث منه الضارب إلى الصفرة ، باردٌ في الثانية ، يابس في الثالثة ، يطيب العرق ، ويقبض ، ويقوي المعدة حتى أنَّ الشراب المعمول منه ، ومن الإفسنتين لا يعدله في ذلك شيء ، وفعله في حدة البصر بالسكر ، ودهن اللوز على الريق ، وفي قطع الإسهال بماء السماق ، وإجلاء البياض بالماء العذب ، وتقوية الشعر ، وإنباته بالسرعة مع الآس ، وله نفع عظيم في تقوية الأعصاب، ودفع الإعياء والتعب ، وله غير ذلك من المنافع .

ومنها : «أمل بيد» بفتح الهمزة والميم وسكون اللام وكسر الموحدة ، نوع من الليمون يشبه النارنج ، وقشره ضارب إلى الصفرة ، وماؤه في غاية

الحموضة ، فإن غرزت فيه الإبرة تذوب بعد ساعة ، وهو كثير في ناحية جهان آباد ، وفي بلاد بنكاله ، باردٌ رطبٌ ، يقمع الصفراء ، ويسكن الدم ، ويهيج المواد البلغمية ، ويقوي الهضم ، ويشهي الطعام ، وينفع من ورم الطحال ، وأهل الهند يدخلون في جوفه القرنفل ، والفلفل وجوزبوا ، ونانخواه ، والزنجبيل الأخضر ، والملح اللاهوري ، والملح الأسود ، وسياه دانه ، وغيرها ، ويربونه في الشمس ، ويأكلونه لتقوية الهضم ، واشتهاء الطعام ، وهو جيد النفع لذلك .

ومنها : «إملي» بكسر الهمزة وسكون الميم وكسر اللام بعدها ياء تحتية ، وهو التمر الهندي ، وقد تقدم ذكره ، باردٌ يابس ، يسكن اللهيب ، والمرار الصفراوية ، وهيجان الدم ، والقيء ، والغثيان والصداع الحار ، وليس لنا حامض يسهل غيره ، وهو عظيم النفع في الأمراض الحارة كالإجَّاص .

ومنها : «الإهليلج الأصفر» بكسر الهمزة وسكون الهاء ، وقد تحذف الهمزة ، معروف ، وأكثر منابتها من الهند كجرات ، وبلاد الدكن ، وأرض بنكاله ، وأجودها يكون في ناحية أعظم كده ، باردٌ يابس ، يسهل الصفراء ، رفيق البلغم ، ويفتح السدد ، ويشدُّ المعدة ، ويقطع الدمعة ، ويجفف الرطوبات ، ويحدُّ البصر ، ويقوي الحواس والدماغ والحفظ ، وهو يمنع الشيب ، إذا أخذ منه كلَّ يومٍ واحدة إلى سنة ، ولأهل الهند تراكيب معمولة منه ، أشهرها الإطريفل .

ومنها «بالنكو» نوعٌ من الريحان ، يشبه بها في الرائحة ، ويشبه الشاهسفرم في الأفعال ، وبزره أكبر من بزر الريحان ، حارٌّ رطب في الأول ، يقوي القلب ، وينفع من الإسهال المعدي والمعوي ، وخفقان القلب ، والتوحش السوداوي ، وينفع من المغص والزحير .

ومنها : «بالك جوهي» نبات هندي ، شجره يرتفع إلى قامة الإنسان حارٌّ رطبٌ ، ينفع من البهق ، والكلف ، والقوباء ، وغير ذلك ، وهو أنفع الأدوية للقوباء ، وله تراكيب معمولةٌ لأطباء الهند .

ومنها : «بهث كثيه» ويسمونها الباذنجان البري ، شجرته ترتفع قدر الذراع ،

وتفرش على الأرض ، وتكون ذات الشعب ، وذات الأشواك، ، وثمرها يكون قدر الجوز ، ولكنه ذو الأشواك ، حارٌّ يابسٌ ، ضماده ينفع من الأورام البلغمية ، وتسويد الشعر ، وأكله ينفع من السعال وضيق النفس ، وإصلاح البلغم والصفراء ، وينفع من الحمى البلغمي ، ويدفع الأوجاع وعسر البول ، ويبطل حبس الشامة ، ويقتل الديدان.

ومنها: «بدهارا» بكسر الموحدة وفتح الدال المهملة وخفاء الهاء ، أصل نبات يشبه التربد ، حار يابس ، يلين الطبع ، ويقوي الباه ، وينفع من فساد البلغم والدم ، والسوداء ، والأورام ، والأمراض الباردة ، وسيلان المني والاستحاضة.

ومنها: «بكجي» بضم الموحدة وسكون الكاف العجمية والجيم الفارسي ، ويقال لها بابجي ، حارٌّ يابسٌ ، ينفع من البرص ، والبهق ، والجرب ، وفساد الدم ، والجذام شرباً وضماداً ، وإني جربته مراراً في البرص ، فوجدته نافعاً ، لا يعادله في ذلك غيره من الأدوية ، ويزعمه أهل الهند من الرسائن.

ومنها: «بلادر» شجر هندي يعلو كالجوز ، ورقه عريضٌ أغبر سبط ، حادُّ الرائحة ، وثمرته في حجم الشاه بلوط ، وفي رأسه قمع صلب ، وقشره إلى السواد مملوء رطوبةً عسليةً ، حارٌّ يابسٌ ، ينفع عسله من كل مرض بلغمي كالفالج واللقوة ، والرعشة ، والاختلاج والخدر ، وسلس البول ، ويزيد في الحفظ والفهم ، ويذهب النسيان أكلاً ، ويقطع الثآليل ، والوشم ، والآثار طلاءً ، وله ذكر في كتب القدماء.

ومنها: «بل» وهو القثاء الهندي ، وهو نبات منبسط ، ويخرج قروناً طوالاً ، داخلها حبٌّ إلى ليونة فوق الذرة ، وخارجه أسود ، محدود الرأس ، ينكسر عن بياض إلى صفرة ، حارٌّ يابس ، ينفع من سائر الأمراض البلغمية ، كالفالج واللّقوة ، ومن البَواسير والرياح ، والرطوبات الغريبة ، وضعف الباه ، وله ذكر في كتب القدماء.

ومنها: «البليلج» ثمر شجر في حجم الزيتون وشكله ، لكنه أعظم منه يسيراً ، منابته الأقطار الهندية ، يجتنى بتموز ، وقد يؤخذ قشره فقط ، باردٌ

يابسٌ ، يحدُّ البصر ، ويقطع الصُّداع ، والبخار إذا لوزم ، ويقوي الشهوة والمعدة ، ويقطع الرطوبات ، ويخرج السوداء بالخاصية ، والصفراء ببعض الطبع ، ويقطع الدَّمعة ، ويحبس الإسهال المزمن ، ويجفِّف البواسير ، وهو من أجزاء الإطريفل ، وله ذكر في كتب القدماء .

ومنها : «البلاس» بفتح الباء العجمية ، واللام والألف والسين ، ويسمونه «دهاك» و«تيسو» شجر مشهور في الهند ، ورقه كورق الجوز ، وزهره نارنجي حسن المنظر ، وورقه حارٌّ رطب ، يشهي الطعام ، ويقوي الباه ، ويحلل الدماميل والبثور ، والرياح الغليظة المحتبسة في البطن ، وينفع من القولنج والذرب ، والخلفة والبواسير ، وزهره باردٌ يابسٌ ، يدفع فساد البلغم والصفراء والدَّم ، ويدرُّ البول والطمث ، ويحلل ورم المثانة والرحم ، وصمغه ينفع من جريان المني ويقوي الباءة .

ومنها : «بندال» بفتح الموحدة وسكون النون ، وهو نبات يلتف على الأشجار ، ورقه كورق التنبول ، وثمره مدور طولاني ، حارٌّ يابسٌ ، في الثالثة ، يسقط الجنين ، ويسهل للبطن ، ويدرُّ البول والطمث ، وينفع من الاستسقاء ، واليرقان ، والبواسير ، والربو ، وضيق النفس والسُّعال البلغمي .

ومنها : «البندق الهندي» ويسمِّيها أهل الهند «ريته» ثمر شجر عظيم أكبر من البندق ، والمستعمل منه قشره ، حارٌّ يابس ، ينفع من الفالج واللقوة ، والصَّرع والرياح الغليظة ، ويقوي المعدة والكبد ، ويقطع الرطوبات والنزلات ، ويدفع السموم ، وإني جرَّبته فيمن أكل الأفيون فوجدته نافعاً له ، وقيل : إنه ينفع من سم الحيَّة أيضاً .

ومنها : «بيارانكا» أصل طولاني عرضه قدر الإصبع ، وطوله قدر شبرين وأزيد منه ، وفيه عقد ، وطعمه في غاية المرارة ، يجلب من سلهث ، وإسلام آباد ، حارٌّ يابسٌ ، ينفع من السعال ، والربو ، وضيق النفس ، وحرقة المعدة والنار الفارسي والجذام ، والجروح والقروح الخبيثة والسُّموم ، وله منافع غير ما ذكرناها .

ومنها : «البيش» نبت سمي قتَّال يطول إلى ذراع ، عريض الأوراق ، سبط ،

www.abulhasanalinadwi.org

له بزور وزهر ، ومنه ملتو كإكليل الملك ، يسمَّى قرون السنبل ، ومنه صنوبري الشكل صغير ، إلى الصفرة إذا حك يصير بنفسجياً ، ومنه ما يشبه القسط شديد السواد. ومنابته جبال مورنك ، ورنك بور ، ورانكامائي ، ونيبال ، وكلُّه حارٌّ يابس في الرابعة ، ينفع من البرص والجذام ، وسيلان اللعاب ، وفرط الرطوبات ، وتقليل الماء ، ولا يستعمل فيما ذكر إلا طلاءً ، وله ذكر في كتب القدماء.

ومنها: «بيل» بكسر الموحدة وسكون التحتية ، ثمر شجر يقارب البطيخ حجماً ، وفي طعمه عفوصةٌ وقبضٌ. ورائحته كرائحة الخمر ، شديد العطرية ، باردٌ يابسٌ ، يحبس الإسهال المزمن ، والنزف ، والذوسطاريا ، ويقوِّي المعدة ، ويقطع اللزوجات ، وأهل الهند يجعلونه في السكر حال قطفه ، فيستحيل طعمه العفص ، ويأكلونه لتقوية المعدة ، وله منافع غير ذلك.

ومنها: «تالمكهانه» بزر نبت يعلو قدر الذراع ، ورقه كورق الهندباء ، وزهره أبيض ، وأصغر من زهر الهندباء ، وبزره أغبر ، مستطيل ، حارٌّ يابسٌ مع رطوبة فضلية ، يفرح ويسمن ، ويقوي الباه ، ويزيد في المني ، ويمسك ، وينفع من جريانً المني ، وسرعة الإنزال.

ومنها: «تنبول» ويسمونه «بان» وهو حارٌّ يابسٌ قريباً من الاعتدال ، يفرح ، ويقوي المعدة والكبد ، والدِّماغ والقلب ، والحفظ والفهم ، وينشط ، ويفتح السدد ، ويدرُّ الفضول ، ويشدُّ اللثة ، ويطيب النكهة ، ويذهب بروائح الفم ، ويهضم الطعام ، ويقطع ضرر شرب الماء على الرِّيق ، ويسكن العطش الكاذب ، ويصفي الصوت ، وينفع من ضيق النفس ، والسعال البارد ، ويقطع نزف الدم من عند اللهاة ، ويحلل الأورام ضماداً.

ومنها: «تورئي» بضم الفوقية وفتح الراء المهملة وكسر الهمزة بعدها ياء تحتية ، يكون على صنفين: الحلو والمر. أمَّا الحلو فباردٌ رطبٌ ، يأكلونه مع اللحم وبغيره ، ينفع من فساد البلغم ، والصفراء ، وورم الطحال ، والاستسقاء وغيرها ، والمرُّ حارٌّ رطبٌ ، ينفع من الربو ، وضيق النفس وغيرهما.

ومنها: «جام بهل» ويسمّيها أهل بنكاله «صفرى أنبه» يشبه الكمثرى حجماً ،

وله صنفان: أحمر وأبيض، ويحلو بعد ينعه كسائر الفواكه، ومنابته أرض بنكاله، حارٌّ يابسٌ مع رطوبة فضلية، يفرح القلب والمعدة، ويلين الطبع أولاً، ثم يعقله، ويدرّ البول، ويحبسَ الإسهال، وله غير ذلك من المنافع.

ومنها: «جام كهاس» نبت يعلو قدر الذراع، حارٌّ يابسٌ، ينفع من الاستسقاء، والهيضة، ويحلّل ورم الطحال أكلاً، ويُلْئم القروح الخبيثة طلاءً، وله تراكيب مجربة لأهل الهند من الأدهان والمراهم.

ومنها: «جامن» وقد تقدَّم ذكره في الفواكه، باردٌ في الثانية، يابسٌ في الثالثة، يحبس الإسهال الصفراوي، ويقوِّي المعدة والكبد الحارَّين، ويطفىء حدَّة الدم والصفراء، وينفع من القلاع والخناق الحارين، ويستحكم اللثة، وينفع من داء الثعلب طلاءً، ونواته ينفع من جريان المني.

ومنها: «الجدوار» ويسميه أهل الهند «نربسي» بكسر النون والموحدة، منابته بلاد التبت، ونيبال، ومورنك، ورانكامائي، ورنكبور، وأرض الدكن، وهو خمسة أقسام، أحسنها بنفسجي اللون إذا حكَّ على شيء، وظاهره إلى غبرة، ومتى ابتلع أحسَّ صاحبه بحدَّة في اللسان والشفة السفلى مقدار درجة، ثَم يزول، حارٌّ يابس، يقاوم سائر السموم، ويفرح تفريحاً عظيماً، ويقارب الخمر في أفعالها، ويزيل الأمراض الباردة كالقولنج، والمفاصل، والنسا، والفالج، ويحسِّن الألوان جداً، ويحمر الوجه، ويفتت الحصاة، ويدفع اليرقان، والسدد، ويدرُّ البول، ويهيج الشهوتين، ويستأصل شأفة البلغم، ويقطع الرش، والأفيون، وله تراكيب معمولة، جربته في الأمراض الدماغية الباردة، كالصرع، وأم الصبيان، ونوائب الاختناق للنساء، والغشي، وفي بعض أمراض القلب، وفي ضعف الباه، وفي الطاعون غير مرَّة، فوجدته نافعاً غاية النَّفع.

ومنها: «جرونجي» بكسر الجيم الفارسي وفتح الراء المهملة، لب ثمر هندي، شجرته تعلو قدر شجر النارنج، وثمره يشبه النيشوق، ولبُّه قدر نصف الحمص، يعلوه قشر كقشر الفستق، حارٌّ رطب، يسمن البدن، وينعظ، ويجلو، وفي أفعاله قريب من حبِّ السمنة، وقد زعمه بعض أنه حبُّ السمنة، وهذا لا يصحّ.

ومنها: «جنبا» بفتح الجيم الفارسي وسكون النون وفتح الباء العجمية والألف، شجر هندي يعلو قدر شجر الجوز، وزهره يكون على ثلاثة أصناف: أبيض، وأصفر، ووردي، والمستعمل في الأدوية الصنف الأول، ورائحته شديد العطرية، حارٌّ يابس، يقوي القلب البارد استشمامه، ويدفع البلغم والرياح الغليظة، ويقطع شهوة الطعام، ويقاوم السموم أكلاً وطلاءً.

ومنها: «جوب حيات» معناه خشب الحياة، شجرٌ عظيم، يحسن خشبه النَّجارون، ويجعلون منه أجزاء السرير، ومنابته ناحية بنارس، وكوركهبور، والرهتاس، حارٌّ يابس في الثانية، وفيه قوة ترياقية، وقوة قابضة، ينفع في الهيضة، والقيء والإسهال، والتهوع والرياح، والسموم المشروبة الضعيفة.

ومنها: «خس» بفتح الخاء المعجمة وسكون السين المهملة، وهو غير الخس المعروف، نبت هندي، عطر الرائحة، يستعملونه في أيام الحرِّ، ويجعلون منه العرائش، والمراوح، حارٌّ يابس، يفرح، ويقوي القلب والدماغ البارد، وعطره معروف.

ومنها: «دار هلد» شجرٌ هندي، خشبه أصفر اللون، وقيل: إنَّ عصارته الحضض، حارٌّ يابس، ويحلِّل، ويردع، وينفع من أمراض الرأس والأذن، ويفتت الحصاة، ويحبس البول، ويُلْئِم الجروح والقروح، وينفع من الجرب والقوباء.

ومنها: «دهاوه» شجر، زهره يستعمل في الأمراض، باردٌ يابس، يقتل الديدان، ويشهي الطعام، ويحبس الإسهال، وينفع من جريان المني وسيلانه، وخروج المقعدة، وله غير ذلك من المنافع.

ومنها: «دهمامه» نبت يشبه نبت الشكاعي، وهو غيره، باردٌ يابس، يقوِّي الأعضاء، ويصفِّي الدم والصَّفراء، ويسكِّن العطش، وينفع من السعال وضيق النفس، والحميات، والدوار، والقلاع، والجذام، والدماميل.

ومنها: «رائي بيل» نبت هندي، منابته أرض بنكاله، والدكن، وأكثر بلاد الهند، وزهره عطر الرائحة، وهو على ثلاثة أصناف: رائي بيل، وموتيا، وموكره، متقاربة في الشكل، والرائحة، واللون، وعطره من أحسن أعطار

الهند، حارٌّ رطبٌ، يقمع الصفراء، ويسكن الحرارة، وينفع من القيء والفواق، والجنون، واستشمامه يقوي القلب والدماغ، ودهنه قريب النفع بدهن الياسمين، ولكنه أحرُّ منه.

ومنها: «ردراج» نبت مخضر الأوراق، حارٌّ رطب، يقوي الباه والأعضاء، ويقتل الديدان، وينفع من الأخلاط الفاسدة، والسعال، وسيلان المني، وكثير من أمراض الصبيان.

ومنها: «ردوئتي» بضم الراء وسكون الدال المهملتين، وفتح الواو، وسكون النون، وكسر الفوقية والياء، نبتٌ هنديٌّ عظيم النفع، جليل القدر، يشبه نبت الحمص شكلاً، وورقه أصغر من ورق الحمص، ظهره إلى جهة السماء ووجهه إلى الأرض، يقطر ماء ويبل الأرض تحته، ومنابته «بندرابور» قرية من أعمال إله آباد، ووزير آباد من أعمال دهلي، وقيل: إنه يوجد في أرض الدَّكن أيضاً. حارٌّ رطبٌ مع رطوبة فضلية، يقوي ويسمن البدن، ويشهي الطعام، ويقوي الهاضمة والباه، وينفع من جريان المني، ويزيل العقر والأوجاع، وهو من الأدوية التي يقلب ماهية الرَّصاص إلى الفضة.

ومنها: «زعفران» تنبت شجرته في أرض يابسة، ويرتفع ساقه إلى أربعة أصابع، ثم يبدو فيها زهره، وله أربعة أوراق، وفيها أربع شعرات، وهي الزعفران، حارٌّ في الثالثة، يابسٌ في الثانية، يفرح القلب، ويقوي الحواس، ويهيج شهوة الباه، ويدفع الخفقان، وينفع من أوجاع الأذن، ويحدُّ البصر، ويذهب الغشاوة، والقروح، والجرب، والسلاق، ويحبس الدم، ويلين الصلامات، ويعدل الرحم، ويفجر الدبيلات، ويقوي المعدة والكبد، ويذيب الطحال، ويسكن ألم السموم، ويفتِّت الحصاة ويحلِّل، ويدرُّ الفضلات، ويسكن النقرس، وأوجاع المفاصل والظهر، وله غير ذلك من المنافع.

ومنها: «ساذج هندي» ورق شجر هندي دقيق، طوله أكثر من عرضه، وله رائحةٌ حسنة، منبته جبال سلهث، حارٌّ في الثالثة، يابسٌ في الثانية، يحفظ الأرواح، والأخلاط، ويفرح، ويسمن، ويحلل رياح الأمعاء، ويصلح المعدة، ويقوي الأحشاء، ويدر البول والطمث، واللبن والعرق، وينفع من الخفقان والجنون، ووجع الفؤاد، والاستسقاء، واليرقان، ويفتت الحصاة.

ومنها: «سربهوكه» بالباء الفارسي، نبات يعلو قدر ثلاثة أذرع، وورقه دقيق مزدوج صنوبري شكلاً، وزهره يكون أبيض وأحمر، حارٌّ رطبٌ، يفتح السدد، ويدر، وينفع من السعال وضيق النفس، والحميات السوداوية، وأمراض الكبد، والطحال، والكلية والمثانة، والدماميل، والبثور والأورام، وينقي الدَّم، ويقاوم السُّموم.

ومنها: «سرس» بكسر السين وسكون الراء المهملتين، شجر عظيم موزون متناسب، ورقه كورق التمر الهندي شكلاً، وأكبرها حجماً ضارباً إلى الصفرة، وزهره أيضاً يكون أصفر، وبعضها يبيض، وبزره كبزر الخيارشنبر، باردٌ يابسٌ، ينفع من الجذام والخدر، والقروح الخبيثة والساعية والجرب المتقرح، والفالج واللقوة، والاسترخاء، وأوجاع المفاصل، والقوباء وأمثال ذلك شرباً وضماداً.

ومنها: «سنكهازا» بكسر السين المهملة، وإشمام النون والكاف الفارسي، والراء الهندية، ثمر نبات هنديٍّ، رطبه باردٌ رطبٌ، ويابسه باردٌ يابس، يقوي الباه، وينفع من السعالّ، والحمى الصفراوي والدموي، والدق، وإسهال الدم، ويفتت الحصاة، ويدفع حرقة البول، ويسمن البدن، ولكنه ثقيل في الهضم، مولد للرياح الغليظة.

ومنها: «سهجنه» بفتح السين المهملة وسكون الهاء وفتح الجيم والنون، نباتٌ هندي يفرط في بنكاله، وفي أكثر بلاد الهند، حارٌّ يابس، ينفع من الأمراض البلغمية وأوجاع المفاصل، ويحلِّل الأورام، ويدفع الكسل، ويحدُّ البصر، ويشهي الطعام، وزهره خير من ورقه، يحلِّل الرياح ويدرُّ البول والغائط، ويسرع الهضم، وأصله يفتت الحصاة.

ومنها: «سينبهل» بكسر السين المهملة، وسكون التحتية، وخفاء النون، وفتح الموحدة، وسكون اللام، شجرٌ عظيمٌ، يعلو ويرتفع كشجر التين، وورقه كورق الجوز، وزهره ضارب إلى الحمرة، ويحصل منه القطن، فيجعلون منه الوسائد، والمستعمل منه أصله، حارٌّ رطبٌ، يقوي الباه ويسمن البدن، ويحفظ الحرارة الغريزية، وينفع من الإسهال الصفراوي

والدموي ، وحرقة الأعضاء ، وجريان المني والدماميل ، والبثور والجذام وغير ذلك .

ومنها : «العود الهندي» ويسميه أهل الهند «أكر» بفتح الهمزة والكاف الفارسي ، ينبت في جبال سلهث من أعمال بنكاله ، وفي بعض جبال الدكن والجزائر الملحقة بها ، وشجره يشبه شجر البلوط ، إلا أنَّ قشره رقيق ، وأوراقه كأوراق البلوط سواء ، ولا ثمر له ، وشجره لا يعظم كلَّ العظم ، وعروقه طويلةٌ ممتدة ، وفيها الرائحة العطرة ، وأما عيدان شجره وورقه فلا عطرية ، ومن القماري صنف يطبع عليه كالشمع وأما العطار فإنه يقطع العرق منه ، ويدفن في التراب شهراً ، فتبقى قوته ، وهو من أعجب أنواعه ، حارٌ في الثانية ، يابسٌ في الثالثة ، يقطع البلغم بسائر أنواعه ، وينفع من الربو والسعال ، وضيق النفس وبرد المعدة ، والكبد ، والاستسقاء والطحال ، والخفقان المزمن ، والغشي ، وضعف الباه ، والقولنج والمغص ، ويعمل منه أشربة تزيد في النفع على معجون المسك ، لأنه يحفظ الحوامل والصحة ، ويهضم ، وله غير ذلك من المنافع .

ومنها : «فالسه» يشبه النيشوق شكلاً ولوناً ، وشجره كشجر الكمثرى حجماً ، باردٌ في الثالثة ، يابسٌ في الأول ، يقوي القلب ، والمعدة ، والكبد حارين ، ويدفع الإسهال الصفراوي ، والقيء ، والفواق ، والعطش ، وحرقة البول ، وينفع من الحمى والدق إلى غير ذلك من المنافع .

ومنها : «فلفل» شجراتها شبيهة بدوالي العنب ، يغرسونها إزاء النارجيل ، فتصعد فيها كصعود الدوالي ، إلا أنها ليس لها عسلوج ، وهو الغزل كما للدوالي ، وأوراق شجرته تشبه آذان الخيل ، وبعضها يشبه أوراق العليق ، ويثمر عناقيد صغاراً ، فإذا كان أوان الخريف؛ قطفوه ، وفرشوه على الحصير في الشمس ، ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ، وهو يسود ، ومنابته بلاد مليبار وبنكاله ، والجزائر الملحقة بهما ، حارٌ يابس ، يجلو الصوت ، ويقطع البلغم ، ويحل السعال البارد والربو ، وضيق النفس ، والرياح الغليظة ، والمغص ، ويقلع البلغم ، ويجلو البهق والبرص ، وينبت شعر داء الثعلب ، ويفجر الداحس ، ويزيل بياض الأظفار ، وإن طبخ في الدهن؛ أذهب الخدر ،

والرعشة، والفالج ، ويقع في الأكحال ، فيجلو الظلمة ، والبياض ، والظفرة ، ويحدُّ البصر ، ويذكي ، ويقوي الحفظ ، وله منافع أخرى ، وفيه قوة ترياقية .

ومنها : «فوفل» ثمر مستدير ، عفص قابض ، يؤخذ من شجره كشجر النارجيل ، منابته بلاد الدكن وأرض بنكاله ، وبعض بلاد أخرى من الهند ، باردٌ يابس ، ينفع من أمراض الفم المزمنة ، ويشدُّ الأسنان واللثة ، ويحلُّ الأوجاع ، ويقطع العرق ، ويصلب العصب ، ويقع في الطيوب ، وأهل الهند يدقونه ، ثم يجعلونه جزءاً من أجزاء «بان» ، ويأكلونه كما فصلناه فيما قبل .

ومنها : «قاقله» هو الهيل والشوشمير ، حبٌّ في أصل نحو ذراعين أو ثلاثة أذرع ، عريض الأوراق ، حسن الرائحة حادها ، وهو على صنفين : الكبار والصغار ، منابته أرض الدكن ، وبلاد كجرات ، حار يابس ، يطيب الفم ، ويزيل البخر والروائح الكريهة ، وبرد المعدة والكبد ، والرياح الغليظة ، وينفع من الصرع والقيء ، والسدد ، ويفرح تفريحاً عظيماً ، والصغير في الهضم أجود .

ومنها : «قرفة» توجد في بلاد مليبار ، وهي حطبهم هنالك ، يوقدون النارَ منها ، وذلك لكثرة تلك الشجرة في بلادهم ، ويقال لها سليخه ، وتج ، حارٌّ يابس ، يحلِّل الأورام الباردة ، والرياح الغليظة ، ويقوِّي الدماغ ، والقلب والكبد ، والمعدة والأنثيين ، ويحدُّ البصر ، ويدرُّ البول ، ويقلع البلغم ، وينفع من السعال ، والنزلة ، والزكام .

ومنها : «كات» وهو صمغ شجر ، يسمونها «كهير» شجر عظيم ، خشبه صلب مجوهر ، أحمر اللون ، وورقه كورق التمر الهندي ، باردٌ يابس ، قابضٌ مجفِّفٌ حابسٌ ، يشد اللثة ، ويجفف القروح ، وينفع من القلاع ، واليرقان ، والبرص ، والجذام ، وفساد الدم ، وجريان المني ، وكثرة الاحتلام ، وقروح الأمعاء ، ومجاري البول وحرقته ، والدَّماميل والبثور شرباً وطلاءً .

ومنها : «كاكزا سينكي» زهر شجر هندي كشجر الموز ، حار في الأول ، يابس في الثالثة ، ينفع من السعال وضيق النفس البارد الرطب ، والفواق ، والقيء ، وإسهال الدم وفساد البلغم ، والبهق ، وغير ذلك .

ومنها: «كالابجهوا» معناه العقرب الأسود، ثمر شجر، عريض الأوراق، منبسط الأفانين، يعلو قدر قامة الإنسان، تبدو فيه حبة قدر الجوز، فيها جرم أسود كالعقرب شكلاً، حارٌّ يابسٌ، ينفع من البرص والجذام، والأمراض السوداوية الخبيثة، يخرج مادتها بالإسهال من أعماق البدن، جرَّبته في البرص غير مرَّة.

ومنها: «كالي زيري» بزر نبات هندي، يعلو قدر ذراعين، زهره كزهر الهندباء، وبزره يشبه بزره مع سواده ومرارته، حارٌّ يابس، ينفع من فساد البلغم، وديدان المعدة، والأمعاء، ويسكن الأوجاع الباردة، ويحلل الأورام الصلبة، وغالب استعماله طلاءً وضماداً؛ لأنه لا يخلو عن السمية.

ومنها: «كتيله» بفتح الكاف وكسر التاء الهندية، نبت مخضر الأوراق، زهره أصفر، وفيه أشواك، حارٌّ يابس، يسهل ويدرُّ، ويهضم، ويهلك الديدان، وينفع من الربو والجرب المتقرح والجذام، ويؤخذ من بزره الزيت، وله منافع غير ما ذكرناها.

ومنها: «كچنال» بفتح الكاف، والجيم العجمي، شجر عريض الأوراق، زهره حسن المنظر على ألوان، وقبل تفتحه يطبخه أهل الهند مع اللحم وبدونه مع الأبازير المعمولة، باردٌ يابسٌ، يقبض ويجفف، ويقوي المعدة والأمعاء، ويحبس البطن، ويدفع الإسهال والديدان، وحب القرع، وينقي الدم والصفراء، وينفع من الجذام، والخنازير، ونفث الدم، والطمث، والجروح الباطنة، والمقعد.

ومنها: «كرونده» بفتح الكاف والراء المهملة، ثمر شجر هندي، يشبه شجر الليمون، وثمره يشبه النيشوق، طعمه حامضٌ مع العفوصة، باردٌ يابسٌ، يسكن الصفراء، والعطش، ويشهي الطعام، ويحبس الإسهال، وأهل الهند يربونه في الخل، فيأكلونه في أثناء الطعام.

ومنها: «كريلا» بفتح الكاف وسكون التحتية، ثمر يشبه القثاء في الجملة مع مرارته، وأهل الهند يدفعون مرارته بالغسل، ويطبخونه مع الأبازير المعمولة مع اللحم أو بدونه، حار يابس، يحلل الرياح ويقطع البلغم، ويقوي الأعصاب

والباه ويولد المني ، وينفع من جريان المني ووجع المفاصل ، والنقرس البارد ، والاستسقاء ، والطحال ، واليرقان ، والديدان.

ومنها: «كسوندي» بفتح الكاف ، وضم السين المهملة ، ويسمونه كسوبجي بالجيم ، شجر يعلو قدر القامة ، ورقه كورق السناء ، وزهره أصفر ، حارٌّ يابسٌ ، يقلع السموم المشروبة ، ويعدل الأخلاط ، وينفع من السعال ، وأصله مع الفلفل ينفع من لسع الحية.

ومنها: «كسيرو» بفتح الكاف وكسر السين المهملة ، ينبت في الماء الراكد ، ويكون أسود قدر الجوز ، لبُّه أبيض ، وهو شديد الحلاوة ، باردٌ رطبٌ مع القوة الترياقية والقابضة ، يقوي القلب ، وينفع من الخفقان والهيضة ، والقيء ، والإسهال ، إذا أفرط ، وينفع من السموم المشروبة والملدوغة ، وينفع من الطاعون شرباً وطلاءً.

ومنها: «كلو» بكسر الكاف العجمي وضم اللام بعدها واو ، نبات من جنس اللبلاب ، ملتفٌّ على مجاوره ، ورقه كورق اللبلاب ، وخشبه كخشب الأراك ، وطعمه في غاية المرارة ، وهو مما لا يثمر ، والمستعمل منه الخشب ، ويأخذون منه النشأ ، فيسمونه «ست كلو» حارٌّ يابسٌ في الأول ، وقيل: حارٌّ رطبٌ ، وأهل الهند يزعمونه بارداً يابساً ، ينفع من السعال ، واليرقان ، والغشي والقيء ، ويقطع البلغم ، وينفع من الحميات بالخاصة ، ويقوي الباه ، ويشهي الطعام ، ويولد المني.

ومنها: «كليان كاتهه» بفتح الكاف ، ينبت بأرض بنكاله في بردوان ، وميدني بور ، وتكون ذات الأشواك ، حار يابس ، ينفع من الأوجاع والقروح ، والاستسقاء ، وورم الطحال ونزول الماء.

ومنها: «كمرك» بفتح الكاف ، وسكون الميم والراء المهملة بعدها كاف ، ثمر هندي ، له ستة أضلاع ، يصفر بعد ينعه ويحمض ، وشجره كشجر الجوز ، باردٌ رطبٌ ، يقبض ، ويقلع الصفراء ، وينفع من العطش المفرط ، والقيء ، والإسهال الصفراوي ، مقارب في أفعاله بالريباس.

ومنها: «كنول كته» بكسر الكاف وخفاء النون والواو وسكون اللام بعدها

كاف عجمية وتاء هندية ثم هاء ، ينبت في الغدران كالنيلوفر ، وورقه أعرض من ورق النيلوفر ، وزهره أكبر من زهره ، بارد رطب ، ينفع من الحميات الصفراوية ، واليرقان ، والعطش المفرط ، ويسكن حدة الصفراء ، ويقبض البطن ، ويحبس الدم الباسوري .

ومنها : «كوانج» بكسر الكاف ، نبت يعلو قدر الذراع ، له حبات فيها بزره ، حارٌّ يابسٌ ، يحلِّل الأورام ، ويولِّد المني ، ويغلظه ، ويقوي الباه .

ومنها : «كومه» بالكاف العجمية ، نبت زهره قد يكون أبيض ، وقد يكون أحمر ، حارٌّ يابسٌ ، ينفع من فساد البلغم واليرقان ، وأورام الأعضاء والبواسير ، ويقتل الديدان ، ويغلظ المني ، ويستعمل في الصناعة التكلسية .

ومنها : «كوندني» بالكاف العجمية ، ثمر شجر عظيم قدر الفالسه ، باردٌ رطبٌ ، ينفع من القلاع ، وبحوحة الصوت والسعال ، ويقتل الديدان ، ويولد المني ، ويغلظه ، ويلين الطبع ، وله منافع أخرى .

ومنها : «كويت» بفتح الكاف ، وكسر الواو وسكون التحتية بعدها تاء هندية ، ثمر يشبه ببيل ، وشجره كشجره ، بارد يابس ، يفرح ويقبض ، ويقوي القلب الحار والمعدة والكبد الحارين ، وينفع من القلاع ووجع الحلق ، ويشهي الطعام ، ويقاوم سم الرتيلاء طلاءً .

ومنها : «كهرني» بكسر الكاف وخفاء الهاء ، شجرٌ عظيمٌ كشجر «كشهل» ، وثمره كالفستق ، يصفر بعد ينعه ، حارٌّ رطبٌ ، يفرح ، ويقوي الأعضاء ، وينفع من ثقل الرأس والغشي ، والعطش ، ويسكن هيجان الأخلاط والقيء ، وينفع من السعال ، وقروح مجاري البول وغير ذلك .

ومنها : «كيته» بفتح الكاف ، شجر عظيم ، له ثمرات قدر الرمان يشبه «بيل» في الجملة ، باردٌ يابسٌ ، يفرح؛ ويقبض ، ويقوي القلب والمعدة ، وينفع من الذرب ، وهيجان الصفراء ، وعصارة ورقه ينفع من الرمد الحار .

ومنها : «لجالو» بفتح اللام ، يعلو قدر الذراع ، ومن خواصه أنَّك إذا مددت إليه اليد لتأخذه تجتمع أوراقه ، كأنه يخفي نفسه ، وإذا قبضت اليد ينفصل ،

وأهل الهند يزعمونه من الرسائن ، باردٌ رطب ، محلِّلٌ حال ، منضجٌ مفتح ، ينفع في الأمراض الدموية والصفراوية .

ومنها : «مالكنكني» نبات يعلو قدر القامة ، ويشبه الدخن ، حارٌّ في الثالثة ، يابسٌ في الثانية مع الرطوبة الفضلية ، يقوي الأعصاب والدماغ والحفظ ، وينفع من أوجاع المفاصل ، والنقرس ، وعرق النسا ، ووجع الورك ، ودهنه ينفع من الفالج ، واللقوة ، والرعشة ، والتشنج الرطوبي ، والسعال ، وضيق النفس ، ويقوي المعدة والكبد الباردين ، ويقوي الباه في الغاية .

ومنها : «مندي» بضم الميم وسكون النون وكسر الدال الهندية ، نبات هندي ، كثير المنافع ، ورقه كورق الفوتنج ، وزهره مدوَّرٌ أحمر ، الضارب إلى البنفسجية ، حارٌّ رطبٌ ، مقوٍّ للأعضاء الرئيسة ، والقوى ، والأرواح ، والمعدة ، محلل ملطف ، مفتح ، مقارب في البنفسج بالخشب الصيني ، وينفع من الخفقان والتوحش ، واليرقان ، وصفرة الوجه ، وكثير من الأمراض الصفراوية والسوداوية ، والرحم ، وحرقة البول ، والجرب والقوباء ، وله منافع أخرى .

ومنها : «مولسري» شجرٌ عظيمٌ موزونٌ ، زهره شديد العطرية ، باردٌ يابس ، ينفع من الأمراض الدماغية ، وعرقه يقوي الأرواح ، ويفرح ، وينفع من الأمراض ، وثمره يمسك المني ، وعصارته نافعة في الأمراض الدِّماغية .

ومنها : «نارجيل» المذكور في الفصول المتقدِّمة ، حارٌّ يابس ، مع الرطوبة الفضلية : يقوي ، ويسمن ، ويولد الخلط الصالح ، وينفع من الاسترخاء والفالج ، والجنون ، والماليخوليا ، وضعف الكبد ، والبواسير ، ويولد المني ، ويسخن الكلية ، وله غير ذلك من المنافع .

ومنها : «ناكيسر» بالكاف الفارسي ، شجر عظيم كشجر الجوز ، منبته بورنيه ، ورنكبور وغيرهما من بلاد بنكاله ، والمستعمل منه زهره ، حارٌّ يابس ، يحلل الرياح ، ويقاوم السموم ، وينفع من البواسير ، والديدان ، والجروح ، والقروح ، وعطره حاد الرائحة ، يقوِّي الباه شرباً وطلاءً .

ومنها : «نيل كنتهي» نوع من الأعشاب الهندية ، حارٌّ رطب ، ينقِّي الدم ،

ويدرُّ البول ، وينفع من الحمرة ، والنار الفارسي ، والبرص والجذام ، و ائر الأمراض الجلدية .

ومنها: «نيلوفر» ويسمونه كرنب الماء ، ينبت في الغدران ، وزهره يعلو على الماء ، باردٌ رطبٌ ، يقوِّي القلب والدماغ ، ويسكن الحرارة ، وينفع من الصداع ، والسعال ، والنوازل ، ويدفع خشونة آلات التنفس ، وأصله حارٌّ يابس ، ينفع من قروح الأمعاء ، ويغلظ المني ، وله غير ذلك من الأفعال والخواص .

ومنها: «نيم» بكسر النون ، شجرٌ هنديٌّ ، كثير المنافع ، باردٌ في الأول ، يابسٌ في الثانية ، وقيل: حارٌّ رطبٌ في الأول ، والمستعمل منه زهره ، وثمره ، وورقه ، وخشبه ، وبالجملة فإنَّه ينفع من اللقوة والفالج ، والاسترخاء وأوجاع المفاصل ، والاستسقاء ونزول الماء ، وقروح مجاري البول ، والجذام ، والقروح الخبيثة ، والساعية ، والجرب المتَقرح ، والقوباء والبواسير ، وله منافع كثيرة غير ما ذكرناها .

ومنها: «هارسنكهار» لغة هندية مركب من «هار» معناه القلادة ، وسنكهار ـ بكسر السين وفتح الكاف العجمية ـ معناه الزينة ، شجر حسن المنظر ، يعلو ويرتفع ، وزهره من أحسن أزهار الهند ، يجعلون منه القلائد ، ويأخذون منه اللون العصفري ، باردٌ يابسٌ ، ينفع من الحميات العتيقة ، والحزاز ، والبواسير .

* * *

حيوانات الهند

أما حيوانات بلاد الهند ، فمنها : الخيل ، والبقر ، والجاموس ، والغنم ، والإبل ، والفيلة ، وهي عندهم كالإبل عند العرب ، والذي يستأنس منه يعين صاحبه على اقتناص المتوحش ، فيلهيه حتى يربط الصياد يديه ورجليه ، وجمع الفيل أفيال ، وفيول ، وفيلة ، وصاحبه فيَّال ، وكنيته أبو الحرمان ، وأبو دغفل ، وأبو مزاحم ، وكنية أنثاه أم شبل ، وهو عالي السمك ، عظيم الصورة ، بديع المنظر ، طويل الخرطوم ، وسيع الأذنين ، طويل العمر ، ثقيل الحمل ، خفيف الوطء ، وله نابان عظيمان ، يبلغ الواحد منهما مئة منٍّ ، وخرطومه قوي يقلع الشجر من أصوله ، وفيه من الفهم ما يقبل أن يفعل ما يؤمر به من السجود للملوك ، وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب .

ومن الوحوش «الكركدن»[1] وهو ذو قرن عظيم يقع على أنفه .

وهو يرعى النبات في البرية ، ولا يؤذي إلا إذا تهيَّج بالخوف ، فإنه حينئذ يسطو على الفيل ، والأسد والنمر ، وكل ما تعرض له ، والصيادون يصيدونه راكبين الأفيال .

ومن الوحوش الضارة الأسد في الجهات الغربية ، والنَّمر ، وأكثر وجوده على شواطىء نهر «كنكا» في نواحي بنكاله ، وهو أجسر الضواري لا ينثني عن وحش ، ولا إنسان ، حتى أنه يخطف الفارس من على ظهر جواده ، ويسطو على الأسد إذا التقى به ، وفيها يوجد الفهد ، والذئب ، والدب ، والضبع ، والخنزير البري ، وأنواع القرود ، والثعلب ، وابن آوى .

وفيها أنواع الغزلان ، ومنها صنف له أربعة قرون : اثنان منها طويلان ، واثنان قصيران ، ونوع من النمس ، قد يألف البيوت فيحميها من الفأر

---

(١) الخرتيت .

والحيات ، وفيها التمساح ، وكثير من العقارب والحيات الخبيثة القاتلة ، وأنواع الضباب والحشرات ، ولا شيء أشدُّ ضراراً من النمل الأبيض[1] ، وهو نمل صغير لا يظهر للعين بل ينقر الأخشاب من داخلها ، ولا يترك منها قشرةً رقيقة ، ويفسد أثاث البيت وسقوفها ، ويتلف الكتب والأطعمة ، وفيها من الطيور آلاف لا توجد في سواها. ومن البرية الطاووس ، والببغاء ، وطير الجنة ، والديك البري ، والحمام بأنواعه ، وغير ذلك.

* * *

(١) وجاء التعبير عنه في القرآن «دابة الأرض» ومن أنواعه : الأرضة والسوس.

أما المعادن ، فأهمُّها : الفحم ، ويخرج من معادن «راني كنج» و«جهريا» . «وكريده» بأرض بنكاله ، ويوجد في آسام وأمهرا ، وأمريا بضم الهمزة في البلاد المتوسَطة ، وفي «سنكاريني» من أرض حيدر آباد .

ومنها : «الحديد» ويوجد في «سليم» بناحية مدراس ، وجاندا في الولاية المتوسطة ، وفي «رائي كنج» بأرض بنكاله ، ويخرج منها الحديد ، يقرب معدنه من معدن الفحم .

ومنها : «الذهب» ويخرج من معدن كولار في إمارة ميسور .

ومنها : «الملح» ويخرج من المعادن في بلاد بنجاب ، ويعمل من ماء البحر الملح بسواحل مدراس ، ويخرج من ترعة «سانبهر» في راجبوتانه .

ومنها : «المنكنيز» ويحتاج إليه في عمل الفولاذ ، وذلك يخرج من معادن «وزيكابثم» بناحية مدراس ، ويوجد في إمارة ميسور ، ومعادن أخرى في الولاية المتوسطة .

ومنها : «الطلق» يخرج من معادن هزاري باغ في ناكبور الصغرى ، ومن معادن مدراس ، وبنكاله : ويوجد فيها غير ذلك ، كالنحاس ، والرصاص ، وأنواع الجزع والأحجار .

أما «ألماس» فإنَّه كان يخرج من معادن «راول كندّه» على مسيرة خمسة أيام من «كولكندّه» ومن «كولور» على مسيرة سبعة أيام ، ومن نهير كومل في سليم بور من أرض بنكاله ، ومن معدن بيجابور ، وكان في القرون الماضية لا يعلم معدن للألماس غير تلك المعادن ، إلا في جزيرة بورنيو ، وكان ألماس هذه المعادن في غاية النور والصفاء لا يعلم نظيره حتى اليوم ، وأما في عصرنا ، فإن الألماس لا يخرج من هذه المعادن أصلاً ، وتخرج قطع صغيرة منه في «بنا» بفتح

الباء العجمية وتشديد النون ، بلدة من أرض بنديلكهند؛ ولكنه لا يماثله في النور والصفاء ، والوزن والقيمة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

أمَّا «هندو» فهم على أربعة أقسام: الأول: البراهمة ، ويقال لهم الكهنة أيضاً ، ولهذا القسم التقدُّم على بقية الأقسام في جميع الأمور ، الثاني: الجندر ، ومن هذا القسم الملوك والحكام ، والثالث: التجار والفلاحون ، والرابع: أصحاب الصنائع والأعمال من كل نوع ، وهذا القسم ينقسم أيضاً إلى أقسام شتى باعتبار الصناعة والعمل ، وجميع هذه الأقسام لا يختلط بعضها ببعض أصلاً ، ولا يمكن لمن ولد في أحدها أن ينتقل إلى الآخر.

وأما ديانتهم فهي عبارة عن المذهب البرهمي ، وآلهتهم كثيرةٌ ، أعظمها: «برهم» ، ويزعمون: أنَّه في الغالب نائم ، وتارةً يستيقظ ، وفي إحدى اليقظات اشتق برهما ، ووشنوا ، وشيوا ، وآلهة أخرى تبلغ نحو ثلاثمئة وثلاثين ألف ألف ، وكذلك جميع دقائق الهيولى في الأرض ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، ومن عقائدهم: أنَّ الاغتسال في نهر «كنك» يطهِّر من الخطيئة ، فهم يقصدونه من الأطراف البعيدة لهذه الغاية ، ويحملون من مائه إلى أقاصي بلادهم ، وقد جرت عادتهم أن يحرقوا موتاهم بالنار ، وإن كان للرجل المتوفى زوجة يحرقونها معه حيَّةً ، ولكن هذه العادة الرديئة أبطلها الحكم الإنكليزي ، فلا تجري إلا خفية ، أو في مكان ليس تحت سلطة الإنكليز ، ومن عقائدهم أنَّهم لا يجيزون ذبح البقرة ، وجَزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق ، وهم يعظمون البقرة ، ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا ، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها ، ومنها: أنهم لا يأكلون اللحوم البتة إلا الجنديون ، ومنها: أنهم لا يأكلون إلا ما طبخوه بأنفسهم ، أو صنعوه بأيديهم ، فإن اضطروا إلى الأكل من طعام غيرهم يرخص لهم في أكل الحبوب والبقول ، واللبن والسمن ، ودهن السمسم ، ونحو ذلك ، ولا يرون بتعذيب الحيوان وذبحه ، ويغتسلون للأكل كغسل الجنابة ، ولا ينكحون في أقاربهم إلا

فيمن كان بينهم وبينه سبعة أجداد ، وأن لا يدخل المسلم دورهم ، ولا يطعم في آنيتهم ، فإن طعم فيها كسروها ، أو أعطوها للمسلمين ، فإن طبخوا له الطعام صبُّوه على أوراق الموز ، وصبُّوا عليه الإدام ، وما فضل عنه تأكله الكلاب ، والطير .

ومنهم طائفة يقال لها «الجوكية» تظهر منهم عجائب ، منها : أن أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب ، وكثيرٌ منهم تحفر لهم حفر تحت الأرض وتسد عليه فلا يترك له موضع يدخل منه الهواء ، ويقيم بها الشهور ، وسمعت أنَّ بعضهم يقيم كذلك سنة ، والناس يذكرون أنَّهم يركِّبون حبوباً يأكلون الحبة منها لأيام معلومة ، أو أشهرٍ معلومة ، فلا يحتاجون في تلك المدة إلى طعام ، ولا شراب .

ولهم حسابٌ دقيق في حركات الأجسام السماوية ، وإصابات زيجية ، لا يختلُّ عن الصحة إلا نادراً ، وإليهم ينسب الأرقام الهندية المستعملة عند العرب ، وكانوا يعتنون أيضاً بالفلسفة ، والطب ، والأدب ، والشعر ، والموسيقا ، والحساب ، وكان عندهم البارود ، وبعض أسلحة ، قبل اكتشافه في أوربة ، ولهم اليد الطولى في بعض الصنائع ، ولاسيما في عمل الموائد والجلب ، والأسرة المرصَّعة بالعاج وعرق اللؤلؤ ، ومع ذلك ما كانت لهم معرفة بالتاريخ ، والسير ، فإنَّ تاريخهم أضحوكة للصبيان .

لغات أهل الهند

أما لغاتهم فهي على نحو سبع وأربعين ومئة لغة ، وهي متفرعة من أصلين : أحدهما «سنسكرت» وهذه اللغة لا يتكلمون بها ، ولكن كتب علومهم الدينية مكتوبةٌ بها ، ومن فروعها «بنكله» و«بهاشا» و«أرّيا» و«الكجراتي» و«المرهتي» و«البنجابي» و«أردو» وغيرها ، أما «أردو» فهي متركبة من اللغات : الهندية ، والفارسية ، والعربية ، غالباً تكتب بالحرف العربي على شكل الخط الفارسي ، وهي شائعة في أكثر بلاد الهند ، والثانية لغة الهند الأصلية ، ومن فروعها ،

«تامل» و«التلنكى»[1] و«الكنرّى» و«ملايالم» وغيرها ، وهي شائعة في البلاد الجنوبية ، وهذه لغات أهالي الهند الأصلية ، و«تامل» و«التلنكي» لا يقصران عن «سنسكرت» في الحكمة ، والأدب ، والشعر .

* * *

(١) ويسمى «تلكو» .

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثاني
في ذكر الكور المشهورة من الهند

اعلم أنَّ أرض الهند بوضعها الطبعي تنقسم على كور كبيرة، تنفصل كلُّ كورة من الأخرى في الأودية، والجبال، والسهول، والحُزون، والماء والهواء، كأنك تنتقل من إقليم إلى إقليم آخر، ونحن نقدم ذكر بحر الهند وفرضه المشهورة في القديم والحديث.

بحر الهند

هو بحرٌ عظيمٌ وسيع السبط الجاري، ولكنه قليل الخلجان، والجزائر، وطرفه الشمالي ينقسم على قسمين: فالقسم الشرقي يقال له: خليج بنكاله، والقسم الغربي يقال له: بحر العرب.

أما خليج «بنكاله» فإنه فاصل بين الهند وبرهما [1]، وسواحله الهندية تبتدىء من «جانكام» فتمتد إلى الغرب بميل إلى الجنوب، ثم تنعطف إلى الجنوب الغربي، ثم إلى الجنوب، ثم إلى الجنوب بميلٍ إلى الغرب حتى تنتهي على «رأس كماري» بضم الكاف.

وأما بحر العرب، فإنه فاصل بين بلاد الهند وجزيرة العرب، وسواحله الهندية تبتدىء من «كراجي» بكسر الكاف، فتمتد إلى الجنوب الشرقي حتى تنتهي على رأس كماري.

أما الخلجان فهي خمسة (١) خليج كجهة في غرب كجرات، (٢) خليج

---

(١) يعني بورما، وقد استقلت بعد الاستقلال والتقسيم.

كنباية في جنوب كجرات ، (٣) خلجان مليبار ، وهي في الحقيقة ترعات متصلة بعضها ببعض وبالبحر ، (٤) خليج منار بين الهند وبين جزائره من ذيبة المهل ، (٥) خلجان مصب نهر «كنك» .

وشطوط بحر الهند غير عميقة ، وليس فيها موانيء صالحة أمينة غير كراجي ، وبمبئى ، ولهذا لا تصلح للمراكب الكبار .

وأما أشهر فرضها في القديم فديبل بأرض السند ، و«سومنات» ثم «كنباية» ثم «بهروج» ثم «سورت» في أرض كجرات ، و«فاكنور» ثم «منجرور» (منكرور) على خور التدب ـ بضم الدال المهملة ، وهو أكبر خور في مليبار ، كان ينزل بها أهل فارس ، واليمن ، والفلفل والزنجبيل بها كثيران جداً ، ثم «هبلي»[١] بهاء مكسورة ، كانت مدينة كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكبً الكبار ، ومرساها عظيم ، ثم «قالقوط» (كالي كث) ، وهي إحدى الفرض العظام ، يقصدها أهل الصين ، وجاوة ، وسيلان ، وأهل اليمن ، وفارس ، ويجتمع بها تجار الآفاق ، ومرساها من أحسن مراسي الدنيا ، رآها ابن بطوطة ، ووصفها بما ذكرناه ، ثم «كولم» وهي آخر فرض مليبار ، وأعظمها كقالقوط ، وكلُّها في بلاد مليبار .

وأشهر فرضها في الأزمنة المتوسطة «لاهري» فرضة في أرض السند ، و«بندرديو» ويسمونه «ديب» و«كنباية» في أرض كجرات ، و«دائل» و«جيول» و«قالقوط» وغيرها في بلاد المعبر ، ومليبار .

وأما في هذا العصر فأشهرها كراجي[٢] بندر في أرض السند ، وبمبئى في كجرات ، ومدراس في بلاد المعبر ، و«كالي كث» (فالقوط) في مليبار ، و«جاتكام » في بنكاله .

السـنـد

بكسر السين المهملة وسكون النون آخرها دال مهملة ، بلاد بين الهند

---

(١) معروفة الآن بضم الهاء .

(٢) وهي الآن في باكستان ـ الندوي .

و«كرمان» و«سجستان» وهو أول بلاد وطئها المسلمون ، وملكوها ، والعرب كانوا يسمونه إقليم الذهب ، وهو إقليم حار ، وفيه مواضع معتدلة الهواء ، والبحر يمتدُّ مع أكثره ، وبه أنهارٌ عديدةٌ ، وفيه نخيلٌ ونارجيل ، وموز ، وبعض العقاقير النافعة ، وفي بعض المواضع منه الليمون الحامض ، والأنبج ، وفي بعضها الأرز الحسن ، وفيه «البختي» وهو نوع من الإبل له سنامان ، مليح ، وأشهر أنهاره نهر السند ، ويسمونه مهران ، وفيه تفيض الأنهار الخمسة المشهورة ببلاد بنجاب ، ونهر «كابل» فيصبُّ في البحر عند «ديبل».

ووضع هذا الإقليم شرقيه بحر فارس ، وغربيه كرمان ، ومفازة سجستان ، وأعمالها ، وشماليه بقية بلاد الهند ، وجنوبيه مفازة بين مكران وجبال القفض من ورائها بحر فارس ، وكانت مكران مضافة إليه في القديم ، لأنَّها تقربه ، ومصاقبةٌ له.

وقد جعله البشاري خمس كور ، وأضاف إليه مكران ، أولها من قبل كرمان مكران ، ثم طوران ، ثم السند ، ثم ويهند ، ثم قنوج ، ثم ملتان ، فأما مكران فقصبتها بنجور ـ بتشديد النون ، وأما طوران فقصبتها قزدار (قصدار) بضم القاف ، وأما السند فقصبتها المنصورة ، ومن مدنها بيرون ، وأما ويهند فقصبتها ويهند ، وأما «قنوج» فإنها القصبة ، وهي غير «قنوج» التي في وسط بلاد الهند ، وأما «ملتان» فهي القصبة أيضاً.

وأما أشهر مدنها في القديم ، فكانت «قندابيل» و«بهمناباد» و«ألور» و«ويهند» و«بهاطنه» و«ملتان» و«ديبل» و«قنوج» و«بيرون» ، أما «قندابيل» فمصَّرها «بهمن بن كشتاسب» الكياني في حدود كانت بين الهند والترك ، ولعل هذه يسمونها في هذا العصر «بيله» و«بهمناباد» أصله بهمن آباد ، مصرها بهمن المذكور ، وسماها باسمه ، ثم جعلوها «برهمن آباد» والعرب يسمونها بهمناباد ، واليوم لا عين لها ولا أثر ، وكانت قصبة بلاد السند في القديم ، وكذلك «ألور» (أرور) كانت قصبتها في القديم ، وكذلك «ديبل» و«ملتان» ، و«ديبل» كان أشهر فرض الهند ، والبحر يصل إلى جدر المدينة ، ومن ثم يصب مهران في البحر ، و«بيرون» بكسر الموحدة ، وضبطه بعضهم بالنون وهو الأصح.

وأشهر مدنه في أول عهده بالإسلام «المنصورة» مصَّرها الحكم بن عوانة الكلبي في أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي ، وقيل : مصَّرها منصور بن جمهور الكلبي ، وقيل بناها عمرو بن حفص المهلبي في أيام المنصور من بني العبّاس ، والأرجح هو الأول ، وكان هنالك بلدة بهمناباد في القديم ، وكذلك أشهر مدنه ملتان ، وهي مثل المنصورة ، غير أنها أعمر ، و«بهاطنه» كانت مدينة حصينة عالية السور ، يحيط بها خندق عميق على خمسة وسبعين ميلاً من «بهند» ، وهي التي يسمُّونها «بهتنير» بضم الموحدة وسكون الهاء والتاء العجمية بعدها نون وياء ممدودة وراء مهملة ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وخرابها اليوم من أعمال «بيكانير» ، وكذلك كانت أشهر مدنه «ديبل» ، وقد تقدَّم ذكرها .

وأشهر مدنه في عهد المملوكين ، وفيما بعده من الملوك ، «سيوستان» كانت قصبة البلاد على مسيرة عشرة أيام من ملتان ، ومدينة «لاهري» على ساحل البحر ، لها مرسى عظيم يأتي إليه أهل اليمن ، وأهل فارس ، وهي التي يسمونها في القديم «ديبل» و«بهكر» كانت مدينة حسنة يشقها خليج نهر السند ، وكانت هنالك المنصورة في القديم ، و«أج» مدينة حسنة على نهر السند ذات أسواق حسنة ، وأبنيته جيدة ، وملتان كانت قاعدة بلاد السند كلِّها في ذلك العصر ، و«ديبالبور» كانت مدينة كبيرة على مسيرة ثلاثة أيام من ملتان إلى جهة لاهور .

وأما في عهد الملوك التيموريين ، فكانت بلاد السند منقسمةً على أربع كور : أولها «ديبالبور» ثم ملتان ، ثم «بهكر» ثم «تهته» وأشهر مدنه في ذلك العصر ملتان ، وأج ، وديبالبور ، وبهكّر ، ولاهري ، وتهته ، التي مصَّرها جام نظام الدين سنة تسعمئة بوادي مكلى ، وحيدر آباد التي مصَّرها غلام شاه خان سنة اثنتين وثمانين ومئة وألف ، وكانت هنالك «نيرنكوث» القلعة المتينة لنيرون الهندي ، فتحها محمد بن القاسم الثقفي ، و«شكاربور» بلدةٌ حديثة العهد أيضاً .

كِشْمِير

بكسر الكاف وفتحها وسكون الشين المعجمة ، والعرب يسمونها «قشمير»

بالقاف ، وهي في جهة الشمال الغربي حيث العرض ثلاث وعشرون درجة ، وثلاث وثلاثون دقيقة ، وهي في جهة الشمال الشرقي حيث العرض سبع وأربعون درجة ، وأربع وخمسون دقيقة ، قال الحموي في المعجم: إنها مجاورة لقوم من الترك ، فاختلط نسلهم بهم ، فهم أحسن خلق الله خلقةً ، يضرب بنسائهم المثل ، لهن قاماتٌ تامَّةٌ ، وصورةٌ سويَّةٌ ، وشعور أثيثة على غاية السباطة ، والطول ، تباع الجارية منهم بمئتي دينار وأكثر . انتهى .

وأما شؤونها ، فلا تسأل عن ذلك ، فإنَّها قد وقعت في السهل ، وقربت من الجبل ، وجمعت أصناف الفواكه ، وأنواع الأزهار والرياحين ، وأنبتت البنفسج ، والزعفران ، وحوت الخيرات ، والفضل ، بها ماءٌ غزيرٌ ومواضع نزهة ، وغابات «جنار» تقوم بسرحة وزيادة ، وبساتينُ كثيرةٌ طيبةٌ ، وجبالٌ خضرةٌ ، وحياضٌ واسعةٌ ، وأنهارٌ غزِيرةٌ ، وَماءٌ عذبٌ ، وهواءٌ طيبٌ ، ونعمٌ ظاهرةٌ ، وقد سلموا من المؤذيات ، وتخلَّصوا من العاهات ، واشتبكت حولها أشجار الجوز واللوز ، وكثر فيها التفاح والموز ، ولهم بحيرة عذبة حسنة يسمونها «دل» بفتح الدال الهندية وسكون اللام ، في أرض أريضة تقارب خمسة عشر ميلاً مربعاً ، وفيها جزائر خضرةٌ حسنةٌ ، فيها أشجارٌ مديدَّةٌ ذوات أثمار وأزهار ، وتجري فيها السفن ، يصلون بها إلى الجزائر ، ويتفرجون ، وبجانبها قلةٌ من الجبل كساها الله سبحانه حلَّةً خضراء ، وبها بساتين طيبة ، وأبنية فاخرة يسمونها «هري بربت». وحسن جوّ أرض كشمير ، هو من قبل ارتفاعها في سلسلة «هماليا» وكونها في داخل القارة فلا يشتد برداً وحراً .

وأما «سري نكر» فهي قصبة بلاد كشمير المشهورة بشيلانها المصنوعة من زغب المعزى ، الذي ينبت عند أصول شعرها في أيام البرد ، وينتشر منها في أيام الحرِّ .

رَاجِبُوْتَانَهْ

راجبوتانه كورةٌ كبيرةٌ من الهند ، طولها ثمان وستون ومئة ميل ، وعرضها خمسون ومئة ميل ، يحدها من الشرق والشمال أرض دهلي ، ومن الجنوب أرض كجرات ، ومن الغرب أرض السند ، وما اتصل منها بأرض السند فهي

أرض فيها رمالٌ كثيرةٌ ، ومدار الزرع بها على المطر ، وفيها معادن من كربونات الرصاص ، وقطع من المنيريا ، والنحاس ، والحديد ، وأرضها مستوية إلا ما ندر ، وهذا الإقليم منسوب إلى «راجبوت» وهم أهل الجند ، ومنهم الولاة والحكام ، ومعنى «راجبوت» أبناء الملوك ، وقد مرَّ فيما تقدم أنَّ أهل الهند أربعة أقسام ، ثانيهم أهل الجند ، وهم ذوو النجدة والسلاح ، وأرض هذا الإقليم على ثلاثة أقسام : القسم الأول منها «ميوار» طولها أربعون ميلاً ، وعرضها ثلاثون ميلاً ، وفيها ثلاثة قلاع لا نظير لها في الحصانة ، و«جتور» و«كوهملير» و«ماندل» ، وفيها معادن ، ففي «كوكندّه» معدن الأسرب ، وفي ناحية «ماندل» معدن النحاس ، وأمير تلك الناحية يلقب براول ثم برانا ، ويزعم أنه من نسل أنوشيروان الكياني ، وأشهر مدنها «جتور» و«أوديبور» و«ماندل» و«ينمج» ، والقسم الثاني منها «ماروار» طولها مئة ميل ، وعرضها ستون ميلاً ، وأهلها «راتهور» من نسل «جي جند» سلطان «قنوج» ، وفيها الحصون الكثيرة ، ومن أحصنها قلاع «أجمير» و«جودهبور» ، و«بيكانير» و«جيسلمير» و«أمركوث» و«ديوكده» و«جالور» ، والقسم الثالث منها «هادوني» المنسوب إلى أهلها ، «هاده» قبيلة من قبائل راجبوت ، وأما أشهر مدنها فجيبور ، وأجمير ، وسانبهر ، وأوديبور ، وجودهبور ، وكوته ، وبوندي ، وتونك ، وناكور ، وبيكانير ، وجيسلمير ، وغيرها من البلاد .

بَـنْـجَـابْ

لفظ مركّب من بنج بفتح الباء العجمية وسكون النون والجيم ، معناه الخمس ، ومن آب وهو الماء ، والمراد به بلاد تسقيها الأنهار الخمسة المشهورة ، وهي «جهلم» و«جناب» و«راوي» و«بياس» و«ستلج» ، وهي أول أرض وطئها المسلمون بعد أرض السند ، أرضٌ خصبةٌ ، أكثرها سهلٌ متَّسعٌ منحدرٌ إلى جهة الجنوب الغربي من مرتفعات كشمير ، وهي كثيرة القمح والرز ، والحمص ، والفواكه الطيبة ، وفيها معدن الملح ، وهو الذي يسمونه الملح الحجري ، والملح اللاهوري ، ويستخرج بعد تعب عظيم كمياتٌ قليلةٌ من الفضَّة ، ومن أهم حاصلاتها : الحنطة ، والسكّر ، والرز ، والشعير ،

والحمص، والخردل، والقنب، والتبغ، وما أشبهها، وأهم منسوجات الولاية: القطن، والصوف، والحرير، وما أشبه ذلك، ولا تزال الصناعة فيها آخذةً في النمو، وأشهر مدنها في القديم «ويهند» كانت بلدة كبيرة على الشارع القديم الذي يمتدُّ من لاهور إلى بيشاور على ثلاثة منازل من بيشاور، كان يسكن بها «جيبال» عظيم الوثنيين ببلاد بنجاب، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي، وهي اليوم قريةٌ لا تذكر، ويسمُّونها «بهند» بكسر الموحدة والهاء المختفية بعدها نون ودال عجمية، وهي غير «بهنده» التي فتحها شهاب الدين الغوري، وبيشاور، وكانوا يسمُّونها بكرام وبرشور، والعرب يسمونها «فرشور» وسيالكوث مدينة مشهورة في بنجاب على حدود كشمير، ومدينة لاهور كانت قاعدة الملك، والعرب يسمونها «لهاور» و«لوهور» و«ترائن» كانت مدينةً قديمةً يسمُّونها «بترادرى» و«نكركوث» يسمُّونها «كانكرّه» و«تهانيسر» و«كهرام»، وغير ذلك من البلاد.

ميـان دوآب (أنتربيـد)

معناه الأرض فيما بين النهرين «كنك» و«جمن» وهي أرضٌ خصبة، كثيرة القمح، والأرز، وقصب السكر، والبقول، والفواكه، وأرضها في الغالب تكاد تكون مستويةً يرويها عدَّة أنهار، ونهيرات، أعظمها نهر «كنك» و«جمنا» وحاصلاتها الخشب والذرة والقطن، والقنب، والأفيون، والنيل، والسكر، ويصدر منها سنوياً مقدار وافر من الملح، وأهلها أولو ذكاء وفطنة، والصناعة الحسنة الكثيرة، تصنع في بنارس، ومبارك بور، ومئو، الثيأب الرفيعة، وفي جلال بور أواني الخزف في غاية الخفة، والصفاء.

ومن قلاعها الحصينة المتينة قلعة «جناركده» و«كالنجر»، وقنوج كانت دار ملكها القديم، وإله آباد مدينة قديمة يعتبرها الوثنيون أقدس الأماكن، ويحجُّون إليها سنوياً، يستجمُّون عند ملتقى النهرين، وكانوا يسمُّونها «براك»، بدَّلها أكبر شاه «بالله باس»، وحفيده شاهجان «بالله آباد»، وبنارس من أقدم مدن الهند وأقدسها عند الوثنيين.

أَوَدَهْ

بفتح الهمزة والواو وسكون الدال المهملة وإشمام الهاء في آخرها ، كورةٌ صغيرةٌ من أرض الهند ، يحدُّها من الشرق بهار ، ومن الغرب قنوج ، ومن الشمال سلسلة الجبال الفاصلة بينها وبين نيبال ، ومن الجنوب بلد مانكبور ، طولها من «كوركهبور» إلى قنوج مئةٌ وخمسة وثلاثون ميلاً ، وعرضها من سلسلة الجبال إلى سدهور من أعمال إله آباد مئة وخمسة عشر ميلاً ، وأنهارها «كهاكره» و«سرجو» وكومتي وسي ، وأرضها خصبةٌ كثيرة الأرز والقمح والحمص ، وقصب السكر ، والأنبج .

و«أوده» مدينة على شاطىء نهر «سرجو» حيث الطول مئةٌ وثماني عشرة درجة ، وست دقائق ، والعرض ست وعشرون درجة ، واثنتان وخمسون دقيقة ، ويسمُّونها «أجودهيا» ، وباسم هذه البلدة سموا تلك الأرض ، وهذه المدينة كانت دار الملك قبل دخول الإسلام ، وهي مولد «رام جندر» عظيم الوثنيين ، و«بهرائج» مدينة قديمة فيها قبر السيد سالار مسعود الغازي ، ولكهنؤ مدينة حديثة العهد .

بَـهَـارْ

أرضٌ خصبةٌ كثيرةُ الأرز ، وقصب السكر ، والموز ، والأنبج ، وورق التنبول ، طولها من «كدى» إلى «رهتاس» مئة وعشرون ميلاً ، وعرضها من «ترهت» إلى سلسلة الجبال الشمالية مئة وعشرة أميال ، يحدُّها من الشرق بنكاله ، ومن الغرب «ميان دوآب» و«أوده» ومن الشمال والجنوب سلسلة الجبال ، وأنهارها «كنكا» و«سون» و«كرم ناسه» و«بُن بُن» بضم الباءين الهنديين .

وأشهر مدنها «بتنه» بفتح الباء الهندية وسكون التاء الهندية ، وهي على نهر «كنكا» وهي التي يسمُّونها «عظيم آباد» نسبة إلى عظيم الشأن ابن شاه عالم ابن عالم كير التيموري ، و«كيا» مدينة قديمة فيها معبد للهنادك[1] من أعظم

---

(١) الهند جيل والنسبة هندي ، ج هنود ، والأهاند ، والهنادك ، رجال الهند (القاموس المحيط=

المعابد ، و«مونكير» مدينة كبيرة على نهر «كنكا» ، وكذلك حاجي بور ، ومظفر بور ، ودر بهنكه ، وغيرها ، وأشهر قلاعها «رهتاس» قلعة حصينة متينة على قلة جبلٍ في أربعة عشر ميلاً من أرض أريضة ، وفيها العيون الجارية ، والأرض الصّالحة للزراعة ، وأما «بهار» بكسر الموحّدة ، فإنها كانت من أعظم مدن الهند في الجاهلية ، ولد بها الرجل العظيم الذي تسميه العرب «بوذاسف» .

أُرَيْسَهْ

أرضٌ فسيحةٌ من الهند على ساحل البحر ، يحدُّها البحر وسلسلة الجبال ، ومن جانبيه بنكاله وبهار ، طولها مئةٌ وعشرون ميلاً ، وعرضها مئةُ ميل ، ينزل بها الغيث ثمانية أشهر ، ويكون البرد بها ثلاثة أشهر . والحرُّ شهراً واحداً ، وهذه البلاد كثيرة الأرز والرياحين ، والكادي ، وورق التنبول ، وطعام أهلها الأرز والحوت .

وأشهر مدنها «كتك» وبها قلعة حصينة ، و«برشوتم» وبها معبد للهنادك ، يسمُّونه «جكن ناته» وهي من أعظم كنائسهم ، بما تمثال «كشن» وأخيه وأخته من عود الصندل ، يغسلونها في اليوم والليلة ستَّ مرات ، ويلبسونها في كل مرَّة ثوباً من حسان الأثواب ، ويخرجونها في كل سنة ، ويركبونها على عربةٍ عظيمة ، لها ست عشرة عجلة ، ويزعمون أن من يسوق تلك العربة ، فقد نجا في الدنيا والآخرة ، وقد يفد عليه خلق كثير زهاء ستمئة ألف من الناس من نواحي الهند ، ومن خصائصهم في ذلك اليوم أنهم لا يحترزون من غيرهم بها في المأكل والمشرب .

بَـنْـكَالَـهْ

بفتح الموحدة ، وسكون النون ، وكاف فارسية ، وألف ولام مفتوحة ، بلادٌ متسعةٌ من أرض الهند ، يحدُّها من الشرق سلسلة الجبال ، ومن الغرب «بهار»

= للفيروز آبادي) وقد اصطلح الكتاب الإسلاميون العرب أن يطلقوا على المسلمين من أبناء الهند كلمة «الهنود» ، ويطلقوا على غير المسلمين منهم كلمة «الهنادك» (الندوي) .

و«أريسه» ومن الشمال أيضاً سلسلة الجبال ، ومن الجنوب البحر الملح ، وطولها أربعمئة ميل ، وعرضها مئتا ميل ، والأنهار المشهورة بها «كنكا» و«برهم بتر» ، وهي إقليم الأرز ، والعقاقير ، والفانيذ ، والموز ، والأنبج ، وورق التنبول ، ومن غرائبه رخصٌ وسعةٌ ، ومنافع ، ومتاجر ، قد جاور البحر ، وشقه النهر ، وله سهلٌ وزرعٌ ، ويزرعون الأرز فيه في السنة ثلاث مرَّات ، إلا أن ماءه رديء ، وهواءه رطب ، وأكلهم الأرز ولبسهم الأرز ، شتاءٌ خسيسٌ ، وصيف بغيض ، (قال ابن بطوطة) المغربي في كتاب الرحلة : «إنها بلاد مظلمةٌ يسمونها أهل خراسان «دوزخ بُرنعم» أي جهنم ملأى بالنعم ، قال : رأيت الأرز يباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلاً دهلية بدينار فضِّي ، والدينار الفضي هو ثمانية دراهم ، ودرهمهم كدرهم النقرة سواء ، والرطل الدهلي عشرون رطلاً مغربية ، وسمعتهم يقولون : إنَّ ذلك غلاء عندهم .

وحدثني محمد المصمودي المغربي ، وكان من الصَّالحين وسكن هذا البلد قديماً ، ومات عندي بدهلي ، أنَّه كانت له زوجة وخادم ، فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم ، وإنَّه كان يشتري الأرز في قشره بحساب ثمانين رطلاً دهلية بثمانية دراهم ، فإذا دقه خرج منه خمسون رطلاً صافية ، وهي عشرة قناطير ، ورأيت البقرة تباع بها للحلب بثلاثة دنانير فضية ، وبقرهم الجواميس ، ورأيت الدَّجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد ، وفراخ الحمام تباع خمسة عشر منها بدرهم ، ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين ، ورطل السكر بأربعة دراهم ، وهو رطلٌ دهلي ، ورطل الجلاب بثمانية دراهم ، ورطل السمن بأربعة دراهم ، ورطل السرح بدرهمين ، ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي ذرعه ثلاثون ذراعاً ، يباع بدينارين ، ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار واحد من الذهب ، وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربي . انتهى .

وأهم حاصلاتها من الحبوب الأرز ، وهو من الصادرات المهمَّة ، ويزرع هناك الحنطة ، والشعير ، والقطن ، والنيل ، والأفيون ، وقصب السكر ، والتبغ ، وآلات الزراعة ، وطرقها قديمةٌ وبسيطةٌ جداً ، وعندهم حصادان ، أحدهما حصاد الأرز وحده ، ويعرف بالحصاد الكبير ، والآخر حصاد باقي المزروعات ، ويعرف بالصغير .

www.abulhasanalinadwi.org

مَـالْـوَهْ

ولاية فسيحة من أرض الهند في الإقليم الثاني ، طولها من ولاية «كوته» إلى «سودر» ٢٤٥ ميلاً ، وعرضها من عمالة «جنديري» إلى «ندريار» ٢٣٠ ميلاً ، وهي أرض قبيلة من قبائل الوثنيين ، ضخام الأجسام ، عظام الخلق ، حسان الصُّور ، لنسائهمً الجمال الفائق.

ومن أشهر بلادها في القديم كان «جنديري» و«مندو» و«دهان» و«أجّين» و«سرونج» و«رائي سين» و«بهيلسه» و«آشته» وكان جنديري دار ملكها في القديم ، ثم انتقلوا إلى «أجين» ، وأعظم ملوكها كان «بكر ماجيت» الذي ينسب إليه السنين البكرمية.

بَـنْـديَـلْـكَهْنَـد

إحدى الولايات الوسطى من الهَنديين ٥٢ ، ٢٣ و٢٦ ، ٢٦ من العرض الشمالي ، و٥٣ ، ٧٧ ، ٣٩ ، ٨١ من الطول الشرقي ، مساحتها ١٨٩٩ ميلاً مربعاً ، وهي جبلية الأراضي يتخلّلها ثلاث سلاسل من الجبال ، يوجد في بعضها كثيرٌ من الألماس والفحم الحجري ، ويخرج من تلك الجبال أنهارٌ كثيرةٌ ، وأرض الولاية صالحةٌ لكلّ أنواع الحبوب والفاكهة الموجودة في الهند ، وهواؤها جيِّدٌ في بعض الأماكن ، ورديءٌ في بعضها ، خصوصاً في الغرب ، ومن أشهر بلادها «بنّا» بفتح الباء الهندية وتشديد النون حيث يوجد الألماس حتى اليوم ، و«ريوان» بكسر الراء المهملة ، و«جرّكهاري» و«بجاور».

كَـجْـرَاتْ

بضم الكاف الفارسي ، وإسكان الجيم ، وإهمال الراء المهملة بعدها ألف فمثناة من فوق ، طولها اثنان وثلاثمئة ميل ، وعرضها ستون ومئتا ميل ، وفيها ثلاث عشرة فرضة ، أشهرها كنباية ، وسومنات ، وأشهر مدنها جانبانير ، ونهرواله ، وبهروج ، وأحمد آباد ، وبزوده ، وجونا كرّه ، وسورت ، وفي العصر الحاضر «بمبئي» وفيها كور صغيرة يسمونها بأسماء أخرى ، نحو «كوكن»

أي: البلاد التي على ساحل البحر فيما بين بمبئي و«نياكاؤن»، ونحو «كاتهياوار» التي ينسب إليها الأفراسُ الحصانُ الجيادُ.

وأما جمل شؤون هذا الإقليم، ففيه مواضع معتدلة الهواء، والبحر ممتدٌّ مع أكثره، ويحمل من «سورتهه» البطيخ الحلو، والتفاح وغيرهما، وأقسام الرياحين، وأنواع الأثمار، والبقول الكثيرة، والعقاقير النافعة، ومن أودية «كجه» الأفراس الجياد، حسان الصور، معتدلة القامات، ضخمة الجسوم، سريعة السير، ومن بعض المواضع البقر السمين الجيد الحسن اللون، والنُّمور والفيلة، ومن «سروهي» السيوف يحملونها إلى العراق، وبلاد العرب، ويضرب بها المثل، قال كعب بن زهير:

.... مهنّدٌ مـن سيـوفِ الهنـد مسلـولُ

وقال الفارسي:

تيـــغ هنـــدي وخنجـــر رومـــي نكنـــد انجـــه انتظـــار كَـ .

ويحمل من كنباية الملح الأبيض، والأسود، ومن «جهجوان» الملح الأبيض، ويحمل من أحمد آباد القرطاس الحسن اللون، المتقن الصنعة، ويصنع بها كثيرٌ من أقمشة الحرير، وفي بعض الأودية من كجرات كثير من الساج يستعملونه في الأبنية والمراكب، وكثيرٌ من السيسم يصنعون منه العرابات، وفي جبال «ايدر» معدن حجر «بتهالي» في غاية البياض، يحرقونه ويجعلونه جصاً، استعملها شاهجان الدهلوي في الأبنية بمدينة دهلي وآكره.

مَـهَـارَاشْتَـرْ

بـلاد متصلـة بمـالـوه، وكجـرات، وإقليـم دكـن، يحـدُّهـا مـن الشـرق «بيجابور»، ومن الجنوب «مليبار»، ومن الغرب البحر المالح، ومن الشمال كجرات، وأهلها أصحاب تجارات، وأكثر تجاراتهم في الجواهر؛ وأموالهم طائلة، وهم يسمّون «مرهته» عندهم العنب والرمّان وأنواع الفواكه. قال ابن بطوطة في كتابه:

و«المرهته» خصَّ الله نساءهم بالحسن، وخصوصاً في الأنوف والحواجب.

انتهى ، والمرهته طائفة من الوثنيين ذوو نجدة وجلادة ، يضرب بهم المثل في الرمي والفروسية ، والحيل والتدبير ، ومنهم قطاعً الطريق ، وفيهم نشأ «سيواجي» الرجل المشهور .

تِلِنْكَانَهْ

شرقيها «كرناتك» ، وجنوبيها «ميسور» ، وغربيها «بونا» ، وشماليها «ناكبور» و«خانديس» ، وهي أرضٌ وسيعةٌ ذات أنهار وأشجار ، وسهول وجبال ، وملوكها في القديم كانوا أعظم ملوك الهند عدَّةً وعُدَّةً ، وكانت فيها قلاعٌ حصينةٌ متينةٌ ، وأشهر بلدانها في القديم كانتَ «ورنكل» وكانت دار ملكها ، ومن قلاعها المشهورة قلعة «كُل كنده» كانت حصينةً متينةً ، واليوم خاويةٌ على عروشها .

كَرْنَاتَكْ

بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وفتح النون والتاء الهندية ، وهي في اللغة : كلُّ أرض تقع على ساحل البحر ، ثم أطلقوها على بلاد المعبر ويسمّونها «كرومندّل» بضمّ الكاف وفتح الميم والدال الهندية ، وهي ساحل البحر في اللغة الأردية .

ومن كورها «آركاث» وتنقسم إلى قسمين شمالياً وجنوبياً ، وهواؤها حارٌّ جداً ناشفٌ ؛ وفي الصيف يجفُّ كثيرٌ من أنهارها ، فيحفر أهلها بركاً كثيرةً تحفظ الماء ، وإذا رويت الأرض جيداً تعطي حاصلات جيدةً ، أخصها الحبوب والقطن ، وقصبة الرئاسة مدينة «آركات» على الضفّة الجنوبية من نهر «نانور» على مسافة خمسة وستين ميلاً من مدراس ، و«مدراس» مدينة كبيرة في العصر الحاضر على ساحل البحر الملح في الجهة الشرقية ، حيث الطول ٨١ درجة ، و٢١ دقيقة ، والعرض ١٣ درجة ، و٥ دقائق ، ولها تجارةٌ واسعةٌ براً وبحراً ، أخذها الإنكليز من مرزبان كرناتك[1] سنة ١٦٣٩ م = ١٠٤٩ هـ .

---

(١) اسمه راجه نيكث كبري ، وذلك في عهد شاهجان بن جهانكير التيموري سلطان الهند ، =

مَـلِيْبَـار

بفتح الميم وكسر اللام وسكون التحتية وفتح الموحدة بعدها ألفٌ وراءٌ مهملةٌ ، يقال لها : «مالابار» أيضاً ، وهي بلاد الفلفل ، يحدُّها من الغرب والجنوب البحر المالح ، ومن الشرق سلسلة الجبال ، ومن الشمال بلاد «مرهته» ، وهي إقليمٌ مخصبٌ ، أهمُّ حاصلاته النارجيل والقهوة ، والصندل والفلفل ، والقافلة والآبنوس ، وعلى سواحلها فرضٌ قديمة أمينة ، كانت لها تجارةٌ واسعةٌ في الأزمان السالفة ، وكانت العرب تأتي إليها من سواحل البحر الأحمر ، والخليج الفارسي ، وكانوا يتَّجرون بحاصلاتهم ، ومن فرضها «منجرور» و«قالقوط» و«كوجين» و«البي» و«كولم» و«تراوندرم» .

❊ ❊ ❊

= وكانت قرية مؤلفة من أكواخ لا شأن لها في ذلك الوقت ، واتَّخذها الإنكليز مركزاً تجارياً لهم ، وبنوا السور ، وأصبحت مدينةً كبيرةً على مرِّ الأيام ـ الندوي .

البــاب الثالــث
في ذكر كور الهند، وأشهر مدنها وقراها في الدولة الإسلامية

اعلم: أنَّ الهند كانت منقسمةً على اثنين وعشرين قسماً في أيام عالم كير بن شاهجهان الدهلوي، سلطان الهند، وكانوا يسمُّون كلَّ قسم كبير منها «صوبة»، ويقسمونها على متصرفيات، ويسمُّونها «سركار»، ثم يقسمونها على عمالات، ويسمونها «بركنه»، فكانت أرض الهند اثنتين وعشرين صوبةً في الغالب:

(١) صوبة شاهجهان آباد، (٢) صوبة أكبر آباد، (٣) صوبة إله آباد، (٤) صوبة أوده، (٥) صوبة بهار، (٦) صوبة أريسه، (٧) صوبة بنكاله، (٨) صوبة أورنك آباد، (٩) صوبة برار، (١٠) صوبة خانديس، (١١) صوبة أجمير، (١٢) صوبة كجرات، (١٣) صوبة تهته، (١٤) صوبة ملتان، (١٥) صوبة لاهور، (١٦) صوبة كشمير، (١٧) صوبة بدر، (١٨) صوبة حيدر آباد، (١٩) صوبة مالوه، (٢٠) صوبة بيجابور، (٢١) صوبة كابل، (٢٢) صوبة قندهار.

ولما لم تكن صوبة كابل، وقندهار من أرض الهند، بل كانتا من أرض أفغانستان، أهملناهما في الذكر، فقد ذكرنا من جملة ما ذكرناها عشرين صوبة، وذكرنا من القرى والمدن، ماله ذكر في كتب الأخبار والسير.

صوبة شَاهْجَهَانْ آبَادْ

يحدُّها من الشرق صوبة أكبر آباد، ومن الغرب صوبة لاهور، ومن الجنوب

صوبة أجمير ، ومن الشمال سلسلة جبال كمايون ، وطولها مئة وستون ميلاً ، وعرضها مئة وأربعون ميلاً ، كانت فيها ثمانية «سركارات» ، وتسع وعشرون ومئتا عمالة ، وأما سركاراتها الثمانية ، فهي (١) شاهجهان آباد ، (٢) سرهند ، (٣) حصار فيروزه ، (٤) سهارن بور ، (٥) سنبهل ، (٦) بدايون ، (٧) ريواري ، (٨) نارنول.

أما مدنها ، فمنها مدينة دهلي ـ بكسر الدال المهملة وسكون الهاء وكسر اللام ـ قاعدة بلاد الهند ، وهي المدينة العظيمة الشأن ، الفخيمة ، الجامعة بين الحسن والحصانة ، وهي كانت بضع مدن متجاورات متصلات ، إحداها المسماة بهذا الاسم «دهلي» ، ويقال لها «دلّي» بتشديد اللام ، وهي القديمة من بناء الهنادك القدماء ، قيل : إنَّه مصَّرها ، «أننكبال» بمقربة «إندربت» سنة أربعين وأربعمئة بكرمية ، وقيل : مصَّرها «دهدّو» وكان سلطان قنّوج قبل غزو الإسكندر بن فيلقوس المقدوني على الهند ، وبنى القلعة الحصينة المتينة بها «برتهي راج» سنة مئتين وألف بكرمية ، وفتحها قَطب الدين أيبك سنة تسع وثمانين وخمسمئة هجرية ، فجعلها دار ملكه ، وبنى بها «كوشك سفيد» معناه القصر الأبيض ، وبنى الجامع الكبير الذي سموه قوة الإسلام ، وبنى المدرسة المعزية ، وبنى غياث الدين القصر الأحمر يسمونها : «كوشك لعل» سنة ٦٦٤ هـ ، وبنى خارج البلدة غياث بور سنة ستين وستمئة هجرية بمقربة القلعة ، والثانية «كيلو كهري» بناها معز الدين كيقباد ، والقائم عليه جلال الدين الخلجي على ساحل «جمنا» وبنى بها «كوشك لعل» أي القصر الأحمر ، نحو سنة ٦٨٨ هـ ، وهي التي كانوا يسمونها «معز آباد» ، والثالثة «سيري» بكسر السين المهملة ، وتسمى أيضاً دار الخلافة ، بناها علاء الدين الخلجي نحو سنة ٧٠٣ هـ ، وله بها مسكن يسمُّونه «كوشك سبز» أي القصر الأخضر ، والرابعة «تغلق آباد» بناها غياث الدين تغلق ، نحو سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة على ستة أميال من دهلي القديمة في الجهة الجنوبية ، والخامسة «جهان بناه» بناها محمد شاه تغلق سنة ٧٢٨ هـ ، وأراد أن يضمَّ هذه المدن بحيث يحيط بها سور واحد ، فبنى منه بعضاً ، وترك بناء باقيه؛ لعظم ما يلزم في بنائه ، وبنى القصر «هزار استون» أي : ذا ألف أسطوانة ، والسادسة «فيروز آباد» بناها فيروز شاه على

ساحل «جمنا» سنة خمس وخمسين وسبعمئة ، والسابعة «شير كده» بناها شير شاه السوري بسيري ، التي كانت خاويةً على عروشها نحو سنة ٩٤٨ هـ ، والثامنة «شاهجهان آباد» ، ويسمُّونها «جهان آباد» وهي المسماة «دهلي» في العصر الحاضر ، وهي مدينةٌ جامعة بين الحسن والحصانة ، فوق ربوة على ساحل «جمنا» ، حيث الطول الشرقي (٧٧) درجة ، و(٥) دقائق ، والعرض الشمالي (٢٧) درجة و(٤١) دقيقة ، ولها سورٌ محيط ، وبروجٌ مشيَّدةٌ من الحجارة ، بناها شهاب الدين محمد شاه جهان الدهلوي في سبع سنين ، وبذل عليه أربعمئة ألف روبية ، وطول ذلك السور ستة آلاف وستمئة وأربع وستون ذراعاً ، وعرضه أربعة أذرع ، وارتفاعه تسعة أذرع ، وفيه سبعة وعشرون برجاً ، قطر كلِّ واحد منها عشرة أذرع ، وفي الجهة الشرقية من المدينة بنى سور القلعة مشرفاً على نهر «جمنا» ، من حمر الحجارة في تسع سنين ، وهي على الشكل المثمن ، طولها ألف ذراع ، وعرضها ستمئة ذراع على ستمئة ألف ذراع من الأرض ، وارتفاع السور خمس وعشرون ذراعاً ، وعرضه عشرة أذرع ، وحوله خندق ، عرضه أربع وعشرون ذراعاً ، وعمقه عشرة أذرع ، ومحيطه ثلاثة آلاف وستمئة ذراع ، وبذل عليه وعلى الأبنية التي بناها في السور خمسة آلاف ألف من الروبيات ، وفي مرآة «آفتاب نما» : بذل على السور والخندق وغير ذلك خمسة آلاف ألف ، وعلى الأبنية التي فيها خمسة آلاف ألف أخرى .

وأما الأبنية التي في القلعة ، فهي من عجائب الدُّنيا ، ومفاخر أهلها ، لا يكاد يوجد نظيرها في الأرض ، منها «دربار عام» ، وهو إيوان كبير مسقف على السواري كلِّها من حمر الحجارة ، و«دربار خاص» وهو مبني من بيض الحجارة ، منقوشٌ بأبدع ما يكون ، مزيَّـنٌ بالأحجار الثمينة ، وحمامٌ ومسجدٌ ، وكثير من الأبنية الفاخرة .

والجامع الكبير في المدينة لا يوجد لها نظير في الدنيا ، وفيه قال شيخ مشايخنا الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي :

يـا مـن يسـائـل عـن دهلـي ورفعتهـا	على البلاد وما حازته من شرف
إنَّ البــلاد إمــاءٌ وهــي سيِّــدهــا	لأنَّهــا درَّةٌ والكــلُّ كــالصَّــدف
فــاقــت بــلاد الـورى عـزّاً ومنقبـةً	غير الحجاز وغير القدس والنَّجف

www.abulhasanalinadwi.org

سكانها [هم][1] جمال الأرض قاطبةً خَلقاً وخُلقاً بلا عجب ولا صلف
بها مدارس لو طاف البصير بها لم تنفتح عينه إلا على الصُّحف
كم مسجد زخرفت فيها منارته لو قابلته شموس الصَّحو تنكسف
لا غرو إن زينت الدنيا بزينتها كم من أب قد علا بابن ذوي شرف
وماء جون جرى من تحتها فجلى أنهار خلد جرت من أسفل الغرف

وأما الأبنية القديمة خارج المدينة فكثيرةٌ ، لا يحصيها البيان ، منها منارةٌ عظيمةٌ ، ارتفاعها (٢٤٢) قدماً ، وهي منارة مسجد «قوة الإسلام».

مدينة «سهارن بور» بفتح السين المهملة والهاء بعدها ألف وراء مفتوحة ونون ساكنة ، مدينةٌ عامرةٌ ذات جوامع ومدارس.

«كلير» بفتح الكاف وإسكان اللام وفتح التحتية بعدها راء مهملة ، كانت بلدةً كبيرةً ذات جوامع وزوايا ، وإليها ينسب الشيخ علاء الدين علي أحمد الصابر الكليري ، وهي اليوم خاويةٌ على عروشها.

«ديوبند» بكسر الدال المهملة وإسكان التحتية والواو ، وفتح الموحدة ، وإسكان النون والدال المهملة ، بلدةٌ من أعمال سهارن بور ، فيها مدرسةٌ كبيرةٌ بناها الشيخ قاسم بن أسد النانوتوي.

«كنكوه» بالكافين الفارسيتين بينهما نون ساكنة وبعدهما واو وهاء ، بلدةٌ عامرةٌ من توابع سهارن بور ، ينسب إليها الشيخ عبد القدوس الكنكوهي.

«بزهانه» بضم الموحدة وإهمال الراء الهندية ، بعدها هاء مختفية وألف ونون ، ثم هاء ، بلدةٌ ينسب إليه الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرّهانوي.

«بهلت» بضم الباء الفارسية ، وإخفاء الهاء ، وفتح اللام ، بعدها مثناة فوقية ، قريةٌ جامعةٌ من أعمال دهلي ، تسكن بها عشيرة الشيخ وليّ الله الدَّهلوي.

«أمروهه» بفتح الهمزة وإسكان الميم وضم الراء المهملة وإسكان الواو بعدها هاء ، بلدةٌ عامرةٌ حسنةٌ ، بينها وبين دهلي مسيرة ثلاثة أيام.

---

(١) زيد ليستقيم الوزن.

«سنبهل» بفتح السين المهملة ، بلدةٌ عامرةٌ ، بينها وبين «أمروهه» مسيرة يومٍ واحد.

«مراد آباد» بلدةٌ عامرةٌ بقرب «سنبهل» يجلب منها الأواني.

«سهسوان» بفتح السين المهملة وإسكان الهاء وفتح السين المهملة والواو بعدها ألف ونون ، بلدةٌ عامرةٌ من أعمال «بدايون» ، كان منها كثيرٌ من العلماء.

«بدايون» بفتح الباء الموحدة ، والدال المهملة ، وضم الياء التحتية ، وإسكان الواو ، آخرها نون ، كانت بلدةً كبيرةً في سالف العهد ، فتحها قطب الدين أيبك ، لها أسواقٌ حسنةٌ وأبنيةٌ جيدةٌ ، بينها وبين دهلي مسيرة عشرين يوماً.

«بريلي» مدينةٌ كبيرةٌ على فرع من نهر «كنك» ، تبعد عن دهلي اثنين وعشرين ومئة ميل ، وفيها تصنع السيوف ، والخناجر ، والزرابي ، والسروج ، وأغشيتها ، والأقمشة المطرزة ، والآنية النحاسية ، وأمَّا اليوم فلها شهرة في أعمال الخشب.

«شاهجهانبور» بلدةٌ عامرةٌ على نهر «كرَّه» ، وفيها قلعةٌ وجامعٌ كبيرٌ ، أسسها نواب بهادرخان في أيام شاه جهان.

«رام بور» بلدةٌ عامرةٌ قرب مراد آباد ، وهي مقام الأمراء من أولاد علي محمد خان ، لهم سلطةٌ قويَّةٌ تحت حكم الإنكليز.

«سرهند» بفتح السين وسكون الراء المهملتين ، معناها رأس الهند ، ويقال لها: «سهرند» بكسر السين المهملة ، وفتح الراء ، بعدها نونٌ ساكنة ، فدالٌ مهملة ، ومعناها: غابة الأسد ، كانت بلدةً عامرةً في القديم ، وإليها ينسب الشيخ أحمد بن عبد الأحد السَّرهندي إمام الطريقة المجددية.

«بنُّور» بفتح الموحدة وتشديد النون ، بلدةٌ كانت من توابع «سرهند» ، واليوم قريةٌ ينسب إليها الشيخ آدم بن إسماعيل البنُّوري.

«نارنول» بنون ثم ألف ، ثم راء مهملة ، ثم نون مفتوحة ، وواو ، ولام ، كانت بلدةً ذات جوامع ومساجد ، ينسب إليها الشيخ نظام الدين النازنولي.

«هانسي» بفتح الهاء ، بعدها ألف ، فنون ساكنة ، فسين مهملة مكسورة ، فياء تحتية ، كانت من أحسن المدن وأتقنها ، وأكثرها عمارةً ، ولها سورٌ عظيمٌ ، ينسب إليها الشيخ فخر الدين الهانسوي صاحب دستور الحقائق ، والخطيب جمال الدين النعماني ، وخلق آخرون.

«سادهوره» قريةٌ كبيرةٌ ، فيها قبر الشيخ قميص بن أبي الحياة القادري.

«سامانه» كانت بلدةً حسنةً من توابع «سرهند».

«سنّام» بضم السين المهملة وتشديد النون ، كانت بلدةً كبيرةً في القديم ، ينسب إليها الفقيه ضياء الدين صاحب نصاب الاحتساب.

«كيتهل» بفتح الكاف وإسكان الياء وفتح الفوقية وإسكان الهاء واللام ، كانت بلدةً كبيرةً في القديم ، ينسب إليها السيد كمال الدين الترمذي ، والشيخ كمال الدين الكيتهلي.

«بائل» قرية من توابع «سرهند».

«باني بت» بباء فارسية ، فألفٌ ، فنونٌ مكسورةٌ ، فياء تحتية ، فباءٌ فارسيةٌ مفتوحةٌ ، آخرها فوقيةٌ ساكنة ، بلدةٌ بقرب دهلي.

«سوني بت» بضم السين المهملة ، وإسكان الواو ، وكسر النون بعدها ياء تحتية ، وباءٌ فارسية مفتوحةٌ قبل مثناة فوقية ، قريةٌ جامعة بين «باني بت» و«دهلي».

«تهانيسر» كانت بلدةً كبيرةً في القديم ، وفيها معبدٌ عظيمٌ للهنادك ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي.

«بهتنده» كان من أمنع حصون الهند ، فتحها شهاب الدين الغوري.

«سهنه» بضم السين المهملة ، قريةٌ كبيرةٌ بمقربة عين حارَّة.

«حصار فيروزه» كانت بلدةً كبيرةً ذات أسواق وبساتين بمقربة العين الحارَّة ، بناها فيروز شاه الدَّهلوي.

صوبة أكْبَرْ آبَادْ

يحدُّها من الشرق صوبة إله آباد ، ومن الشمال نهر «كنك» ، ومن الجنوب

صوبة «مالوه» ، ومن الغرب صوبة دهلي ، طولها مئةٌ وخمسةٌ وسبعون ميلاً ، وعرضها مئة ميل ، ومجابيها (٩٨١٨٠٠٠٠٠) دام ، ولها ثلاثة عشر «سركاراً» ، وثمان وستون ومئتا عمالة ، أما «سركاراتها» فهي (١) أكبر آباد ، (٢) باري ، (٣) ألور ، (٤) تجارا ، (٥) ايرج ، (٦) كالبي ، (٧) سالوتر ، (٨) قنُّوج ، (٩) كول ، (١٠) بروده ، (١١) منداور ، (١٢) مندلابور ، (١٣) كواليار.

أما أشهر مدنها ، فمنها مدينة أكبر آباد كانت قريةً في القديم من توابع «بيانه» ، فسكن بها سكندر بن بهلول اللودي ، وسموها «بادل كده» وسكن بها ولده إبراهيم ، ثم بابر شاه ، وغرس فيها الحدائق الغنَّاء ، ثم بنى أكبر شاه القلعة الحصينة على ساحل «جمنا» من حمر الحجارة المنحوتة ، وبنى القصور العالية له ، ولما ولي المملكة حفيده شاهجان الدهلوي ، سمَّاها أكبر آباد ، وهي على بعد سبعة وثلاثين ومئة ميل من دهلي ، وفيها بناء رفيع يسمّى: «تاج محل» ، وهو من أبدع أبنية الهند ، لا يوجد له نظير في الدنيا ، وهو من أبنية شاهجهان المذكور ، بناه على قبر زوجته «أرجمند بانو» ، وفيها بناء حسن على قبر أكبر شاه المذكور ، وبناء عال على قبر اعتماد الدولة ، وفيها جوامع وحمَّامات ، ومساجد ذات حسنٍ وحصانة ، وهي من أشهر مدن الهند ، وأحسنها بعد دهلي.

«كواليار» بفتح الكاف الفارسية والواو ، وكسر اللام ، وفتح الياء من تحت ، بعدها ألف وراء مهملةٌ ، ويقال لها: «كوالير» بدون الألف بعد التحتية ، حصنٌ منيعٌ على قمة جبل شاهق ، كأنه منحوت من الصخر ، لا يحاذيه جبل ، وبداخله برك الماء ، وأسفل الحصن مدينةٌ حسنةٌ مبنيةٌ كلُّها من الحجارة المنحوتة ، ومساجدها ودورها ، وهي الآن في أيدي «مرهته» تحت سلطة الإنكليز ، ومدينة «كواليار» قاعدة بلادهم ، يسكن بها ملوك «سيندهيا» ، وفيها قبر الشيخ محمد الغوث الكواليري.

«دهولبور» مدينةٌ كبيرةٌ مبنيةٌ بالحجارة المنحوتة ، وبجهاتها معادن حمر الحجارة ، وهي الآن بأيدي الهنادك من طائفة «سكه» تحت سلطة الإنكليز ، تبعد عن أكبر آباد أربعة وعشرين ميلاً إلى الجنوب الشرقي.

«بهرت بور» بفتح الموحدة والهاء المختفية ، مدينةٌ تبعد عن أكبر آباد اثنين

وثلاثين ميلاً إلى الغرب ، وخمسةً وتسعين ميلاً من دهلي إلى الجنوب ، وكانت قديماً محاطةً بسور من طين ، وخندق عظيم ، وكان لها قلعةٌ منيعةٌ جداً ، يسكن بها الآن أمير تلك الناحية من «الزط» ويذعنَ إلى طاعة الإنكليز .

«ديك» : بكسر الدال الهندية وإسكان الكاف الفارسية ، مدينةٌ حصينةٌ تبعد عن آكره سبعةً وخمسين ميلاً إلى الشمال الغربي ، وبها آثار سبعة قصور معتبرة ، وكان الهنادك يزعمون أنها لا ترام لشدَّة منعتها .

«متهرا» بفتح الميم ، وسكون الفوقية ، والهاء المختفية ، كانت بلدةً كبيرةً من بلاد الهند ، على نهر «جمنا» ، ولد بها «كرشن» عظيم الوثنيين ، وفيها معابد عظيمةٌ لهم ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وهدم الكنائس ، ثم بناها الوثنيون ، وهي من أشهر مدن الهند وأقدسها عند الكفار .

«فتح بور» مدينةٌ كبيرةٌ مصَّرها أكبر شاه التيموري على جبل شاهق بمقربة «سيكري» بكسر السين المهملة ، وكانت قريةً جامعةً ، وبنى بهاً القصورَ العالية له ، وبنى جامعاً كبيراً ، ومدرسةً وحماماً ، وبنى أصحابه قصوراً عالية لهم بأمره ، ثم هجرها السلطان ، فهجروها .

«كالبي» بلدةٌ قديمةٌ على نهر «جمنا» لأهلها اليد الطولى في الصناعة ، ينسب إليها سكر النبات والقرطاس ، وكانت بها قلعةٌ حصينةٌ على نهر «جمنا» فتحها قطب الدين أيبك .

«إيرج» كانت بلدةً كبيرةً في القديم ، نشأ بها كبار العلماء .

«قنّوج» كسنّور ، كانت مدينةً حسنةَ الأبنية حصينةً ، لها سورٌ عظيمٌ ، وكانت قاعدة مملكة الهند في القديم ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي ، ثم قطب الدين أيبك ، فصارت مقام الحكام والولاة ، وهي الآن بلدةٌ صغيرةٌ خاويةٌ على عروشها ، بينها وبين دهلي مسيرة عشرة أيام .

«كُول» ويقال لها : «كوئل» مدينةٌ حسنةٌ ذات بساتين وأبنية ، وكانت بها قلعةٌ حصينةٌ ، فتحها قطب الدين أيبك ، وهي اليوم معروفةٌ بعلي كَدّه ، وفيها مدرسة

العلوم[1] للمسلمين للسيد أحمد خان الدهلوي.

«إتاوه» بكسر الهمزة وفتح التاء الهندية، بلدةٌ معروفة على نهر «جمنا» كانت بها قلعةٌ حصينةٌ فتحها قطب الدين أيبك.

«بيانه» بفتح الموحدة، والياء التحتية، والنون بعدها هاء، كانت مدينةً كبيرةً، حسنة البناء، مليحة الأسواق، ومسجدها من أبدع المساجد.

وكان بها حصنٌ حصينٌ يسمُّونه: قعلة «تهنكر» فتحها شهاب الدين الغوري، وهي اليوم قريةٌ جامعةٌ من توابع «آكره».

«جليسر» بلدةٌ صغيرةٌ ذات أسواقٍ وبساتين، يسكن بها الأشراف.

«مارهره» بلدةٌ عامرةٌ، ينسب إليها صاحب البركات.

«سهاور» بضم السين المهملة وفتح الهاء قريةٌ جامعةٌ بقرب «قنوج».

«ألور» على أفعل بإهمال حروفها، مدينةٌ جنوبي دهلي على مسيرة خمس ليال، أو ستِّ ليال.

«فرخ آباد» بلدةٌ كبيرة على أربعين ميلاً من «قنوج»، مصَّرها نواب غضنفر جنك في عهد فرّخ سير.

صوبة إلٰهْ آبَادْ

يحدُّها من الشرق صوبة بهار، والغرب صوبة آكره، والشمال أوده، والجنوب «باندهو كدّه»، طولها ستون ومئة ميل، وعرضها عشرون ومئة ميل، ومجابيها (١٠٦٠، ٣٧٦٠) دام، ولها عشرة «سركارات»، وسبع وأربعون عمالة، أما «سركاراتها» فهي (١) إله آباد، (٢) غازي بور، (٣) بنارس، (٤) جون بور، (٥) جنار كدّه، (٦) كالنجر، (٧) كورّا، (٨) مانك بور، (٩) كدّه، (١٠) بهته.

وأنهارها «كنك» و«جمن» و«كين» و«سرجو» و«بهرنه» و«كومتي» وغيرها.

---

(١) وهي التي اشتهرت بالجامعة الإسلامية أخيراً، وطبقت شهرتها الآفاق.

أما مدينة «إله آباد» فهي على ملتقى نهر «جمنا» و«كنك» في عرض ٢٥ درجة و٢٦ دقيقة شمالاً ، وطول ٨١ درجة و٥٥ دقيقة شرقاً ، وهي على مسافة خمسة وسبعين ميلاً من بنارس ، واسمها في الجاهلية كان «براك» ، وسماها أكبر شاه التيموري «الله باس» ، وبنى بها قلعةً حصينةً ، ثم بدَّل اسمها شاهجهان بن جهانكير بن أكبر شاه التيموري «إله آباد» والهنادك يحجُّونها من أقطار البلاد في كل سنة ، ويغتسلون عند ملتقى النهرين .

«بنارس» مدينةٌ مشهورةٌ في الهند ، لكونها عاصمةً دينيةً للهنادك ، موقعها على الضفة اليسرى من «كنك» في عرض ٢٥ درجةً و٣٤ دقيقةً شمالاً ، وطول ٨٣ درجةً ودقيقةً واحدةً شرقاً ، وهي مدينة البراهمة ، فيها كثير من الهياكل ، عددها ليس أقل من ألف هيكل ، وأشهرها هيكل «شيو» الذهبي ، إلا أنَّه ليس بجميل جدّاً ، و«دركاكندّ» وهو هيكل القردة المقدسة عندهم ، والهنادك يحجُّونَ إليها من أقطار البلاد ، ويزعمون أنه من مات بها نجا لا محالة ، وهي مركز لتجارة متَّسعة في «الشيلان» ، والبفتة ، والألماس ، وغير ذلك .

وفيها مرصد بناه «راجه جي سنكه» في أيام محمد شاه الدهلوي ، وهو بناءٌ عظيمٌ يحتوي على آلات فلكية غريبة ، ورسوم شرقية للأجرام السماوية ، وفيها مدرسةٌ عظيمة للهنادك يتعلَّمونَ بها «سنسكرتَ» ، وفيها جوامعُ كثيرةٌ ، أشهرها الجامع الذي بناه عالم كير .

«جون بور» مدينةٌ عامرةٌ على بضعة فراسخ من بنارس ، وكانت قصبة بلاد الشرق في القديم ، بناها فيروز شاه الدهلوي ، وسماه باسم ابن عمه محمد شاه تغلق «جونه بور» فتغيَّر على أفواه الرجال بجونبور ، فيها أبنيةٌ رفيعةٌ ، ومدارس ، وجوامع من أبنية السلاطين الشرقية ، يدرِّس بها ملك العلماء شهاب الدين الدولة آبادي .

«كره» بفتح الكاف والراء الهندية آخرها هاء ، كانت بلدة كبيرة على شاطىء نهر «كنك» حسنة العمارة حصينةٌ ، لها سورٌ عظيم ، فتحها قطب الدين أيبك ، وكانت قصبة بلاد الشرق في عهد المملوكين ، فيها قبر جدِّنا الكبير السيد قطب الدين محمد بن أحمد الحسني الحسيني المدني ، وكانت من أخصب بلاد

الهند ، كثيرة القمح ، والأرز ، والسكر ، وتصنع بها الثياب الرفيعة ، ومنها تجلب إلى دهلي ، وبينها وبين دهلي مسيرة ثمانية عشر يوماً ، وهي الآن قرية لا عمارة لها.

«كالنجر» بفتح الكاف وكسر اللام بينهما ألف ، حصنٌ حصينٌ على جبل شاهق ، وفيه الغياض ، والآجام ، والعيون الجارية ، والأرض الصَّالحة للزرع ، وسهولٌ واسعةٌ وأبنيةٌ عاليةٌ ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي.

«جناه كده» بالجيم المعقود المفتوح ، قلعةٌ حصينةٌ في غاية الحصانة على جبل شاهق ، ومدينةٌ حسنة ، طيبة الماء والهواء.

«مرزا بور» بلدةٌ كبيرةٌ على شاطىء نهر «كنك» بينها وبين إله آباد خمسةٌ وأربعون ميلاً.

«غازي بور» بلدةٌ مشهورة على شاطىء نهر «كنك» تبعد من إله آباد مئةً وخمسة عشر ميلاً ، يجلب منها ماء الورد ، وعطر الورد إلى بلاد بعيدة.

«مانكبور» بلدةٌ معروفةٌ على شاطىء نهر «كنك» على جانب آخر من بلدة «كره» ينسب إليها الشيخ حسام الحق الجشتي رحمه الله.

«سلون» بفتح السين المهملة وإسكان اللام وفتح الواو وآخرها نون ساكنة ، بلدةٌ معروفةٌ ، بينها وبين «مانكبور» مسيرة يومٍ واحدٍ ، ينسب إليها الشيخ بير محمد السلوني.

«جائس» بالجيم المفتوحة ، والألف ، والهمزة والسين المهملة ، بلدةٌ معروفة ، بينها وبين «سلون» أربعة أميال ، تصنع بها الثياب الرفيعة ، ومنها تجلب إلى دهلي ، ونشأ فيها الأجلاَّء ، كالشيخ محمد باقر الجائسي.

«نصير آباد» بلدةٌ صغيرةٌ على ميلين من جائس ، ينسب إليها جدُّنا القاضي محمود بن العلاء الحسني الحسيني ، والسيد دلدار علي بن محمد معين الحسيني مجتهد الشيعة ، وخلق آخرون.

«رائي بريلي» بلدةٌ عامرةٌ على نهر «سي» ، وفيها قلعةٌ من أبنية السلطان حسين الشرقي ، وفيها قبر عادل الملك الجونبوري ، والشيخ عبد الشَّكور

الأبدال ، ونشأ فيها كثيرٌ من العلماء والمشايخ ، أجلُّهم السيد علم الله رحمه الله ، وابنه السيد محمد ، وحفيده محمد عدل ، والسيد أحمد الشهيد المجاهد ، والسيد المحدث قطب الهدى ، والسيد أبو سعيد ، والسيد محمد ظاهر ، وخلق آخرون :

دِيارٌ بها حلَّ الشباب تميمتي   وأول أرض مسَّ جلدي ترابها

«كوره» بضم الكاف والراء الهندية ، بينهما واو مدٍّ ، وآخر الحروف هاء ، كانت من البلاد القديمة ، نشأ بها الشيخ جمال أولياء ، وخلقٌ كثيرٌ من العلماء ، مصَّروا بقربها بلدة «جهان آباد» في أيام شاهجهان الدهلوي .

«كانبور» كانت معسكر الإنكليز ، فتدرَّجت في العمارة ، حتى صارت بلدةً كبيرةً ، على شاطىء نهر «كنك» وهي اليوم مركزٌ لتجارة متسعة في الأديم ، والثياب وغيرها .

«فتحبور» بلدةٌ صغيرةٌ بين إله آباد وكانبور ، كانت قريةً يسمونها «سكراول» سماها أكبر شاه التيموري «فتحبور» بعدما فتح على خانزمان الشيباني سنة أربع وسبعين وتسعمئة .

«هنسوه» بفتح الهاء ، وسكون النون المختفية ، والسين المهملة ، قريةٌ جامعةٌ على ثلاثة أميال من فتحبور ، ينسب إليها الشيخ علاء الدين الشهيد ، والسيد عبد السلام بن أبي القاسم الحسيني الواسطي رحمه الله .

صوبة أَوَدْه

يحدُّها من الشرق صوبة «بهار» ، ومن الغرب «قنوج» ، ومن الشمال سلسلة الجبال ، ومن الجنوب متصرفية «مانكبور» ، طولها مئةٌ وثلاثون ميلاً ، وعرضها خمسة عشر ومئة ميل ، وأنهارها «كهاكهره» و«سرجو» ، «كومتى» و«سي» ، ولها خمسة «سركارات» وتسعون ومئة عمالة ، ومجابيها (٢٦٤٥٤٠٠٠٠) دام ، أما «سركاراتها» فهي (١) أوده ، (٢) كور كهبور ، (٣) بهرائج ، (٤) خير أباد ، (٥) لكهنؤ .

أمَّا «أوده» بفتح الهمزة والواو وسكون الدال المهملة بإشمام الهاء في

آخرها ، بلدةٌ قديمةٌ من بلاد مشرق الهند ، مقدسةٌ عند الهنادك ، ولد بها «رام جندر» عظيم الهنادك ، وكانوا يسمُّونها «أجودهيا» وكانت قصبة بلاد المشرق قبل الإسلام وبعده ، بها قبران يزعمون أنَّ أحدهما قبر شيث ، وثانيهما قبر أيوب على نبينا وعليهما السلام.

«فيض آباد» مصَّرها شجاع الدولة بقرب «أوده» ، وبنى بها القصور العالية وسكن بها ، ولها شهرة في أعمال الخشب.

«لكهنؤ» بلدة كبيرة على نهر «كومتي» ، فيها أبنيةٌ رفيعةٌ للأمراء ، وبيوت المآتم للشيعة ، انتقل إليها آصف الدولة من فيض آباد ، فصارت مقام الأمراء ، ولها شهرة في أعمال الخزف والوشي ، ونشأ بها الأجلّاء كالشيخ محمد أعظم ، والشيخ محمد مينا ، والشيخ عبد القادر ، والشيخ نظام الدين ، وولده بحر العلوم ، وخلقٌ كثيرٌ من العلماء ، وكانت بها مدرسة للشيخ بير محمد.

«بهرائج» بفتح الموحدة ، وسكون الهاء وفتح الراء الهندية بعدها ألف ثم همزة ثم جيم معقودة ، بلدةٌ قديمةٌ ، ينسب إليها السيد سالار مسعود الغازي رحمه الله.

«كوركهبور» بضم الكاف الفارسية ، وسكون الواو ، وفتح الراء المهملة ، بلدةٌ كبيرةٌ في أودية الجبال ، يُجلب منها الساج.

«أنّام» بضم الهمزة وتشديد النون ، مدينةٌ صغيرةٌ حديثة العهد ، وكانت قريةً جامعةً في القديم.

«كهوسي» بضم الكاف الفارسية وسكون الهاء المختفية ، قريةٌ جامعةٌ من أعمال «كوركهبور».

«بلكرام» بكسر الموحدة ، وإسكان اللام ، وكسر الكاف الفارسية بعدها ألف وميم ، وهي بلدةٌ معروفةٌ من بلاد أوده ، قريبةٌ من «قنوج» ، نشأ بها كثيرٌ من العلماء والمشايخ كالسيد غلام علي آزاد ، والسيد مرتضى صاحب تاج العروس.

«هردوئي» بفتح الهاء ، وإسكان الراء ، وضم الدال المهملة وإسكان

الواو ، وكسر الهمزة بعدها ياء مختفية ، وهي مدينةٌ حديثة العهد ، كانت قريةً جامعةً في القديم .

«كوبامئو» بضم الكاف الفارسية بعدها واو مدٍّ ، ثم باءٌ فارسيةٌ مفتوحةٌ ، بلدةٌ مشهورة بقرب «بلكرام» نشأ بها كثير من العلماء كالقاضي مبارك ، والمفتي وجيه الدين وغيرهما .

«بهاني» بكسر الباء الفارسية ، وكسر النون بينهما ألف وآخر الحروف ياء مد ، قريةٌ جامعةٌ بقرب «كوبامئو» .

«سهالي» بكسر السين المهملة ، وفتح الهاء ، قريةٌ جامعةٌ ، ينسب إليها الشيخ الشهيد قطب الدين الأنصاري .

«فتح بور» ، قريةٌ جامعةٌ بقرب سهالي ، ينسب إليها الشيخ حسام الدين ، والشيخ عبد الغني ، ومولانا كمال الدين ، وخلقٌ آخرون .

«ردولي» بضم الراء ، وفتح الدال المهملتين ، وإسكان الواو ، وكسر اللام آخرها ياء مد ، بلدةٌ معروفة ، ينسب إليها الشيخ أحمد عبد الحق رحمه الله .

«بانسه» ، قريةٌ جامعةٌ بقرب دولي ، ينسب إليها السيد عبد الرزاق رحمه الله .

«خير آباد» بلدةٌ قديمةٌ كانت عامرةً في عهد الإسلام ، نشأ بها أجلَّة العلماء ، كالشيخ سعد الدين ، والمحدِّث صفة الله ، وفضل إمام ، وولده فضل حق ، وابنه عبد الحق ، وخلقٌ كثيرٌ من العلماء .

«لاهربور» ، قريةٌ جامعةٌ بقرب خير آباد ، نشأ بها الشيخ عبد الرحمن ، والشيخ مجتبى .

«هركام» بالكاف الفارسية ، قريةٌ بقرب خير آباد ، نشأ بها الأجلاء كالشيخ أحمد بن مسعود .

«مهان» بضم الميم ، وفتح الهاء ، بعدها ألف ونون ، ويسمُّونها «موهان» ، بلدةٌ معروفةٌ في «أوده» .

«سائين بور» ويسمونها «صفي بور» نسبة إلى الشيخ صفي الدين عبد الصمد الجشتي رحمه الله .

«نيوتني» بكسر النون ، وإسكان الياء والواو المدين ، وفتح الفوقية ، وكسر النون ، بعدها ياء تحتية ، قريةٌ من توابع «مهان» ينسب إليها القاضي ضياء الدين رحمه الله .

«أميثهي» بفتح الهمزة وكسر الميم وسكون التحتية بعدها تاءٌ هندية ، بلدةٌ معروفةٌ على ثمانية أميال من لكهنؤ ، ينسب إليها الشيخ نظام الدين رحمه الله .

«بجنور» بكسر الموحدة ، وسكون الجيم ، وفتح النون ، قريةٌ جامعة على أربعة أميال من لكهنؤ .

«درياباد» : بفتح الدال ، وسكون الراء المهملتين ، قريةٌ جامعةٌ بقرب «ردولي» .

«كاكوري» قريةٌ جامعةٌ على أربعة أميال من «لكهنؤ» .

«سنديله» بفتح السين وكسر الدال المهملتين ، بلدةٌ معروفةٌ بقرب «هردوئي» .

«فرنكي محل» كانت قصر تاجر «فرنكي» بمدينة لكهنؤ ، أعطاها عالم كير لأبناء الشيخ قطب الدين السهالوي ، فسكنوا بها ، وجعلوا بها مدارس العلم ، وهي في وسط المدينة .

صوبة بِهَارْ

يحدُّها من الشرق بنكاله ، ومن الغرب صوبة إله آباد وأوده ، والشمال والجنوب سلسلة الجبال ، طولها مئةٌ وعشرون ميلاً ، وعرضها مئةٌ وعشرة أميال ، ومجابيها (٣٨٠٧٣٠٠٠٠) دام ، وأنهارها المشهورة «كنك» و«سون» و«كرم ناسه» و«بُن بُن» وغيرها ، ومن قلاعها العظيمة قلعة «رهتاس» ، ولها سبعة «سركارات» ومئتان وأربعون عمالة ، أما «السركارات» فهي (١) بهار ، (٢) حاجي بور ، (٣) مونكير ، (٤) جمبارن ، (٥) سارن ، (٦) ترهت ، (٧) رهتاس .

وأشهر مدنها مدينة «بتـنه» بفتح الباء الفارسية وإسكان التاء الهندية ، ويقال لها «عظيم آباد» نسبة إلى عظيم الشأن بن شاه عالم بن عالم كير ، وهي على

الشمال الغربي من كلكته على نحو خمسة وثمانين ومئتي ميل ، وهي واقعةٌ على الضفة اليمنى من «كنك» في عرض ٢٣ ، ٢٥ شمالاً ، وطول ١١ ، ٨٥ شرقاً ، ولها تجارةٌ واسعةٌ في ملح البارود ، والأفيون ، وغير ذلك .

«بكسر» بفتح الموحدة ، وسكون الكاف ، وفتح السين المهملة ، بلدةٌ فيما وراء النهر على مسيرة يومين من غازي بور .

«بهار[١]» بكسر الموحدة وإهمال الراء ، كانت بلدةً كبيرةً عامرةً في الجاهلية والإسلام ، وكانت قصبة تلك البلاد في القديم ، واليوم بلدةٌ صغيرةٌ من توابع عظيم آباد ، وفيها قبر الشيخ أحمد بن يحيى المنيري .

«منير[٢]» بفتح الميم وكسر النون ، قريةٌ جامعةٌ من توابع «بهار» ، يسكن بها العلماء والأشراف .

«بهلواري» بضم الباء الفارسية ، وسكون الهاء المختفية ، وإسكان اللام بعدها واو ، فراءٌ مهملةٌ ، ومثناةٌ تحتيةٌ ، قريةٌ جامعةٌ من توابع عظيم آباد .

«راجكير» أرضٌ مستويةٌ واسعةٌ على قلّة الجبل ، فيها عينٌ حاميةٌ ، وهي طيبة الماء والهواء ، سكن بها أحمد بن يحيى المنيري زماناً .

«مونكير» بضم الميم وكسر الكاف الفارسية ، بلدةٌ معروفةٌ على شاطىء نهر «كنك» ولها شهرة في أعمال خشب الآبنوس والعاج .

«بها كلبور» بلدة معروفة يسكن بها العلماء والأشراف .

«كيا» بفتح الكاف الفارسية والتحتية ، بعدها ألف ، هي من أشهر مدن الهند ، فيها معبدٌ عظيم للبوذيين .

«شاه آباد» بلدةٌ عامرةٌ على مسافة خمسة ومئة ميل من دهلي .

«حاجي بور» مدينةٌ معروفةٌ ، مصّرها الحاج إلياس المعروف بشمس الدين

---

(١) وهي معروفة الآن : «بهار شريف» .

(٢) وقد ضبطها بعض القدماء من المؤرخين واللغويين بفتح الميم وإسكان النون وفتح الياء وإسكان الراء ـ الندوي .

بهنكره في القرن الثامن من الهجرة ، ولها شهرةٌ في كثرة الفواكه من الأنبج ، وغيره .

«سهسرام» بلدةٌ معروفةٌ كان يسكن بها شير شاه السوري .

«مظفر بور» بلدةٌ معروفةٌ بكثرة الفواكه الطيبة مثل الأنبج وغيره .

صوبة بِنْگَالَهْ

يحدُّها من الشرق سلسلة الجبال ، ومن الغرب صوبة بهار ، ومن الشمال أيضاً سلسلة الجبال ، ومن الجنوب البحر ، طولها أربعمئة ميل ، وعرضها مئتا ميل ، ولها اثنا عشر «سركاراً» ، وألف ومئة وتسع عمالات ، ومجابيها (٣٨٠٧٣٠٠٠٠) دام ، و(سركاراتها) هي (١) جنّت آباد ، (٢) بكلا ، (٣) كهورّاكهات ، (٤) باربكا آباد ، (٥) باروها ، (٦) سناركاؤن ، (٧) سلهت ، (٨)جانكاؤن ، (٩) شريف آباد ، (١٠) ساتكاؤن ، (١١) مدارن ، (١٢) محمود آباد .

وأشهر مدنها في القديم مدينة «لكهنوتي» ، كانت مدينةً كبيرةً في الجاهلية والإسلام ، بها قلعةٌ عالية السور والبناء ، وكانت قصبة بلاد بنكاله في القديم ، ويسمُّونها «كورو» سماها همايون بن بابرشاه التيموري «جنّت آباد» ، وهي على عشرة أميال من «مالده» ، واليوم لا تعلم ، ولا تذكر .

«سناركاؤن» بضم السين المهملة ، وفتح النون بعدها ألف وراءٌ مهملةٌ ، كانت بلدةً كبيرةً في الجاهلية والإسلام ، تصنع بها الثياب الرفيعة ، يسمُّونها «خاصه» ، وهي اليوم قريةٌ صغيرةٌ من أعمال «دهاكه» لا تعلم ولا تذكر .

«باربكاباد» كانت بلدةً كبيرةً ، مصَّرها «باربك شاه» ، وبها تصنع الثياب الرفيعة ، يسمونها «كنكاجل» وتحمل منها «كيولا» بكسر الكاف ، صنف لطيف من النارنج .

«سلهت» بكسر السين المهملة ، وإسكان اللام ، وفتح الهاء والتاء الهندية ، بلدةٌ معروفةٌ في القديم والحديث على بضعة وثلاثمئة ميل من «كلكته» ، تحمل منها «سنكتره» صنف من النارنج ، وهي فيِّ غاية الحلاوة ، ومنها تشم رائحة

الكادي ، ويحمل من جبالها العود القماري ، والخشب الصيني ، وأكثر العقاقير النافعة .

«شريف آباد» كانت في الإسلام بلدةً ، اشتهر بقرها ببياض اللون والقَّوة على الحمل .

«ساتكاؤن» كانت بلدةً في القديم على ساحل البحر على نصف ميل من بندر «هوكلي» .

«مداران» كان فيه معدن الألماس في القديم .

«ديناجبور» مدينةٌ مشهورةٌ تبعد عن «كلكته» مئتين وعشرة أميال ، وفي وسط المدينة فسحةٌ كبيرةٌ محاطةٌ بالدكاكين ، وبها جامع واحد بسيط الهندسة .

«بردوان» مدينةٌ واقعةٌ على الضفة اليسرى من نهر «دموده» على مسافة ثمانية وخمسين ميلاً من «كلكته» إلى الشمال الغربي ، فيها بيوتٌ متراكمةٌ حقيرةٌ ، مبنية من الطين ، يتخلَّلها بيوتٌ قليلةٌ ظريفةٌ تحيط بها حدائق .

«رنكبور» أول بلدة مصّرها محمد بن بختيار الخلجي الفاتح بأرض «بنكاله» وبنى بها المدارس والجوامع ، وهي على مئتين وأربعين ميلاً من «كلكته» .

«مالده» بلدةٌ مشهورةٌ على مئة وثمانين ميلاً من «كلكته» .

«مرشد آباد» بلدةٌ معروفةٌ ، مصَّرها مرشد قلي خان في أيام عالم كير على نهر «بهاكيرتي» ، وجعلها دار الملك ، وهي على مئة وعشرين ميلاً من «كلكته» .

«جانكاؤن» بالجيم المعقودة ، والألف ، والتاء الهندية ، والكاف الفارسية ، والنون ، ويسمونها «جانكام» بالميم ، ويقال لها «إسلام آباد» بلدةٌ كبيرةٌ على شاطىء البحر ، لها تجارةٌ واسعةٌ من سالف العهد إلى هذا العصر ، وهي على ثلاثمئة ميل من «كلكته» .

«دهاكه» بفتح الدال الهندية ، يقال لها «جهانكير نكر» ، كانت من أحسن مدن «بنكاله» في القديم ، تصنع بها الثياب الرفيعة يسمونها «جامداني» ، ومنها تجلب إلى غيرها من البلاد ، وهي على مئة وثمانين ميلاً من «كلكته» .

«كلكته» مدينةٌ حديثة العهد مصَّرها الإنكليز على نهر «هوكلي» ، حيث

الطول الشرقي ٢٨ درجة و٨٨ دقيقة ، والعرض الشمالي ٢٢ درجة و٣٣ دقيقة ، وبينها وبين البحر مئة ميل ، فجعلوها قصبة بلاد الهند ، يسكن بها الحاكم العام للهند من قبل إنكلترا منذ مئة سنة ، وفي سنة ١٣٣٠ هـ = ١٩١١ م قدم جورج الخامس ملك الجزائر البريطانية للتتويج إلى دهلي ، فأمر بأن ينقل مركز الحكومة من «كلكته» إلى دهلي ، فانتقل نائبه «لورد هاردنك» من ذاك إلى هذا ، ولها تجارةٌ واسعةٌ براً وبحراً ، وهي أكبر مدن الهند في هذا العصر .

صوبة أُرَيْسَهْ

طولها مئة وعشرون ميلاً ، وعرضها مئة ميل ، ولها أحد عشر «سركاراً» ، واثنتان وثلاثون ومئتا عمالة ، ومجابيها (٤٠٤١٠٥٠٠٠) دام .

وأشهر مدنها «كنك» بفتح الكاف الأولى وسكون الثانية بينهما تاء هندية ، بها قلعةٌ حصينةٌ من أمنع قلاعهم بتلك البلاد .

«بوري» بضم الباء الفارسية ، مدينةٌ عامرةٌ على ساحل البحر المالح ، وبها معبدهم ، يسمونه «جكنّاته» .

«جكناته» هي من أعظم كنائس الهنادك ، فيها تمثال «كرشنا» وأخيه وأخته ، من عود الصندل ، يحجُّونها كلَّ سنة ، ويخرجون التماثيل من الكنيسة فيركبونها على عربة كبيرة ، ويدورون بها في حَفلة عظيمة .

صوبة أوْرَنْكَ آباد

يحدُّها من الشرق صوبة «بدر» ، ومن الغرب «جالنه» ، ومن الشمال «برهان بور» ، ومن الجنوب «بيجابور» ، طولها مئةٌ وخمسون ميلاً ، وعرضها مئة ميل ، ولها ثمانية «سركارات» ، وثمانون عمالة ومجابيها (٥١٦٢٨٠٠٠٠) دام .

وأشهر مدنها «أورنك آباد» مدينةٌ حسنةٌ في ١٣ ، ١٣ من الطول الشرقي ، و٥٤ ، ١٩ من العرض الشمالي على ملتقى طرق كثيرة ، ويحيط بها منطقة من جبال ، والمياه كثيرةٌ فيها ، وكانت من المدن العظيمة ذات قصور ، وجوامع فاخرة ، وأسواق عديدة ، وتصنع بها الثياب الفاخرة ، يسمُّونها همرو ، تجلب

إلى حيدر آباد وإلى غيرها من البلاد ، وكانت مكانها قرية «كهركي» بكسر الكاف ، كبَّرها عنبر الحبشي ، وبنى بها الأبنية الفاخرة ، ثم مصَّرها عالم كير سنة ١٠٦٨ هـ ، وسماها باسمه ، وعلى نحو ستة أميال منها قبره «بُحلد آباد».

«دولت آباد» كانت مدينةً ضخمةً عظيمة الشأن ، موازيةً لحضرة دهلي في رفعة قدرها ، واتساع خطتها ، وكانت منقسمةً على ثلاثة أقسام ، أحدها : «دولت آباد» ، وبها سكنى للسلاطين الخلجية والتغلقية وعساكرهم ، والثاني : «الكتكة» بفتح الكافين والتاء المعلوة بينهما ، والقسم الثالث : القلعة التي لا نظير لها في الحصانة ، وتسمَّى «ديو كير» بكسر الدال المهملة وسكون الياء والواو مدين ، وكسر الكاف الفارسية ، وسكون التحتية ، والراء المهملة ، وتلك القلعة على جبل ، ارتفاعه خمسمئة قدم ، منها خمسون ومئة قدم عمودية تقريباً ، ويدخل إليها من مدخل ضيق منحوت في الصخر ، وهي من أبنية الهنادك ، فتحها علاء الدين الخلجي ، صلحاً سنة ٧٠٢ هـ ، ثم فتحها قطب الدين بن علاء الدين المذكور عنوةً سنة ٧١٨ هـ ، ولم يبق من تلك الأقسام اليوم إلا القلعة.

«أحمد نكر» مدينةٌ ذات أسواق مليحة ، وبساتين طيبة ، تبعد عن «بونا» سبعين ميلاً إلى الشمال الشرقيّ ، مصَّرها نظام الملكُ أحمد بن الحسن البحري ، وتوارثها نسله من بعده.

«جنير» بفتح الجيم ، وكسر النون ، وإسكان التحتية ، والراء المهملة ، بلدةٌ عامرةٌ ، كانت قصبة البلاد مدّةً من الزمان.

«ستارا» بكسر السين المهملة ، كانت قلعةً حصينةً متينةً ، بناها إبراهيم عادل شاه البيجابوري.

«بونا» بضم الباء الهندية ، بلدةٌ كبيرةٌ طيبة الماء والهواء ، كانت قصبة البلاد في أيام «مرهته».

«بير» بكسر الموحدة وسكون التحتية والراء الهندية ، مدينةٌ عامرةٌ من بلاد الدَّكن.

«جالنه» مدينةٌ عامرةٌ ، كانت لها شهرةٌ في القديم.

«شولابور» بضم الشين المعجمة ، مدينةٌ عامرةٌ ، كانت لها شهرةٌ في أيام حكم «مرهته» .

«الروضة» مقبرةٌ عظيمةٌ بقرب «دولت آباد» ، فيها ضريح الشيخ برهان الدين الغريب ، وجمع من العلماء والمشايخ .

«خلد آباد» على ستة أميال من «أورنك آباد» فيها ضريح السلطان أورنك زيب عالم كير رحمه الله .

«إيلوره» بكسر الهمزة وسكون الياء التحتية ، مدينةٌ صغيرةٌ في ولاية «دكن» على مسافة ثلاثة عشر ميلاً من أورنك آباد إلى الشمال الغربي ، وهي مشهورةٌ بهياكلها المغارية المحفورة في سفح أكمة هلالية الشكل ، مؤلفة من الحجر الجنوبي الأحمر ، والحجر البازلتي الأسود والأشهب ، وهي على نحو ميل من المدينة، تبلغ مساحة الأرض المحفورة فيها ميلاً وربعاً ، وفيها هياكل مخصوصةٌ لعظماء الهنادك ، وعمق أكثر تلك الهياكل نحو مئة قدم ، وقد خصَّ أكثر من عشرين منها بشيوا ، واثنان بترتمورتي ، أو ثانوت البرهمي ، وجميعها مزينة بتماثيل كبيرة ومحفورات شتى، وأكبرها الهيكل المعروف بكيلاسا أو الفردوس ، وهو مختصٌ بشيوا ، يرمز به إلى بلاط ذلك المعبود حيث يقبل من أتباعه من تخلص بعد الموت من التقمُّص، فيتمتعون بسعادة أبدية ، وليس هذا الهيكل كغيره من الهياكل ممتداً تحت الأرض ، بل هو مرتفع في تجويف عمقه أربعمئة وواحد من الأقدام ، وعرضه خمسٌ وثمانون ومئة قدم ، وهو مؤلف من رواقٍ ومعبدٍ ، وبيت للأصنام كبير ، أما الرواق فقائم على أسوار ، وعليه محفوراتٌ مستغربةٌ ، ويحيط بالمعبد سلتان حفرهما متقن ، طول كلٍّ منها أحد وأربعون قدماً ، ومحيطها أحد عشر قدماً ، وفيلان كبيران يعضدانه ، واجهاته كلها مزينة بالتماثيل ، وأما البيت فقائم في وسط الباية ، وارتفاعه مئة قدم ، ويحيط به من الخارج سورٌ ومحفوراتٌ ميسولوجية من الأسود، والنمور، والفيلة، والحيوانات المستغربة من كلِّ الأنواع، وداخل البيت تمثال اثنين وسبعين معبوداً من معبودات الهنادك ، كلٌّ منها رأس جماعة ، ويوجد وراء ذلك الهيكل هياكل أخرى دونه في الحجم ، فهذه الأبنية العظيمة قديمة العهد جداً ، لا يعرف الزمان الذي أنشأت فيه .

صوبة بَرَارْ

يحدّها من الشرق نهر «وردا» ، ومن الغرب «خانديس» ، ومن الجنوب «وان كنكا» ومن الشمال نهر «تابتي» طولها مئتا ميل ، وعرضها ثمانون ومئة ميل ، ولها عشرة «سركارات» ومئتا عمالة ، ومجابيها (٦٠٧٢٧٢٠٠٠) دام .

وأشهر مدنها «إيلجبور» مدينةٌ كبيرةٌ فيها أبنيةٌ فاخرةٌ للسلاطين البهمنية .

«كاويل» قلعةٌ حصينةٌ من أبنية أحمد شاه البهمني ، وكانت قصبة بلاد «برار» في أيام العماد شاهية ، وبها عين تصقل بها الأسلحة .

«ملكابور» كانت مدينةً حسنة ، مصّرها الملك عنبر الحبشي .

«نظام آباد» بلدة في «بالاكهات» مصّرها نظام الملك قمر الدين خان سنة ١١٤١ هـ .

«شكر كهرله» فيها مسجد من الحجارة السود المنحوتة ، ومن ورائها بركةٌ كبيرةٌ ، إذا كانت تيبس تكون ملح النطرون ، تحصل من مجابيها مئة ألف في كل سنة .

«نرناله» كانت قلعةً حصينةً على قلة الجبل ، وفيها أبنيةٌ فاخرةٌ للسلاطين .

«بيراكد» كان فيها معدن الألماس ، وتصنع بها الثياب الرفيعة .

«بالابور» كانت بلدةً كبيرةً في القديم .

«شاه بور» كانت بلدةً على ستة أميال من بالابور ، مصّرها مراد بن أكبر شاه التيموري .

«ماهور» بلدةٌ بها قلعةٌ حصينةٌ على قلة جبل .

صوبة خَانْدَيْس

يحدُّها من الشرق برار ، ومن الغرب والشمال «مالوه» ، ومن الجنوب «جالنه» ، طولها خمسة وسبعون ميلاً ، وعرضها خمسون ميلاً ، ولها ستة «سركارات» ، وثلاث عشرة ومئة عمالة ، ومجابيها (٣٦٩٠٧٠٠٠٠) دام .

وأشهر أنهارها «تابتي» و«بالي» ، وأشهر مدنها «برهان بور» مدينةٌ كبيرةٌ ذات

جوامع ، ومساجد ، وبساتين طيبة ، مصَّرها نصير خان على نهر «تابتي» ، وسمَّاها باسم شيخه برهان الدين الغريب .

«آسير» بالمد ، قلعةٌ حصينةٌ على جبل شاهق ، بناها «آسا اهير» ، وفتحها نصير خان المذكور سنة ٩٠٢ هـ .

«بكلانه» كانت بقعةً صغيرةً بمقربة «خانديس» ، ذات غياض وآجام ، وقلاع حصينة ، كانت في أيدي الهنادك ، فتحها شاهجان الدَّهلوي ، وأضافها إلى «خانديس» .

صوبة أَجْمِيرْ

يحدُّها من الشرق صوبة أكبر آباد ، ومن الغرب «ديبالبور» ، ومن الشمال صوبة دهلي ، ومن الجنوب «كجرات» ، طولها من «ألانبير» إلى «جيسلمير» ثمان وستون ومئة ميل ، وعرضها مئةٌ وخمسون ميلاً ، ولها تسعة «سركارات» ، وثلاث وعشرون ومئة عمالة ، ومجابيها (٥٨٣٧٩٠٠٠٠) دام .

وأشهر مدنها «أجمير» بفتح الهمزة وإسكان الجيم وكسر الميم بعدها مثناةٌ تحتيةٌ ، وراء مهملة ، مدينةٌ قديمةٌ ذات أسوار مبنية بالحجارة ، ومداخلها جميلةٌ ، وبيوتها متسعةٌ ، تبعد عن دهلي (٢٧٨) ثمانيَة وسبعين ومئتي ميل ، وفيها ضريح الشيخ معين الدين حسن السجزي رحمه الله .

«ناكور» بالنون المفتوحة ، والألف ، والكاف الفارسية ، والواو ، والراء المهملة ، كانت بلدةً كبيرةً حسنة الأسواق ، بنى بها محمد باهليم أحد ولاة الهند في عهد بهرام شاه الغزنوي قلعةً حصينةً في جبال «سوالك» .

«أوديبور» مدينة عامرة في «ميوار» إلى الجنوب الغربي من «أجمير» ، يسكن بها أمير تلك الناحية ، يقال له : «رانا» .

«جودهبور» بلدةٌ عامرةٌ على بعد ثلاثمئة ميل من دهلي إلى الجنوب الغربي ، وهي قاعدة بلاد «ماروار» ، يسكن بها أمير تلك الناحية ، وأهمُّ مصنوعاتها العاج ، والآنية .

«جيبور» بفتح الجيم ، بلدةٌ كبيرةٌ ، مليحة الأسواق ، حسنة الأبنية بناها

«راجه جَي سنكه» على بعد سبعين ومئة ميل من دهلي ، وهي أظرف مدن الهند ، وأزقتها الكبرى تتقاطع بزوايا قائمة ، وكل قطع منها يتألف منه سوق ، وتقطعها أزقةٌ أصغر من الأولى ، وأواسط المدينة يشغلها المقام الملكي ، ومن الأبنية العمومية المشهورة فيها المرصد الكبير ، والترسانة .

«رطوك» ويقال لها : محمد آباد ، مدينةٌ عامرةٌ على نهر «بناس» أنشأ بها نواب ميرخان إمارة ، وهي مقام أولاده .

«بوندي» مدينة واقعة في واد ، تحيط به جبال على بعد ٢٤٥ ميلاً من دهلي ، يسكن بها أمير تلك الناحية من قبيلة «هاده» .

صوبة لاهَوْر

يحدُّها من الشرق دهلي ، ومن الغرب ملتان ، ومن الشمال كشمير ، ومن الجنوب ديبالبور ، طولها ثمانون ومئة ميل ، وعرضها ستة وثمانون ميلاً ، ولها خمسة «سركارات» ، وست عشرة وثلاثمئة عمالة ، ومجابيها (٨٩٣٠٧٠٠٠٠) دام .

وأشهر مدنها «لاهور» ، وهي قصبة بلاد بنجاب على نهر يصب في نهر «السند» ، واقعةٌ على طريق القوافل بين الهند ، وأفغانستان ، وإيران ، وكانت مقام بعض ملوك الهند ، وفيها أبنيةٌ حسنةٌ ، وقلعةٌ حصينةٌ ، وبساتين طيبةٌ ، ولها شهرةٌ في كثرة الخلاف البري[١] .

«سيالكوت» بكسر السين المهملة ، والعرب يسمونها «سيلكوت» ، و«سلكوت» بفتح السين ، وهي على خمسة وستين ميلاً من لاهور ، ينسب إليها العلامة عبد الحكيم .

«نكركوت» كانوا يسمونها في القديم قلعة «بهيم» ، ويسمُّونها في الحديث «كانكره» كانت بلدةً كبيرةً على قلة الجبل ، وكانت بها قلعة حصينةٌ عالية البناء

---

(١) صنف من الصفصاف .

على جبل عال ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وهي على مئة وعشرين ميلاً من لاهور.

«جمّون» بفتح الجيم وتشديد الميم ، بلدةٌ كبيرة في أودية الجبال ، يشتو فيها ملك كشمير في هذا العصر.

«بتاله» بفتح الموحدة والتاء الهندية ، بلدةٌ ذات أسواق ، وأبنيةٌ عاليةٌ.

«قاديان» مدينة صغيرة من أعمال «بتاله» ، ينسب إليها مرزا غلام أحمد المتنبّي.

«قصور» مدينةٌ حسنةٌ ، ذات أسواق وبساتين ، بمقربة لاهور.

«كلانور» مدينةٌ طيبةٌ ذات أسواق وبساتين.

«بهلُّور» بضم الباء الهندية وسكون الهاء المخفاة وتشديد اللام ، مدينةٌ بها قلعةٌ متينة.

«جالندهر» مدينةٌ كبيرةٌ ذات أسواقٍ وبساتين ، على ثمانين ميلاً من لاهور.

«هوشياربور» مدينةٌ ذات حدائق ، وأبنية عالية.

«أمرت سر» بفتح الهمزة ، ويقال لها «عنبرسر» ، وهي مدينةٌ حسنةٌ من أحسن المدن وأتقنها ، وأكثرها عمارةً ، لها أسواقٌ حسنةٌ ، وبساتين طيبةٌ ، اشتبكت حولها أشجار الفواكه والرياحين ، تبعد عن لاهور ستة وثلاثين ميلاً إلى الشرق ، وهي أكبر المراكز لقوم طوال الشعور ، يقال لهم «السكه» ، وفيها كتاب وضعه كبيرهم «كرونانك» ، ويسمونه «كرنته» ، ولها هيكل مخصوص في وسط البلد.

«فيروزبور» بلدةٌ كبيرةٌ مصَّرها فيروز شاه على ستة وأربعين ميلاً من لاهور.

صوبة كَشْمِير

تحدُّها سلسلة الجبال من جهاتها الأربع ، فمن جهة الشرق تنتهي إلى حدود «التبت» الصغير ، ومن جهة الغرب إلى مساكن الأفغانيين ، ومن جهة الشمال إلى «خراسان» ، ومن جهة الجنوب إلى «بنجاب» ، وأرضها سهلٌ مستوٍ ،

www.abulhasanalinadwi.org

مساحته من الشرق إلى الغرب نحو أربعين فرسخاً ، وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو عشرين فرسخاً ، ولها شهرةٌ في كثرة الفواكه والرياحين ، كالجوز ، واللوز ، والأعناب ، والرمان ، والتفاح ، والسفرجل ، والخوخ ، والنيشوق ، والموز ، والتين ، والتوت ، والعناب ، إلى غير ذلك من الفواكه والرياحين الطيبة : البنفسج ، والزعفران ، والنرجس ، والسوسن ، والسنبل ، والزنبق ، والياسمين وغيرها .

وأهم مصنوعاتها الشيلان المصنوعة من زغب المعزة ، الذي ينبت عند أصول شعره في أيام البرد ، ويتنسل منه في أيام الحر ، ومن مصنوعاتها القرطاس الجيد ، والمصنوعات من القرطاس ، وتجليد الكتب وغير ذلك .

وأشهر مدنها «سري نكر» وهي قصبة بلاد كشمير المشهورة بجودة المصنوعات ، وبقربها بحيرةٌ حسنةٌ ، طولها ستة أميال .

«إسلام آباد» مدينة في كشمير على نهر «جيلم» نحو عشرين ميلاً من «سري نكر» إلى الجنوب الشرقي ، وبها تنسج الشيلان المشهورة .

«شاه آباد» بلدةٌ على مسافة أربعة عشر ميلاً من إسلام آباد إلى الجنوب الشرقي ، وهي مشهورة بطيب ثمارها .

«شوبيان» بلدةٌ على أربعة فراسخ من «سري نكر» يضرب بها المثل لعذوبة الماء ، ولطافة الهواء ، ونضارة الخضراء ، وسعة الأرجاء .

«بم بور» قريةٌ على أربعة أميال من «سري نكر» ، يحصل منها الزعفران .

صوبة مُلْتَان

طولها من «فيروزبور» إلى «سيوستان» ثلاثة وأربعمئة ميل ، وعرضها من «حط بور» إلى «جيسلمير» عشرون ومئة ميل ، وفيها ثلاثة «سركارات» ، وثمان وثمانون عمالة ، ومجابيها (١٥١٤٠٣٦١٩) دام ، وأما «سركاراتها» فهي (١) ملتان (٢) بهكّر ، (٣) ديبالبور .

وأشهر مدنها «ملتان» كانت قصبة تلك البلاد ، يصنع فيها كثير من أقمشة الحرير ، والبسط ، والطنافس ، والعرب يسمُّونها بيت الذهب كما تقدَّم .

«أُج» بضم الهمزة والجيم الفارسية ، كانت مدينةً على نهر السند ، لها أسواقٌ حسنةٌ ، وأبنيةٌ جيدةٌ.

«تلنبة» بضم الفوقية ، وفتح اللام ، وإسكان النون ، وفتح الباء ، وإسكان الهاء ، كانت قريةً من أعمال ملتان ، نشأ فيها الأجلاء[1]

«بكَّر» بفتح الموحدة وتشديد الكاف ، كانت مدينةً حسنةً ، يشقُّها خليج من نهر السند ، وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة ، وهذه المدينة حيث ما كانت المنصورة في القديم كما في «آئين أكبري» ، وهذه البلدة لم تكن في الجاهلية ، إنما حدثت في الإسلام ، قيل : إنَّ السيد محمد بن شجاع المكي قدمها في البكرة فقال : جعل الله بكرتي في البقعة المباركة! فسموها «بكَّر» فصار «بهكَّر» على أفواه الناس ، وكانت في الجاهلية مكانها قرية يسمونها «فرسته» ، كما في تحفة الكرام.

«سكَّهر» بتشديد الكاف ، كانت بلدةً كبيرةً على شاطىء نهر «لوهري» في جانب آخر من «بهكَّر».

«شكاربور» بكسر الشين المعجمة ، بلدةٌ حديثةٌ ، مصَّروها زمن الإسلام.

«بهاولبور» مدينةٌ حديثة العهد على بعد خمسين ميلاً من ملتان ، مصَّرها نواب بهاول خان الأول.

«سيوي» بكسر السين المهملة والواو ، كانت بلدةً كبيرةً في الجاهلية ، وكانت في حدود «خراسان» في أودية الجبال.

«ألور» كانت قصبة بلاد السند في الجاهلية على شاطىء نهر السند ، وكانت ذات أسواق وبساتين ، خربت في الإسلام ، وانتقل الناس منها إلى «بهكّر» ، وإلى غيرهاً من البلاد.

«دربيله» بضم الدال المهملة ، كانت قريةً من أعمال «بهكّر».

---

(١) كالشيخ عبد الله التلنبي ، وأخيه الشيخ عزيز الله التلنبي ـ الندوي.

صـوبـة تَـهْـتَـهْ

يحدُّها من الشرق «كجرات» ، ومن الغرب «مكران» ، ومن الجنوب البحر ، ومن الشمال «بهكَّر» ، طولها من «بهكَّر» إلى «مكران» سبعة وخمسون ومئتا ميل ، وعرضها من قرية «بدين» إلى «لاهري» مئة ميل ، ومجابيها (٦٦١٥٢٣٩٣) دام.

وأشهر مدنها «تهتَّه» بالتاءين الهنديتين ثانيتهما مشددة وآخر الحروف هاء ، كانت مدينةً حسنةَ الأسواق والأبنية ، مصَّرها جام نظام الدين في شهور سنة تسعمئة بوادي «مكلي» ، قيل إنه مشتق «تهت» اللفظ الهندي ، معناه الزحام.

«سيوستان» بكسر السين المهملة ، وياء مد ، وواو مفتوحة ، وسين مهملة مكسورة ، وتاء معلوة ، آخره نون ، كانت مدينةً كبيرةً ، خارجها صحراء ورمال ، لا شجر بها إلا شجر أم غيلان ، ولا يزرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ ، وفيها عين جارية على قلة الجبل ، يستشفي بها الأعلاَّء ، ويعبدها المشركون.

ولها ذكر في معجم البلدان للحموي ، بينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام.

«لاهري بندر» أشهر فرض البحر المحيط في أرض السند ، وكانت مشهورةً في القديم بديبل ، وهي فرضة تفضي إليها مياه لاهور وملتان ، فتصب في البحر ، وكانت مدينةً كبيرةً ، خربت بعد مرور الدهور ، فانتقل الناس منها إلى «دهاراجه بندر».

«حيدر آباد» بلدةٌ حديثةُ العهد ، وكانت مكانها في الجاهلية «نيرنكوٹ» لنيرون الهندي ، فتحها محمد بن القاسم الثقفي ، وكانت قلعتها من أحصن القلاع ، وقد خربت بعد مرور الدُّهور ، فبنى بها القلعة غلام شاه خان سنة ١١٨٢ هـ ، وسماها «حيدر آباد».

«كراجي» بكسر الكاف ، وإهمال الراء ، بعدها ألفٌ ، فجيمٌ فارسيةٌ مكسورةٌ ، وياءٌ تحتية ، وهي أشهر فرض الهند ، كما كانت في القديم «ديبل» أو «لاهري».

«أمر كوٹ» كانت بلدةً كبيرةً على مسافة تسعين ميلاً من حيدر آباد ، وقد

اشتهرت بولادة أكبر شاه التيموري فيها.

«كاهان» قريةٌ مشهورةٌ من أعمال «سيوستان».

«باتر» قريةٌ مشهورةٌ من أعمال «سيوستان».

«تلهتی» قريةٌ من أعمال «سيوستان».

«بوبكان» قريةٌ من أعمال «سيوستان».

«هاله كندي» قريةٌ من أعمال «سيوستان».

«راهوب» قريةٌ من أعمال «سيوستان».

صوبة كُجْرَاتْ

طولها اثنان وثلاثمئة ميل، وعرضها سبعون ومئتا ميل، ولها تسعة «سركارات»، وثمان وثمانون ومئة عمالة، وثلاث عشرة فرضة، ومجابيها (٥٨٣٧٩٠٠٠٠) دام.

وأشهر مدنها «كنباية» بفتح الكاف، وسكون النون، وفتح الموحدة، هي على خور من البحر، وهو شبه النهر، تدخله المراكب، وكانت من أحسن المدن في إتقان البناء وعمارة المساجد في القديم.

«سورت» هي على مصب نهر، يسمّى باسمها، وهي ذات سور محيط نحو ستة أميال، وهذه المدينة من أقدم مدن الهند، لكن ليس عدد سكّانها في نموٍّ في هذه الأيام، وقلعتها كانت من أبنية خواجه صقر الرومي، بناها بأمر بهادر شاه الكجراتي.

«رانديرِ» ويسمونها «رانير»، كانت بلدةً كبيرةً في القديم، وهي اليوم صغيرةٌ من أعمال «سورت»، وكانت من أشهر الفرض في القديم.

«نوساري» كانت بلدةً كبيرةً يسكن بها كبير المجوس.

«بهروج» بفتح الموحدة وسكون الهاء والواو والجيم الفارسية، هي من أقدم مدن الهند البحرية، وأكبرها وأطيبها، يجلب منها النيل، واللك في سالف الزمان، وقد ضبط الحموي في «معجم البلدان» «بروج» بفتح الموحدة والجيم، و«بروص» بالصاد المهملة.

«سومنات» كانت بلدةً كبيرةً على ساحل البحر ، وكانت بها كنيسةٌ عظيمةٌ ، فتحها محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وكسر الصنم ، وقصته مشهورة .

«جونا كده» بلدةٌ عامرةٌ في وادي جبل «كرنار» ، وفيها قلعةٌ حصينةٌ ، كانوا يسمونها في الجاهلية : «كرنار» فبدَّلوه بجونا كده على اسم محمد شاه تغلق ، ثم مصَّر بها محمود شاه الكبير الكجراتي بلدة كبيرة سماها «مصطفى آباد» واليوم يسكن بها أمير تلك الناحية من الأفغانيين .

«بروده» بفتح الموحدة والراء الهندية ، وكانوا يسمونها في القديم «برودره» ، واليوم بلدةٌ كبيرة بأيدي «مرهته» تحت سلطة الإنكليز ، يسكن بها «كانكوار» وهو لقب أمرائها .

«أحمد آباد» مدينةٌ حسنةٌ على نهر «سابر» على بعد خمسين ميلاً ، إلى الشمال من خليج «كنباية» ، وكانت ذات سور عال ، وحصون قوية تمتدُّ إلى مدينة محمود آباد ، وكانت تشتمل في الإسلام على ستين وثلاثمئة محلة ، وكانت أجمل مدن الهند ، قد اشتهرت في تجارتها المتسعة الدائرة في النيل ، والقطن ، والأفيون ، والمصنوعات الذهبية والفضية ، والحريرية ، بناها أحمد شاه الكجراتي ، وزينها بأبنية فاخرة ، غير أنَّها الآن انحطت عما كانت عليه ، لأنَّ محيطها كان مع رساتيقها سبعة وعشرين ميلاً ، والآن لا يزيد عن ستة أميال ، وقيل : كان فيها ألف جامع ، لكل واحد منها منارتان ، وكان أعظمها جامع أحمد شاه ، وعلى نحو خمسة أميال من أحمد آباد مسجد على صورة البيت الحرام في مكة المباركة ، وبقرب المدينة كثيرٌ من الحدائق ، ومواضع التنزه ، وتلك المدينة كانت قصبة بلاد «كجرات» في الدولة الإسلامية .

«محمود آباد» كانت مدينةً كبيرةً في الإسلام على اثني عشر ميلاً من أحمد آباد ، مصَّرها محمود شاه الكبير ، ثم بنى بها محمود شاه الصغير الأبنية الرفيعة ، والبساتين الطيبة ، وجعلها دار ملكه .

«جانبانير» كانت قلعةً حصينةً من أمتع قلاع الهند على قلة الجبل ، فتحها محمود شاه الكبير ، مصَّر تحتها بلدةً كبيرة سماها محمد آباد ، وجعلها دار ملكه .

«نهرواله» بفتح النون ، وإسكان الهاء وفتح الراء المهملة بعدها واو وألف ولام مفتوحة قبل الهاء ، بلدةٌ قديمةٌ في الجاهلية يسمُّونها «أنهل واره» ويسمونها «فتَّن» بفتح الفاء وتشديد الفوقية ، وأصله «بتن» بالباء والتاء الهنديتين ، ينسب إليها محمد بن طاهر ، صاحب «مجمع البحار» .

«ديو» مدينة مشهورة على ساحل البحر ، وأرضها لا تصلح للزراعة ، ومياهها ملحةٌ ، والمدينة حصينةٌ واقعةٌ في طرف الجزيرة الشرقي ، وميناها جيد ، كانت مشهورةً في القديم «بهيكل جميل» هدمه السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وهي اليوم في يد أهل «برتكال» تغلبوا عليها سنة ٩٧٣ هـ بعدما قتلوا بهادر شاه الكجراتي غيلةً .

صوبة مَالْوَهْ[1]

يحدُّها من الشرق «باندهو» ، ومن الغرب «كجرات» و«أجمير» ، ومن الشمال «برور» ومن الجنوب «بكلانه» طولها خمسةٌ وأربعون ومئتا ميل ، وعرضها ثلاثون ومئتا ميل ، وأشهر أنهارها «نربده» ولها اثنا عشر «سركاراً» ، وستون وثلاثمئة عمالة ، وهي بلاد القمح ، والأفيون ، وقصب السكر ، والبطيخ ، والأنبج ، والأعناب ، ومجابيها (٢٤٠٦٩٥٠٥٢) دام .

وأشهر مدنها «أجين» بضم الهمزة وفتح الجيم ، وياء ونون ، كانت مدينةً حسنةً ، كثيرة العمارة في سهل متَّسع على ضفة نهر «سليسرا» ، وكانت مساحتها أوسع مما هي الآن ، شاهد ذلك الآجر الذي يستخرجونه من الأرض على مسافة أميال من المدينة ، وفيها سوقٌ واسعٌ مستقيمٌ ، مرصوفٌ بالبلاط رصفاً متقناً ، وفيها هياكل لعظماء الهنادك ، ومدرسةٌ شهيرةٌ ، ومرصدٌ جميلٌ للهنديين ، يمر به خط نصف النهار على رأي الجغرافيين منهم ، وكانت قصبة البلاد في الجاهلية ، ينسب إليها «بكرماجيت» الذي تنسب إليه السنون البكرمية .

---

(١) اندمجت هذه الولاية في ولاية جديدة سميت بـ «مدهيه برديش» يعني البلاد المتوسطة ، وضمت إليها أجزاء من مقاطعات متاخمة لها ، وأصبحت بذلك كبرى ولايات الهند مساحة ـ الندوي .

«جنديري» بفتح الجيم المعقودة ، وسكون النون ، وكسر الدال المهملة ، وياء مد ، كانت مدينةً عظيمةً من مدن «مالوه» ، تصنع بها الثياب الرفيعة ، وتجلب إلى دهلي وغيرها ، ولها أسواقٌ حافلةٌ ، يسكن بها أمير من أمراء الإسلام ، وهي اليوم قريةٌ في أيدي «مرهته» لا تعلم ، ولا تذكر .

«مندو» بفتح الميم ، وضم الدال المهملة ، والواو ، وكانت مدينة كبيرةً ، لها قلعةٌ في غاية الحصانة ، بناها «هوشنك شاه» الغوري ، ويسكن بها ملوك «مالوه» وهي اليوم لا تعلم ، ولا تذكر .

«سرونج» بكسر السين وفتح الراء المهملتين ، كانت بلدةً كبيرةً في القديم ، وهي اليوم عمالة من أعمال «طوك» .

«بهيلسه» كانت مدينة كبيرة وبها حصن حصين، فتحها شمس الدين بن إيلتمش، وكانت قصبة البلاد في ذلك العصر، وهي اليوم قرية من أعمال «أجين» .

«رائسين» قلعةٌ حصينةٌ متينةٌ من أعمال «بهوبال» ، وكانت قاعدة الملك في القديم ، فتحها شير شاه السوري .

«آسته» كانت بلدةً عامرةً في الجاهلية والإسلام ، وهي اليوم قريةٌ من أعمال «بهوبال» .

«دهار» بفتح الدال المهملة ، والهاء المختفية ، بعدها ألف ، وراء مهملة ، كانت بلدةً كبيرةً من بلاد «مالوه» على أربعة وعشرين يوماً من دهلي ، وكانت من أقدم بلاد الهند ، يسكن بها «راجه بهوج» عظيم المشركين .

«سارنكبور» كانت بلدةً كبيرةً من بلاد «مالوه» مصَّرها الشيخ «سارنك» رحمه الله ، الذي كان من كبار الأمراء في عهد فيروز شاه الدَّهلوي ، ثم ترك الدنيا وأسبابها ، أما اليوم فهي قريةٌ جامعةٌ .

«بهوبال» بضم الباء الفارسية وسكون الهاء والواو وفتح الباء الهندية ، بلدةٌ كبيرةٌ ذات أسواق ، وجوامع وحدائق ، يسكن بها أمير تلك الناحية ، وفيه قال مولانا صدِّيق حسَن القنوجي :

وصلت حمى بهوبال يا نفس فانزلي ... فقد نلت مأمول الفؤاد المعوَّل

صوبة بَيْجَابُوْر

يحدُّها من الشرق «كلبركه» ، ومن الغرب ومن الجنوب البحر ، ومن الشمال صوبة أورنك آباد ، ولها ثمانية «سركارات» ، وخمسٌ وثمانون عمالة ، ومجابيها (١٠٦٤٩٠٣١٧) دام.

وأشهر مدنها «بيجابور» كانت قرية في القديم ، مصَّرها يوسف عادل شاه ، وبنى قلعةً حصينةً سنة ٩٠٠ هـ ، ثم سكن بها ، وتوارثها نسله من بعد ، وفيها قبةٌ عظيمةٌ فيها قبر محمد عادل شاه ، وهي قبةٌ عظيمةٌ جدًّا ، وهي آيةٌ في الهندسة والفنِّ المعماري.

«كلبركه» بضم الكاف الفارسية ، وسكون اللام؛ وفتح الموحدة ، وسكون الراء المهملة ، وفتح الكاف الفارسية بعدها هاء ، مدينةٌ قديمةٌ ، جعلها علاء الدين حسن البهمني دار ملكه ، وسمَّاها حسن آباد ، وفيها ضريح السيد محمد بن يوسف الحسيني الدَّهلوي رحمه الله.

«نلدرك» بفتح النون ، وإسكان اللام ، وضم الدال المهملة ، قلعةٌ عالية السور والبناء ، وكانت من أبنية «راجه نل».

«شاه درك» قلعةٌ حصينةٌ بمقربة «نلدرك» من أبنية علي عادل شاه البيجابوري.

«بيجانكر» كانت مدينةً كبيرةً في الجاهلية ، يسكن بها سلطان المعبر ومليبار ، وكانت ذات أسواق وأبنية فاخرة ، لها سبعة حصون من الحجارة متداخلة بعضها في بعض. وكان السلطان يسكن في الحصن السابع ، وكانت فيها أنهارٌ وأسواقٌ وجسورٌ ، أغار عليها محمد شاه البهمني غير مرَّة ، وولده مجاهد شاه ، ثم اتفق حسن بن أحمد نظام شاه ، وعلي عادل شاهً ، وبريد شاه ، فساروا إلى «بيجانكر» ، وقتلوا الناس ، وخربوا البلدة ، وهدموا الكنائس ، وكسروا الأصنام ، فصارت خاويةً على عروشها سنة ٩٧٢ هـ ، فلا تعلم ، ولا تذكر.

صوبة بِدَرْ

يحدُّها من الشرق «تلنكانه» ، ومن الغرب «أورنك آباد» ، ومن الشمال

«خانديس» ، ومن الجنوب «كلبركه» ، وطولها مئة وخمسة وتسعون ميلاً ، وعرضها مئة وخمسة عشر ميلاً ، ولها ستة «سركارات» ومئة وسبعون عمالةً .

وأشهر مدنها «بدر» بكسر الموحدة وفتح الدال المهملة وإسكان الراء ، مصَّرها أحمد شاه البهمني ، وسمَّاها «أحمد آباد» ، ولما فتحها عالم كير بن شاهجهان الدهلوي بدَّل اسمها بمحمد آباد ، وكانت لأهلها اليد الطولى في صياغة الفضة ، والترصيع ، والتلميع ، ينسب إليها الأواني البدرية .

«نانديز» بفتح النون ، بعدها ألف ، ثم نون مختفية ، ثم دال مكسورة ، بلدةٌ عامرةٌ من أعمال بدر .

صوبة حَيْدَرْ آبَادْ

كانت تشتمل على بلاد «كرناتك» في أيام القطب شاهية ، ثم بعد ذلك في عهد عالم كير ، وكانت «سركاراتها» (١) محمد نكر ، (٢) ميدك ، (٣) كولاس ، (٤) ملنكور ، (٥) ايلكندل ، (٦) ورنكل ، (٧) كهمم مت ، (٨) ديور كنده ، (٩) بالكنده ، (١٠) مصطفى نكر ، (١١) بهونكير ، (١٢) اكن كرا ، (١٣) كوئل كنده ، (١٤) كهن بوره ، (١٥) مرتضى نكر ، (١٦) مجهلي بتن ، (١٧) نظام بتن ، (١٨) راج مندري ، (١٩) ويلور ، (٢٠) سريكاكول ، (٢١) معدن الألماس ، (٢٢) آركات .

وكانت مجابيها في عهد تانا شاه (٨٧٩٥١٩٦) هون ، و«هون» يعادل ثلاث ربيات ونصف إلا فلساً ، وبحسب الربية (٢٤٧٨٥٥٢٩) ربية وسبع آنات ، كما في «خورشيد جاهي» .

وأشهر مدنها «حيدر آباد» بلدةٌ كبيرةٌ مصَّرها محمد قلي قطب شاه ، ومن أبنية فيها «جارمينار» و«مكة مسجد» وغيرهما ، وكانت دار الملك في عهدهم ، وفي هذا العصر أيضاً عاصمة الدولة الآصفية .

«كلكنده» بضم الكاف الفارسية ، وإسكان اللام ، وضم الكاف ، وإسكان النون ، وفتح الدال الهندية ، حصنٌ حصينٌ على جبلٍ شاهق ، يسكن بها القطب شاهية .

«قندهار» قريةٌ جامعةٌ من أعمال حيدر آباد ، وهي غير «قندهار» التي في «أفغانستان» .

«ورنكل» بفتح الواو ، والراء المهملة ، وإسكان النون ، وفتح الكاف الفارسية ، وإسكان اللام ، كانت قصبة بلاد «دكن» في الجاهلية ، وفيها حصنٌ حصينٌ من أمنع قلاع الهند ، فتحها محمد شاه تغلق .

«ميدك» بكسر الميم ، كانت بها قلعةٌ حصينةٌ ، وكانت من أشهر مدن الهند في الجاهلية .

«آركات» كانت قصبة بلاد «كرناتك» في عهد آصف جاه الأول على خمس وستين ميلاً من مدراس .

«راجبندري» مدينةٌ كبيرةٌ تبعد عن مدراس إلى شمالي الشمال الشرقي ٢٨٠ ميلاً ، ويسمُّونها «راجمهندري» .

«ويلور» مدينةٌ عامرةٌ بقرب مدراس ، وهي بفتح الواو ، وسكون الياء التحتية ، وضم اللام ، وإسكان الواو ، بعدها راء مهملة .

«مجهلي بتن» بلدةٌ عامرةٌ على ساحل البحر ، يجلب منها الثياب الرفيعة إلى إيران ، أخذها الإنكليز من نظام الملك .

«ترجنا بلِّي» بكسر التاء الفوقية ، بلدةٌ كبيرة على نهر كاويري على مئة وتسعين ميلاً من مدراس .

«مرتضى نكر» ويسمونها «كنتور» بلدةٌ على مئتين وثلاثين ميلاً من مدراس .

«جينا بتن» ويسمونها «مدراس» .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الرابع
في تقسيم أرض الهند على الأملاك في العصر الحاضر

ثمَّ إنَّنا في النظر إلى بلاد الهند نقسمها على أربعة أقسام: الأول: أملاك «فرنسا» و«برتكال»، والثاني: أملاك الهنادك المستقلين في الحكومة، والثالث: أملاك أهل الهند من مسلم ووثني تحت سيادة الإنكليز، والرابع أملاك الإنكليز.

وقد علمت في الباب الأول من هذا الكتاب أنَّ معظم طول الهند ألف وسبعمئة ميل، ومعظم عرضها عشرون وستمئة ميل من الأميال الجغرافية، ومساحتها نحو ألف ألف وثلاثمئة واثنتين وثمانين ألفاً وستمئة وأربعة وعشرين ميلاً مربعاً جغرافياً (١٣٨٢٦٢٤).

(١) أملاك فرنسا وبرتكال[١]

أما أملاك «فرنسا» في أرض الهند، وهي تشتمل على «باندبجري»، وهي أكبر عمالتهم في جنوب مدراس، و«جندرنكر»، وهي في «بنكاله» على بضعة أميال من كلكته، و«يناون» و«كاريكال»، وما هي قريباً من الرأس الجنوبي.

وأما «برتكال» فأملاكها تشتمل على «بندركووه»، وهي على ساحل البحر الغربي، و«ديمن» في شمال بمبِّي، و«ديو» جزيرة صغيرة لهم على ساحل «كاتهياوار».

أما مجموع أملاكها فهي (١٨٠٠) ميل مربع[٢]

---

(١) وقد ضمَّ هذا القسم إلى حكومة الهند، فلم تبق للفرنسيين أملاك يتمتعون فيها باستقلال، أو حكم ذاتي.

(٢) وقد ضمت الجمهورية الهندية «كووه» وما كانت تحت حكم البرتكاليين إلى نفسها، وانتهى الحكم البرتكالي سنة ١٩٦١ م.

(٢) أمـلاك الهنـادك المستقلين بالحكومـة

للهنادك المستقلين بالحكومة مملكتان :

(١) «نيبال[١]» ، كورة من أرض الهند في أودية الجبال من سلسلة جبال «همالية» ، يحدُّها من الشرق «بهوتان» ، ومن الجنوب «ترهت» و«كوركهبور» وأوده ، ومن الغرب «نهر كالي» ، ومن الشمال بلاد «التبِّت» ، مساحتها أربعة وخمسون ألف ميل مربع ، ومجابيها نحو خمسة عشر ألف ألف (١٥٠٠٠٠٠٠) تقريباً .

وأشهر مدنها : «كهَتماندّو» ، وهي دار ملكهم ، وأهلها «البراهمة» و«راجبوت» ، وهم طائفة من الوثنيين ، وعظيمهم من نسل «رانا» ملك «أوديبور» ، وهم مرتبطون بملك الصين ، وبلادهم لم تزل محفوظةً من غزوات المسلمين لضيق المسالك .

(٢) «بهوتان» كورة من أرض الهند في سلسلة جبال «همالية» ، تتصل في الجنوب من «كوج بهار» ، وهي ذات أنهار ، وسهول ، وجبال ، وأهلها عراض الوجوه ، قصار القامات ، ذوو النَّجدة والجلادة ، يضرب بهم المثل في الرمي والفروسية ، ويجلب من بلادهم الخيل الجياد ، يسمُّونها «ثانكن»[٢] .

(٣) أمـلاك أهـل الهند تحت سيادة الإنكليـز

أملاك أهل الهند من مسلم ووثني تحت سيادة الإنكليز كثيرة العدد ، مساحتها خمسا مساحة الهند كلِّها ، وعدد نفوس أهلها خمس أهل الهند كلهم ، وستقف على تفصيل ذلك في الجدولين :

---

(١) لا يخفى أن «نيبال» حكومة مستقلة الآن ، كبورما ، وسيلان ـ الندوي .

(٢) وهي الآن تتمتع باستقلال داخلي ، ولا تتبع الجمهورية الهندية إلا في الأمور الخارجية ، وتساعدها حكومة الهند مقَابل ذلك بنصف مليون ربية (٥٠٠٠٠٠) سنوياً ، وأسلحة للدفاع ـ النَّدوي .

ممالك المسلمين تحت سيادة الإنكليز

العدد	المملكة	مساحتها	مجابيها	العدد	المملكة	مساحتها	مجابيها
١	حيدر آباد	٨٣٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٩	رادهن بور	١١٥٠	٥٠٠٠٠٠٠
٢	بهاول بور	١٥٩١٨	٢٢٠٠٠٠٠	١٠	جاوره	٥٦٨	٧٩٩٣٠٠
٣	بهوبال	٦٧٦٤	٢٦٨٣٤٠٠	١١	كمباية	٣٥٠	٥٠٠٠٠٠
٤	خير بور	٦٠٥٠	١٥٠٠٠٠٠	١٢	بالا سنور	١٨٩	١٤٢٧٥٠
٥	جونا كده	٣٢٨٣	١٥٠٠٠٠٠	١٣	مالير كوثله	١٦٥	٥٠٠٠٠٠
٦	تونك	١١١٤	١٥٠٠٠٠	١٤	باوني	١٢٢	١٠٠٠٠٠
٧	رام بور	٩٤١	٣٠٠٠٠٠	١٥	سجين	٤٢	
٨	بالن بور	٣١٧٧	٤٥٠٠٠٠	١٦	جنجيره	٣٢٤	٥٠٠٠٠٠

ممالك الهنادك تحت سلطة الإنكليز

العدد	المملكة	مساحتها	مجابيها	العدد	المملكة	مساحتها	مجابيها
١	كشمير	٨٠٠٠٠	٤٧٠٠٠٠٠	٣٢	بانسواره	١٦٠٦	٣٠٠٠٠٠٠
٢	ميسور	٢٩٤٧٥	٢٤٠٠٠٠٠٠	٣٣	سروهي	١٩٦٤	٢٢٥٠٠٠
٣	كواليار	٢٥٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠	٣٤	جهابوا	١٣٣٦	٢٢٥٠٠٠
٤	بروده	٨٥٧٠	١٥٣٠٠٠٠٠	٣٥	كدهوال	٤١٨٠	١٥٠٠٠٠٠
٥	ثراونكور	٦٧٣٠	٧٨٤٨٠٠٠	٣٦	دونكربور	١٤٤٧	١٥٠٠٠٠٠
٦	اندور	٨٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	٣٧	دهار	١٧٧٥	١٠٠٠٠٠٠
٧	بتاليه	٥٤١٢	٦٦٠٠٠٠٠	٣٨	برواني	١١٧٨	٨٧٧٠٠٠
٨	جيبور	١٥٥٨٩	٤٧٥٠٠٠٠	٣٩	دهرم كدره	١١٦٧	٧٠٠٠٠٠٠
٩	جودهبور	٣٤٩٦٣	٣٥٨٥٠٠٠	٤٠	دهولبور	١١٥٥	٩٩٣٦٦٣
١٠	أوديبور	١٢٧٥٣	٣٨٠٠٠٠٠	٤١	جهتربور	١١١٨	٣٢٥٠٠
١١	كوثه	٥٦٨٤	٣٤٥٠٠٠٠	٤٢	سرمورناهن	١٠٤٧	٥١٢٠٠٠
١٢	الور	٣١٤١	٣٠٠٠٠٠٠	٤٣	بذوكونه	١٣٨٠	٧٠٠٠٠٠٠
١٣	بهرت بور	١٩٨٢	٣٦٥٤٣٢٧	٤٤	مندي	١١٣١	٤٢٨١٩٩
١٤	ريوان	١٣٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠	٤٥	بنارس	٩٨٥	١٥٠٠٠٠٠٠
١٥	بيكانير	٢٣٣١١	١٠٢٠٣٢٧	٤٦	بجاور	٩٨٥	٢٢٥٠٠٠
١٦	جيسلمير	١٦٦٢	١٠٠٠٠٠٠	٤٧	نابهه	٩٢٨	١٣٥٠٠٠٠٠
١٧	جهالا واز	٨١٠	١٦٠٠٠٠٠	٤٨	سانت وازي	٩٢٦	٤٥٠٠٠٠٠
١٨	كجه	٦٥٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	٤٩	دتيا	٩١١	١٠٠٠٠٠٠
١٩	نوانكر	٣٧٩١	٢٤٠٠٠٠٠	٥٠	رتلام	٩٠٢	١٣٠٠٠٠٠٠
٢٠	كروند	٣٧٤٥	١٢٥٠٠٠٠	٥١	برتاب كده	٨٨٦	٣٠٠٠٠٠٠
٢١	كوجين	١٣٦٨	١٧٠٠٠٠٠	٥٢	راج كدهـ	٨٨٠	٣٥٠٠٠٠٠
٢٢	جيند	١٢٧٨	١٦٠٠٠٠٠	٥٣	بريا	٨٧٣	٢٤٩٤٨
٢٣	اورجهه	٢٠٨٠	٩٠٠٠٠٠	٥٤	أوديبور الصغير	٨٧٣	٢٠٥٥٠٠
٢٤	بوندي	٢٣٠٠	٨٠٠٠٠٠	٥٥	كشن كده	٨٥٨	١٣٠٠٠٠٠٠
٢٥	راج بيلا	١٦٠٠	٨٠٠٠٠٠	٥٦	علي راج بور	٨٣٦	٢٠٠٠٠٠٠
٢٦	أيدر	١٩٠٠	٦٠٠٠٠٠	٥٧	موروي	٨٢١	١٠٠٠٠٠٠٠
٢٧	بنا	٢٤٩٢	٥٠٠٠٠٠	٥٨	اجي كده	٨٠٢	٢٢٥٠٠٠
٢٨	بهاؤنكر	٢٨٦٠	٤٠٠٠٠٠	٥٩	كبور تهله	٨٠٠	١٧٠٠٠٠٠٠
٢٩	حميه	٣١٢٦	٣٥٠٠٠٠	٦٠	دهرم بور	٧٩٤	٢٦٨٠٨١
٣٠	قرولي	١٢٤٢	٤٦٥٠٠٠	٦١	نرسنك كده	٧٢٠	٧٠٠٠٠٠٠
٣١	كولهابور	٢٨٢٥	٣٣٠٠٠٠	٦٢	جركهاري	٧٠٣	٦٠٠٠٠٠٠

٦٣	كوندل	٠	٨٨٠٠٠	٧٥	سيتامئو	٣٥٠	١٥٠٠٠٠
٦٤	فريد كوت	٦٤٣	٤٢٥٠٠٠	٧٦	لمزى	٣٤٣	٥٠٠٠٠٠
٦٥	بوربندر	٦٣٦	٥٠٠٠٠٠	٧٧	لوناواژه	٣٨٨	٢٢١٣٠٠
٦٦	ناكود	٥٠١	١٥٠٠٠٠	٧٨	بالتيانه	٢٨٩	٤٠٠٠٠
٦٧	سيلانه	٥٠٠	١٢١٤٠٠	٧٩	دهرول	٢٨٣	١٥٠٠٠٠٠
٦٨	كهلوريابلاس بور	٤٥١	١٥٧٠٠٠	٨٠	راج كوت	٢٨١	٢٠٠٠٠٠
٦٩	ديواس كبير	٤٠٢	٣٥٠٠٠٠	٨١	كهلجي بور (خلجي بور)	٢٧٢	١٧٥٠٠٠
٧٠	ديواس صغير	٤٤٠	٣٥٠٠٠٠				
٧١	سكيت	٤٢٠	١٣٢٦٩٧	٨٢	ودهوان	٢٣٦٠	٤٤١٧٩٤
٧٢	ديكانير	٤١٤	٢٣١٠٠٠	٨٣	برونده	٢١٧	١٦٠٠٠
٧٣	مهير	٤٠٠	٧٤٠٠٠	٨٤	بانسده	٢١٥	٢٤٥٩٢٦
٧٤	سونثهه	٣٩٤	٢٠٠٠٠٠	٨٥	سمتهر	١٧٨	٤٠٠٠٠٠

(٤) أملاك الإنكليز

أملاك الإنكليز تشتمل على معظم المعمور من الهند ، وتنقسم إلى أقسام كبيرة وصغيرة ، فمن الأقسام الكبيرة (١) بنكال ، (٢) بمبئي ، (٣) مدراس ، (٤) الإيالات المتحدة آكره ، وأوده ، (٥) بنجاب ، (٦) بهار ، وأرّيسه ، (٧) مقاطعة سرحد ، (٨) الإيالة المتوسطة ، (٩) آسام ، ومن الأقسام الصغيرة ، (١) كورك ، (٢) أجمير ، (٣) دهلي .

وكلٌّ من هذه الأقسام الكبيرة ينقسم على ولايات ، وكلٌّ ولاية تنقسم على متصرفيات ، وكل متصرفية تنقسم على عمالات ، وهذه كلُّها تحت إمرة الحاكم العام ، الذي ينوب عن ملك الدولة الإنكليزية ، ويلقبونه «كورنر جنرال» باعتبار أنه حاكم عام للهند ، و«ويسرائي» باعتبار أنه نائب عن ملك الدولة الإنكليزية ، وكان يقيم بكلكته ، ثم لما نقل مركز الحكومة إلى دهلي سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١١ م ، انتقل إلى دهلي ، وكل من تلك الأقسام تحت حكم الحكّام الذين يفوقون الحكام الآخرين في الاعتبار والدرجة ، ويلقب الواحد منهم «كونر» إلا مقاطعة «سرحد» ، و«كورك» ، و«أجمير» ، ودهلي ، فكلٌّ منها تحت حكم الحكام الذين دونهم في الدرجة والاعتبار ، ويسمونهم «جيف كمشنر»[1] .

* * *

(١) Chief Commissioner

الباب الخامس
في عدد أهل الهند

يبلغ عدد أهل الهند نحو ٣٠٦٩٣٥٠٠٠ نفس ، حسب الإحصاء الذي جرى سنة ١٩٢١ م ، منهم نحو ٧٠٤٣٠٠٠٠ نفس يسكنون في ممالك الهنادك والمسلمين ، ونحو ٢٣٤٤٩٠٠٠٠ نفس في أملاك الإنكليز.

وسكان الهند ينقسمون على فرق ، منهم الهنادك ، وهم نحو ٢١٣٤٥٠٠٠٠ نفس ، ومنهم المسلمون وهم نحو ٧١٢٦٠٠٠٠ نفس ، ومنهم النصارى وهم نحو ٤٠٠٠٠٠٠ نفس ، ومنهم السكة وهم نحو ٣٠١٦٠٠٠ نفس ، ومنهم أنواع أخر كاليهود ، والجينيين ، والبوذيين ، والمجوس ، والطبيعيين.

واعلم أنَّ عدد المسلمين كان نحو ٥٠١٢١٥٠٠ ، حسب الإحصاء الذي جرى سنة ١٨٨١ م.

❊ ❊ ❊

الفنُّ الثاني
في أخبار ملوك الهند وفيه عشرة أبواب
الباب الأول
ظهور الإسلام بأرض الهند

روي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعمان في سنة ١٥ هجرية ، فوجَّه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان ، فبعث جيشاً إلى «تانه» ، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك ، فكتب إليه عمر «يا أخا ثقيف! حملت دوداً على عود ، وإنِّي أحلف بالله أن لو أصيبوا ، لأخذت من قومك مثلهم» ووجه الحكم أيضاً إلى «بروص» ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خور الديبل ، فلقي العدو ، فظفر ، فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه وولّى عبد الله بن عامر بن كريز «العراق» ، كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه ، وينصرف إليه يخبره ، فوجَّه حكيم بن جبلة العبدي ، فلما رجع أوفده إلى عثمان ، فسأله عن حال البلاد ، فقال : يا أمير المؤمنين! قد عرفتها وتنحرتها ، قال : فصفها لي ، قال : ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولصُّها بطل ، إن قلَّ الجيش فيها ضاعوا ، وإن كثروا جاعوا ، فقال له عثمان : أخابر أم ساجع؟ قال : بل خابر ، فلم يغزها أحداً.

فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرَّة العبدي متطوعاً بإذن علي ، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس ، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً ، وكان مقتله في سنة اثّنتين وأربعين ، والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان.

ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية رضي الله عنه سنة أربع وأربعين ، فأتى «بنه» و«الأهواز» وهما بين «ملتان» و«كابل» ، فلقيه العدو فقاتله ومن معه ، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة ، فقاتلوه فقتلوا جميعاً ، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منَّا فحذف الخيل ، فكان أول من حذفها من المسلمين ، ثم ولَّى عبد الله بن عامر في زمن معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن سواد العبدي ، ويقال: ولاَّه معاوية من قبله ثغر الهند ، فغزا القيقان فأصاب مغنماً ، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية ، وأقام عنده ، ثم رجع إلى القيقان ، فاستجاشوا الترك فقتلوه.

وولَّى زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي ، فأتى الثغر ، ففتح مكران عنوةً ، ومصَّرها ، وأقام بها ، وضبط البلاد ، وقيل: إنَّ الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدي ، ثم استعمل زياد على ثغر الهند راشد بن عمرو الجديدي من الأزد ، فأتى مكران ، ثم غزا القيقان ، فظفر ، ثم غزا الميد ، فقتل ، وقام بأمر الناس سنان بن سلمة ، فولاه زياد الثغر ، فأقام به سنتين ، وغزا عباد بن زياد ثغر الهند من سجستان ، فأتى «سناروذ» ثم أخذ على حوى كهزالي «الروذبار» من أرض سجستان إلى «الهندمند» ، فنزل «كش» وقطع المفازة حتى أتى «القندهار» فقاتل أهلها ، فهزمهم وفلَّهم ، وفتحها بعد أن أصيب رجالٌ من المسلمين.

ورأى قلانس أهلها طوالاً ، فعمل عليها فسميت العبادية ، ثم ولى زياد المنذر بن الجارود العبدي ، ويكنَّى أبا الأشعث ثغر الهند ، فغزا البوقان ، والقيقان ، فظفر المسلمون وغنموا ، وبث السرايا في بلادهم وفتح «قصدار» وسبى بها ، وكان سنان فتحها إلا أنَّ أهلها انتقضوا ، وبها مات.

ثم ولى عبيد الله بن زياد ابنَ حرى الباهلي ، ففتح الله تلك البلاد على يده ، وقاتل بها قتالاً شديداً ، فظفر ، وغنم ، وقال قوم: إنَّ عبيد الله بن زياد ولى سنان بن سلمة ، وكان ابن حرى على سراياه ، وأسلم أهل البوقان.

وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بها مدينة سمَّاها البيضاء ، وذلك في خلافة المعتصم بالله ، ولما ولي حجاج بن يوسف الثقفي

العراق؛ ولّى سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي مكران ، وذلك الثغر ، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافيان ، فقتل وغلب العلافيان على الثغر ، فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمي ذلك الثغر ، فغزا مجاعة ، فغنم ، وفتح طوائف من «قندابيل» ثم أتم فتحها محمد بن القاسم ومات «مجاعة» بعد سنة بمكران .

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمري فأهدى إلى الحجاج في ولايته ملك جزيرة الياقوت نسوةً ولدن في بلاده مسلمات ، ومات آباؤهن ، وكانوا تجاراً ، فأراد التقرب بهنَّ فعرض للسفينة التي كان فيها قومٌ من ميد الديبل في بوارج ، فأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع : يا حجاج! وبلغ الحجاج ذلك ، فقال : يا لبيك! فأرسل إلى داهر يسأله تخلية النسوة ، فقال : إنما أخذهن لصوص ، لا أقدر عليهم ، فأغزى الحجاج عبيد الله بن نبهان الديبل ، فقتل ، فكتب إلى بديل بن طهفة البجلي ، وهو بعمان يأمره أن يسير إلى الديبل ، فلما لقيهم نفر به فرسه ، فأطاف به العدو فقتلوه ، وقال : قتله زط البدهة (معرب جاءت ـ ا هـ) .

ثم ولّى الحجاج محمد بن قاسم الثقفي في أيام الوليد بن عبد الملك فغزا السند ، وكان محمد بفارس ، وقد أمره أن يسير إلى الري ، وعلى مقدمته أبو الأسود جهم بن زحر الجعفي ، فردَّه إليه ، وعقد له على ثغر السند وضمَّ إليه ستة آلاف من جند أهل الشام ، وخلقاً من غيرهم ، وجهَّزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمال ، وأمره أن يقيم بشيراز ، حتى يتتامَّ إليه أصحابه ويوافيه ما أعدَّ له ، وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج ، فنقع في الخل الخمر الحاذق ، ثم جفف في الظل ، فقال : إذا صرتم إلى السند فإنَّ الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن في الماء ، ثم اطبخوا به واصطبغوا ، ويقال : إنَّ محمداً لما صار إلى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم ، فبعث إليه بالقطن المنقوع في الخل ، فسار محمد بن القاسم إلى مكران ، فأقام بها أياماً ، ثم أتى قنزبور ، ففتحها ، ثم أتى «أرمائيل» ففتحها ، وكان محمد بن هارون بن ذراع قد لقيه ، فانضمَّ إليه وسار معه ، فتوفي بالقرب منها فدفن بقنبيل .

ثم سار محمد بن القاسم إلى أرمائيل ومعه جهم بن زحر الجعفي ، فقدم

الديبل يوم الجمعة ، ووافقه سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة فخندق حين نزل الديبل ، وركزت الرماح على الخندق ، ونشرت الأعلام وأنزل الناس على راياتهم ، ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس ، وكان يمد فيها خمسمئة رجل ، وكان بالديبل بد عظيم (بتخانه) فيما ذكروا منارةً عظيمةً تتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم ، أو أصنام يشتهر بها ، وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً ، وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبلها ، واستطلاع رأيه ، فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام ، فورد على محمد من الحجاج كتاب أن انصب العروس ، واقصر منها قائمةً ، ولتكن مما يلي المشرق ، ثم ادع صاحبها ، فمره أن يقصد برميته للدقل الذي وصفت لي ، فرمى الدقل فكسر ، فاشتد طرة الكفر من ذلك ، ثم إنَّ محمداً ناهضهم ، وقد خرجوا إليه ، فهزمهم حتى ردَّهم ، وأمر بالسلاليم فوضعت ، وصعد عليها الرجال ، وكان أولهم صعوداً رجل من مراد من أهل الكوفة ، ففتحت عنوةً ، ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام ، وهرب عامل داهر عنها ، وقتل سادن بيت آلهتهم ، واختطَّ محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً ، وأنزلها أربعة آلاف ، وهدم عنبسة بن إسحاق الضبِّي العامل على السند في خلافة المعتصم بالله أعلى تلك المنارة ، وجعل فيها سجناً ، وابتدأ في مرمة المدينة بما نقض من حجارة تلك المنارة ، فعزل قبل استتمام ذلك ، وولي بعده هارون بن أبي خالد المروروزي ، فقتل بها ، ثم أتى محمد بن القاسم البيرون ، وكان أهلها بعثوا سمنين منهم إلى الحجَّاج ، فصالحوه ، فأقاموا لمحمد العلوفة ، وأدخلوه مدينتهم ووفوا بالصلح ، وجعل محمد لا يمرُّ بمدينة إلا فتحها ، حتى عبر نهراً دون مهران ، فأتاه سمنية سرى بدس ، فصالحوه عمَّن خلفهم ، ووظف عليهم الخراج وسار إلى سهبان ، ففتحها ، ثم سار إلى مهران فنزل في وسطه ، فبلغ ذلك داهر واستعدَّ لمحاربته ، وبعث محمد بن القاسم محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي إلى سدوسان في خيل وحمارات ، فطلب أهلها الأمان والصلح ، وسفر بينه وبينهم السمنية ، فأمنهم ، ووظف عليهم خراجاً ، وأخذ منهم دهناً ، وانصرف إلى محمد ومعه من الزط أربعة آلاف ، فصاروا مع محمد ، وولَّى سدوسان رجلاً ، ثم إنَّ محمداً احتال لعبور مهران ، حتى عبره مما يلي بلاد

راسل ملك قصة (معرب كجه) من الهند على جسر عقده ، وداهر مستخف به ، لاه عنه ، ولقيه محمد والمسلمون ، وهو على فيل ، وحوله الفيلةُ ومعه التكاكرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، وترجل داهر وقاتل ، فقتل عند المساء ، وانهزم الهنادك فقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ، ولما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند ، وفتح داور عنوةً ، وكانت بها امرأة داهر فخافت أن تؤخذ ، فأحرقت نفسها ، وجواريها ، وجميع مالها .

ثم أتى محمد بن القاسم برهمناباد العتيقة ، وهي على رأس فرسخين من المنصورة ، ولم تكن المنصورة يومئذ ، إنما كان موضعها غيضةً ، وكان فل داهر ببرهمناباد هذه ، فقاتلوا عامله وهي اليوم خراب ، وسار محمد يريد الرور وبغرور ، فتلقاه أهل ساوندري ، فسألوه الأمان ، فأعطاهم إياه ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ودلالتهم ، ثم تقدم إلى «بسمد» فصالح أهلها مثل صلح ساوندري ، وانتهى محمد إلى الرور ، وهي من مدائن السند ، وهي على جبل ، فحصرهم أشهراً ، ففتحها صلحاً على أن لا يقتلهم ، ولا يعرض لكنائسهم ، ووضع عليهم الخراج بالرور ، وبنى مسجداً ، وسار محمد إلى السكَّة ، وهي مدينةٌ دون بياس ، ففتحها ، ثم قطع نهر بياس إلى الملتان ، فقاتله أهل الملتان فأبلى زائدة بن عمير الطائي ، وانهزم المشركون فدخلوا المدينة ، وحصرهم محمد ، ونفدت أزواد المسلمين ، فأكلوا الحمر ، ثم أتاهم رجلٌ مستأمن ، فدلهم على مدخل الماء الذي منه شربهم ، وهو ماء يجري من نهر «بسمد» فيصير في مجتمع له مثل البركة في المدينة ، وهم يسمونه التلاح ، فغوَّره ، فلما عطشوا نزلوا على الحكم ، فقتل محمد المقاتلة ، وسبى الذرية ، وسبى سدنة الكنيسة ، وهم ستة آلاف ، وأصابوا ذهباً كثيراً ، فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثماني أذرع ، يلقي ما أودعه في كوة مفتوحة في سطحه ، فسميت الملتان فرج بيت الذهب ، والفرج الثغر ، وكان في كنيسة ملتان صنم تهدى إليه الأموال ، وينذر له النذور ، ويحجُّ إليه أهل السند ، فيطوفون به ، ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ، ويزعمون أنَّ ذلك الصنم أيوب النبي ﷺ .

قالوا : ونظر الحجَّاج فإذا هو أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف ،

ووجد ما حمل إليه عشرين ومئة ألف ألف ، فقال : شفينا غيظنا ، وأدركنا ثأرنا ، وازددنا ستين ألف ألف درهم ، ورأس داهر.

ومات الحجاج سنة خمس وتسعين ، فأتت محمداً وفاته فرجع عن الملتان إلى الرور وبغرور ، وكان قد فتحها ، فأعطى الناس ، ووجه إلى البيلمان جيشاً ، فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ، وسالمه أهل سرست ، وهي مغزى أهل البصرة ، وأهلها الميد الذين يقطعون في البحر ، ثم أتى محمد الكيرج ، فخرج عليه دوهر فقاتله ، فانهزم العدو وهرب دوهر ، ويقال : قتل. ونزل أهل المدينة على حكم محمد ، فقتلَ وسبى ، ومات الوليد بن عبد الملك ، وولي سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين ، فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق ، وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند ، فحمل محمد بن القاسم مقيداً مع معاوية بن مهلب ، فبكى أهل الهند على محمد وصوروه بالكيرج ، فحبسه صالحٌ بواسط ، وعذَّبه في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم ، وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح ، وكان يرى رأى الخوارج ، وأما يزيد بن أبي كبشة فإنَّه مات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً ، فاستعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلَّب على حرب السند ، فقدمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم ، ورجع جيشه (جَي سنكه) بن داهر إلى برهمناباد ، فنزل حبيب على شاطىء مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة ، وحارب قوماً فظفر بهم.

ثم مات سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعده ، فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وكانت بلغتهم سيرته ومذهبه ، فأسلم جيشه والملوك ، وتسمَّوا بأسماء العرب ، وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر ، فغزا بعض الهند فظفر وهرب بنو المهلب إلى السند في أيام يزيد بن عبد الملك ، فوجه إليهم هلال بن أحوز التميمي ، فقتل مُدرك بن المهلب بقندابيل ، وقتل المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بني المهلب ، وقتل معاوية بن يزيد بن المهلّب في آخرين.

وولى الجنيد بن عبد الرحمن المري ثغر السند من قبل هشام بن عبد الملك سنة سبع ومئة ، فأتى الجنيد الديبل ثم نزل شطَّ مهران فمنعه جيشه العبور ،

وأرسل إليه أني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح (يعني به عمر بن عبد العزيز) بلادي ولست آمنك ، فأعطاه رهناً ، وأخذ منه رهناً ، بما على بلاده من الخراج ، ثم إنَّهما ترادًّا الرهن ، وكفر جيشه وحارب ، وقيل: إنه لم يحارب ، ولكن الجنيد يجني عليه ، فأتى الهند فجمع جموعاً وأخذ السفن ، واستعدَّ للحرب ، فسار إليه الجنيد في السفن ، فالتقوا في بطحه الشرقي ، فأخذ جيشه أسيراً ، وقد جنحت سفينته فقتله ، وهرب صصه (جج ـ بالجيم العجمية) ابن داهر ، وهو يريد أن يمضي إلى العراق ، فيشكو غدر الجنيد ، فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده ، فقتله وغزا الجنيد الكيرج ، وكانوا قد نقضوا ، فاتخذ كباشاً نطاحةً ، وليس المراد الغنم ، وإنما هي آلة من خشب وحديد ، يجرونها بنوع من الخيل ، فتدق الحائط فينهدم ، فصكَّ بها حائط المدينة حتى ثلمه ، ودخلها عنوة ، فقتل ، وسبى ، وغنم ، ووجه العمال إلى مرمد ، والمندل ، ودهنج ، وبروص ، وكان الجنيد يقول: القتل في الجزع أكبر منه في الصبر ، ووجه الجنيد جيشاً إلى أُزين ، ووَجَّه حبيب بن مرة في جيش إلى أرض المالوه ، فأغاروا على أزين ، وغزوا بهرنمد ، فحرقوا ربضها ، وفتح الجنيد البيلمان والجزر ، وحصل في منزله سوى ما أعطى زواره أربعين ألف ألف ، وحمل مثلها.

ثم ولي بعد الجنيد تميم بن زيد العتبي سنة إحدى عشرة ومئة ، فضعف ، ووهن ، ومات قريباً من الديبل بماء يقال له ماء الجواميس ، وفي أيام تميم خرج المسلمون عن بلاد الهند ، ورفضوا مراكزهم ، فلم يعودوا إليها مدَّةً من الدهر.

ثم ولي الحكم بن عوانة الكلبي ، وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة (كجه) فلم ير للمسلمين ملجأ يلجؤون إليه ، فبنى من وراء البحيرة مما يلي الهند مدينةً سمَّاها المحفوظة ، وجعلها مأوى لهم.

وكان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي مع الحكم ، وكان يفوض إليه ، ويقلده جسيم أموره ، وأعماله ، فأغزاه من المحفوظة ، فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى دون البحيرة مدينةً ، وسماها المنصورة ، فهي التي ينزلها العمال بعده ، وتخلَّص الحكم ما كان في أيدي العدو ، ومما غلبوا عليه ورضي الناس بولايته ، ثم قتل الحكم بها ، لعله في سنة اثنتين وعشرين ومئة.

ثم ولي عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي على أرض السند ، من قبل هشام بن عبد الملك ، وحارب العدو ، فظفر ، وبغى عليه مروان بن يزيد بن المهلب فقتله .

ثم مات هشام بن عبد الملك وولي الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فعزل عمرو بن محمد وولّى مكانه يزيد بن عرار ، لعله في سنة خمس وعشرين ومئة ، فكان يقاتل العدو ، فيأخذ ما استطف له ، ويفتح الناحية قد نكث أهلها ، حتى جاء منصور بن جمهور الكلبي ، وقاتل يزيد بن عرار ، لعله في سنة ثلاثين ومئة ، فظفر به ، وقتله واستقل بأرض السند مكانه .

فلما كان أول الدولة العباسية ولّى أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني مغلساً العبدي ثغر السند ، وأخذ على طخارستان ، وسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند ، فلقيه منصور فقتله وهزم جنده ، فلما بلغ أبا مسلم ذلك عقد لموسى بن كعب التميمي ثم وجهه إلى السند ، فلما قدمها كان بينه وبين منصور مهران ، ثم التقيا فهزم منصوراً وجيشه وقتل منظوراً أخاه ، وخرج منصور مفلولاً هارباً ، حتى ورد الرمل ، فمات عطشاً ، وولي موسى السند سنة أربع وثلاثين ومئة ، فرمَّ المنصورة ، وزاد في مسجدها ، وغزا ، وافتتح ثم سار إلى العراق ، واستخلف ابنه عيينة بن موسى على أرض السند ، ومات موسى بالعراق بعد ذلك ، فخلع عيينة الطاعة ، فلمَّا بلغ الخبر إلى المنصور العباسي الخليفة سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة ، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفراء العتكي عاملاً على السند والهند ، فحاربه عيينة ، فسار حتى ورد السند فغلب عليه سنة اثنتين وأربعين ومئة ، وفي أيامه قدم الهند عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلويُّ ، جدُّ مصنف هذا الكتاب ، فأعطاه الأمان ، وبايع على يده ، ثم أعقد بينه وبين ملك من ملوك السند فأرسل إليه مخافة من المنصور ، فلما سمع المنصور ذلك عزله عن السند سنة إحدى وخمسين ومئة ، وولّى هشام بن عمرو التغلبي ، فكره أخذ عبد الله ، وأقبل يرى الناس أنه يكاتب ذلك الملك ، فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببلاد السند ، فوجه هشام أخاه سفيحاً ، فخرج في جيشه وطريقه بجنبات ذلك الملك ، فبينما هو يسير؛ إذ لقيه عبد الله في عشرة

من أصحابه ، فقاتله فقتله ، فكتب هشام بذلك إلى المنصور ، فأمره بمحاربة ذلك الملك ، فحاربه حتى ظفر به ، وغلب على ملكه .

ووجه عمرو بن جمل في بوارج إلى نارند ، ووجه إلى ناحية الهند ، فافتتح كشميراً ، وأصاب سبايا ورقيقاً كثيراً ، وفتح الملتان ، وكان بقندابيل متغلبةٌ من العرب ، فأجلاهم عنها وتوجَّه إلى قندهار في السفن ، ففتحها ، وهدم الكنيسة وبنى موضعها مسجداً ، فأخصبت البلاد في ولايته ، فتبركوا به ، ودوخ وأحكم أموره ، ثم ولى ثغر السند معبد بن خليل التميمي سنة سبع وخمسين ومئة ، ففتح ما استغلق ، ومات سنة تسع وخمسين ومئة ، ومات المنصور قبله ، سنة ثمان وخمسين ومئة ، فولى ابنه المهدي بن المنصور العباسي روح بن حاتم على أرض السند ، ثم عزله في تلك السنة ، وولى بسطام بن عمرو التغلبي ، وعزله سنة إحدىٰ وستين ومئة ، وولى روح بن حاتم المذكور مرَّةً ثانيةً ، ثم عزله ، وولي نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ، ثم عبد الملك بن شهاب المسمعي ، ثم نصر بن محمد بن الأشعث المذكور مرَّةً ثانيةً ، فقام بالأمر زماناً ، ومات بالسند سنة أربع وستين ومئة ـ ذكره الطبري في تاريخه ، ثم ولّى مصبح بن عمرو التغلبي ثم ليث بن طريف الكوفي .

ومات المهدي سنة تسع وستين ومئة فولي الخلافة ابنه الهادي ثم هارون الرشيد العباسي ، فعزل الليث وولّى مكانه سالم اليونسي ، مولى إسماعيل بن علي ، فقام بالسند أربع سنين ، ثم ولّى إسحاق بن سليمان الهاشمي سنة أربع وسبعين ومئة ، ومات بالسند فولّى ابنه إسحاق بن سليمان الهاشمي سنة أربع وسبعين ومئة ، ومات بالسند فولّى ابنه يوسف بن إسحاق فقام بالسند مدَّةً قليلةً ثم عزل ، وولّى طيفور بن عبد الله بن المنصور الحميري ، ثم جابر بن الأشعث الطائي ، ثم سعيد بن مسلم بن قتيبة ، ثم عيسى بن جعفر المنصور العباسي ، وناب عنه محمد بن عدي في أرض السند ، وعزله الرشيد وولّى عبد الرحمن ، ثم أيوب بن جعفر بن سليمان .

ولما رأى الرشيد أنَّهم خابوا في الولاية ولّى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي سنة أربع وثمانين ومئة ، وكان معه أبو الصمة المتغلب ، وهو مولى لكندة ، ففتح ما استغلق ، ودوَّخ الثغر ، وأحكم أموره ، ولم يزل أمر ذلك الثغر

مستقيماً ، ومات داود سنة خمس ومئتين فكتب مأمون بن هارون الرشيد إلى ولده بشير بن داود بولاية الثغر ، على أن يحمل كلَّ سنة ألف ألف درهم ، فعصى ، وخالف ، فوجه إليه حاجب بن صالح سنة إحدَى عشرة ومئتين ، فهزمه بشير بن داود ، فانحاز إلى كرمان ، ثم وجَّه إليه المأمون الرشيد غسان بن عباد الكوفي سنة ثلاث عشرة ومئتين ، فخرج بشير إليه في الأمان ، وورد به مدينة السلام ، وخلَّف غسان على الثغر موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، فقتل «باله» ملك الشرق وقد بذل له خمسمئة ألف درهم ، على أن يستبقيه ، وكان «بالا» هذا التوى على غسان ، وكتب إليه في حضور عسكره فيمن حضره من الملوك ، فأبى ذلك ، وأثر موسى أثراً حسناً ، ومات سنة إحدى وعشرين ومئتين.

واستخلف ابنه عمران بن موسى ، فكتب إليه المعتصم بالله بولاية الثغر ، فخرج إلى القيقان ، وهم زط ، فقاتلهم ، فغلبهم ، وبنى مدينة سمَّاها البيضاء ، وأسكنها الجند ثم أتى المنصورة ، وسار منها إلى «قندابيل» وهي مدينة على جبل ، وفيها متغلبٌ يقال له : محمد بن الخليل ، فقاتله ، وفتحها ، وحمل رؤساءها إلى قصدار ، ثم غزا الميد ، وقتل منهم ثلاثة آلاف ، وسكر سكراً يعرف بسكر الميد ، وعسكر عمران على نهر الرور ، ثم نادى بالزط الذين بحضرته ، فأتوه ، فختم أيديهم ، وأخذ الجزية منهم ، وأمرهم بأن يكون مع كل رجل منهم إذا اعترض عليه كلب ، فبلغ الكلب خمسين درهماً ، ثم غزا الميد ، ومعه وجوه الزط ، فحفر من البحر نهراً أجراه في بطيحتهم حتى ملح ماؤهم ، وشنَّ الغارات عليهم ، ثم وقعت العصبية بين النزارية واليمانية ، فمال عمران إلى اليمانية ، فسار إليه عمر بن عبد العزيز الهباري ، فقتله وهو غار ، وكان جد عمر هذا ممن قدم السند مع الحكم بن عوانة الكلبي ، فولى المعتصم بالله العباسي عنبسة بن إسحاق الضبي على بلاد السند ، فأذعن أهلها الطاعة له فقام بالملك إلى أيام المتوكل على الله العباسي ، وعزله المتوكل وولَّى على السند هارون بن خالد المروزي ، ووقعت العصبية بين القبائل ، فقتلوه سنة أربعين ومئتين ، فوثب عمر بن عبد العزيز الهباري المذكور ، واستولى على ملك السند ، وأذعن له الطاعة أهل المنصورة ، ورضي عنه المتوكل ، ولما مات

عمر؛ قام بالأمر ولده عبد الله بن عمر ، ثم ولده عمر بن عبد الله بن عمر ، أدركه المسعودي حين قدم المنصورة سنة ٣٠٣ هـ ، قال في مروج الذهب : إنَّ له ولدين محمد ، وعلي ، ووزيره زياد ، وله ثمانون فيلاً مقاتلاً وثلاثمئة ألف قرى تحت سلطته ، وقاعدة ملكه كانت منصورة ، فكان ملك الملتان يومئذ المنبه بن الأسد القرشي ذو جيوشٍ ومنعة ، وله عشرون ومئة ألف قرية ، مماً يقع عليه الإحصاء والعد[١] .

* * *

(١) انتهى ملخصاً ومقتبساً من كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري .

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثاني
في استيلاء الملوك الغَزْنَوِيَّة والغَوْرِيَّة على الهند

لما استولى الأمير سبكتكين على خراسان بعد أن توفي أبو إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة السامانية ، واتفق الناس عليه سنة ست وستين وثلاثمئة ، ساس أمورهم سياسةً حسنةً . وسار نحو الهند سنة سبع وستين ، فافتتح قلاعاً حصينةً على شواهق الجبال ، وبنى المساجد بها ، وعاد إلى غزنة سالماً وظافراً .

ولما رأى جيبال ملك بنجاب مادهاه ، وأنَّ بلاده تملك من أطرافها أخذه ما قدم وحدث ، فحشد ، وجمع ، واستكثر من الفيول ، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين ، وسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره ، وخلقٌ كثير من المتطوعة فالتقوا ، واقتتلوا أياماً كثيرةً ، وصبر الفريقان ، وبالقرب منهم عقبة غورك ، فيها عين ماء ولا تقبل نجساً ولا قذراً ، وإذا ألقي فيها شيءٌ من ذلك اكفهرت السماء ، وهبَّت الرياح ، وكثر الرَّعد والبرق والأمطار ، ولا تزال كذلك إلى أن تطهر من الذي ألقي فيها ، فأمر سبكتكين بإلقاء نجاسة في تلك العين ، فجاء الغيم ، والرَّعد ، والبرق ، وقامت القيامة على المشركين ، لأنَّهم رأوا ما لم يروا مثله ، وتوالت عليهم الصواعق ، والأمطار ، واشتدَّ البرد حتى هلكوا ، وعميت عليهم المذاهب ، واستسلموا لما عاينوه ، وأرسل جيبال إلى سبكتكين يطلب الصلح ، وتردَّدت الرسل ، فأجابهم إليه بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤدِّيه وبلاد يسلِّمها ، وخمسين فيلاً يدفعها إليه ، فاستقرَّ ذلك ، ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد ، وسيَّر معه سبكتكين من يتسلَّمها ، فإنَّ المال والفيلة كانت معجلة ، فلما أبعد جيبال قبض على من معه من المسلمين ، وجعلهم عنده عوضاً عن رهائنه ، فلما سمع سبكتكين بذلك

جمع العساكر ، وسار نحو الهند ، فأخرب كلَّ ما مرَّ عليه من بلادهم وقصد لمغان ، وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوةً ، وهدم بيوت الأصنام ، وأقام فيه شعار الإسلام ، وسار عنها يفتح البلاد ، ويقتل أهلها ، فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة ، فلما بلغ الخبر إلى جيبال سقط في يده ، وجمع العساكر وسار في مئة ألف مقاتل ، فلقيه سبكتكين وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع المشركين ، ففعلوا ذلك ، فضجر المشركون من دوام القتال معهم ، وحملوا حملةً واحدةً ، فعند ذلك اشتدَّ الأمر ، وعظم الخطب ، وحمل أيضاً المسلمون جميعهم ، واختلط بعضهم ببعض ، فانهزم المشركون ، وأخذهم السيف من كلِّ جانب ، وأسر منهم ما لا يعدُّ ، وغنم أموالهم ، وأثقالهم ، ودوابَّهم الكثيرة ، وذلَّ المشركون بعد هذه الواقعة ولم يكن لهم بعدها راية ، ورضوا بأن لا يطلبوا في أقاصي بلادهم ، ولما قوي سبكتكين بعد هذه الواقعة؛ أطاعه الأفغانيون ، والخلجيون ، وصاروا في طاعته .

محمود بن سُبُكْتِكين

وولي الملك بعد والده سنة سبع وثمانين وثلاثمئة ، واشتغل بأمر خراسان وملكها ، وفرغ منها ، وخلا وجهه من ذلك ، ثم أحب أن يغزو الهند غزوةً تكون كفارةً لما كان منه من قتال المسلمين ، فثنى عنانه نحو ذلك ، ودخل الهند سبع عشرة مرة ، وجاس البلاد وغنم أموالاً ، ونحن نقتصر على أشهر غزواته ، فمنها : أنه قصد الهند سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة ، فنزل على مدينة بيشاور ، فأتاه جيبال في عساكر كثيرة ، فاختار محمود من عساكره والمتطوعة خمسة عشر ألفاً وسار نحوه ، فالتقوا ، واقتتلوا ، وصبر الفريقان ، فلما انتصف النهار انهزم المشركون ، وقتل فيهم مقتلةٌ عظيمةٌ ، وأسر جيبال ومعه جماعةٌ كثيرةٌ من أهله وعشيرته ، وغنم المسلمون منهم أموالاً جليلةً ، وجواهر نفيسةً ، وأخذ من عنق جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير ، قومت بمئتي ألف دينار ، وأصيب أمثالها في أعناق مقدمي الأسرى ، وغنموا خمسمئة ألف رأس من العبيد ، وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرةً ، ثم أحبَّ أن يطلق جيبال ليراه قومه في شعار الذل ، فأطلقه بمالٍ قرَّره عليه ، فأدَّى المال ، ومن عادة المشركين أنهم من حصل منهم

في أيدي المسلمين أسيراً لم تنعقد بعدها رئاسته ، فلما رأى جيبال حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم ألقى نفسه في النار ، فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

وأمَّا محمود فإنَّه لما فرغ من أمر جيبال سار نحو ويهند ، فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً ، وبلغه أنَّ جماعةً من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد ، فسيَّر إليهم طائفةً من عسكره ، فأوقعوا بهم ، وأكثروا القتل فيهم ، ولم ينج منهم إلا الشريد الفريد ، وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة.

ثم غزا بهاطية من أعمال السند ، وهي وراء ملتان سنة ثلاث ، وقيل خمس وتسعين وثلاثمئة ، وصاحبها يعرف بيجي رائي ، وهي مدينةٌ حصينةٌ عالية السور ، يحيط بها خندقٌ عميقٌ ، فامتنع صاحبها بها ، ثم إنَّه خرج إلى ظاهرها ، فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ، ثم انهزم في الرابع ، وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه ، فسبقهم المسلمون إلى باب البلد ، فملكوه عليهم ، وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم ، فقتل المقاتلة ، وسبيت الذرية ، وأخذت الأموال ، وأما بيجي رائي؛ فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعةً من ثقاته وسار إلى رؤوس تلك الجبال ، فسير إليه محمود سرية فلم يشعر بهم بيجي رائي إلا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه ، فلما أيقن بالهلاك أخذ خنجراً معه فقتل به نفسه وأقام محمود بهاطنة ، حتى أصلح أمرها ، ورتب قواعدها ، وعاد عنها إلى غزنة ، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه ، ولقي في عوده شدةً شديدة من الأمطار ، وكثرتها وزيادة الأنهار ، فغرق من عسكره خلقٌ كثيرٌ.

ثم في سنة ست وتسعين وثلاثمئة غزا ملتان وقصد صاحبها أبا الفتح داود بن نصير بن حميد القرمطي الملتاني ، الذي نقل عنه خبث اعتقاده ، ونسب إلى مذهب القرامطة ، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ماهو عليه ، فأجابوه ، فرأى محمود أن يجاهده ، ويستنزله عما هو عليه ، فسار نحوه فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة ، عظيمة المدِّ ، وخاصة سيحون ، فإنه منع جانبه من العبور ، فأرسل إلى أنتدبال يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى ملتان فلم يجبه إلى ذلك ، فابتدأ به قبل ملتان ، وقال: نجمع بين غزوتين ، فدخل بلاده ،

وجاسها ، وأكثر القتل فيها ، والنهب لأموال أهلها ، والإحراق لأبنيتها ، ففرّ أنندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان ، من مضيق إلى مضيق ، إلى أن وصل إلى كشمير ، ولما سمع أبو الفتح بخبر إقباله إليه ، علم عجزهً عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه ، فنقل أمواله إلى كشمير ، وأخلى ملتان ، فوصل محمود إليها ، ونازلها ، فإذا أهلها في ضلالهم يعمهون ، فحصرهم ، وضيَّق عليهم ، وتابع القتال حتى افتتحها عنوةً ، وألزم أهلها عشرين ألف ألف درهم عقوبةً لعصيانهم .

وسمع محمود في سنة سبع وتسعين وثلاثمئة أن سكهبال ارتدَّ عن الإسلام ، وكان قد أسلم على يده قبل ذلك ، وكان أمره على ويهند ، فسار إليه مجداً ، فحين قاربه فرَّ الهندي من بين يديه ، واستعاد محمود تلك الولاية ، وأعادها إلى حكم الإسلام واستخلف عليها بعض أصحابه ، وعاد إلى غزنة ، واستراح هو وعساكره .

ثم استعدَّ لغزوة أخرى سنة ثمان وتسعين وثلاثمئة ، فسار نحو الهند فانتهى إلى شاطىء نهر هندمند ، فلاقاه هناك برهمن بال بن أنندبال في جيوش الهند ، فاقتتلوا ساعات من النهار ، وكاد المشركون يظفرون بالمسلمين ، ثم إنَّ الله تعالى جاء بالنّصر ، فظفر بهم المسلمون ، فانهزموا على أعقابهم ، وأخذهم المسلمون بالسيف ، وتبع محمود أثر برهمن بال حتى بلغ نكركوث ، وكانت على جبل عال ، وكان المشركون قد جعلوها خزانةً لصنمهم الأعظم ، فينقلون إليها أنواع الذّخائر قرناً بعد قرن وأعلاق الجواهر ، وهم يعتقدون ذلك ديناً وعبادةً ، فاجتمع فيها على طول الأزمان مالم يسمع بمثله ، فنازلهم محمود ، وحصرهم ، وقاتلهم ، فلما رأى المشركون كثرة جمعه ، وحرصهم على القتال وزحفهم إليه مرَّةً بعد أخرى ، فخافوا ، وجبنوا ، وطلبوا الأمان ، وفتحوا باب الحصن ، وملك المسلمون القلعة ، وصعد محمود إليها في خواص أصحابه وثقاته ، فأخذ منها من الجواهر مالا يحدُّ ، ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهيةً ، ومن الأواني الذهبية ، والفضية سبعمئة ألف وأربعمئة منٍّ ، وكان فيها بيتٌ مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً ـ إلى غير ذلك من الأمتعة ، وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم .

وسار نحو الهند سنة أربعمئة عازماً على غزوها ، فسار إليها ، واخترقها ،

www.abulhasanalinadwi.org

واستباحها ، ونكس أصنامها ، فلما رأى ملك الهند أنَّه لا قوة له به؛ راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلاً ، وأن يكون له في خدمته ألفا فارس لا يزالون ، فقبضَ منه ما بذله ، وعاد عنه إلى غزنة ، وتتابعت القوافل بين خراسان ، وبلاد الهند في ضمان الأمان ، والرفاهية ، والاطمئنان ، وتسمى هذه الغزوة بوقعة نارائن.

ثم سار إلى الهند سنة أربع وأربعمئة في جمع عظيم ، وحشد كثير ، وقصد واسطة البلاد من الهند ، فسار شهرين حتى قارب مقصده ، ورتب أصحابه ، وعساكره ، فسمع عظيم الهند به ، فجمع مَنْ عنده من قواده وأصحابه ، وبرز إلى جبل هناك ، صعب المرتقى ، ضيق المسالك ، فاحتمى به ، وطاول المسلمين ، وكتب إلى المشركين يستدعيهم من كلِّ ناحية ، واجتمع عليه منهم كلُّ من يحمل سلاحاً ، فلما تكاملت عدَّته نزل من الجبل ، وتصافَّ هو والمسلمون ، واشتدَّ القتال ، وعظم الأمر ، ثم إنَّ الله تعالى منح المسلمين أكتافهم ، فهزموهم ، وأكثروا القتل فيهم ، وغنموا ما معهم من مال ، وفيل ، وسلاح ، وغير ذلك ، ووجد في كنيسة من كنائسهم حجراً منقوراً دلَّت كتابته على أنَّه مبنيٌّ منذ أربعين ألف سنة ، فعجب الناس لقلَّة عقولهم ، وتسمى هذه الغزوة بفتح ناردين ، وكانت قلعة ناردين على جبل بالناتهه.

ثم سار إلى الهند سنة خمس وأربعمئة ، وعزم على غزوة تهانيسر ، فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة ، فلقي في طريقه أودية بعيدة القمر ، وعرة المسالك ، وقفاراً فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكناف ، والماء بها قليلٌ ، فلقوا شدَّةً ، وقاسوا مشقةً ، إلى أن قطعوها ، فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهراً شديد الجرية ، صعب المخاضة ، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه ، يمنع من عبوره ، ومعه عساكره وفيلته ، فأمر محمود شجعان عسكره بعبور النهر ، وإشغال الكافر بالقتال ، ليتمكَّن باقي العسكر من العبور ، ففعلوا ذلك ، وقاتلوا المشركين ، وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار ، فانهزم المشركون وظفر المسلمون ، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة ، وكان فيها معبد للمشركين من أعظم المعابد ، فهدمه ، وأخذ الجواهرَ النفيسة ، والذهب والفضة وغيرها من

الأموال الطائلة ، وكانت فيها ياقوتةٌ حمراء وزنها أربعمئة وخمسون مثقالاً .

ثم رجع إلى غزنة ، وسار نحو الهند على عادته سنة ست وأربعمئة فضل أدلاؤه الطريق ، ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر ، فغرق كثيرٌ ممَّن معه وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلَّصَ وعاد إلى خراسان ، وقيل : إنَّه سار إلى كشمير ، وحاصر قلعة «لُوه كوث» مدَّةً من الزمان واضطر الناس ممن يلازم ركابه من البرد والثلج إلى ترك المحاصرة ، فرجع إلى غزنة .

ثم سار نحو الهند على عادته سنة سبع وأربعمئة ، عازماً على غزو كشمير ؛ إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين كشمير ، وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد ، وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيراً دائماً ، وعبر نهر «سيحون» ، و«جيلم» وهما نهران عميقان شديدا الجرية ، فوطىء أرض الهند ، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الإتاوة ، فلما بلغ درب كشمير أتاه صاحبها ، وسار بين يديه يريد قنوج ففتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن قنوج ، وكان حصنها منيعاً عالياً لا يكاد أن يفتح ، ولكنَّ الله سبحانه ألقى الرعب في قلب صاحبها ، فخرج في نحو عشرة آلاف يطلب الأمان ، فقبله محمود .

ثم سار محمود بعد ثلاثة أيام إلى حصن «ميرث» وصاحبها هروت لما علم عجزه عن الوقوف بين يديه ، والعصيان عليه ؛ سلم الحصن إلى بعض أصحابه ، وخرج منها ، فوصل محمود إليها ، ونازلها ، وتابع القتال ، وضيق عليهم ، فأرسلوا إليه يطلبون الأمان ، فقبله ، وأخذ منهم الأموال الطائلة ، ثم سار إلى حصن مهاون ، كان على شاطىء نهر جمنا ، وصاحبها كلجند كان من أعيان الهند ، وكان على طريقه غياضٌ ملتفةٌ لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة ، فسير كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض ، يمنعون من سلوكها ، فترك محمود عليهم من يقاتلهم ، وسلك طريقاً مختصراً إلى الحصن ، فلم يشعروا به إلا وهو معهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فلم يطيقوا الصبر على حدِّ السيوف ، فانهزموا ، وأخذهم السيف من خلفهم ، ولقوا نهراً عميقاً بين أيديهم ، فاقتحموه ، فغرق أكثرهم ، وكان القتلى والغرقى قريباً من خمسين

ألفاً ، وعمد كلجند إلى زوجته ، فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها ، وغنم المسلمون أمواله ، وملكوا حصنه .

ثم سار إلى متهرا مولد كرشن ، وكان فيها معبد للمشركين ، من الأبنية على نهر جمنا ، ولهم به من الأصنام كثير ، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعةٌ بالجواهر ، وكان فيها من الذهب ستمئة وتسعون ألفاً وثلاثمئة مثقال ، وكان بها من الأصنام المصوغة من الفضة نحو مئتي صنم ، فأخذ جميعه ، وأحرق الباقي ، وسار بعد عشرين يوماً إلى حصون غير ما ذكرناه ، فرأى أنَّ صاحبها راجبال قد فارقها ، وعبر الماء المسمَّى بكنكً ، فأخذها محمود ، وهي سبع على الماء المذكور ، وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم ، يذكرون أنَّها عملت من مئتي ألف سنة إلى ثلاثمئة ألف كذباً منهم وزوراً ، ولما فتحها أباحها عسكره .

ثم سار إلى قلعة البراهمة ، فقاتلوه ، وثبتوا ، فلما عضَّهم السلاح ؛ علموا أنَّهم لا طاقة لهم ، فاستسلموا للسيف ، فقتلوا ولم ينج منهم إلا الشريد ، ثم سار نحو قلعة آسي ، وصاحبها جندبال ، فلما قاربها ؛ هرب جندبال ، وأخذ محمود حصنه ، وما فيه ، ثم سار إلى قلعة شروه ، وصاحبها جند راي ، فلما قاربه نقل ماله ، وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها ، وعمي خبره ، فلم يدر أين هو ، فنازل محمود حصنَه ، فافتتحه ، وغنم ما فيه ، وسار في طلب جند راي جريدة ، وقد بلغه خبره ، فلحق به ، فقاتله ، فقتل أكثر جنده ، وأسر كثيراً منهم ، وغنم ما معه من مال وفيل ، وهرب جند راي في نفر من أصحابه فنجا ، وكان السبي في هذه الغزوة كثيراً ، حتى أنَّ أحدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ، ثم عاد إلى غزنة .

وفي سنة تسع وأربعمئة سار إلى الهند غازياً ، واحتشد ، وجمع ، واستعدَّ وأعدَّ أكثر ممَّا تقدَّم ، وسبب هذا الاهتمام أنَّه لما فتح قنوج وأطاعه صاحبها ثم عاد إلى غزنة أرسل بيدا ملك «كالنجر» إلى كوره ملك قنوج يوبخه على انهزامه وإسلام بلاده للمسلمين ، وطال الكلام بينهما ، وآل أمرهما إلى الاختلاف ، وتأهَّب كلُّ واحد منهما لصاحبه وسار إليه ، فالتقوا ، واقتتلوا ، فقتل راجبال وأتى القتل على أكثر جنوده ، فازداد نندا بما اتفق من الله شرّاً وعتوّاً ، وقصده

بعض ملوك الهند الذين ملك محمود بلادهم ، والتجأ إليه ، فوعده بإعادة ملكه إليه ، فُنمت هذه الأخبار إلى محمود ، فأزعجته ، وتجهَّز للغزو ، وقصد كالنجر ، وسار عن غزنة وابتدأ في طريقه بالأفغانية ، وهم كفار يسكنون الجبال ، ويفسدون في الأرض ، ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه ، فقصد بلادهم ، وسلك مضائقها ، وفتح مغالقها ، وخرَّب عامرها ، وغنم أموالهم ، وأكثر القتل فيهم والأسر ، وغنم المسلمون من أموالهم الكثير ، ثم استقلَّ على المسير ، وعبر نهر كنك ، فلما جازه رأى قوافل قد بلغت عدَّة أحمالهم ألفاً فغنمها ، وهي من العود والأمتعة الفائقة ، وجدَّ به السير فأتاه في الطريق خبر حفيد جيبال الذي تقدَّم ذكره ، قد سار بين يديه ملتجئاً إلى ننda . فطوى المراحل ، ولحق به ، وكان بينه وبين المشركين نهرٌ عميق ، فعبر إليهم بعض أصحابه ، وشغلهم بالقتال ، ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم ، فاقتتلوا عامة نهارهم ، وانهزم حفيد جيبال ومن معه ، وكثر فيهم القتل والأسر ، وأسلموا أموالهم ، وأهليهم ، فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر ، وأخذ ما يزيد على مئتي فيل ، وسار المسلمون يقتفون آثارهم ، وانهزم ملكهم جريحاً ، وتحيَّر في أمره ، وأرسل إلى محمود يطلب الأمان ، فلم يؤمنه ، وقتل من عساكره مالا يحصى ، وسار الملك المذكور ليلحق بننda ، فانفرد به بعض المشركين فقتله ، فلما رأى ملوك الهند ذلك؛ تابعوا رسلهم إلى محمود ، يبذلون له الطاعة ، وسار محمود بعد هذه الواقعة إلى باري ، وهي من أحصن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خاليةً ، وعلى عروشها خاويةً ، فأمر بهدمها وتخريبها ، وعشر قلاع متناهية الحصانة ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وسار يطلب ننda ، فلحقه ، وقد نزل إلى جانب نهر ، وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلاً ، وترك عن يمينه وشماله طريقاً يبساً يقاتل منه إذا أراد القتال ، وكان عدة من معه ستةً وخمسين ألف فارس ، ومئة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل ، وسبعمئة وستة وأربعين فيلاً ، فأرسل محمود طائفةً من عسكره للقتال ، فأخرج إليهم ننda مثلهم ، ولم يزل كلُّ عسكر يمدُّ أصحابه حتى كثر الجمعان ، واشتدَّ الضرب والطِّعان ، فأدركهم الليل ، وحجز بينهم ، فلما كان الغد بكَّر محمود إليهم ، فرأى الديار منهم بلاقع ، وركب كل فرقة منهم طريقاً مخالفاً لطريق

الأخرى ووجد خزائن الأموال والسلاح بحالها ، فغنم الجميع ، واقتفى آثار المنهزمين ، فلحقهم في الغياض والآجام ، وأكثر فيهم القتل والأسر ، ونجا «نندا» ، فريداً وحيداً ، وعاد محمود إلى غزنة.

وقدم الهند سنة اثنتي عشرة وأربعمئة عازماً على الغزو ، فقصد كشمير ، وحاصر قلعة «لوه كوت» وأدام الحصار شهراً كاملاً ، وضيَّق عليهم ، واستمرَّ القتال ، ثم استيأس من الفتح ، ورجع إلى لاهور ، فسير جيوشه إلى ناحيتها ، فغنم المسلمون كثيراً من المال ، ولما رأى حفيد جيبال عجزه عن المقاومة انحاز إلى أجمير ، واحتمى بصاحبها ، فقبض محمود على لاهور ، وقبض على ما والاها من البلاد ، وأقام الخطبة له وأمَّر أحداً من أمرائه ، ثم رجع إلى غزنة ، وسار نحو الهند سنة ثلاث عشرة وأربعمئة وقصد نندا ، فلما وصل إلى قلعة كواليز ، وهي على رأس جبل منيع ، ليس له مصعد إلا من موضع واحد ، تسع خلقاً ، وفيها من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج إليه الناس ، فَحصر أهلها ، وأدام الحصار ، وضيَّق عليهم ، واستمرَّ القتال ، فقُتل منهم كثيرٌ ، فلما رأوا ما حلَّ بهم؛ أذعنوا له ، وطلبوا الأمان ، فآمنهم ، وهرب صاحبها نندا إلى كالنجر ، فسار خلفه إليها ، وهو حصنٌ كبيرٌ يسع خمسمئة ألف إنسان ، وفيه خمسمئة فيل وعشرون ألف دابة ، وفي الحصن ما يكفي الجميع مدَّةً ، فلما قاربها ، وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا قدرة عليه ، فأمر بقطعها ، ورأى في الطريق خندقاً عظيم العمق بعيد القعر ، فأمر أن يطمَّ منه مقدار ما يسع عشرين فارساً ، فطموه بالجلود المملوءة تراباً ، ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوماً ، وراسله صاحبها في الصلح ، فلم يجبه ، ثم صالحه على خمسمئة فيل ، وثلاثة آلاف منٍّ فضة ـ ذكرها ابن الأثير في الكامل ، من ماجريات سنة ست وتسعين وثلاثمئة والله أعلم.

ورحل من غزنة في عاشر شعبان سنة ست عشرة وأربعمئة عازماً إلى سومنات ، وكانت بلدةً كبيرةً على ساحل البحر ، فافتتحها عنوةً ، وكسر الصنم المعروف بسومنات ، والمشركون يزعمون أنه يحيي ، ويميت ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وأنَّه إذا شاء أبرأ من العلل ، وربما كان يتفق

لشقوتهم إبلال عليل يقصده ، فيوافقه طيبُ الهواء ، وكثرةُ الحركة ، فيزيدون به افتتاناً ، ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالاً وركباناً ، ومن لم يصادف منهم انتعاشاً احتجَّ بالذنب ، وقال: إنه لم يخلص له الطاعة ، ولم يستحق منه الإجابة ، ويزعمون أنَّ الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ ، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجُّون إليه كلَّ ليلة خسوف من كلِّ صقع بعيد ، ويأتون من كلِّ فجٍّ عميق ، ويتحفونه بكلِّ مالٍ نفيس ، ولَم يبق في بلاد الهندَ على تباعد أقطارها وتفاوتِ أديانها ملكٌ ولا سوقةٌ إلاّ تقرَّب إلى هذا الصنم بما عزَّ عليه من أمواله وذخائره ، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع ، وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال ، وفي خدمته منَ البراهمةَ ألف رجل يخدمونه ، وثلاثمئة يحلقون رؤوسَ حجيجه ولحاهم عند الورود عليه ، وثلاثمئة رجل وخمسمئة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ، ويجري من مال الأوقاف المرصدة لهَ لكلِّ طائفة من هؤلاء رزقٌ معلوم.

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلَّة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرَّمل على طرقها ، فسار إليها محمودَ في ثلاثين ألف فارس ، جريدةً مختارةً من بين عدد كثير سوى المتطوعة ، وأنفق عليهم من الأموال مالا يحصى ، وسلك سبيلَ ملتآن وفي طريقه إلى الهند قفرٌ لا ساكن فيها ، ولا ماء ، ولا ميرة ، وعسكره على قدر الحاجة ، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل ، تحمل الماء والميرة ، وقصد أنهلوارّه (أي نهرواله) فلما قطع المفازة؛ رأى في طرفها حصوناً مشحونةً بالرجال ، وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها ، فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرُّعب الذي قذفه في قلوبهم وتسلَّمها ، وأهلك أوثانها ، واستقوا الماء ، وامتاروا ما يحتاجون إليه ، وسار إلى أنهلوارّه فرأى صاحبها بهيم قد أجفل عنها ، وتركها ، وقصد حصناً له يحتمي به.

فاستولى محمود على المدينة ، وسار إلى سومنات فلقي في طريقه عدَّة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات ، فقاتل من بها وفتحها وخرّبها ، وكسر أصنامها ، وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء ، فلقي فيها عشرين ألف مقاتل ، فأرسل إليهم السرايا ، فقاتلوهم ،

وهزموهم ، وغنموا مالهم ، وامتاروا من عندهم ، وساروا حتى بلغوا ديولوارّه ، وهي على مرحلتين من سومنات ، وقد ثبت أهلها له ظنّاً منهم أنَّ سومنات يمنعهم ، ويدافع عنهم ، فاستولى عليها ، وقتل رجالها ، وغنم أموالها ، وسار عنها إلى سومنات ، فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه ، وأهله على الأسوار يتفرَّجون على المسلمين ، واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ، ويهلكهم ، فلما كان الغد زحف ، وقاتل من به فرأى المشركون من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله ، ففارقوا السور ، فنصب المسلمون عليه السلالم وصعدوا إليه ، وأعلنوا بكلمة الإخلاص ، وأظهروا شعار الإسلام ، فحينئذ اشتدَّ القتال ، وعظم الخطب ، وتقدَّم جماعة المشركين إلى سومنات ، فعفروا له خدودهم ، وسألوه النصر ، وأدركهم الليل فكفَّ بعضهم عن بعض ، فلما كان الغد بكَّر المسلمون إليهم ، وقاتلوهم ، فأكثروا فيهم القتل ، وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم ، فقاتلوا على بابه أشدَّ قتال حتى كاد الفناء يستوعبهم ، فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما ، فأدركهم المسلمون ، فقتلوا بعضاً ، وغرق بعض .

وأما البيت الذي فيه سومنات فكان مبنياً على ستّ وخمسين سارية من الساج المصفح بالرَّصاص ، وسومنات من حجر ، طوله خمسة أذرع : ثلاثةٌ مدورةٌ ظاهرةٌ ، وذراعان في البناء ، وليس بصورة مصوَّرة ، فأخذه محمود فكسره ، وأحرق بعضه ، وأخذ بعضه معه إلى غزنة ، فجعلَه عتبة الجامع ، وكان بيت الصنم مظلماً ، وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق ، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس ، وزنها مئتا منٍّ ، كلما مضى طائفةٌ معلومة من الليل حركت السلسلة ، فيصوت الجرس ، فيقوم طائفةٌ من البراهمة إلى عبادتهم ، وعنده خزانةٌ فيها عدَّةٌ من الأصنام الذهبية والفضية ، وعليها الستور المعلقة المرصَّعة بالجوهر ، كلٌّ واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم ، وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرينَ ألف ألف دينار ، فأخذ الجميع ، وكانت عدَّة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل .

ثم إنَّ محمود ورد عليه الخبر أنَّ بهيم صاحب أنهلوارّه قد قصد قلعة تسمى كندهه ، في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخاً ، فسار إليها

من سومنات ، فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه أنه يمكن خوضه لكن إذا هبَّت الريح ولو يسيراً غرق من فيه ، فاستخار الله تعالى ، وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين ، فرأوا بهيماً وقد فارق القلعة ، وأخلاها ، فعاد عنها ، وقصد المنصورة ، وكان صاحبها ارتدَّ عن الإسلام ، فلما بلغه خبر مجيء محمود احتمى بغياض أشبة ، فقصده محمود من موضعين ، فأحاط به وبمن معه ، فقتلوا أكثرهم ، وغرق منهم كثيرٌ ، ولم ينج منهم إلا القليل ، ثم سار إلى بهاطنه ، فأطاعه أهلها ، ودانوا له ، فرحل إلى غزنة ، فوصلها عاشر صفر سنة سبع عشرة وأربعمئة .

وتوفي سنة إحدى وعشرين وأربعمئة بغزنة ، فقام مقامه ولده محمد بن محمود بوصيته ثم خرج عليه مسعود بن محمود ، وقبض عليه ووُلِّي بالملك .

مسعود بن محمود الغزنوي

لما استقرَّ له الملك بعد أبيه ، وعرف أنَّ نائبه بأرض الهند أرياق الحاجب استبدَّ بالأمر ؛ استقدمه إلى معسكره ببلخ ، واحتال لقدومه إليه فأمنه أحمد بن الحسن المهمندي الوزير ، فذهب إلى بلخ ، وكان معه قوته ورجاله من الترك ومشركي الهند ، فتلقَّاه مسعود بالرحبة والإكرام ، وقربه إلى نفسه حتى اغترَّ الحاجب بإكرامه ، ووقع في اللَّذات والخمور ، فقبض عليه ذات يوم وقد غلب عليه السكر ، ثم ولَّى أحمد بن نيالتكين الحاجب على أرض الهند ، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة ، ثم سيَّر عساكره إلى تيز ومكران ، فملكها وما جاورها من البلاد ، وسيَّر عساكره إلى كرمان فملكوها ، وفي سنة أربع وعشرين وأربعمئة قصد قلعة سرستي ، وكانت من أمنع حصون الهند وأحصنها ، فحصرها وقد كان حصرها أبوه غير مرَّة ، فلم يتهيأ له فتحها ، فلما حصرها مسعود راسله صاحبها ، وبذل له مالاً على الصُّلح ، فأجابه إلى ذلك ، وكان فيها قوم من التجار المسلمين ، فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها إلى مسعود من جملة القرار عليه ، فكتب التجار رقعةً في نشابة ، ورموا بها إليه يعرفونه فيها ضعف المشركين بها ، وأنَّه إن صابرهم ملكها ، فرجع عن الصلح إلى الحرب ، وطمَّ خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره ، وفتح الله عليه ،

وقتل كلَّ من فيها وسبى ذراريهم ، وأخذ ما جاورها من البلاد ، فكان عازماً على طول المقام والجهاد ، فأتاه من خراسان خبر الغزو ، فرجع إلى غزنة .

فلما سار إلى خراسان عصى نائبه أحمد نيالتكين ببلاد الهند ، وجمع الجموع وقصد البلاد بالأذىٰ ، فسير إليه مسعود جيشاً كثيفاً ، وكانت ملوك الهند تمنعه من الدخول إلى بلادهم ، وتسدُّ منافذ هربه ، ولما وصل الجيش المنفذ إليه قاتلهم ، فانهزم ، ومضى هارباً إلى ملتان ، وقصد بعض ملوك الهند بمدينة بهاطية ، ومعه جمعٌ كثير من العساكر فلم يكن لذلك الملك قدرة ، وطلب منه سفناً ليعبر نهر السند ، فأحضر له السفن ، وكان في وسط النهر جزيرة ظنَّها أحمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ، ولم يعلموا أن الماء محيط بها ، فتقدَّم ملك الهند إلى أصحاب السفن بإنزالهم في الجزيرة والعود عنهم ، ففعلوا ذلك وبقي أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعامٌ إلا ما معهم ، فبقوا بها تسعة أيام ففني زادهم ، وأكلوا دوابَّهم وضعفت قواهم ، فأرادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدَّة الوحل فيه ، فعبر الهندي إليهم عسكره في السفن وهم على تلك الحال ، فأوقعوا بهم ، وقتلوا أكثرهم ، وأخذوا ولد أحمد أسيراً ، وقتلوا أحمد ومن معه ، فسير مسعود ولده مجدوداً إلى الهند سنة ست وعشرين وأربعمئة ، فاستقرَّ بها إلى زمان أخيه مودود بن مسعود ، كما في الكامل .

وقال فرشته في تاريخه : إنه دخل سنة سبع وعشرين وأربعمئة ، وقصد قلعة هانسي وكانت من أمنع قلاع الهند ، فملكها في ستة أيام ، ثم قصد قلعة سوني بت وملكها ، ثم رجع إلى لاهور ، وأمر على عساكره بالهند ولده مجدوداً وجعل أياز أتابكاً له ، ثم سار إلى غزنة .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة قتل مسعود ، فولي مكانه أخوه محمد المسمول ، ثم قتله مودود بن مسعود ، وقام مقام أبيه .

مَـوْدُوْد بـن مسعـود الغزنـوي

اشتغل بأمر خراسان مدَّةً ، ومات مجدود بن مسعود في لاهور ، فسار ملك دهلي بالعساكر الكثيفة إلى قلعة هانسي ، فحاصرها ثم ملكها ، ثم قلعة تهانيسر فملكها ، ثم نكركوث ، فملكها أيضاً ، ثم قصد لاهور ، واجتمع به ملكان

آخران من ملوك الهند ، فحاصروها سنة خمس وثلاثين وأربعمئة ، فجمع مقدم العساكر الإسلامية بالهند من عنده منهم ، وأرسل إلى مودود يستنجده ، فسير إليه العساكر ، فاتفق أن بعض أولئك الملوك فارقهم ، وعاد إلى طاعة مودود ، فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما ، فسارت العساكر الإسلامية إلى أحدهما ، وكان يعرف بدوبال هرهانه ، فانهزم منهم ، وصعد إلى قلعة منيعة له هو وعساكره فاحتموا بها ، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل ، وحاصرهم المسلمون ، وضيَّقوا عليهم ، وأكثروا القتل فيهم ، فطلب المشركون الأمان على تسليم الحصن ؛ فامتنع المسلمون من إجابتهم إلا بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم ، فحملهم الخوف وعدم الأقوات على إجابتهم إلى ما طلبوا ، وتسلموا الجميع ، وغنم المسلمون الأموال ، وأطلقوا مافي الحصون من أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف نفر .

فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني ، واسمه : «تابت بالري» فتقدَّم إليهم ولقيهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم المشركون ، وانجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح ، وأسر ضعفاؤهم ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابَّهم ، فلما رأى باقي الملوك ما لقي هؤلاء ؛ أذعنوا للطاعة ، وحملوا الأموال ، وطلبوا الأمان ، والإقرار على بلادهم ، فأجيبوا إلى ذلك .

وفي سنة إحدى وأربعين وأربعمئة توفي مودود بغزنة وقام في الملك بعده عمه عبد الرشيد بن محمود فأمَّر على بلاد الهند نوشتكين الحاجب الكرخي ، وبعثه إلى لاهور ، فأحسن السيرة ، وفتح نكركوت مرَّةً ثانيةً ، وقتل عبد الرشيد سنة أربع وأربعين وأربعمئة ، وقام بالملك بعده فرخ زاد بن مسعود ، وتوفي سنة إحدى وخمسين وأربعمئة ، فقام بالملك بعده إبراهيم بن مسعود .

إبراهيم بن مسعود الغزنوي

قصد الهند سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة فحصر قلعة أجودهن ، وكانت قلعةً حصينةً في غاية الحصانة كبيرةً تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة ، فقاتلوه ، وصبروا تحت الحصر ، وزحف إليهم غير مرَّة فرأوا من شدَّة حربه ما ملأ قلوبهم

خوفاً ورعباً ، فسلَّموا القلعة إليه ، وكانت في نواحي الهند قلعةٌ يقال لها «روبال» على رأس جبل شاهق ، وتحتها غياضٌ أشبة ، وخلفها البحر ، وليس عليها قتال إلا من مكان ضيق ، وهو مملوء بالفيلة المقاتلة ، وبها من رجال الحرب ألوف ، فتابع عليهم الوقائع ، وألحَّ عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب ، وملك القلعة واستنزلهم منها .

وفي موضع يقال له : «دره نوره» قوم من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركي من قديم الزمان ، ولم يتعرض لهم أحد من الملوك ، فسار إليهم إبراهيم ، ودعاهم إلى الإسلام أولاً ، فامتنعوا من إجابته ، وقاتلوه ، فظفر بهم ، وأكثر القتل فيهم ، وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترقَّ من الصبيان والنسوان مئة ألف ، وكان في هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ ، لا يدرك قعره ، يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ، ولا يظهر فيه نقص .

وفي بلاد الهند موضع يقال له : «دره» وهو بر بين خليجين ، فقصده إبراهيم فوصل إليه ، وفي طريقه عقباتٌ كثيرةٌ ، وفيها أشجارٌ ملتفةٌ ، فأقام هناك ثلاثة أشهر ، ولقي الناس من الشتاء شدَّةً ، ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره عليه ، وعاد إلى غزنة سالماً مظفراً ، ولم يعرف تاريخ هذه الغزوات .

ومات إبراهيم في سنة إحدى وثمانين وأربعمئة ، فقام بالملك بعده ولده مسعود بن إبراهيم ، وأمَّر على الهند طعاتكين الحاجب الذي كان مقطعاً بلاهور ، ومات مسعود سنة ثمان وخمسمئة ، فقام بالملك بعده ولده أرسلان شاه ، وأمَّر على بلاد الهند محمد باهليم الحاجب ، فخرج عليه أخوه بهرام شاه ، وغلب عليه ، ففرَّ أرسلان شاه إلى الهند ثم قصد «غزنة» وقتل في سنة اثنتي عشرة وخمسمئة .

بَهْـرَامْ بـن إبـراهيـم الغزنـوي

قام بالملك بعد أخيه أرسلان شاه ، وقدم الهند سنة اثنتي عشرة وخمسمئة ، وكان محمد باهليم نائب أخيه بالهند أظهر العصيان عليه ، فأصلح الفاسد ،

وقبض عليه ، وحبسه أولاً ، ثم أطلقه من الأسر ، وأمره على عساكره بالهند مرة ثانية ، ورجع إلى غزنة .

فلما أبعد عن الهند جمع محمد باهليم المذكور عسكراً من الأفغانية ، والخلجية ، وغيرهما ، وشنّ الغارة على المشركين ، وفتح البلاد والقلاع ، وأسس قلعة بناكور في جبال «سوالك» واختزن بها ، وأقام عياله فيها ثم أظهر العصيان مرَّةً ثانيةً ، فلما سمع بهرام شاه رجع إلى الهند فلقيه بعساكره واقتتلوا أشدَّ قتال ، فقتل ومعه أبناؤه ، ثم أمَّر بهرام شاه على عساكره بالهند سالار حسين بن إبراهيم العلوي ، ورجع إلى غزنة .

وفي سنة ثلاث وأربعين ، وخمسمئة قصد سيف الدين الغوري مدينة غزنة فملكها ، وفارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند ، وجمع جموعاً كثيرةً وعاد إلى غزنة وملكها في سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، وصلب سيف الدين ، فلما سمع ذلك صنوه علاء الدين ملك غور قصد غزنة بعساكره ، ومات بهرام شاه قبل وصوله إلى غزنة فوصل إلى غزنة وملكها ، وخرج خسرو شاه بن بهرام شاه إلى الهند ، ولم يزل بها حتى مات بلاهور سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، فقام بالملك بعده ولده خسرو ملك بن خسرو شاه ، وانقرضت دولة آل سبكتكين عليه ، كما سنذكره في ذكر شهاب الدين سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة .

شهاب الدين محمد الغوري

لما استقرَّ أمره بغزنة في أيام أخيه غياث الدين الغوري سار إلى الهند سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة ، فانتزع ملتان وما والاها من أيدي القرامطة ، ثم حاصر «أج» وبها ملك من المشركين ، فلم يظفر منه بطائل ، وكان للهندي زوجة غالبة على أمره ، فراسلها شهاب الدين أن يتزوجها ، فأعادت الجواب أنها لا تصلح له ، وأنَّ لها ابنة جميلة تزوجه إياها ، فأرسل إليها يجيبها إلى التزويج بابنتها ، فسقت زوجها سمّاً فمات ، وسلمت البلد إليه فأخذ الصبية ، فأسلمت ، وتزوجها ، وحملها إلى غزنة ، وأجرى عليها الجرايات الوافرة ، ووكل بها من علَّمها القرآن ، وتشاغل عنها ، ثم إنه لما فتح ملتان و«أج» أمَّر عليهما عليا كرماج ، وعاد إلى غزنة ، ثم سار منها سنة أربع وسبعين وخمسمئة

من طريق ملتان إلى كجرات ، فلقيه صاحبها «بهيم ديو» وقاتله ، فانهزم المسلمون ، وقتل كثير منهم فعاد إلى غزنة ، ثم رجع سنة خمس وسبعين وخمسمئة ، وقصد لاهور وبها يومئذ خسرو شاه ، وقيل : ولده خسرو ملك ، فلما سمع بذلك سار فيمن معه إلى ماء السند ، فمنعه من العبور ، فرجع عنه ، وقصد بيشاور فملكها وما يليها من جبال الهند ، وأعمال الأفغانيين ، ثم رجع إلى غزنة واستراح بها .

ثم خرج سنة تسع وسبعين وخمسمئة ، وسار نحو لاهور في جمع عظيم ، فعبر إليها ، وحصرها ، وأرسل إلى صاحبها خسرو شاه ـ وقيل : إلى ولده خسرو ملك ـ وإلى أهلها يتهدَّدهم إن منعوه ، وأعلمهم أنَّه لا يزول حتى يملك البلد ، وبذل الأمان على نفسه ، وأهله ، وماله ، فامتنع عليه ، وأقام شهاب الدين محاصراً له ، فلما رأى أهل البلد ذلك ضعفت نياتهم في نصرة صاحبهم ، وطلبوا الأمان من شهاب الدين ، وخرجوا إليه ، ودخل الغورية إلى المدينة وأرسل غياث الدين إلى أخيه يطلب صاحب الهند ، فسيَّره إليه ، فأمر له غياث الدين ، فرفع إلى بعض القلاع ، وأمر شهاب الدين بإقامة الخطبة له بلاهور ، ولقب أخاه شهاب الدين «معز الدين» فلما استقرَّ أمر لاهور أمَّر عليها «عليا كرماج» المذكور ، ورجع إلى غزنة .

وقصد بلاد الهند سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، ففتح قلعة «بهّتنده» وهي حصن منيع عامر ، وملك سرستي وكوه رام (كهرام) وأمر على بهّتنده وغيره ضياء الدين التولكي ، فلما سمع برتهي راج ملك أجمير ودهلي ، جمع العساكر ، وأكثر ، وسار إلى دهلي مع أخيه كهاندي راو ، نائبه بأرض دهلي ، وأكثر ملوك الهند ، فالتقوا في قرية نارائن على شاطىء نهر سرستي على أربعين ميلاً من دهلي ، وقامت الحرب على ساق ، فلما اشتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فقال لشهاب الدين بعض خواصه : قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك ، لا يهلك المسلمون ، فأخذه شهاب الدين الرمح وحمل على المشركين فوصل إلى الفيلة ، فطعن فيلاً منها في كتفه ، فزرقه كهاندي راو بحربة في ساعده فنفذت الحربة من الجانب الآخر ، فوقع حينئذ على الأرض فقاتل عليه أصحابه ليخلصوه ، وحرص المشركون على أخذه ، وكانت عنده

حرب لم يسمع بمثلها ، وأخذه أصحابه فركبوه فرسه وعادوا به منهزمين ، فلم يتبعهم المشركون ، فلما أبعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمي على شهاب الدين من كثرة خروج الدم ، فحمله الرجال على أكتافهم في محفة اليد أربعة وعشرين فرسخاً ، فلما وصل إلى لاهور استراح بها ثم رجع إلى غزنة ، وأخذه الأمراء الغورية الذين انهزموا ولم يثبتوا ، وعلّق على كلٍّ واحدٍ منهم عليق شعير ، وقال : أنتم دواب! ما أنتم بأمراء.

ثم جمع عساكره وسار نحو الهند سنة ثمان وثمانين وخمسمئة. ولما وصل إلى بشاور تقدَّم إليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له : قد قربنا من العدو! وما يعلم أحد أين يمضي ولا من يقصد ولا يرد على الأمراء سلاماً وهذا لا يجوز فعله ، فقال له شهاب الدين : اعلم أنني منذ هزمني هذا الكافر لم أنم مع زوجتي ، ولم ألبس ثياباً بيضاً ، وأنا سائر إلى عدوي ، ومعتمد على الله ، لا على الغورية ، ولا على غيرهم ، فإن نصرني الله سبحانه ، ونصر دينه؛ فمن فضله ، وكرمه ، وإن انهزمنا؛ فلا تطلبوني ، فما انهزمت ، ولو هلكت تحت حوافر الخيل ، فقال له الشيخ : سوف ترى بني عمك من الغورية ما يفعلون ، فينبغي أن تكلمهم وتردَّ سلامهم ، ففعل ذلك ، وبقي الأمراء الغورية يتضرعون ويقولون : سوف ترى ما نفعل! وسار إلى أن وصل إلى موضع المصاف الأول ، وجازه مسيرة أربعة أيام ، وأخذ عدَّة مواضع من بلاد العدو.

فلما سمع برتهي راج تجهَّز ، وجمع عساكره ، وسار يطلب المسلمين ، فلما بقيت بين الطائفتين مرحلةٌ عاد شهاب الدين وراءه ، وبرتهي راج في أعقابه أربعة منازل ، فأرسل برتهي راج إليه يقول له : أعطني يدك أنك تصادقني في باب غزنة ، حتى أجيء وراءك ، وإلا فنحن مثقلون ، ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثم يخرج هارباً ، فأعاد الجواب : إنني لا أقدر على حربك ، وتمَّ على حاله عائداً إلى أن بقي بينه وبين بلاد الإسلام ثلاثة أيام ، وبرتهي راج في أثره يتبعه حتى لحقه قريباً من مرتده ، فجرَّد شهاب الدين من عسكره سبعين ألفاً ، وقال : أريد هذه الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون أنتم من تلك الناحية ، وأنا من هذه الناحية ، ففعلوا ذلك وطلع الفجر ، ومن عادة المشركين أنهم لا يبرحون مضاجعهم إلى أن تطلع الشمس ، فلما

أصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب ، وضربت الكوسات ، فلم يلتفت برتهي راج إلى ذلك ، وقال : من يقدم عليّ أنا هذا! والقتل قد كثر في المشركين والنصر قد ظهر للمسلمين ، فلما رأى برتهي راج ذلك أحضر فرساً له سابقاً ، وركب ليهرب ، فقال له أعيان أصحابه : إنَّك حلفت لنا أنك لا تخلينا وتهرب! فنزل عن الفرس ، وركب الفيل ، ووقف موضعه ، والقتال شديد والقتل قد كثر في أصحابه ، فانتهى المسلمون إليه وأخذوه أسيراً ، وحينئذ عظم القتل والأسر في المشركين ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وأحضر برتهي راَج بين يدي شهاب الدين ، فلم يخدمه[1] فأخذه بعض الحجاب بلحيته وجذبه إلى الأرض حتى أصاب جبينه وأقعده بين يدي شهاب الدين ، فقال شهاب الدين : لو استأسرتني ما كنت تفعل بي؟ فقال : قد استعملت لك قيداً من ذهب أقيدك به ، فقال شهاب الدين : بل نحن نجعل لك من القدر ما نقيدك ، وغنم المسلمون من المشركين أموالاً كثيرةً وأمتعةً عظيمةً ، وفي جملة ذلك أربعة عشر فيلاً ، من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الوقعة .

ثم سار شهاب الدين إلى أجمير ، فأخذه ، وأخذ جميع البلاد التي تقاربه ، وولاه عليها كوله ولد برتهي راج المذكور ، ثم سار إلى دهلي ، فأرسل صاحبها الهدايا من الأموال الطائلة ، فرجع عن ظاهرها ، وقنع بسرستي ، وهانسي ، وكهرام ، وسامانه ، وغيرها من القلاع والبلاد ، وأقطعها لمملوكه قطب الدين أيبك ، ثم رجع إلى غزنة .

فقام قطب الدين بالملك بعده ، وشنَّ الغارة على ميرته ، فملكها ثم سار إلى دهلي وقاتل صاحبها أشد قتال ، فهزمه ، ودخل دهلي ، وسار في سنة تسع وثمانين إلى قلعة كول ، فملكها ، وجعل دهلي دار ملكه .

ثم عاد شهاب الدين إلى بلاد الهند بعساكره سنة تسعين وخمسمئة وسار إلى قنوج ، فتقدم إليه سلطانها جَي جند بعساكره ، فالتقى العسكران على ماء جمنا بناحية جند واره ، وبلدة أثاوه ، فاقتتلوا ، فصبر الكفار لكثرتهم ، وصبر المسلمون لشجاعتهم ، فانهزم الكفار ، ونُصر المسلمون ، وكثُر القتل في

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله : فلم يخر له .

المشركين حتى امتلأت الأرض ، وجافت ، وكانوا لا يأخذون إلا الصبيان والجواري ، وأما الرجال فيقتلون ، وأخذ منهم تسعين فيلاً وباقي الفيلة قتل بعضها ، وانهزم بعضها ، وقتل جي جند ، ولم يعرفه أحد إلا أنه كانت أسنانه قد ضعفت أصولها فأمسكوها بشريط الذهب ، فلذلك عرفوه ، فلما انهزم المشركون دخل شهاب الدين في قلعة «أسني» وكان مخزن جي جند ، فحمل خزائنها على ألف وأربعمئة جمل ، ثم سار إلى بنارس ، وكسر ألف كنيسة بها ، ثم قصد كول ، التي فتحها قطب الدين أيبك قبل وصوله إلى الهند ، فتفرج بها ، وذهب إلى غزنة .

وفي هذه السنة خرج هيمراج على كوله ولد برتهي راج ، فانتزع أجمير من يده ، فلما سمع ذلك قطب الدين أيبك؛ سار إليه بعساكره في سنة إحدىٰ وتسعين وخمسمئة ، فانهزم هيمراج ، وولّى قطب الدين على أجمير أحد خواصِّه ، ثم سار إلى كجرات ، فلقيه عساكر صاحبها قريباً من بلدة نهرواله ، فقتل مقدم عساكر كجرات ، وخرج فقاتل صاحبها بهيم ديو إلى ناحيةٍ من نواحي كجرات ، فغنم أموالاً طائلة .

وقدم شهاب الدين بلاد الهند سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، وفتح قلعة «تهنكر» التي سموها بعد ذلك «بيانه» بفتح الموحدة وولى عليها بهاء الدين طغرل ، وبعث مملوكه قطب الدين إلى كوالير ، فقاتل صاحبها سلكمن ، وفتحها صلحاً ، ورجع شهاب الدين إلى غزنة .

ثم قدم الهند سنة سبع وتسعين وخمسمئة ، وبعث مملوكه قطب الدين إلى نهرواله ، فوصلها سنة ثمان وتسعين ، فلقيه عسكر المشركين ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فهزمهم قطب الدين واستباح معسكرهم ومالهم فيه من الدواب وغيرها ، وتقدَّم إلى نهرواله ، فملكها عنوةً ، وهرب ملكها بهيم ديو ، فجمع وحشد ، فكثر جمعه ، وعلم شهاب الدين أنَّه لا يقدر على حفظها إلا بأن يقيم هو فيها ويخليها من أهلها ، فيتعذَّر عليه ذلك ، فصالح صاحبها على مال يؤديه إليه عاجلاً وآجلاً ، وأعاد عساكره عنها ، وسلمها إلى صاحبها .

وفي سنة تسعٍ وتسعين وخمسمئة ملك قطب الدين قلعة «كالبي» و«كالنجر» وبدايون ، ولما انهزم شهاب الدين من خطا ، وشاع في الناس أنَّه عدم في

www.abulhasanalinadwi.org

المعركة ، ثار المفسدون في أطراف البلاد ، وكان ممَّن أفسد بنو كوكر ، ومساكنهم في جبال بين لاهور وملتان ، حصينةٌ منيعةٌ ، وكانوا قد أطاعوا شهاب الدين ، وحملوا له الخراج ، فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم ، وأطاعهم صاحب أجودهن وغيره من القاطنين بتلك الجبال ، ومنعوا الطريق من لاهور وغيرها إلى غزنة ، وكان شهاب الدين قد أرسل إلى محمد بن أبي علي نائبه بلاهور وملتان ، يحمل المال لسنة إحدى وستمئة ، ليتجهز به لحرب خطا ، فأجاب: إنَّ بني كوكر قد قطعوا الطريق ، ولا يمكنه إرسال المال ، وحضر جماعة من التجار ، وذكروا أنَّ قافلةً كبيرةً أخذها بنو كوكر ، ولم ينج منهم إلا القليل ، فأمر شهاب الدين مملوكه قطب الدين مقدَّم عساكر الهند أن يراسل بني كوكر يدعوهم إلى الطاعة ، ويتهدَّدهم إن لم يجيبوا ، ففعل ذلك فقالوا: لأيِّ معنى لم يرسل السلطان إلينا رسولاً؟ فلو كان حياً لراسلنا ، وقد كنا ندفع الأموال إليه ، فحيث عدم فينبغي لقطب الدين أن يترك لنا لاهور ، وبيشاور ، وما والاها ، ونحن نصالحه ، فأمر شهاب الدين مملوكه قطب الدين بالعود إلى بلاده وجمع العساكر وقتال بني كوكر ، فعاد إلى دهلي ، وأمر عساكره بالاستعداد ، فأقام شهاب الدين في بيشاور مدَّةً من الزمان ، ثم رجع إلى غزنة لقتال خطا ، وأمر بالنداء في العساكر بالتجهُّز ، فتجهَّزوا لذلك ، ولكن ظهر العدوان من بني كوكر ، فأثاروا الفتن ، وما يتعهدونه من إخافة السبل ، ووافقهم أكثر المشركين ، وخرجوا من طاعة أمير لاهور وملتان ، ومقدمهم أرسل إلى الأمير أن يترك لاهور والبلاد وإلا قتله ، فتغيَّر عزم شهاب الدين حينئذ عن غزو خطا ، وأخرج خيامه وسار عن غزنة سنة اثنتين وستمئة ، فلما ساروا بعد انقطعت أخباره عن الناس بغزنة وبيشاور ، حتى أرجف الناس بانهزامه ، وكان شهاب الدين لما سار عن بيشاور أتاه خبر أنَّ بني كوكر نازلون في عساكره ما بين جيلم و«سودره» فجدَّ السير إليه ، فدهمه قبل الوقت الذي كان يقدر وصوله فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً من البكرة إلى العصر ، واشتدَّ القتال ، فبينما هم في القتال؛ إذ أقبل قطب الدين في عساكره ، فنادوا بشعار الإسلام ، وحملوا حملة صادقةً ، فعند ذلك انهزم كوكر ، ومن انضم إليهم ، وقتلوا بكل مكان وقصدوا أجمةً هناك ، فاحتموا بها ، وأضرموا ناراً ، فكان أحدهم يقول

www.abulhasanalinadwi.org

لصاحبه: لا تترك المسلمين يقتلونك! ثم يلقي نفسه في النار، فيلقي صاحبه نفسه بعده فيها، فعمَّهم الفناء قتلاً وحرقاً، وكان أهلهم وأموالهم معهم لم يفارقوها، فغنم المسلمون منهم مالم يسمع بمثله، وأما ابن دانيال صاحب أجودهن فإنه جاء ليلاً إلى قطب الدين، فاستجار به، فأجاره وشفع فيه إلى شهاب الدين، فشفَّعه فيه، وأخذ قلعة أجودهن، فلما فرغ منهم سار إلى لاهور ليؤمن أهلها، ويسكِّن روعهم، وأمر الناس بالرجوع إلى بلادهم، وأقام شهاب الدين بلاهور مدَّةً من الزمان ثم عاد إلى غزنة وقتل في أثناء الطريق بقصة يطول شرحها[1].

* * *

---

(١) اعتمد المؤلف في هذا الباب على تاريخ ابن الأثير غالباً، وقد تناول ما نقله في بعض المواضح بالتصحيح والتهذيب ومقارنته بالمصادر الهندية.

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثالث

فيمن ملكوا الهند وكانوا يسكنون بدهلي

قطب الدين أَيْبَك

الملك الكبير قطب الدين أيبك الدَّهلوي السلطان الباذل الفاضل ، كان من مماليك السلطان شهاب الدين محمد الغوري ، أمَّره على عساكره بالهند سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، وأقطعه بعض البلاد والقلاع في ناحية دهلي ، فضبط قطب الدين تلك البلاد ، وأحسن السيرة في الرعية وسار إلى ميرته ، فملكها ، ثم سار إلى دهلي ، وقاتل صاحبها أشدَّ قتال ، فهزمه .

دخل دهلي سنة تسع وثمانين وخمسمئة ، وجعلها دار ملكه ، ثم سار إلى كول ، ففتحها عنوةً ، وأخذ الغنائم الكثيرة ، ولحق بشهاب الدين حين قدومه إلى الهند سنة تسعين وخمسمئة ، فجعله شهاب الدين طليعةً لعساكره وبعثه إلى قنوج ، فلقيه ملكها جي جند ، فقاتله أشدَّ قتال حتى قتله ، وأقام بقلعة أسنى مدة من الزمان ، فلما استقرَّ أمره بتلك البلاد أراد أن يرجع إلى دهلي فسمع أن هيمراج خرج على كوله ولد برتهي راج ، فسار إلى أجمير ، وانتزع البلاد من يده ، وولّى أجمير واحداً من خواصّه سنة إحدى وتسعين وخمسمئة ، ثم سار إلى كجرات ، ووصل إلى «نهرواله» ، فلقيه عساكر صاحبها قريباً من بلدة «نهرواله» ، فقاتلهم أشدَّ قتال ، فقتل مقدَّم العسكر وخرج صاحبها «بهيم ديو» إلى ناحية من نواحيها ، فغنم كثيراً من المال ورحل إلى غزنة ، فمكث بها برهةً من الزمان ، ثم عاد إلى الهند ، وأتمَّ بناء الجامع الكبير ببلدة دهلي سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة .

ولما قدم شهاب الدين سار معه إلى «تهنكر» ففتحها ، ثم بعثه شهاب الدين

إلى قلعة «كوالير» فصالح صاحبها «سلكمن» على مال يؤديه ، وسار إلى كجرات سنة سبع وتسعين ، ووصلها سنة ثمان وتسعين ، فلقيه عسكر المشركين ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، وهزمهم ، واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدَّوابِّ وغيرها ، وتقدَّم إلى «نهرواله» فملكها عنوةً وهرب ملكها «بهيم ديو» ، فجمع وحشد وأكثر ، ولما علم قطب الدين أنَّه لا يقدر على حفظها إلا بأن يقيم هو فيها ، ويخليها من أهلها ، فيتعذر عليه ذلك ، فصالح صاحبها على مال يؤدِّيه عاجلاً وآجلاً ، وقيل : إنَّه دخل بها ، وملكها ، وولَّى عليها واحداً من خوَاصِّه ، ثم رجع إلى دهلي .

في سنة تسع وتسعين وخمسمئة سار إلى قلعة «كالنجر» ، فتحصَّن بها صاحبها ، فحاصرها ، وأدام الحصار ، وضيَّق على أهلها ، فصالحه صاحبها على مال يؤديه عاجلاً وآجلاً ، ثم سار إلى «مهوبه» ، فملكها ، ثم سار إلى «بدايون» فملكها أيضاً .

وملك «بهار» محمد بن بختيار الخلجي ، وكان نائبه على بعض بلاد فيما وراء نهر «كنك» ، ولعلَّه كان سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، فأقطعه قطب الدين «بهار» و«بنكاله» فسار بعساكره إلى «بنكاله» وقاتل صاحبها ، فهزمه إلى «كامروب» ، وملك تلك البلاد ، وأسس مدينةَ «رنكبور» وجعلها دار ملكه .

ولما توفي شهاب الدين ، وقام بالأمر بعده ابن أخيه غياث الدين محمود الغوري «بفيروزكوه» أعتق قطب الدين ، وأرسل إليه «جتر» أي الظلة وغيرها من أمارات السلطة ، فجلس على سرير الملك بلاهور يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وستمئة ، وكانت مدة إمارته عشرين سنة ، ومدَّة سلطته أربع سنين .

وكان عادلاً باذلاً ، كريماً باسلاً مقداماً ، يضرب به المثل في الشجاعة والكرم ، وكان يعطي الناس أكثر مما يستحقونه ، ولذلك سموه «لك بخش» أي معطي مئة ألف ، وصنَّف النظامي في أخباره كتابه «تاج المآثر» .

مات سنة سبع وستمئة ببلدة لاهور ، فدفن بها .

آرَامْ شَاهْ بن قطب الدين

تولى المملكة بعد أبيه آرام شاه بن قطب الدين ، وكان شمس الدين أيلتمش مملوكاً لقطب الدين وصاحب عسكره ، ونائباً عنه في «بدايون» ، فلما سمع بذلك سار إلى دهلي ، واستبد بالملك ، ودعا الناس إلى بيعته ، فأتاه الفقهاء ، وقعدوا بين يديه ، وفهم أيلتمش عنهم ما أرادوا أن يكلموه به ، فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه ؛ وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه ، فبايعوه جميعاً.

شمس الدين أَيْلتَمَشْ

استقلَّ بالملك ستاً وعشرين سنة ، واشتدَّ في ردِّ المظالم ، وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً ، وأهل الهند جميعاً يلبسون البياض ، فكان متى قعد للناس ، أو ركب ، فرأى أحداً عليه ثوبٌ مصبوغ نظر في قضيته وإنصافه ممَّن ظلمه ، ثم خيل له أن ذلك لا يكفي ، لأنَّ بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل ، وأراد تعجيل إنصافهم ، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام ، موضوعين على برجين هنالك ، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير ، فكان المظلوم يأتي ليلاً ، فيحرك الجرس ، فيسمعه السلطان ، وينظر في أمره للحين ، وينصفه.

أما غزواته ، فإنه سار إلى «بنكاله» سنة اثنتين وعشرين وستمئة ، وانتزعها من يد الأمير غياث الدين الخلجي ، وأقام له الخطبة والسكَّة بها ، وأمَّر عليها ولده ناصر الدين محمود ، ورجع بثمان وثلاثين فيلاً ، وثمانين ألف تنكة ، وسار إلى قلعة «رتنبهور» سنة ثلاث وعشرين وستمئة ، وكانت حصينةً متينةً ، فحاصرها ، وضيق على أهلها ، وشَدَّد في القتال ، حتى ملكها ، وسار إلى قلعة «مندو» سنة أربع وعشرين وستمئة ، فملكها أيضاً ، وملك ما والاها من البلاد.

ثم سار إلى «بنكاله» مرَّةً ثانيةً سنة سبع وعشرين وستمئة ، فملكها ، وكان سبب ذلك أنَّ ولده ناصر الدين محمود توفي ، فثار المفسدون من كلِّ ناحية من نواحيها ، فسار إليها بعساكره ، وأصلح الفاسد ، وأمَّر عليها علاء الدين وأحداً من خواصِّه ، وسار إلى «كوالير» سنة تسع وعشرين وستمئة ، فحاصر قلعتها ، وأدام الحصار سنةً ، وضيَّق على أهلها ، فخرج صاحبها «ديوبيل» من القلعة ،

وانحاز إلى ناحية ، فدخل أيلتمش بتلك القلعة ، وقتل وأسر ، ثم رجع إلى دهلي ، وسار إلى «مالوه» سنة إحدى وثلاثين وستمئة ، وحاصر قلعة «بهيلسة» فملكها ، وهدم كنيسة «مهاكالي» التي كانت تقارب «سومنات» في الرفعة والمكانة ، وأخرج تمثال «بكرماجيت» عظيم المشركين ، وتماثيل الملوك الآخرين من تلك الكنيسة ، وألقاها على عتبة الجامع الكبير بمدينة دهلي[١].

مات سنة ثلاث وثلاثين وستمئة بدهلي ، فدفن بها .

ركن الدين بن أيْلَتَمَشْ

بويع بعد أبيه ، وافتتح أمره بالملاهي والملاعب ، واستولت على الملك أمُّه «تُركان خاتون» ، وكانت جاريةً تركيَّةً ، فتعدَّت على أبناء أيلتمش وأزواجه ، حتى قتل قطب الدين بن أيلتمش ، وكانت رضية بنت أيلتمش شقيقته ، فأنكرت ذلك عليه ، فأراد ركن الدين قتلها ، فلما كان في يوم الجمعة خرج ركن الدين إلى الصلاة ، فصعدت رضية على سطح القصر القديم ، المجاور للجامع الكبير ، ولبست ثياب المظلومين ، وتعرضت للناس ، وكلمتهم من أعلى السطح ، وقالت لهم : إنَّ أخي قتل أخاه ، ويريد قتلي معه ، وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير ، وإحسانه إليهم ، فثاروا عند ذلك على ركن الدين ، وهو في المسجد ، فقبضوا عليه وأتوا به إليها ، فقالت لهم : القاتل يقتل قصاصاً بأخيه ، فاتفق الناس على تولية رضية ، وكانت مدَّة ركن الدين ستة أشهر وبضعة أيام ، وقتل في سنة أربع وثلاثين وستمئة .

رضية بنت أيْلَتَمَشْ

لما قتل ركن الدين ، اجتمعت العساكر على تولية أخته «رضية» فولَّوها ، واستقلت بالملك أربع سنين ، وكانت تركب بالقوس والكنانة ، والقربان ، كما يركب الرجال ، ولا تستر وجهها ، ثم إنَّها اتهمت بعبدٍ لها من الحبشة ، فاتفق

---

(١) كذا في كتب التاريخ .

الناس على خلعها ، وتزويجها ، فخلعت ، وزوجت من بعض الأمراء ، وولي الملك أخوها معز الدين .

معـز الديـن بـن أَيْـلَـتَـمَـشْ

اتفق الناس عليه بعد أخته رضية ، واستقلَّ بالملك مدَّةً ، ثم إن رضية وزوجها خالفا عليه ، وركبا في مماليكهما ، ومن تبعهما من أهل الفساد ، وتهيئا لقتاله ، وخرج ناصر الدين محمود بن أيلتمش ، ومعه مملوكه غياث الدين بلبن ، فوقع اللقاء ، وانهزم عسكر رضية ، وفرَّت بنفسها ، فأدركها الجوع ، وأجهدها الإعياء ، فقصدت حراثاً رأتهم يحرثون الأرض ، فطلبت منهم ما تأكله ، فأعطوها كسرة خبز ، فأكلتها ، وغلب عليها النوم ، وكانت في زيِّ الرجال ، فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة ، فرأى تحت ثيابها قباءً مرصعاً ، فعلم أنها امرأة ، فقتلها ، وسلبها ، وطرد فرسها ، ودفنها في مزرعة وأخذ بعض ثيابها ، فذهب إلى السوق يبيعها ، فأنكر أهل السوق شأنه ، وأتوا به إلى الشحنة ، وهو الحاكم ، فضربه ، فأقرَّ بقتلها ، ودلهم على مدفنها ، فاستخرجوها ، وغسلوها ، وكفنوها ، ودفنت هنالك ، وبني عليها قبة ، وهو على شاطىء نهر «جمنا» على مسافة فرسخ من المدينة .

واستقلَّ معز الدين بعدها سنتين وشهراً ونصف شهر ، ثم قبضه الأمراء ، وقتلوه سنة تسع وثلاثين وستمئة .

عـلاء الدين مسعـود بـن ركـن الدين بن أَيْلَتَمَـشْ

لما خلع معز الدين ولي مسعود ، وافتتح أمره بالبرِّ والصلة ، وأحسن إلى كافة الناس ، حتى رضوا به ، ثم مال إلى التعدِّي ، وقتل جمعاً كثيراً من الناس ، فاتفق الناس على خلعه ، وتولية عمِّه ناصر الدين محمود . فخلعوه ، ثم قتلوه سنة أربع وأربعين وستمئة ، وكانت مدته أربع سنين وشهراً .

نـاصر الديـن محمود بن أَيْـلَـتَـمَـشْ

استقام له الأمر عشرين سنة ، وكان ملكاً صالحاً ينتسخ نسخاً من الكتاب العزيز ، ويبيعها ، ويقتات بثمنها.

مات في سنة أربعٍ وستين وستمئة ، فدفن بدهلي.

غيـاث الديـن بَـلْبَـنْ

لما مات ناصر الدين ولي نائبه غياث الدين ، واستقلَّ بالملك بعده عشرين سنة ، وقد كان قبلها نائباً عنه عشرين سنةً أخرى ، وكان من خيار السلاطين ، عادلاً حليماً فاضلاً ، ومن مكارمه أنه بنى داراً وسماها «دار الأمن» ، فمن دخلها من أهل الديون قضي دينه ، ومن دخلها خائفاً أُمن ، ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضي عنه أولياء المقتول ، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضي من يطلبه ، وبتلك الدار دفن لما مات.

وكان له ولدان: أحدهما خان شهيد محمد بن بلبن ولي عهد ، وكان والياً لأبيه ببلاد السند ، ساكناً بمدينة ملتان ، وقد قتل في حرب له مع التتر ، وترك ولداً كيخسرو ، وثانيهما ناصر الدين محمود بن بلبن المشهور ببغراخان ، وكان والياً لأبيه ببلاد «بنكاله» ، فلما استشهد خان شهيد ، جعل السلطان العهد إلى ولده كيخسرو ، وعدل به عن ابنه ناصر الدين محمود ، وكان لناصر الدين أيضاً ولد ساكن بحضرة دهلي مع جده ، يسمى «معز الدين كيقباد» وهو الذي تولَّى الملك بعد جده في خبر عجيب نذكره.

وأما غزواته ، فإنه قاتل التتر غير مرَّة ، وهزمهم إلى بلادهم في كلِّ مرَّة ، وقاتل المفسدين ، وقطَّاع السبل في ناحية دهلي ، وناحية «بدايون» ، وأكثر الفتك والأسر فيهم ، وكانت في تلك النواحي غياض ملتفة ، لا يقدر السالك على قطعها ، فأمر بقطعها ، وأصلح الشوارع والطرق بحيث لا يقدر أحد أن يتعرَّض لعجوز في الطريق ، وفي سنة ثمان وسبعين وستمئة عصى نائبه «طغرل» بأرض «بنكاله» فبعث إليه سريةً ، ثم سار غياث الدين بنفسه إلى بنكاله ، وجدَّ به السيْر ، حتى وصل إلى بنكاله ، وفرَّ طغرل إلى «جاجنكر» ، فقصده ، وسار في

أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق إلى مضيق ، حتى لحق به في حدود «جاجنكر» وقتله ، وأكثر الفتك والأسر في خواصّه بما لم يسمع مثله ، وولّى ولده ناصر الدين على بنكاله ، ورجع إلى دهلي ، ومات سنة ست وثمانين وستمئة .

معـز الدين كيقبـاد بن ناصر الدين محمود بن بَلْبَـنْ

لما مات السلطان ليلاً ، وابنه ناصر الدين غائب ببلاد بنكاله ، وكان رئيس الأمراء عدوّاً لكيخسرو فأدار عليه حيلةً تمّت له ، وهي أنّه كتب بيعةً دلّس فيها على خطوط الأمراء الكبار ، بأنهم بايعوا معز الدين ، ودخل على كيخسرو كالمتنصح له ، فقال له : إنَّ الأمراء قد بايعوا ابن عمك ، وأخاف عليك منهم ، فقال لهم كيخسرو : فما الحيلة؟ فقال : انج بنفسك هارباً إلى بلاد السند ، فقال له : وكيف الخروج والأبواب مسدودة؟ فقال له : إنَّ المفاتيح بيدي ، وأنا أفتح لك ، فشكره على ذلك ، وقبّل يديه ، فقال : اركب الآن ، فركب في خاصته ومماليكه ، وفتح له الباب وأخرجه ، وسدَّ في أثره ، واستأذن على معز الدين فبايعه ، فقال : كيف لي بذلك ، وولاية العهد لابن عمي؟ فأعلمه بما أدار عليه من الحيلة بإخراجه ، فشكره على ذلك ، ومضى به إلى دار الملك ، وبعث الأمراء والخواص ، فبايعوه ليلاً ، فلما أصبح بايعه سائر الناس ، واستقام له الملك ، وكان أبوه حيّاً ببلاد بنكاله ، فاتصل به الخبر ، فقال : أنا وارث الملك ، وكيف يلي ابني الملك ، ويستقلُّ به ، وأنا حي؟! فتجّهز في جيوشه قاصداً حضرة دهلي ، وتجهَّز ولده في جيوشه أيضاً قاصداً المدافعة عنها فتوافيا معاً بمدينة «كرّه» وهي على ساحل نهر «كنك» ، فنزل ناصر الدين على شاطئه مما يلي «كرّه» ، ونزل ولده معز الدين مما يلي الجهة الأخرى والنهر بينهما ، وعزما على القتال ، ثم إنَّ الله تعالى أراد حقن دماء المسلمين ، فألقى في قلب ناصر الدين الرحمة لابنه ، وقال : إذا ملك ولدي فذلك شرف ، وأنا أحقُّ أن أرغب في ذلك ، وألقى في قلب معز الدين الضراعة لأبيه ، فركب كلُّ واحد منهما في مركب منفرداً عن جيوشه ، والتقيا في وسط النهر ، فقبل معز الدين رجل أبيه ، واعتذر له ، فقال له أبوه : قد وهبتك ملكي ، ووليتك ، وبايعه

وأراد الرجوع إلى بلاده ، فقال له ابنه : لابدَّ لك من الوصول إلى بلادي ، فمضى معه إلى دهلي ، فأضاف أباه ، وأقعده على سرير الملك ، ووقف بين يديه ، فأقعده أبوه عنده على السرير ، وأسرَّ له في أذنه ما ينفع له في ولاية الملك ، وسمي ذلك اللقاء الذي كان بينهما «قران السعدين» لما كان فيه من حقن الدماء ، وأكثرت الشعراء في ذلك ، وللأمير خسرو مزدوجةٌ في ذلك ، سماها بقران السعدين ، وهي بالفارسية ، فعاد ناصر الدين إلى بلاده ، ومات بها بعد سنين ، واستقام الملك لمعز الدين.

وكانت أيامه كالأعياد ، وكان يكثر النكاح والشراب ، فاعترته علَّةٌ ، عجز عنها الأطباء ، ويبس أحد شقيه ، فتقدَّم عليه نائبه جلال الدين فيروز الخلجي ، وخرج إلى ظاهر المدينة ، فوقف على تلٍّ هناك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشاني ، فبعث معز الدين الأمراء لقتاله ، وكان كلُّ من يبعثه منهم يبايع جلال الدين ، ويدخل في جملته ، ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام ، ثم دخل عليه القصر ، فقتل سنة تسع وثمانين وستمئة ، وكان مدته ثلاث سنين وبضعة أشهر.

جـلال الديـن فيروز الخَلْجِـي

لما قتل معز الدين استقلَّ بالملك ، وجلس على السرير ، وبنى القصر المعروف باسمه ، وكان حليماً فاضلاً أدَّاه حلمه إلى قتله ، كان له ولد اسمه ركن الدين ، وابن أخ اسمه علاء الدين ، زوجه بابنته ، وولاه مدينة «كرّة» ونواحيها ، وهي من أخصب بلاد الهند ، وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه ، فلا يزال يشكوها إلى عمه ، حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها ، وكان علاء الدين شجاعاً ، وحب الملك ثابت في قلبه ، غير أنه لم يكن له مال إلا ما يستفيده بسيفه من غنائم الكفار ، فاتفق أنَّه ذهب مرَّةً إلى الغزو ببلاد «ديوكير» وهي كانت كرسي بلاد «مرهته» ، وكان سلطانها أكبر سلاطين الهنادك ، فأذعن له بالطاعة ، وأهدى له هدايا عظيمة ، فرجع إلى مدينة «كرّه» ولم يبعث إلى عمه شيئاً من الغنائم ، فأغرى الناس عمَّه به ، فبعث إليه ، فامتنع من الوصول إليه ، فقال جلال الدين : أنا أذهب إليه ، وآتي به ، فإنه محلُّ ولدي ، فتجهَّز في

عساكره ، وطوى المراحل ، حتى حلَّ بساحة مدينة «كرّه» ، وركب النهر يريد الوصول إلى ابن أخيه ، وركب ابن أخيه أيضاً في مركب ثان ، عازماً على الفتك به ، فقال لأصحابه: إذا أنا عانقته فاقتلوه ، فلما التقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه ، وقتله أصحابه كما أمرهم ، واحتوى على ملكه وعساكره ، وكان ذلك في سنة ستّ وتسعين وستمئة.

علاء الدين محمد شاه الخَلْجي

لما قتل عمه اجتمع عنده عساكر عمه ، وعاد بعضهم إلى دهلي ، واجتمعوا على ركن الدين بن جلال الدين ، وخرج ركن الدين من دهلي لقتاله ، فهربوا جميعاً إلى علاء الدين ، وفر ركن الدين إلى السند ، فدخل علاء الدين دار الملك ، واستقام له الأمر عشرين سنة ، وكان يتفقد أمور الرعية بنفسه ، ويسأل عن أسعارهم ، ويحضر المحتسب في كلِّ يوم برسم ذلك ، ويذكر أنه سأله يوماً عن سبب غلاء اللحم ، فأخبره أنَّ ذلك لكثرة المغرم ، فأمر برفع ذلك ، وأمر بإحضار التجار ، وأعطاهم الأموال ، وقال لهم: اشتروا بها البقر والغنم ، وبيعوها ، ويرتفع ثمنها لبيت المال ، ويكون لكم أجرة على بيعها ، ففعلوا ذلك ، وفعل مثل هذا في الأثواب التي يؤتى بها من «ديوكير» ، وكان إذا غلا ثمن الغلات فتح المخازن وباع الغلات ، حتى يرخص السعر ، ويذكر أنَّ السعر ارتفع ذات مرَّة ، فأمر ببيع الغلات بثمن عينه ، فامتنع الناس عن بيعه بذلك الثمن ، فأمر أن لا يبيع أحد غير غلة المخزن ، وباع للناس ستة أشهر ، فخاف المحتكرون فساد غلتهم بالسُّوس ، فرغبوا أن يؤذن لهم في البيع ، فأذن لهم على أن يبيعوه بأقل من القيمة الأولى التي امتنعوا عن بيعه بها.

كان شهماً شجاعاً ، مظفراً منصوراً ، فتح البلاد ، وسخَّرها ، وقاتل التتر قتالاً شديداً ، وأكثر الفتك ، والأسر فيهم ، فانهزموا إلى خراسان ، ثم سير عساكره إلى كجرات سنة سبع وتسعين وستمئة ، فقاتلوا ملكها ، وقتلوا ونهبوا في تلك البلاد ، ثم ملكوا «نهرواله» وما والاها من البلاد ، وفرَّ صاحبها إلى «ديوكير» واحتمى بصاحبها ، وفي تلك السنة قدم «قتلق» خواجه عظيم التتر ، ومعه مئتا ألف فارس ، فنهب البلاد وأحرقها ، ووصل إلى ظاهر مدينة دهلي ،

فخرج علاء الدين ومعه ثلاثمئة ألف فارس ، وألفان وسبعمئة من الفيلة ، فقاتله قتالاً شديداً ، وهزمه إلى ما وراء النهر ، وبعث عساكره إلى قلعة «رنتهنبور» سنة تسع وتسعين وستمئة ، فحاصروها ، وضيقوا على أهلها ، ثم سار علاء الدين بنفسه إلى تلك القلعة ، وشدّد في القتال ، وفتحها بعد مدّة من الزمان ، وقتل صاحبها «هميرديو» ووزيره «رنهل» وخلقاً كثيراً من أهله ، ثم سار بعساكره إلى قلعة «جِتُّور» بكسر الجيم العجمي وتشديد الفوقية ، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها في بلاد الهند ، ففتحها عنوةً في سنة ثلاث وسبعمئة ، وبعث عساكره إلى «ورنكل» من بلاد دكن ، وقدم عساكر التتر في سنة سبع وسبعمئة بأربعين ألف فارس ، ووصلوا إلى «أمروهه» ، فبعث إليهم سريةً ، وأكثر الفتك والأسر فيهم ، وغنم منهم عشرين ألف فرس ، وبعث عين الملك الملتاني إلى بلاد «مالوه» فقاتل صاحبها وقبض على «أجين» و«مندو» و«دهار» و«جنديري» وغيرها من البلاد العظيمة ، ثم قدم التتر ، فبعث «تغلق» إليهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وهزمهم إلى بلادهم ، ثم بعث العساكر إلى «ديَو كير» ، ولما عرف صاحبها عجزه عن المقاتلة خرج منها ، ولقي مقدم العساكر الإسلامية ، وأهدى إليه الهدايا الجميلة ، ثم جاء إلى دهلي ، وأدرك علاء الدين ، وأذعن له الإطاعة ، فأقطعه علاء الدين بلاده ، وضمَّ إليها بعض البلاد من إيالة كجرات ، وأما عساكره المبعوثة إلى «ورنكل» وكانت كرسي بلاد دكن ؛ فإنهم وصلوا إلى ذلك الحصن ، وحاصروه ، وأداموا الحصار ، وضيَّقوا على أهلها ، وقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتى فتح الله سبحانه عليهم بالمصالحة على مال يؤديه صاحبها عاجلاً وآجلاً ، وكذلك بعث عساكره إلى بلاد المعبر[١] ، ففتحوها ، وأسسوا بها مسجداً ، وهو أول مسجد بني في بلاد المعبر .

قال فرشته في تاريخه : إنَّ عدَّة معاركه كانت أربعاً وثمانين ، وفي كلِّها ظفرٌ وغنمٌ . انتهى .

وكان له من الأولاد خضر خان ، وشادي خان ، وأبو بكر خان ، ومبارك خان ، وهو قطب الدين الذي ولي الملك ، وشهاب الدين ، كان قطب الدين

---

(١) وهي التي تسمى الآن بكيرلا ـ الندوي .

مهتضماً عنده ، ناقص الحظ ، قليل الخطرة ، وأعطى جميع إخوته المراتب ، ولم يعطه شيئاً ، وقال له يوماً : لابدَّ أنَّ أعطيك مثل ما أعطيت إخوتك ، فقال له : الله يعطيني ، فهال أباه هذا الكلام ، وفزع منه .

ثم علاء الدين أصابه المرض الذي مات منه ، وكانت أم ولده خضر خان لها أخ يسمى «سنجر» فعاهدت أخاها على تمليك ولدها خضر خان ، وعلم بذلك نائبه ، فوشى إلى علاء الدين بما اتفقوا عليه ، فقتله ، وكان ولده خضر خان غائباً بموضع على مسيرة يوم من دهلي ، فلما بلغه أن أباه قتل خاله حزن عليه حزناً شديداً ، وشقَّ جيبه ، فبلغ والده ما فعل ، فكره ذلك ، فلما دخل عليه عنَّفه ولامه ، وأمر به فقيدت يداه ورجلاه ، وسلم لنائبه المذكور ، وأمره أن يذهب به إلى حصن «كوالير» ثم إنَّ المرض اشتدَّ به ، فقال لنائبه : ابعث من يأتي بابني خضر خان ، لأوليه العهد ، فقال له : نعم ، وماطله بذلك ، وإذا سأله عنه قال : هو ذا يصل إلى أن توفي علاء الدين سنة ست عشرة وسبعمئة .

شهاب الدين بن علاء الدين الخَلْجِي

لما توفي علاء الدين أقعد نائبه ولده الأصغر شهاب الدين على سرير الملك ، وبايعه الناس ، وتغلَّب النائب عليه ، وسمل أعين أبي بكر خان وشادي خان ، وبعث بهما إلى «كواليار» ، وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هنالك ، وسجنوا وسجن قطب الدين ، لكنه لم يسمل عينيه ، وكان لعلاء الدين مملوكان من خواصه ، يسمى أحدهما ببشير ، والآخر بمبشر ، فبعث إليهما الخاتون الكبرى زوجة علاء الدين ، وهي بنت معز الدين كيقباد ، فذكَّرتهما بنعمة مولاهما ، وقالت : إن النائب قد فعل في أولادي ما تعلمانه ، وهو يريد أن يقتل قطب الدين ، فقالا لها : سترين ما نفعل ، وكانت عادتهما أن يبيتا عند النائب ، ويدخلا عليه بالسلاح ، فدخلا عليه تلك الليلة ، وهو في بيت من الخشب مكسوٍّ بالملف ، ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر ، فاتفق أنه أخذ السيف من يد أحدهما ، فقلبه وردَّه إليه ، فضربه به المملوك ، وثنى عليه صاحبه ، واحتزَّ رأسه ، وأتيا به إلى محبس قطب الدين ، فرمياه بين يديه ، وأخرجاه ، فدخل على أخيه شهاب الدين ، وأقام بين يديه أياماً ، كأنه نائب

له ، ثم عزم على خلعه ، فخلعه سنة سبع عشرة وسبعمئة.

قطب الدين مُبارك شَاه الخَلْجِي

خلع قطب الدين أخاه ، وقطع إصبعه ، وبعث به إلى «كواليار» ، فحبس مع إخوته ، واستقام الملك له ، ثم إنه بعث عساكره إلى «ديوكير» ، لعله سنة ثماني عشرة وسبعمئة ، فقاتلوا صاحبها «هربال ديو» ، فقتلوه ، وقبضوا على بلاده ، وأقاموا بها شعار الإسلام ، وأسسوا مسجداً بديو كير ، وسموها «دولة آباد» ، ثم بعث عساكره إلى بلاد المعبر ، فساروا إليها ، وقاتلوا ، ونهبوا ، ثم ساروا إلى «ورنكل» وقاتلوا ، ثم صالحوا صاحبها على مال يؤدِّيه ، ولما خرج قطب الدين في هذه المعركة؛ اتفق بعض الأمراء على الخلاًف عليه ، وتولية ولد أخيه خضرخان المسجون ، وسنّه نحو عشرة أعوام ، وكان مع قطب الدين ، فبلغ قطب الدين ذلك ، وأخذ ابن أخيه المذكور ، وأمسك برجليه ، وضرب برأسه إلى الحجارة حتى نثر دماغه ، وبعث أحد الأمراء إلى «كواليار» حيث أبو هذا الولد ، وأعمامه ، وأمره بقتلهم جميعاً ، فضرب أعناقهم ، ودفنوا جميعاً في حفرة دون تكفين ، ولا غسل ، وأخرجوا بعد سنين ، فدفنوهم بمقابر آبائهم.

ولما قتل قطب الدين إخوته ، واستقلَّ بالملك: لم يبق له من ينازعه في الملك ، ولا من يخالف عليه ، بعث الله تعالى عليه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلةً عنده خسروخان ، ففتك به ، وقتله ، واستقلَّ بملكه سنة عشرين وسبعمئة.

ناصـر الديـن خُسْرُوْ خَـانْ

كان خسروخان من أكبر أمراء قطب الدين ، حسن الصورة ، يحبُّه قطب الدين حباً شديداً ، ويؤثره ، فجرَّ ذلك حتفه على يديه ، وكان لقطب الدين معلم ، يسمَّى قاضي خان ، وهو صاحب مفاتيح القصر ، وعادته أن يبيت كلَّ ليلة على باب السلطان ، ومعه أهل النوبة ، وهم ألف رجل ، يبيتون مناوبة بين أربعٍ ليال ، ويكونون صفين فيما بين أبواب القصر ، وسلاح كلٍّ واحد بين يديه ، فلا يدخل أحدٌ إلا بين سماطيهم ، وإذا تمَّ الليل أتى أهل نوبة النهَّار ، ولأهل النوبة أمراء وكتاب ، يتطوفون عليهم ، ويكتبون من غاب منهم أو

حضر ، وكان قاضي خان ، يكره أفعال خسروخان ، ويسوءه ما يراه من إيثاره لكفار الهنود وميله إليهم ، وأصله منهم ، ولا يزال يلقي ذلك إلى قطب الدين ، فلا يسمع منه لما أراد الله تعالى من قتله على يديه ، فلما كان في بعض الأيام قال خسرو خان لقطب الدين : إنَّ جماعة من الهنادك يريدون أن يسلموا ، فقال قطب الدين : ائتني بهم ، فقال : إنهم يستحيون أن يدخلوا عليك نهاراً لأجل أقربائهم ، وأهل ملتهم ، فقال له : ائتني بهم ليلاً ، فجمع خسروخان جماعة من شجعان الهنادك وكبرائهم ، وذلك أوان الحرِّ ، وقطب الدين ينام فوق سطح القصر ، ولا يكون عنده في ذلك الوقت إلا بعض الفتيان ، فلما دخلوا الأبواب الأربعة وهم شاكون في السلاح ، ووصلوا إلى الباب الخامس ، وعليه قاضي خان ، أنكر شأنهم ، وأحسَّ بالشر ، فمنعهم من الدخول ، فهجموا عليه وقتلوه ، وعلت الضجة بالباب ، ودخل الهنادك فقتلوا قطب الدين ، وقطعوا رأسه ، ورموا به من سطح القصر إلى صحنه ، وبعث خسروخان من حينه إلى الأمراء والملوك ، وهم لا يعلمون بما اتفق ، فكلما دخلت طائفةٌ وجدوه على سرير الملك ، فبايعوه ، ولما أصبح أعلن بأمره ، وكتب الأوامر إلى جميع البلاد ، وبعث لكل أمير خلعة ، فأطاعوا له جميعاً ، وأذعنوا إلا تغلق خان ، وكان إذ ذاك أميراً بديبال بور من بلاد السند ، فلما وصلته خلعة خسروخان طرحها بالأرض ، وجلس فوقها ، وبعث إليه أخاه ، فهزمه ، ثم آل أمره إلى أن قتله .

وكان خسروخان آثر الهنادك ، وأظهر أموراً منكرةً ، منها النهي عن ذبح البقرة على قاعدة كفار الهنود ، فإنَّهم لا يجيزون ذبحها ، وكان ذلك مما بغض خسروخان إلى المسلمين ، وأمالهم عنه إلى تغلق ، فلم تطل مدة ولايته إلا أربعة أشهر ، وقتل في سنة عشرين وسبعمئة .

غـيَـاثُ الدِّيـن تَـغْلَـقْ شَـاهْ

كان من ترك قرونه ، وكان ضعيف الحال ، فقدم بلاد السند في أيام الدين الخلجي ، وأمير السند إذ ذاك أخوه «أدلو خان» ، فخدمه تغلق ، فرتبه في الرجالة ، ثم ظهرت نجابته ، فأثبته في الفرسان ، ثم صار من الأمراء الصغار ،

وجعله أدلو خان أمير خيله ، ثم صار بعد من الأمراء الكبار ، وسمي بالملك الغازي ، قيل: إنه قاتل التتر تسعاً وعشرين مرَّة ، فهزمهم ، فحينئذ سمي بالملك الغازي ، وولي مدينة «ديبالبور» وعمالتها ، وجعل ولده أمير خيله ، وكان يسمَّى جونه بفتح الجيم ، فلما قتل قطب الدين الخلجي ، وولي خسروخان ، أبقاه على إمارة الخيل ، فلما أراد تغلق الخلاف كتب إلى كشلوخان ، وهو يومئذ بملتان ، وبينها وبين ديبالبور ثلاثة أيام ، يطلب منه القيام بنصرته ، ويذكره نعمة قطب الدين ، ويحرضه على طلب ثأره ، وكان ولد كشلوخان بدهلي ، فكتب إلى تغلق أنه لو كان ولدي عندي لأعنتك على ما تريد ، فكتب تغلق إلى ولده جونه يعلمه بما عزم عليه ، ويأمره أن يفرَّ إليه ويستصحب معه ولد كشلوخان فأدار ولده الحيلة على خسروخان ، وتمت له كما أراد ، فلحق بأبيه ، واستصحب معه ولد كشلوخان وحينئذ أظهر تغلق الخلاف ، وجمع العساكر ، وخرج معه كشلوخان في أصحابه ، وبعث خسروخان لقتالهما أخاه خانخانان ، فهزماه شر هزيمة ، فرجع إلى أخيه ، وقصد تغلق حضرة دهلي ، وخرج خسروخان في عساكره وأمر بالخزائن ففتحت ، وأعطى الأموال بالبدر لا بوزن ولا عدد ، ووقع اللقاء بينه وبين تغلق ، وقاتل المشركون أشدَّ قتال ، وانهزمت عساكر تغلق ، ونهبت محلته ، وانفرد في أصحابه الأقدمين ، وكانوا ثلاثمئة يعتمد عليهم في القتال ، فقال لهم: إلى أين الفرار؟ واشتغلت عساكر خسروخان بالنهب ، وتفرقوا عنه ، ولم يبق معه إلا القليل ، فقصد تغلق وأصحابه موقفه ، والسلطان يعرف بالجتر الذي يرفع فوق رأسه كالظلة ، فلما قصده تغلق وأصحابه حمي القتال بينهم وبين المشركين ، وانهزم أصحاب خسروخان ، ولم يبق معه أحد وهرب ، فنزل عن فرسه ، ورمى بثيابه وسلاحه ، وبقي في قميص واحد ، وأرسل شعره بين كتفيه ، ودخل بستاناً هنالك ، واجتمع الناس على تغلق ، فقصد المدينة ، ودخل القصر ، ونزل بناحية منه ، وقال لكشلوخان: أنت تكون السلطان ، فقال كشلوخان: بل أنت تكون السلطان ، وتنازعا ، فقال له كشلوخان: فإن أبيت أن تكون سلطاناً فيتولى ولدك ، فكره هذا ، وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك ، ولما كان بعد ثلاث اشتد الجوع لخسروخان ، وهو مختف بالبستان ، فخرج

وطاف به ، فوجد القيم ، فسأله طعاماً ، فلم يكن عنده ، فأعطاه خاتمه ، وقال : اذهب فارهنه في طعام ، فلما ذهب بالخاتم إلى السوق أنكر الناس أمره ، ورفعوه إلى الشحنة ، فأدخله على غياث الدين تغلق ، فأعلمه بمن دفع إليه الخاتم ، فبعث ولده محمداً ليأتي به ، فقبض عليه ، وأتاه به ، فقال : إني جائع ، فأمر له بالشربة ، ثم بالطعام ، ثم بالفقاع ، ثم بالتنبول ، فلمّا أكل قام قائماً ، وقال : يا تغلق : افعل معي فعل الملوك ولا تفضحني ، فقال له ذلك ، وأمر به ، فضربت رقبته ، ورمى برأسه وجسده من أعلى السطح ، كما فعل هو برأس قطب الدين ، وبعدُ أمر بغسله وتكفينه ، ودفن في مقبرته .

واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام ، وكان عادلاً فاضلاً ، بعث ولده محمداً ليفتح بلاد «تلنك» وتجهَّز بنفسه لقتال غياث الدين ملك «بنكاله» الذي قتل أخاه قتلوخان وسائر إخوته ، وفرَّ شهاب الدين وناصر الدين منهم إلى تغلق ، فجدَّ السير إلى بنكاله ، وتغلب عليها ، وأسر سلطانها غياث الدين ، وقدم به أسيراً إلى حضرة دهلي .

وكان قد بلغه أمور من ولده محمد ، ونقم عليه استكثاره من شراء المماليك ، وإجزاله العطايا واستجلابه قلوب الناس ، فزاد خيفة عليه ، وبلغه أنَّ المنجمين زعموا : أنه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك ، فتوعدهم ، فلما عاد من سفره ، وقرب من الحضرة ، أمر ولده أن يبني له قصراً على واد هنالك ، فبناه في ثلاثة أيام ، وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعاً على الأرض ، قائماً على سواري خشب ، وأحكمه بهندسة ، تولى النظر فيها أحمد بن أياز المعروف بعد ذلك بخواجه جهان ، وكان إذ ذاك شحنة العمارة ، وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه أنه متى وطئت الفيلة في فنائه وقع ذلك القصر وسقط ، ونزل غياث الدين بالقصر ، وأطعم الناس ، وتفرقوا ، واستأذنه ولده أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة ، فأذن له ، فأتى بالأفيال من جهة واحدة ، حسبما دبروه ، فلما وطئتها سقط القصر على غياث الدين ، فأمرَّ ابنه أن يؤتى بالفؤوس والمساحي للحفر عنه ، وأشار بالإبطاء ، فلم يؤت بهما إلا وقد غربت الشمس ، فحفروا ، وزعم بعضهم أنه أخرج ميتاً ، وزعم بعضهم أنه أخرج حياً ، فأجهز عليه ، وحمل ليلاً إلى مقبرته التي بناها خارج البلدة المسماة باسمه

«تغلق آباد» ، فدفن بها ، وكان ذلك سنة خمس وعشرين وسبعمئة .

أبو المجاهد محمد شاه بن تَغْلَقْ شَاهْ

لما مات تغلق ، استولى ابنه محمد الملك من غير منازع له ، ولا مخالف عليه ، وقد قدمنا أنَّ اسمه كان «جونه» ، فلما ملك سمي بمحمد ، واكتنى بأبي المجاهد ، وكان أحب الناس لإسداء العطايا ، وإراقة الدماء ، فلا يخلو بابه عن فقير يغنى ، أو حيٍّ يقتل ، وقد اشتهرت في الناس حكاياته في الكرم والشّجاعة ، والفتك ، والبطش بذوي الجنايات ، وكان أشد الناس مع ذلك تواضعاً ، وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق ، وشعائر الدين عنده محفوظةٌ ، وله اشتداد في أمر الصلاة ، والعقوبة على تركها ، ولا تسأل عن جوده على الغرباء ، فإنه كان يفضلهم على أهل الهند ويؤثرهم ، ويجزل لهم الإحسان ، ويسبغ عليهم ، ومن إحسانه إليهم أنه سماهم «الأعزة» ، ومنع أن يدعوهم الغرباء ، وقال : إنَّ الإنسان إذا دعي غريباً انكسر خاطره ، وتغيَّر حاله .

ومما يحكى في اشتداده في إقامة الشرع ، ورفع المغارم والمظالم ، أنَّه كان شديداً في إقامة الصلاة ، آمراً بملازمتها في الجماعات ، يعاقب على تركها أشدَّ العقاب ، ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها ، وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك إلى الأسواقً ، فمَن وجد بها عند إقامة الصلاة ، عوقب ، وأمر أن يطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة ، وشروط الإسلام ، فكانوا يسألون عن ذلك ، فمن لم يحسنه عوقب ، وأمر برفع المكوس عن بلاده ، وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر ، وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم إثنين وخميس ، ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم إلا الحجاب ، ولا يمنع أحدٌ ممَّن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه ، وعين أربعة من الأمراء يجلسون في الأبواب الأربعة لأخذ القصص من المشتكين ، وكل ما يجتمع من القصص في سائر الأيام يطالع به بعد العشاء الآخرة .

وأما فتكاته ، فلا تسأل عن ذلك ؛ فإنَّه كان مع تواضعه ، وإنصافه ، ورفقه بالمساكين ، وكرمه الخارق للعادة ، كثير التجاسر على إراقة الدماء ، لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر ، وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ، ولا يحترم

أحداً من أهل العلم والصَّلاح والشرف ، وفي كلِّ يومٍ يرد عليه من المسلمين والمغلولين والمقيدين مئون ، فمن كان للقتل قتل ، أو للعذاب عذب ، أو للضرب ضرب .

وأما غزواته وفتوحاته ، فإنه ضبط البلاد ، وسدَّ الثغور ، وبعث عساكره إلى بلاد بعيدة ، وفتح المعبر طولاً وعرضاً إلى البحر المحيط ، وبعث عساكره إلى بلادً الصينّ ، فهلكوا في سلسلة الجبال من «همالية» .

مات سنة اثنتين وخمسين وسبعمئة ، وكانت مدته سبعاً وعشرين سنة .

أبـو المظفـر فَيْـروْز شَـاهْ

لما مات محمد شاه تغلق ، اتفق الناس على تولية ابن عمه فيروز بن رجب ، وكان إذ ذاك ببلاد السند ، فخرج إلى دهلي ، واستقلَّ بالملك ، وكان من خيار السلاطين ، عادلاً حليماً ، فاضلاً ، يحبُّ العلماء ، ويساعدهم على نشر العلم ، له آثارٌ صالحةٌ في أقطار الهند من الأبنية الرفيعة ، والأنهار والحياض ، والمساجد ، والمدارس ، والمارستانات ، منها حصن فيروز آباد على شاطىء نهر «جمنا» في دهلي ، بناه سنة خمس وخمسين وسبعمئة ومنها حصار فيروز بناه سنة سبع وخمسين قريباً من «هانسي» ، ومنها فيروز آباد بلدةٌ كبيرةٌ ، مصَّرها على نهر «سرستي» ، ومنها جونبور ، بلدةٌ مشهورة من مستعمراته ، ومن الأنهار نهرٌ كبيرٌ قطع من نهر ستلج ، فأجراها إلى «جهجَّهر» بطول ثمانية وأربعين كروهاً ، ونهر قطع من نهر «جمنا» بقرب «المندّى» ، وأوصل بها سبعة أنهار أخر ، وذهب بها إلى «هانسي» ، ثم إلى «البين» ، وبنى بها حصناً متيناً ، وحوضاً كبيراً ملأه بماء النهر ، ونهر قطع من ماء «كهكر» ، وذهب به إلى «سرسي» ثم إلى «سركهرّه» .

ومن المساجد جامع كبير في دهلي ، أسسه فوق تلة من الأحجار المنحوتة ، أبدع نحت ، ومن المدارس مدرسة الفيروز شاهية ، بناها على الحوض الخاص بدهلي ، جامعة بين الحسن والحصانة ، يجري فيها الماء الغزير .

ومن مآثره ، أنَّه لما وقف على جوالا مكهي معبد للمشركين ، واطلع على

أنَّ فيها خزانة الكتب ، فيها ثلاثمئة وألف من الكتب العتيقة للهنادك ، كلف علماءهم أن ينقلوها من «سنسكرت» إلى الفارسية ، فنقلوا بعض الكتب في الرياضة ، والنجوم ، والأدب ، والموسيقا ، والطب. مات سنة تسعين وسبعمئة.

تغلق شاه بن فتح خان بن فَيْروْز شَاهْ

لما مات فيروز شاه ، استولى تغلق شاه على الملك حسب وصية جدِّه المذكور ، وكان ذلك باتفاق الوجوه والأعيان ، فلقب نفسه غياث الدين تغلق ، وجهز الجيوش على عمه محمد شاه ، فقاتله في بطن الأودية ، وهزمه ، فذهب محمد شاه إلى «نكركوث» ، وكر العسكر راجعاً لصعوبة الطريق ، فخاف أبو بكر بن مظفر بن فتح بن فيروز شاه من عمه تغلق شاه ، واتفق الأمراء معه على قتله ، فقتله سنة إحدى وتسعين وسبعمئة ، وكانت مدته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً.

أبو بكر شاه بن ظفر خان بن فتح خان

لما قتل عمه تغلق شاه ، استولى على الملك ، وافتتح أمره ببذل الأموال على الناس ، فاتفقوا معه ، وقويت شوكته ، ثم تعدى على الناس ، وقتل بعض الأمراء ، فرغبوا عنه ، ومالوا إلى محمد شاه ، وطلبوه من «نكر كوث» ، فجاء إلى «سامانه» ، وجمع أسباب السلطة ، ثم قصد دهلي بخمسين ألفاً ، وقاتل أبو بكر أشد القتال ، فهزمه أبو بكر ، فذهب ، وجمع العساكر مرَّةً أخرى ، وكرَّ عليه ، فهزمه أبو بكر في تلك المرَّة أيضاً ، ثم أراد أن يستأصله ، فخرج من دهلي ونزل على عشرين ميلاً منها ، فدخل محمد شاه بدهلي من طريق آخر ، فرجع أبو بكر ، وأخرجه من الحضرة ، ففرَّ محمد شاه منهزماً أقبح الهزيمة ، ولكن الأمراء كانوا ساخطين على أبي بكر ، فاستدعوه مرَّةً ثالثة ، فجاء إلى دهلي ، وجلس على سرير الملك بفيروز آباد ، وقاتل أبا بكر ، فقبض عليه ، وسجنه في قلعة «ميرته» حتى مات في تلك القلعة سنة ثلاث وتسعين وسبعمئة ، وكانت مدته سنةً ونصفها.

www.abulhasanalinadwi.org

محمد شاه بن فَيْروز شَاهْ

استقلَّ بالملك ، واتفق عليه الناس ، وعاش مدَّة يسيرةً بعد ذلك ، مات في سنة ست وتسعين وسبعمئة ، وكانت مدته ثلاث سنين تقريباً .

علاء الدين سكندر شاه بن محمد شاه

لما مات محمد شاه ، استولى على الملك ابنه همايون خان بوصية أبيه ، ولقب نفسه علاء الدين سكندر شاه ، وعاش بعد ذلك شهراً وستة عشر يوماً .

محمود شاه بن محمد شاه

لما مات سكندر شاه ، اتفق الناس على أخيه محمود ، فاستقلَّ بالملك مدَّةً قليلةً ، ثم صار لعبةً في أيدي الوزراء ، لم يبق له من السلطة إلا الاسم ، فاستدعى بعض الأمراء نصرة خان بن فتح خان بن فيروز شاه من ميوات ، وأقعدوه على سرير الملك بفيروز آباد دهلي ، فحمي وطيس الحرب بينهما ، مرَّةً يغلب عليه ، وتارةً ينهزم عنه ، حتى دخل الأمير تيمور في الهند في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة إحدى وثمانمئة ففتح بلاد السند ، وبنجاب ، وقتل خلقاً ، وأسر ونهب ، ودخل دهلي في السادس عشر من جمادى الأخرى من السنة المذكورة ، وقتل خلقاً لا يُحصون بحدٍّ وعدٍّ ، وخرج محمود شاه إلى كجرات ، ووزيره إقبال خان إلى «برن» ، فأقام تيمور بدهلي خمسة عشر يوماً ، ثم رجع إلى بنجاب ، ثم إلى خراسان .

ومات نصرة شاه بعد ذلك ، وقام الأمراء في أقطار الهند متغلبين على بلادهم ، فلم يبق لمحمود شاه إلا دهلي وما والاها من بلاد بنجاب ، وانقضت الشهور والأعوام على ذلك الحال ، حتى مات سنة خمس عشرة وثمانمئة ، وكانت مدته عشرين سنة .

خضرخان بن شرف الدين بن سليمان

لما مات محمود شاه ، ولي الملك خضرخان أحد كبار الأمراء ، قيل : إنَّه كان علوياً ، وقع جدُّه سليمان في يد ملك «مردان» أحد ولاة «ملتان» ، فرباه ،

وجعله بمنزلة الولد له ، ولما مات «مردان» ولي ابنه ملك شيخ ، ولما مات ملك شيخ ولي مكانه سليمان ، وبعده حفيده خضرخان في أيام فيروز شاه ، فتدرَّج في الإمارة إلى عهد محمود شاه ، ولما دخل تيمور الهند تقرَّب إليه ، فقويت شوكته ، فأراد محمود شاه أن يستأصله ، فلم يقدر على ذلك ، ولما مات محمود شاه دخل دار الملك ، وقعد على سريره ، ولكنَّه لم يرض أن يلقب نفسه بالسطان ، فتلقب بالرايات الأعلى والمسند العالي ، واستقلَّ بالملك سبع سنين وبضعة أشهر ، مات سنة أربع وعشرين وثمانمئة .

مبارك شاه بن خِضرخان

لما مات خضرخان اتفق الناس على ابنه مبارك شاه ، فاستقلَّ بالملك ثلاث عشرة سنة ، وكان من خيار السلاطين ، عادلاً رحيماً كريماً ، قتل سنة سبع وثلاثين وثمانمئة ، قتله بعض الكفرة حين تهيَّأ لصلاة الجمعة .

محمد شاه بن فريدخان بن خِضرخان

لما قتل مبارك شاه ، استولى على الملك ابن أخيه محمد شاه بوصية عمِّه ، فاستقلَّ بالملك أربع عشرة سنة في الحرب والضرب ، مات سنة سبع وأربعين وثمانمئة .

علاءُ الدين بن محمد شاه

لما مات محمد شاه استولى على الملك ابنه علاء الدين بوصية أبيه ، وكان غرّاً كريماً ، خرج عليه بهلول اللودي أحد كبار الأمراء ، فلما سار علاء الدين إلى بدايون دخل بهلول دار الملك ، وقبض على الخزائن الشاهانية ، والقصور الملكية ، وترك بدهلي نائباً عنه ، ثم سار إلى «ديبالبور» وبعث رسالة إلى علاء الدين من «ديبالبور» ، فأجابه علاء الدين أنَّ أبي محمد شاه أبوك ، وجعلك بمنزلة الولد ، وليست لي حاجة إلى السلطة ، فأتركها لك ، وأقنع ببدايون ونواحيها ، فأقام بها ، حتى مات سنة خمس وخمسين وثمانمئة .

بهْلُـوْل بـن كـالا اللـودي

كان بهلول من كبار الأمراء ، لقبه محمد شاه بخانخانان ، وأمره على «ديبالبور» ، ثم خرج عليه ، فهزمه محمد شاه ، فرجع إلى «ديبالبور» ، ولما مات محمد شاه وولي بعده ولده علاء الدين ، وأحسَّ فيه الفتور في السياسة خرج عليه ، واجتمع الناس إليه ، فقصد المدينة ، ونزل القصر سنة خمس وخمسين وثمانمئة ، واستقلَّ بالملك ثمانياً وثلاثين سنة ، وكان عادلاً رحيماً كريماً ، ذا سياسة وتدبير ، مات سنة أربع وتسعين وثمانمئة .

سكنـدر بـن بَهْلُـوْل اللـودي

لما مات بهلول ولي الملك ابنه نظام خان ، ولقب نفسه بالإسكندر ، واستقلَّ بالملك ثمانياً وعشرين سنة .

وكان عادلاً فاضلاً ، رحيماً كريماً ، يحبُّ العلم والعلماء ، ويساعدهم على نشر العلوم ، اجتمع لديه منهم خلقٌ كثيرةٌ من أطراف البلاد ، وكان شديد التصلُّب في الدين ، وأسَّس المساجد ، والمدارس ، والرباطات على أنقاض كنائس قديمة ، وأبطل المكوس ، وهدم بنيان البدع والرسوم ، وهو أول من أمر الهنادك أن يتّعلموا اللغة الفارسية ، والكتابة بها ، وأمر العلماء أن ينقلوا العلوم الهندية إلى الفارسية ، مات سنة ثلاث وعشرين وتسعمئة .

إبراهيـم بـن سكندر اللُّـوْدِيْ

لما مات سكندر ، ولي الملك ابنه إبراهيم ، واتفق الناس عليه ، فلما استقل بالملك ، تعدَّى على أمراء أبيه ، فأطاعوه نفاقاً ، واستدعى بعضهم بابر شاه التيموري من كابل ، فقصد الهند ، قاتل الولاة في أثناء الطريق ، وأخذ القلاع والبلاد ، فلما وصل إلى «باني بت» وقع اللقاء بينه وبين إبراهيم ، وإبراهيم ركب في مئة ألف من الفرسان ، وألف من الفيلة ، وكان في عساكر بابر شاه خمسة عشر ألف راجل وفارس ، فقاتله بابر أشدَّ قتال ، وفرَّ أصحاب إبراهيم ، فلم يبق معه أحد فقتل ، وقتل معه خمسة آلاف أو ستة آلاف من أصحابه ، وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة ، وكانت مدته تسع سنين .

ظهيـر الدين محمد بَابَـرْ الكوركانـي

هو من العائلة الجغتائية ، يصل نسبه إلى الأمير تيمور ببضع وسائط ، ولي الملك بعد أبيه عمر بن أبي سعيد بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور في «اندجان» من بلاد ما وراء النهر ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ثم قدم كابل ، وأقام بها زماناً ، ثم قصد الهند ، ولما قتل إبراهيم ، ولي الملك ، وسكن بآكره ، وسخر من بلاد الهند أكثرها ، مات سنة سبع وثلاثين وتسعمئة ، وكانت سلطته في بلاد الهند خمس سنين .

نصيـر الدين هِمَايُوْن شـاه الكوركانـي

لما مات بابر ، ولي ابنه همايون ، وفتح أكثر بلاد الهند ، ثم خرج عليه شيرشاه ، وقاتله أشدَّ قتال ، فانهزم همايون منه ، ولم يبق معه إلا القليل ، فقصد عراق العجم ، والتجأ إلى طهماسب شاه سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، فاستقبله طهماسب باحترام لا مزيد عليه ، فأقام عنده مدَّةً ، ثم قصد الهند ، وفتح قندهار ، وكابل ، وجمع أسباب السلطة ، ورجع إلى الهند ، وكانت مدَّة خروجه من الهند نحو ثلاث عشرة سنة .

شَيْـرشـاه السُّـوْرِي

كان اسمه فريد بن الحسن السوري ، فلما استقلَّ بالملك بعد همايون ، لقب نفسه شيرشاه ، وكان لقبه في أيام الإمارة شيرخان .

وكان عادلاً فاضلاً ، رحيماً كريماً ، استقلَّ بالملك خمس سنين ، وأمر أن يعمر الطريق من «بنكاله» إلى «رهتاس» مسيرة أربعة أشهر ، ومن «آكره» إلى «مندو» ، وبنى في كلِّ ميل منه مسجداً وزاوية للوارد والصادر ، وعند كل زاوية بئراً يشرب منها ، وأمر بأن يوظف المؤذن والإمام في كل مسجد ، ويوظف واحد من المسلمين ، وواحد من الهنادك ، على السقاية ، ويجمع في ذلك المقام جميع ما يحتاج إليه المسافر من الطعام ، ويعطى من قبل السلطان ، فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق ، ويغرس على الطريق الأشجار

من الصفصاف وسواه ، فكان الطريق في جميعها بين ظلال الأشجار ، والماشي به كأنّه في بستان .

مات سنة اثنتين وخمسين وتسعمئة .

سليم شاه بن شَيْر شاه

لما مات شيرشاه ، ولي الملك ابنه سليم خان ، وبالغ في عمارة الطريق فوق ما كانت عليه ، وبنى الزوايا الأخر بين مستعمرات أبيه المرحوم ، وكان عادلاً رحيماً كريماً ، متعبداً يصلّي بالناس في المساجد ، ولم يرغب قطُّ في المسكرات .

مات سنة إحدى وستين وتسعمئة ، وكانت مدته تسع سنين .

محمد شاه بن نظام خان بن شَيْر شاه

لما مات سليم شاه ، اتفق الناس على تولية ابنه فيروز ، وكان في العاشرة من سنه ، فولوه عليهم ، ولكنه لم يمض عليه ثلاثة أيام حتى خرج عليه مبارز خان بن نظام خان بن شيرشاه ، فقتله ، وجلس على سرير الملك ، ولقب نفسه محمد شاه العادل ، فوصفه الناس بالعدل ، وبذل الأموال الوافرة على الناس ، فاتفقوا عليه ، ونسوا فتكه بفيروز ، لكنّه لم يستمرَّ على ذلك الحال ، فكفَّ يده عن البذل ، واستوزر هيمون البقال ، وكان من سفلة الناس ، فسخط عليه الأمراء وتوقدت في صدورهم جمرات الغضب ، وكان محمد شاه عن كل ذلك غافلاً ، يشتغل باللهو ، واللعب ، والرقص ، والغناء ، وكان لا يعادله أحد من المعنيين في الغناء ، فضعف ووهن أمر الدولة ، وخرج عليه غير واحد من الأمراء ، ورجع همايون من العراق ، واستولى على الملك ، وقتل محمدٌ شاه سنة اثنتين وستين وتسعمئة .

نصير الدين هِمَايُوْن شاه الكوركاني

رجع من إيران بعد مدّة ، فتح كابل ، وقندهار ، ثم قصد الهند وأخذ بلاد

بنجاب ، ثم قصد الحضرة ، وجلس على سرير الملك مرَّةً ثانية ، مات سنة ثلاث وستين وتسعمئة .

جـلال الدين أكبر شـاه الكوركانـي

لما مات همايون ، ولي الملك ابنه أكبر شاه في الثالثة عشرة من عمره ، وأجلسه على السرير ، بيرم خان خانخانان أحد كبار الأمراء ، وأخذ عنان السلطة بيده ، ورتق ما فتق من مهمات الدولة ، حتى ظلّت آمنةً مطمئنةً ، فلما بلغ أكبر شاه سنَّ الرشد ، خرج من حضانته ، وأمره أن يسافر إلى الحرمين الشريفين ، فقتل في أثناء الطريق بكجرات .

وكان أكبر شاه رحيماً ، لطيف المعاشرة ، ظريف المحاضرة ، شجاعاً مقداماً ، محظوظاً جدّاً ، حتى كان لا يقصد باباً مغلقاً إلا انفتح ، ولا يقدم على أمرٍ مهمٍّ إلا اتضح ، ولا يتوجه إلى مطلب إلا نجح ، وهو الذي دانت له البلاد ، وخضعت له العباد ، وهو أول من أظهر بالهند هيبة الملك بسعده ، وأسس قواعد السلطة بعد الخلجي ، والسوري ، ومهّدها لمن بعده ، وطالت أيام دولته حتى لا يعلم لأحد من السلاطين أنه مكث في الملك هذه المدَّة ، ورزق من السعد والإقبال مالم يُرزق أحدٌ من الملوك ، واجتمع لديه من أهل السيف والقلم مالم يجتمع عند غيره بعد الخلفاء العباسيين ، وفي أيام فتحت بلاد كشمير ، وبلاد السند ، وبلاد بنكاله ، وبلاد كجرات ، ومالوه ، وبرهانبور ، وغيرها ، مات سنة أربع عشرة وألف ، وكانت مدته إحدى وخمسين سنة .

نـور الديـن محمد جَهَانْـكِيْـر الكوركانـي

لما مات أكبر شاه ، ولي بعده ابنه سليم ، ولقب نفسه «جهانكير» ، وكان أكبر أولاده ، فاستقلَّ بالملك نحو اثنتين وعشرين سنة ، وكان مدمن الخمر ، وتزوَّج بنور جهان بيكم ، سنة عشرين وألف ، وكانت عشيقته ، فخطبها بعدما قتل بعلها «شيرافكن خان» ، فأبت ، ثم رضيت ، فتزوج بها فحببت إليه ، حتى ألقى بيدها زمام السلطة ، وكانت نور جهان من خيار النساء حسناً ، وجمالاً ،

وعقلاً ، اخترعت أموراً كثيرة في الزيِّ ، واللباس ، والحلي ، والأشياء العطرة ، وكانت ماهرةً في الرمي ، والفروسية ، والسياسة ، والتدبير ، فدبرت لختنها شهريار بن جهانكير تولية الملك بعده ، ورغَّبت زوجها جهانكير عن ابنه «خرم» ، الذي دبر الملك لولايته بالملك بعده ، فوقع الخلاف بينهما حتى آل إلى الحرب ، وتوفي الملك ساخطاً عليه سنة سبع وثلاثين وألف .

شهاب الدين محمد شاه جهان الكوركاني

لما مات جهانكير ، أجلست نورجهان بيكم ختنها شهربار بن جهانكير على سرير الملك ، ودبَّر آصف جاه الوزير لختنه خرم بن جهانكير الحيلة ، فأعلن بولاية داور بخش بن خسرو بن جهانكير ، فوقع الحرب بينهما ، حتى دخل خرم أكبر آباد ، وجلس على سرير الملك ، وقتل إخوته ، وأقعد نورجهان بيكم ، فوظف لها ، ولقب نفسه شهاب الدين محمد شاه جهان صاحب القران الثاني ، وافتتح بالعدل والسخاء والكرم ، ورفع سجدة التحية ، التي اخترعها جده أكبر شاه ، وأزال المظالم عن البلاد وعمرها ، وأخمد الفتنة ، والبدعة ، وأسَّس المساجد والرباطات .

وكان كثير الإحسان إلى السادة ، وأهل العلم ، قصده الناس من جميع البلدان ، فغمرهم بإحسانه ، وكان عصره أحسن الأعصار ، وزمانه أنضر الأزمنة .

ومن آثاره الحسنة مدينة شاهجهان آباد بقرب دهلي القديمة ، والقلعة المعلاَّة ، والجامع الكبير في تلك البلدة؛ وأبنيةٌ فاخرةٌ في القلعة المذكورة؛ وأبنيةٌ فاخرةٌ بقلعة أكبر آباد ، وروضة تاج كنج بتلك البلدة ، وشالامار بكشمير ، وأخرى بمدينة لاهور ، وأبنيةٌ أخرى في كثيرٍ من مدنِ الهند ، وقصده مشاهير شعراء عصره ، ومدحوه بأحسن المدائح .

وكان له أربعة أبناء : داراشكوه ، ومحمد شجاع ، وأورنك زيب ، ومراد بخش ، فأقطع كُلاًّ منهم أقطاعاً كبيراً من الهند ، ودبَّر لأكبرهم داراشكوه بولاية العهد ، ومكَّنه أن يقيم عنده ، وينفذ الأمور ، وكان داراشكوه ذا ذكاء ، وفطنة بهيَّةٍ ، وصفاتٍ مستحسنة ، ولكنه كان قليل التدبير مبذراً ، لا يصغي لقولَ

مشير ، فارتكب بعض أمور وقعت بسببه الفتن ، وآل ذلك إلى الحرب بين الإخوة ، وذلك لأنَّ شاهجهان ابتلي باحتباس البول ، ومرض ، وصار ملازماً للفراش ، فسد داراشكوه أبواب خبر مرضه على إخوته ، فظنُّوا أنَّ أباهم مات ، فنهض كلُّ واحد منهم من مكانه ، وحصل بينهم حروبٌ كثيرةٌ ، وغلب ثالثهم أورنك زيب ، فطوى بساط إخوته ، ومزّق جموعهم ، فقُتل أخوه داراشكوه ، ومراد بخش ، وفرَّ محمد شجاع إلى بنكاله ، ثم إلى بلاد أخرى ، ولم يعرف أين ذهب ، وأقعد أباه شاهجهان بقصر الإمارة بأكبر آباد ليستريح ، فعاش بعد ذلك عشر سنين ، مات سنة ثمان وسبعين وألف ، وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة .

محيي الدين محمد أَوَرَنْك زَيْب عالمكير رحمه الله

لما أقعد أباه بأكبر آباد ، ولي الملك ، وافتتح أمره بالعدل والإحسان ، ورقَّى الأمراء على المراتب السامية ، والمناصب الرفيعة ، كلاًّ بمقدار سعيه ، واستحقاقه ، ومرتبته ، واعتنى بإقامة الجمع والجماعات ، وإعلاء الشرع ، والدين ، وفصل القضايا على وفق الفقه ، وأمر العلماء بتدوين الفقه ، حتى جمعت بأمره «الفتاوى الهندية» في مجلدات كبار ، وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين ، ونصب الجزية بعد أن لم تكن على الكفار ، وأقام دولة العلم ، وبالغ في تعظيم أهله ، ونصب المحتسبين في البلاد ، وفتح الفتوحات العظيمة ، ووسّع ملكه ، حتى لحقت حدود ملكه في الجهة الشرقية إلى «بوري» منتهى «أرّيسه» ، وفي الجهة الغربية إلى «سومنات» على شاطىء بحر الهند ، وفي الجهة الشمالية إلى «خيوا وبخارى» وفي الجهة الجنوبية إلى البحر المحيط .

مات على فراشه سنة ثماني عشرة ومئة وألف ، وله تسعون سنة من عمره ، ومدته خمسون سنة .

قطب الدين محمد معظم بهادرشاه

لما مات عالمكير ، ولي الملك ابنه محمد معظم ، ولقب نفسه بشاه عالم بهادرشاه ، فوقع الخلاف بينه وبين إخوته محمد أعظم ، وكام بخش ، فآل ذلك إلى الحرب ، وقتلا في المعركة.

وكان عادلاً رحيماً كريماً ، سيىء تدبير والسياسة ، شيعياً في المذهب ، بارعاً في العلوم ، لم يزل مشتغلاً بمطالعة الكتب والمذاكرة ، غلب في عهده عظيم المرهتة ، فاستولى على أكثر بلاد المسلمين ، وسلم له بهادرشاه ربع الخراج في بلاد دكن ، وهو أول وهن ظهر منه ، فأدّى إلى زوال شوكته ، ثم انقراض ملكه من أولاده.

مات في التاسع عشر من محرم سنة أربع وعشرين ومئة وألف ، ومدته أربع سنين.

معز الدين جهاندارشاه

لما مات بهادرشاه ، ولي ابنه معز الدين ، ولقب نفسه جهاندارشاه ، وقاتل إخوته ، فقتل عظيم الشأن ، ورفيع القدر ، وجهان شاه ، وخرج عليه فرخ سير بن عظيم الشأن ، وأعانه عبد الله خان ، وحسين علي خان من الأمراء الكبار ، فانهزم معز الدين ، وولي الملك فرخ سير سنة أربع وعشرين ومئة وألف ، وكانت مدته عشرة شهور.

فرخ سير بن عظيم الشأن

لما انهزم معز الدين ، ولي الملك فرخ سير بن عظيم الشأن بن بهادرشاه ، وافتتح أمره بالبذل والعطاء ، وتأليف القلوب ، وعنان السلطة كان بأيدي عبد الله خان ، وحسين علي خان المذكورين ، فكبر ذلك على فرخ سير ، ووقع الخلاف بينه وبينهما ، فخلعا فرخ سير سنة إحدى وثلاثين ومئة وألف. ومدته ست سنين وأربعة أشهر.

رفيـع الـدرجـات بـن رفيع القـدر

لما خلع فرخ سير؛ اتفقا على رفيع الدرجات بن رفيع القدر بن بهادرشاه ، وأخرجاه من المحبس ، وأجلساه على سرير الملك ، وكان مسلولاً ، مات بعد أربعة أشهر من ذلك ، وما كان له من السلطة إلا الاسم .

رفيـع الدولـة بـن رفيـع القـدر

لما مات رفيع الدرجات ، أخرجا صنوه رفيع الدولة ، فمات بالإسهال في زمان يسير ، وما كان له من السلطة إلا الاسم .

محمـد شـاه بـن جَهَـانْ شـاه

لما مات رفيع الدولة ، اتفقا على محمد شاه بن جهان شاه بن بهادر شاه ، وأجلساه على سرير الملك ، ووقع الخلاف بينه وبين الأخوين المذكورين ، فآل ذلك إلى الحرب ، وقتلا في المعركة ، فاستقلَّ محمد شاه بالملك ، وافتتح أمره ببذل الأموال على الناس ، واشتغل باللهو واللعب ، والرقص والغناء ، واشتهر ذكره في بلاد أخرى ، فقصد الهند نادرشاه ملك إيران ، وقاتل الولاة في أثناء الطريق ، وأخذ القلاع والبلاد ، ولما وصل إلى «بائي بت» تلقاه محمد شاه بجيوش عظيمة ، فوقع المصاف بين الجيشين ، وتطاول أياماً ، وقتل في بعضها أمير الأمراء ، وكان محمد أمين النيسابوري يطمع أن يكون مكانه ، فولى محمد شاه قمر الدين بن غازي الدين الحيدر آبادي ، فخامر عليه النيسابوري ، وهرب بطائفة من جنوده إلى نادر شاه ، فضعف بهذا السبب محمد شاه ، ثم سعى النيسابوري في الصلح بين الملكين ، فتواعدا للاجتماع إلى مكان عيَّناه ، فسبق إليه محمد شاه ، ثم وصل نادرشاه ، فتمَّ الصلح على أن يدخل نادرشاه بجيوشه إلى مدينة دهلي ، ويكون أهلها في أمان ، ويعود معه محمد شاه مكرماً ، ويبقى في مملكته ، فدخلا تلك المدينة ، وكان جيش نادر شاه منتشراً في المدينة ، نازلين مع أهلها ، فكان أوباش الهند إذا ظفروا بواحد منهم قتلوه غيلةً ، فبلغ نادر شاه ذلك ، فأمر جيوشه بقتل أهل المدينة ، فما زالوا يقتلون من وجدوه إلى ثلاثة أيام ، حتى بلغ القتلى من الهنديين مئة ألف ونيفاً ، ثم أمرهم بعد اليوم

الثالث برفع السيف ، ونادى بالأمان ، وأخذ من خزائن ملكهم ما أحبَّ أخذه ، ثم ارتحل وقد دوّخ بلاد الهند ، وكان ذلك سنة إحدى وخمسين ومئة وألف ، ثم صار محمد شاه نائباً عنه في بلاد الهند ، وكانت مدة سلطته تسعاً وعشرين سنة ، وستة أشهر .

مات سنة إحدى وستين ومئة وألف .

أحمـد شـاه بـن محمـد شـاه

لما مات محمد شاه ، ولي بعده ابنه أحمد شاه ، وصارت الوزراء متغلبين عليه جداً ، فما كان له من السلطة إلا الاسم ، والحلِّ والعقد ، وجميع التصرفات للوزراء ، وجاء في عهده أحمد شاه الدراني مراراً كثيرةً ، نظير ما وقع في عهد أبيه من مجيء نادر شاه ، وغلب «سكه» قومٌ طوال الشعور ، وهم طائفةٌ من الهنادك في بلاد بنجاب ، متعصبون كثيراً على المسلمين خاصَّةً ، ومؤسس نحلتهم «كرونانك» ، فاستولوا على بعض بلاد المسلمين ، وغلب المرهتة في بلاد كجرات ، واستقل وزيره نظام الملك في بلاد دكن ، وواحد من الأمراء في بلاد «بنكاله» وأحدهم في بلاد «أوده» ، فأدى ذلك إلى انقراض ملكه ، وخلعوه سنة سبع وستين ومئة وألف ، وكانت مدة سلطته ست سنين وبضعة أشهر .

عـزيـز الدين عالمكير بـن جهاندارشـاه

لما خلع أحمد شاه ، اتَّفق الأمراء على عزيز الدين بن معز الدين جهاندارشاه ، وله سبع وستون سنة ، ولقبوه بعالمكير الثاني ، وصار الحلّ والعقد بيد عماد الملك ، وفي أيامه غزا الإنكليز نواب سراج الدولة أمير مرشد آباد ، فقاتلوه أشدَّ قتال ، وقتلوه ، ثم ولوا مكانه جعفر علي خان ، وكانت مدة عزيز الدين خمس سنينٍ وسبعة أشهر وبضعة أيام ، قتله عماد الملك سنة اثنتين وسبعين ومئة وألف .

محيـي السنـة بـن كام بخش بن عالمكـير

لما قتل عزيز الدين ، أخرج عماد الملك محيي السنة من السجن ، وأجلسه على سرير الملك ، ولقبه شاهجهان الثاني ، فصار اسم السلطة ، له بضعة

أيام ، ولما سمع بذلك أحمد شاه الدراني ملك أفغانستان ، قدم الهند فقاتل «مرهتة» ، وفرَّ عماد الملك إلى ناحية «بهرت بور» ، فخلع محيي السنة ، وولى مكانه جوان بخت بن عالي كوهر بن عزيز الدين المقتول .

شـاه عالـم بـن عـزيـز الديـن

لما ولي جوان بخت ، كان أبوه عالي كوهر بمدينة عظيم آباد ، فلما سمع بذلك قدم دهلي ، وجلس على سرير الملك ، ولقب نفسه شاه عالم ، وكان بمساعدة نواب شجاع الدولة صاحب «أوده» ، فاستوزره ، ثم اتفقا على إعانة قاسم علي خان صاحب «بنكاله» في حربه مع الحكومة الإنكليزية ، فغلبت الحكومة الإنكليزية على ثلاثتهم سنة أربع وسبعين ومئة وألف ، واصطلحوا بأن يقنع شجاع الدولة ببلاد «أوده» ، ويقنع شاه عالم بصوبة إله آباد ، فأقام شاه عالم بإله آباد مدَّةً ، ثم ذهب إلى دار الملك دهلي ، ولم يبق له من السلطة إلا دهلي ، وما والاها من البلاد والقرى ، [ثم قبض عليه الإنكليز ، وأقعدوه بالقلعة المعلاة ، ووظفوه ، وعينوا له راتباً].

مات سنة إحدى وعشرين ومئتين وألف .

أكبـر شـاه بـن شاه عالـم

لما مات شاه عالم ، ولي مكانه ابنه أكبر شاه ، ورتَّب له الإنكليز خمسمئة وستاً وسبعين ألفاً من الربيات ، ثم جعلوها مئة ألف .

مات سنة أربع وخمسين ومئتين وألف .

بَـهَـادُرْ شـاه بن أكبر شـاه

لما مات أكبرشاه ، جلس على سريره ولده أبوظفر بهادرشاه ، وتمتَّع براتب أبيه ، ثم أضيف إليه خمسة وعشرون ألفاً.

وكان شاعراً صوفياً من مريدي الشيخ فخر الدين الدهلوي ، ولما ثارت العساكر الإنكليزية على الإنكليز سنة ثلاث وسبعين ومئتين وألف ، ذهبت إلى دهلي ، وبايعت أبا ظفر بهادرشاه ، وسفكت الدماء ، ونهبت الأموال ، ثم

غلب الإنكليز على الجنود الوطنية ، وألقي القبض على أبي ظفر ، فأرسل به إلى «رنجون» عاصمة «بورما» فمات بها سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف .

ملوك كشمير المسلمون

كانت مملكة كشمير للوثنيين ، ثم قدم رجل إليها في عهد «سيه ديو» وكان يسمى شاه مرزا ، وقال : إنه من ولد طاهر بن آل «كرشاسب» ابن نبكودر ، أحد سلائل «أرجن» البطل الهندي الشهير من قبيلة «باندو» رحل واحد من أسلافه إلى خراسان ، فأسلم بها ، وقدم شاه مرزا إلى الهند ، ودخل كشمير سنة خمس عشرة وسبعمئة ، وخدم «سيه ديو» ملك كشمير مدَّةً من الزمان ، ولما توفي «سيه ديو» ، وولي الملك ولده «نرنجن ديو» ، تقرب إليه ، وولي الوزارة ، وجعل أتابكاً «لولن جندر» ، ولما توفي «نرنجن» وملك بعده «أودن ديو» وكان من ذوي قرابته ، جعله وكيلاً مطلقاً له في مهمات الدولة ، وولّى أبناء شاه مرزا على أقطاع مختلفة ، فاستقلُّوا بها ، فخاف «أودن ديو» من استقلالهم ، ومنعهم أن يدخلوا عليه ، فذهب شاه مرزا وأبناؤه إلى أقطاعهم ، وأخذوا في تكثير العدَّة والعدد ، ولم يزالوا كذلك حتى مات «أودن ديو» وقامت بالملك صاحبته ، فتزوجت بشاه مرزا ، وأسلمت ، ودبرت الحيلة لدفعه ، فلما أحسَّ بها شاه مرزا قبض عليها ، وأدخلها السجن ، وخطب لنفسه ببلاد كشمير ، وتلقَّب بشمس الدين سنة أربع وأربعين وسبعمئة .

شمس الدين شاه مرزا

ولي الملك ، وأحسن إلى الناس ، وبذل جهده في تعمير البلاد وتكثير الزراعة ، وأبطل ما كانت فيها من المكوس ، وأمر أن يؤخذ السدس من ربع الأرض على وجه الخراج ، وكان عادلاً كريماً محبّاً لأهل العلم ، محسناً إلى الناس ، ذا عقل ودين وسياسة ، أصلح الطرق ، والشوارع ، وساس المفسدين ، وقطّاع السبل .

ولما كبر سنه ، اعتزل السلطة ، واشتغل بعبادة الله سبحانه ، وكان ذلك سنة سبع وأربعين وسبعمئة ، ومات في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ، وكانت مدته ثلاث سنين وخمسة أشهر .

جمشيد بن شاه مِرزا

ولي الملك في حياة أبيه ، سنة سبع وأربعين وسبعمئة ، ولما توفي والده بعد سنة خرج عليه صنوه «علي شير» فانهزم منه ، وانحاز إلى كمراج ، ومات ، وكانت مدته سنة وشهرين .

علاء الدين بن شاه مِرزا

ولي الملك بعد أخيه جمشيد ، وكان اسمه «علي شير» ، فلقب نفسه علاء الدين ، وجعل صنوه «سراشامك» وكيلاً مطلقاً له في مهمات الدولة ، وضبط البلاد ، ومصَّر بلدة باسمه ، واستقلَّ بالملك اثنتي عشرة سنة ، وثمانية أشهر .

شهاب الدين بن شاه مِرزا

ولي الملك بعد صنوه علاء الدين ، وكان اسمه «سراشامك» ، فلقب نفسه شهاب الدين ، وفتح الحصون والبلاد ، وأخذ الخراج من ملوك «تبت» ، ومصَّر بلدتين «لجهمي نكر» و«شهاب بور» ، وامتدت أيامه إلى عشرين سنة ، وكان إذا لم يصل إليه رسالة الفتح يوماً من الأيام من إحدى نواحي الأرض ، لا يحسب ذلك اليوم من أيام عمره ، ويحزن به حزناً عظيماً .

قطب الدين بن شاه مِرزا

ولي الملك بعد أخيه ، وافتتح أمره بالعقل والتدبير ، وكان عادلاً فاضلاً كريماً ، قدم في أيامه السيد علي بن الشهاب الحسيني الهمداني ، فاستقبله ، وعظَّمه فوق ما ينتظر .

ومن مآثره أنَّه مصَّر مدينة قطب الدين بور ، وبنى بها مدرسةً عظيمةً ، مات سنة ست وتسعين وسبعمئة ، وكانت مدته خمس عشرة سنة .

إسكندر بن قطب الدين

ولي الملك بعد أبيه ، وبعث عساكره إلى «تبت» الصغير ، فقاتلوا أهلها ،

وملكوها ، وكان وزيره «سيه بث» الرجل الهندي ، أسلم وشدَّد على البراهمة تشديداً لا مزيد عليه ، حتى ألجأهم إلى الإسلام ، ونهاهم عن «القشقة»[1] : ونهاهم أن يحرقوا النساء على عاداتهم ، وأخذ عنهم الأصنام؛ التي صيغت من الذهب والفضة ، وكسرها ، وهدم الكنائس ، ومن جملتها كانت كنيسة عظيمة لهم في بستان ، وكذلك هدم كنيسة أخرى ، كانت من أحصن الكنائس وأرفعها ببلدة «ترس بور» ، ونهى الناس عن بيع الخمر ، وأبطل المكوس .

مات سنة تسع عشرة وثمانمئة ، وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة .

علـي شـاه بـن الإسكنـدر

ولي الملك بعد أبيه؛ فاستقلَّ بالملك ست سنين ، ثم أراد أن يسيح البلاد ، ويتنزه فيها ، فأجلس أخاه «شاهي خان» على سرير الملك ، وذهب إلى «جمون» لتوديع صهره ، فعذّله صهره على ترك السلطة ، وجاء به إلى كشمير ، وأخرج أخاه شاهي خان ، فلاذ بجسرت أحد المرازبة في بنجاب ، فحشد العساكر على «علي شاه» وهزمه ، فجلس شاهي خان على سرير الملك ، وكان ذلك سنة ست وعشرين وثمانمئة .

زيـن العابديـن بـن الإسكنـدر

ولي الملك بعد أخيه ، وكان اسمه شاهي خان ، فلقب نفسه زين العابدين ، واستقلَّ بالملك اثنتين وخمسين سنة ، وكان من خيار السلاطين ، عادلاً فاضلاً ، رحيماً ، ضبط الحصون المنيعة ، والبلاد ، والكيرة ، ومنح الحرية لكل طائفة من الهنادك والمسلمين ، ومنع الناس عن ذبح البقرة استرضاءً للهنادك ، وأذن لهم أن يحرقوا نساءهم مع بعولتهن الأموات[2] ، وأن يخطوا على جباههم كجري العادة ، وعين الأسعار للأشياء كلها ، وحط النذور ،

---

(١) صبغة على الجبهة من الصندل ، كرمز للوثنية والتدين ـ الندوي .

(٢) وكانت عادةً متبعةً في البيوتات الشريفة ، وتسمى «ستي» ـ الندوي .

والغرامات ، والمصادرات الأخر عن الناس ، وبذل جهده في تعمير البلدان ، وتكثير الزراعة ، وسدِّ الثغور ، وتأسيس الجسور ، والرباطات ، والمدارس ، وحفر الآبار ، والأنهار ، والتشديد على العامدين بالجناية والعفو ، والصفح عن المجرمين.

كان يكرم أرباب الكمال ، حتى اجتمع لديه جمعٌ كثير من العلماء مسلمين ووثنيين ، فنقلوا كتباً كثيرةً من العربية والفارسية إلى الهندية ، ومن الهندية إلى الفارسية ، في كثير من الفنون ، وكان يعرف اللغات المتنوعة من الفارسي ، والهندي ، والتبتي وغيرها ، وبالجملة فإنَّ عصره كان خير العصور.

مات سنة سبع وسبعين وثمانمئة ، وله تسع وستون سنة.

حيدر شاه بن زين العابدين

ولي الملك بعد أبيه ، وكان اسمه «حاجي خان» ، فلقب نفسه بشاه حيدر ، وافتتح أمره ببذل الأموال تأليفاً للقلوب ، ولكنَّ الأمراء ولوا عنه ساخطين عليه لإدمان الخمر ، والغفلة عن المهمَّات ، فمالوا إلى أخيه ، ودبَّروا عليه الحيلة ، ولكنه مات قبل ذلك ، وكانت مدته سنةً وشهرين.

حسن شاه بن حيدر شاه

ولي الملك بعد أبيه ، وبذل الأموال الوافرة على الناس ، وقاتل عمَّه «بهرام خان» وقتله ، واستقلَّ بالملك مدَّةً مديدةً ، ومات على فراشه.

محمد شاه بن حسن شاه

ولي الملك بعد أبيه ، وكان صغيراً ابن سبع سنين ، فصار لعبةً بأيدي الوزراء ، وامتدتَّ أيامه إلى عشر سنين وسبعة أشهر ، ثم خرج عليه فتح خان بن آدم خان بن زين العابدين شاه المذكور ، وقاتل محمد شاه وهزمه سنة أربع وتسعين وثمانمئة ، وخرج محمد شاه إلى بلاد أخرى ، وأقام بها تسع سنين ، ثم قدم كشمير ، وقاتل فتح شاه ، فغلب عليه ، وولي الملك مرَّةً ثانيةً ، واستقلَّ به

تسعة أشهر وتسعة أيام ، ثم رجع فتح شاه وقاتله ، فخرج إلى دهلي ، فأعانه سكندر بن بهلول اللودي بالعساكر العظيمة ، فرجع إلى كشمير ، وولي الملك مرَّةً ثالثةً ، واستقلَّ به نحو اثنتي عشرة سنة ، ثم اتفق الأمراء على ولده إبراهيم ، فولوه عليهم ، وسجنوا محمد شاه بقلعة «لوهر كوت» ، فذهب أبدال بن إبراهيم الماكري أحد كبار الأمراء إلى دهلي ، وأعانه بابر شاه التيموري ، فرجع إلى كشمير ، وولى عليه «نازك شاه» بن إبراهيم شاه زماناً يسيراً ، ثم طلب محمد شاه من قلعة «لوهر كوت» ، وولاه مرَّةً رابعةً ، فاستقلَّ بالملك مدَّةً طويلةً ، ومات على فراشه ، وكانت مدته خمسين سنة .

فتح شاه بن آدم خان

خرج علي محمد شاه ، وقاتله سنة أربع وتسعين وثمانمئة ، فهزمه وولي الملك ، واستقلَّ به تسع سنين ، ثم رجع محمد شاه إلى كشمير وقاتله ، فهزمه وولي الملك ، وسار فتح شاه إلى بلاد بنجاب ، وحشد العساكر ، ثم رجع إلى كشمير ، وأخرج محمد شاه من بلاده ، وولي الملك مرَّةً ثانيةً ، واستقل به سنةً وشهراً واحداً ، ثم رجع محمد شاه وأخرجه من بلاده ، فسار إلى بنجاب ، ومات بها سنة اثنتين وعشرين وتسعمئة .

إبراهيم شاه بن محمد شاه

اتفق الناس عليه ، فولوه عليهم ، وسجنوا محمد شاه بقلعة «لوهر كوت» ، فذهب أبدال بن إبراهيم الماكري أحد كبار الأمراء إلى دهلي ، وأعانه بابر شاه التيموري ، فرجع إلى كشمير ، وقاتل إبراهيم شاه وهزمه ، ولم يعلم أنه قتل أو ذهب إلى بلاد أخرى ، وكانت مدَّته نحو ثمانية أشهر .

نازك شاه بن إبراهيم شاه

ولاه أبدال بن إبراهيم الماكري ، وصار وكيلاً مطلقاً له في مهمَّات الدولة ، ثم طلب محمد شاه من قلعة «لوهر كوت» وولاه مرَّةً رابعة ، ولما مات محمد شاه ولي «نازك شاه» مرَّةً ثانية ، وفي أيامه مات أبدال المذكور ، وتغلَّب عليه

مرزا حيدر بن محمد حسين التيموري ، واستقلَّ بالملك نحو عشر سنين .

كان عادلاً كريماً ، محبّاً لأهل العلم ، استقدم العلماء من كلِّ ناحية من نواحي الهند وخراسان ، وبذل جهده في تعمير البلاد ، وتكثير الزراعة ، وترويج الصناعات ، وإشاعة العلوم والفنون ، له «تاريخ رشيدي» كتاب بسيط في الأخبار ، قتل سنة ثمان وخمسين وتسعمئة ، فاستقلَّ بالملك نازك شاه مرَّةً ثالثةً ، ولم يبق له من السلطة إلا الاسم ، ثم خلعوه ، وولّوا مكانه إبراهيم شاه بن نازك شاه .

إبـراهيـم شـاه بن نـازك شـاه

اتفق الأمراء عليه ، فولوه عليهم ، وما كان له من السلطة إلا الاسم ، ولما مضى عليه خمسة أشهر ؛ خلعوه ، وولوا مكانه أخاه إسماعيل شاه .

إسماعيـل شـاه بـن نـازك شـاه

اتفق الناس عليه بعد أخيه إبراهيم سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، مات بعد سنتين من ولايته ، فولّوا مكانه ولده حبيب شاه .

حبيـب شـاه بـن إسماعيـل شـاه

ولي الملك بعد والده ، ثم خرج عليه غازي خان أحد الأمراء ، وجلس على سرير الملك ، وكانت مدة حبيب شاه خمس سنين .

غـازي شـاه الكشميـري

خرج على حبيب شاه وخلعه ، ثم جلس على سرير الملك ، واستقلَّ به أربع سنين ، ثم مات ، وولي بعده صنوه حسين شاه .

حسـين شـاه الـكشمـيري

ولي الملك بعد أخيه ، وقتل في أيامه القاضي حبيب الحنفي على يد يوسف الشيعي ، فقتله حسين شاه قصاصاً حسبما أفتاه العلماء ، فقتلهم مرزا مقيم

الشيعي ، الذي بعثه أكبر شاه التيموري ملك الهند بالسفارة إلى كشمير ، وكان غازي شاه وحسين شاه وأبناؤه كلُّهم شيعيين ، مات حسين شاه سنة خمس وثمانين وتسعمئة .

يوسف شاه بن حسين شاه

ولي الملك بعد أبيه سنة خمس وثمانين وتسعمئة ، وخالفه الأمراء ، فقاتلهم ، ثم بعث إليه أكبر شاه التيموري العساكر العظيمة فقاتلوه ، وزال ملكه سنة خمس وتسعين وتسعمئة ، وانتقل إلى جلال الدين أكبر شاه المذكور ، والأرض لله يورثها من يشاء .

* * *

الباب الخامس
في أخبار ملوك دكن

أول من أسس الدولة البهمنية ببلاد دكن هو علاء الدين البهمني ، وكان من أمراء المئين في أيام محمد شاه تغلق ، أقطعه السلطان عدَّة قرى من أرض دكن ، فلما أكثر محمد شاه المذكور الفتك والأسر بأمراء المئين في بلاد كجرات ، خرج أكثرهم إلى بلاد دكن ، واجتمعوا بأمرائها ، فاستقدمهم محمد شاه إلى مدينة دهلي ، فظنوا أنه يقتلهم على جري العادة ، فاستولوا على «دولة آباد» ، وولوا عليهم إسماعيل الفتح الأفغاني ، فجمع إسماعيل عسكراً ، وأقطع الأمراء بلاداً في أرض دكن ، وأقطع علاء الدين الحسن «كلبركه» وما والاها من القرى والبلاد ، ولما سمع محمد شاه أنَّ الأمراء بغوا عليه ، سار إليهم بعساكره العظيمة ، فلقيه إسماعيل بعساكره ، وقاتله ، ثم تحصَّن بدولة آباد ، واحتمى الحسن بعساكره بكلبركه ، ثم خرج منها ، وسار إلى «دولة آباد» بعشرين ألف فارس ، وقاتل العساكر الشاهانية وانتصر عليهم ، فاتفق الناس عليه ، واعتزل إسماعيل المذكور.

علاء الدين حسن البَهْمَني

جلس على سرير الملك بكلبركه سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ، وكان في بداية حاله خادماً لكانكوبهمن ، فانتسب إليه ، وجعل اسمه جزءاً من اسمه ، وقبض على كلِّ ما فتحه الملوك الماضون من بلاد دكن ، وبعث عساكره إلى بلاد المعبر ، فقاتلوا أهلها ، وأخذوا عنهم مئتي ألف دينار ، وكثيراً من الجواهر الثمينة ، والفيلة ، وهو أول ملوك الإسلام في الهند ، استخدم الوثنيين ، لاسيما البراهمة في الأمور المالية والتحرير ، مات سنة تسع وخمسين وسبعمئة.

ولي الملك بعد أبيه ، وسار إلى بلاد «تلنك» سنة ثلاث وستين ، فقاتل أهلها ، وغنم من الذهب والجواهر مالا يحصى ، وسار إلى تلك البلاد سنة أربع وستين ، ولما عرف صاحبها عجزه عن المقاتلة اصطلح معه على مال يؤديه ، فأبى محمد شاه ، ثم أجابه إلى ذلك على ثلاثمئة فيل ومئتي فرس ، وثَلاثة عشر مئة هن ، وبلدة «كلكندّه» ، فأرسل إليه كل ذلك صاحبها ، وأرسل إليه سريراً مرصعاً من الذهب والجواهر .

وفي تلك السنة قدم إليه صاحب «بيجانكر» ، وأخذ قلعة «مدكل» ، وقتل ثمانمئة من المسلمين ، فلما سمع محمد شاه اشتعل غضباً ، وحلف أنه يقتل من المشركين مئة ألف ، وسار بتسعة آلاف فارس مقاتلاً إلى «بيجانكر» ، وكان معه ثلاثون ألف فارس ، وتسعمئة ألف راجل ، ونهر «كشنه» كان عظيماً ، لا يخطر على قلب أحد أن محمد شاه يقدر على عبوره ، وأيده الله سبحانه على العبور ، فأقام على شاطئه ، وألقى الرعب في قلب صاحب «بيجانكر» ، فهابه ، وبعث الأحمال والأثقال كلها إلى «بيجانكر» ، وأقام بمعسكره للحرب ، والأحمال التي بعثها لم تتجاوز ميلين لشدَّة الوحلِ في ذلك اليوم ، فبكر إليه محمد شاه بعساكره ، فتركوا الفيلة والأموال ، وفرُّوا إلى قلعة «أودني» فأكثر محمد شاه الفتك بالمشركين ، فقتل منهم سبعين ألفاً ، ثم سار إلى قلعة «مدكل» ، وأقام بها إلى انقضاء أيام المطر ، ثم قصد قلعة «أودني» ، فلما سمع ذلك صاحب «بيجانكر» ، استخلف بها ابن أخيه ، وذهب إلى ناحية من نواحي بلاده ، فسار محمد شاه إلى «بيجانكر» للمقاتلة ، وبعث إليه صاحب «بيجانكر» مقدَّم عساكره بأربعين ألف فارس وخمسمئة ألف راجل ، فالتقوا ، واقتتلوا ، وانهزم المشركون ، وأكثر محمد شاه في القتل ، فلم ينج منهم إلا القليل النادر ، وسار محمد شاه في أثر صاحب «بيجانكر» من طريق إلى طريق ، ومن مضيق إلى مضيق ، حتى وصل إلى «بيجانكر» وحاصرها ، وضيق على أهلها ، وأدام الحصار إلى شهر كامل ، ثم دبر الحيلة وتمارض ، وأمر برجوع العساكر من «بيجانكر» ، فلما سمع المشركون طمعوا في قتلهم ، ونهب أموالهم ، فخرج

صاحب «بيجانكر» ، وتعقبهم ، وعبر ماء «تمندره» ووصل إلى أرض قفراء ، فقام محمد شاه عن فراشه ، وأمر العساكر بالتجهيز ، وسار في الليل إلى معسكر المشركين ، وكانوا مشتغلين بالرقص والغناء ، ولم يعلموا بمجيئه حين وقف على رؤوسهم في البكرة ، فاختلت حواسهم ، وفرَّ كلٌّ واحد منهم إلى ناحية من نواحي الأرض ، وتركوا أموالهم ، فغنم محمد شاه مالاً كثيراً ، وقتل خلقاً ، وتعقبهم إلى أربعين ميلاً من «بيجانكر» ، وقتل ونهب ، فاضطروا إلى الصلح على مال يؤديه صاحب «بيجانكر» عاجلاً ، فعاد محمد شاه إلى «كلبركه» . مات سنة ستٍ وسبعين وسبعمئة .

مجاهد شاه بن محمد شاه

ولي الملك بعد أبيه ، ولم يكن له نظير في زمانه في الشدَّة والقوَّة والبطش ، فتح الفتوحات العظيمة ، وسار بعساكره إلى «بيجانكر» ، وقاتل الوثنيين ، ونهب الأموال ، ثم قتل عند رجوعه إلى «كلبركه» ، قتله عمُّه داود بن الحسن ، وكان يسخط عليه لسبِّه إياه في غفلة صدرت عنه عند القتال ، وكان ذلك سنة تسع وسبعين وسبعمئة .

داود شاه بن علاء الدين

ولي الملك بعد ابن أخيه مجاهد شاه ، وقتل قصاصاً منه بعد شهر واحد من جلوسه على سرير الملك ، وولي مكانه صنوه محمود .

محمود شاه بن علاء الدين

ولي الملك بعد أخيه سنة ثمانين وسبعمئة ، وكان من خيار السلاطين ، رتَّب الكتاتيب لتعليم اليتامى في «كلبركه» و«بيدر» و«قندهار» و«ايلجبور» و«جنير» و«ابنحيول» و«الدائل» وفي بلاد أخرى ، وجعل الأرزاق للمحدِّثين ليشتغلوا بالحديث؛ لجمع الهمة إليه ، وفراغ الخاطر ، وجعل الأرزاق للعميان ، والمقعدين ، مات سنة تسع وتسعين وسبعمئة وكانت مدته نحو عشرين سنة .

غيـاث الدين بن محمود شـاه

ولي الملك بعد أبيه ، وساس الأمور ، وأحسن إلى الناس ، فرضي عنه الأمراء ، أما «تغلجين» أحد غلمان أبيه فولى عنه ساخطاً ، لأنَّه كان يشتهي أن يمنح المناصب الرفيعة ، فأبى ذلك غياث الدين ، فدبَّر له الحيلة وحبسه في قلعة «ساغر» ، وولى مكانه أخاه شمس الدين.

شمـس الدين بن محمد شـاه

ولي الملك بعد أخيه غياث الدين ، وله خمس عشرة سنة ، فترك الحلَّ والعقد ، وجميع التصرفات «لتغلجين» ، فخرج عليه فيروز بن داود بن علاء الدين حسن البهمني ، وقتل «تغلجين» المذكور ، وحبس شمس الدين بقلعة «ساغر» ، ثم أذن له بأن يرتحل إلى الحجاز ، فسار إلى المدينة المنورة ، وسكن بها ، ومات سنة ستّ عشرة وثمانمئة ، وكانت مدته سبعة خمسين يوماً.

فيـروز شاه بن داود شـاه

ولي الملك ، واستقلَّ به خمساً وعشرين سنة وسبعة أشهر ، وغزا الكفار أربعاً وعشرين مرَّةً ، واجتمع عنده من العلماء والشعراء مالم يجتمع عند غيره من الملوك ، وكان عالماً كبيراً ، بارعاً في العلوم الحكمية ، يدرس ويفيد مع اشتغاله بمهمات الدولة ، وقد خرج عليه صنوه أحمد شاه في آخر عمره ، وغلب عليه ، فسلم إليه الأمور ، ومات بعد عشرة أيام من جلوس أحمد شاه على سرير الملك سنة خمس وعشرين وثمانمئة.

أحمـد شـاه بن داود شـاه

ولي الملك في حياة صنوه فيروز شاه ، وغزا الكفار غير مرَّة ، وأخذ عنهم الجزية ، وأسَّس المساجد والأربطة في بلاده ، وبنى مدينة أحمدَ آباد في أرض «بيدر» بكسر الموحدة ، وجعلها دار ملكه سنة اثنتين وثلاثين وثمانمئة ، مات سنة ثمان وثلاثين وثمانمئة ، وكانت مدته اثنتي عشرة سنة.

عـلاء الديـن بن أحمد شـاه

ولي الملك بعد أبيه بأحمد آباد ، وأحسن إلى إخوته بما لا مزيد عليه ، وأحسن إلى الناس ، وفتح الفتوح العظيمة ، وأخذ الخراج عن ملوك «بيجانكر» و«كوكن» ، وكان لا يفرق في العدل والقضاء بين الشريف والوضيع ، والفقير والغني ، وكان يقوم على المنبر ، ويخطب بنفسه ، ومن مآثره أنه بنى مارستاناً كبيراً ببلدة أحمد آباد .

مات سنة اثنتين وستين وثمانمئة ، وكانت مدته ثلاثاً وعشرين سنة .

همايـون شـاه بن علاء الديـن

ولي الملك بعد أبيه، واستوزر محمود بن محمد الكيلاني الرجل المشهور ، وكان ظالماً ، قبيح السيرة ، تعدَّى على الناس ، وقتل خلقاً كثيراً لا يحصون بحدٍّ وعدٍّ .

مات سنة خمس وستين وثمانمئة؛ وكانت مدته ثلاث سنين وستة أشهر .

نظـام شـاه بن همايون شـاه

ولي الملك بعد أبيه ، وله ثماني سنين ، وكان الحلُّ والعقد ، وجميع التصرفات في أيدي الوزراء؛ مات سنة سبع وستين وثمانمئة .

محمـد شـاه بن همايون شـاه

ولي الملك بعد أخيه نظام شاه ، وله تسع سنين ، فاشتغل بالعلم زماناً ، ثم أخذ عنان السلطة بيده ، وجعل عماد الدين محموداً الكيلاني وزيراً له ، وبعثه بعساكره إلى بلاد «كوكن» ، فقاتل أهلها ، وملك قلعة «كهينه» و«سنكيز» وبلاداً أخرى ، وبعث نظام الملك البحري بعساكره إلى «أوريا» سنة ست وسبعين وثمانمئة ، فقاتل أهلها قتالاً شديداً ، وملكها ، وأقطع محمد شاه تلك المملكة لواحد من أهلها على مال يؤديه ، ثم سار نظام الملك بأمره إلى «راجمندري» و«كندّنير» فملكها ، وبعث محمد شاه يوسف خان العادل إلى «دولة آباد» ، وأمره بتسخير قلعة «ويراكيهره» وقلعة «أنتور»؛ فملكها بعد ستة أشهر ، وغنم

أموالاً كثيرةً ، وسار محمد شاه بنفسه في سنة سبع وسبعين وثمانمئة إلى قلعة «نلكوان» وفتحها ، ثم سار إلى بلاد صاحب «بيجانكر» ، فقاتله قتالاً شديداً ، فلما عرف صاحب «بيجانكر» عجزه عن المقاتلة ، أرسل إليه يطلب الصلح على مال يؤديه ، فصالحه ، وسار إلى «نرسنكه» ، وكانت بلاده بين بلاد «تلنك» وبلّاد المعبر ، وقاتله ، وابتلي بمرضٍ فرجع إلى أحمد آباد.

مات سنة سبع وثمانين وثمانمئة.

محمـود شـاه بن محمد شـاه

ولي الملك بعد أبيه ، وصار لعبةً بأيدي الوزراء ، وتزلزل بنيان السلطة في أيامه ، فاستقلَّ نظام الملك في «أحمد نكر» ، وعادل الملك في «بيجابور» ، وعماد الملك في «برار» ، كلهم استقلوا سنة خمس وتسعين وثمانمئة ، واستقلَّ قطب الملك في بلاد «تلنك» سنة ثمان عشرة وتسعمئة ، وصار قاسم البريد قابضاً على دار الملك أحمد آباد ، ولم يبق لمحمود شاه من السلطة إلا الاسم.

مات سنة أربع وعشرين وتسعمئة ، وكانت مدته إحدى وثلاثين سنة.

أحمـد شـاه بن محمود شـاه

قام مقام أبيه ، وصار نظيراً لما وقع للخلفاء من بني العباس مع الأتراك في مصر.

ومات بعد سنتين من جلوسه سنة سبع وعشرين وتسعمئة.

عـلاء الديـن بـن أحمـد شـاه

قام مقام أبيه ، وكان رجلاً حازماً ، شهماً ، فأراد أن يقبض على البريد ، ويصرف الأمور كيف يشاء ، فأدَّى ذلك إلى عزله ، وحبسه ، وهلاكه على يد البريد ، ومدته سنتان وشهران.

وليُّ الله بن محمود شاه

ولّاه البريد بعد علاء الدين ، وآل أمره إلى الحبس والهلاك ، كما وقع لعلاء الدين المذكور ، ومدَّته ثلاث سنين .

كليم الله بن محمود شاه

ولاه البريد بعد أخيه ، فقنع بحاله مدَّةً ، ثم انسلخ إلى «بيجابور» سنة أربع وثلاثين وتسعمئة ، ثم إلى أحمد نكر ، وتوفي بذلك المقام ، وانقرض ملكه ، ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] .

❊ ❊ ❊

الـبـاب السـادس
في أخبار ملوك كُجْرَاتْ

كانت مملكة كجرات لملوك دهلي إلى عهد محمد شاه الفيروزي ، فوليها عنهم ظفر خان بن وجيه الملك الدهلوي سنة ثلاث وتسعين وسبعمئة ، فضبط البلاد ، وفتح ما لم يفتح قبل ذلك ، واستقلَّ بها سنة عشر وثمانمئة ، ولقب نفسه مظفر شاه .

مظـفر شـاه الكُجراتـي

استقلَّ بالملك سنة عشر وثمانمئة ، وأحسن إلى الناس ، وكان كريماً رحيماً ، شجاعاً مقداماً ، مجاهداً في سبيل الله ، حسن العقيدة ، حسن الفعال ، سمُّوه في كبر سنه ، فمات سنة ثلاث عشرة وثمانمئة .

أحمـد شاه الكُجراتـي

لما مات مظفر شاه؛ ولي مكانه حفيده أحمد بن محمد بن المظفر الكجراتي ، ولقب نفسه أحمد شاه ، وفتح الفتوح العظيمة ، وغزا الكفار غير مرَّة ، ومصَّر مدينةً كبيرةً بكجرات ، وسماها أحمد آباد ، وكان محبّاً للعلم وأهّله ، صنف له محمد بن أبي بكر الدماميني عدة مصنفات .

مات سنة خمس وأربعين وثمانمئة ، ومدته اثنتان وثلاثون سنة .

غيـاث الدين محمد شـاه

لما مات أحمد شاه ، ولي ملكه ابنه غياث الدين محمد شاه في السابع من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثمانمئة ، ونظر بالعناية إلى وزراء أبيه

وعماله ، ولم يغيِّر أحداً عما كان عليه من نعمة في أيامه ، وكان عمره لما تسلط عشر سنين ، ومولده سلطان بور المجاورة «نيلا بار» ، وبه سميت البلدة ، وتوفي وعمره ثمان وعشرون سنة ، ومدة سلطته ثماني سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام .

وكان شجاعاً مطاعاً ، جواداً ، ولهذا كان يقال له : «لك بخش» ، ومن مآثره «سكرتلا» ، وكان حوضاً عجيباً .

مات في ثامن شهر محرم سنة خمس وخمسين وثمانمئة .

قطب الدين أحمد شاه بن محمد شاه

ولي الملك بعد أبيه ، وقاتل الكفار غير مرَّة ، واستخلص قلعة «ناكور» من مرازبة «جتّور» ، وقاتلهم أشدَّ قتال ، وهزمهم أقبح هزيمة .

مات في جمادى الأخرى سنة اثنتين وستين وثمانمئة ، وكانت مدته سبع سنين وستة أشهر .

داود شاه بن أحمد شاه

ولي الملك بعد والده قطب الدين ، وكان عرياً عن الجدارة والصلاح للملك ، شديد الميل إلى الهوى ، وَعَدَ الأصاغر بمناصب الأكابر ، وبلغهم ذلك ، فاتفقوا على خلعه بعد سبعة أيام من جلوسه ، واتفقوا على محمود بن محمد شاه .

أبو الفتح محمود شاه محمد

ولي الملك في الحادي عشر من رجب سنة اثنتين وستين وثمانمئة ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، فاستقلَّ به ، وضبط البلاد والحصون ، وغزا الكفار ، وفتح بلادهم ، وساس الأمور ، وأحسن إلى الناس ، وغمرهم بإحسانه ، وفتح قلعة «بارود» ، وكانت لقلة الجبل عند «المرفأ» المعروف بدمن ، وفتح قلعة «كرنال» بكسر الكاف ، وكانت من أمنع قلاع الهند ، وفتح قلعة بيت و«دواركا» ، وفيها

صنم من أشهر أصنام الهنادك ، يحجُّون إليه من أقطار بعيدة ، وفتح قلعة «جانبانير» ، وكانت قلعةً حصينةً منيعةً ، لا تكاد تفتح ، وفتحً غير ذلك من البلاد والقلاع .

وكان أكبر ملوك «كجرات» ، وأحسنهم عقلاً ، وديناً ، وسياسةً ، اجتمع بحضرته خلقٌ كثيرٌ من أرباب الفضل والكمال من العرب والعجم ، حتى صارت بلاد كجرات عامرةً ، آهلةً بالعلماء ، ووفد المحدِّثون من العرب ، ونفقت على أيديهم سوق الحديث الشريف ، فتشابهت باليمن الميمون ، وصارت أحمد آباد مدينة العلم والعلماء .

وقد مصَّر محمود شاه بلدةً كبيرةً عند «جانبانير» وسمَّاها محمود آباد ، وبلدة عند قلعة «كرنال» وسماها مصطفى آباد ، ومصَّر بلدةً على اثني عشر ميلاً من أحمد آباد وسمَّاها محمود آباد ، ولما فتح «جونه كدّه» و«جانبانير» وغيرهما من البلاد ، صار لمحمود من حدِّ «مندر» إلى حدِّ السند ، من «جونه كدّه» وإلى «سوالك بربت» من «جالور» و«ناكور» وإلى «ناسك ترمك» من بكلانه ومن برهانبور إلى برار ، وملكابور من أرض دكن وإلى كركون ونهر «نربده» من جانب برهانبور ، ومن جانب إيدر إلى جيتور وكونبلنير ، ومن جانب البحري حدود جيول ، والله يؤتي ملكه من يشاء .

عاش إحدى وستين ، ومات سنة سبع عشرة وتسعمئة ، ومدته خمس وخمسون .

أبـو الـنصـر مظفر شاه الحليـم

ولي الملك بعد أبيه ، وأحسن إلى الناس ، وساس الأمور سياسةً حسنة ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وكان سلطاناً عادلاً ، باذلاً كريماً ، حليماً متورعاً ، محدثاً يتبع الأحاديث النبوية ، ويكتب المصاحف بيده . ثم يبعث بها إلى الحرمين الشريفين ، واجتمع عنده كثيرٌ من العلماء والأشراف .

مات سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة ، ومدته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر .

سكنـدر شـاه بن المظفر الحليـم

ولي الملك بعد أبيه ، ولعب بلسانه ، فوعد الأصاغر من حاشيته بما للأكابر من المناصب ، والألقاب ، فانحرفت عنه جماعة من الأمراء ، واتفقوا على خلعه ، وقتله عماد الملك بعد ثلاثة أشهر من جلوسه على غفلةٍ منه ، وولي مكانه نصير بن المظفر ، ولقبه بمحمود شاه .

محمـود شـاه بـن المظفـر

ولاه عماد الملك ، وجعله لعبةً ، وكان بهادر بن المظفر بدهلي عند موت والده ، فلما سمع ذلك ، ارتحل إلى كجرات ، وفي أثناء الطريق سمع أنَّ أخاه سكندر شاه قتل ، فجدَّ السير ، ودخل كجرات ، واجتمع لديه الأمراء ، وتحصَّن عماد الملك بجانبانير ، فسار إليها ، وقتل عماد الملك ، وكانت مدة محمود شاه نحو أربعة أشهر .

بـهـادر شـاه بـن المظفـر

ولي الملك يوم عيد الفطر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة وأحسن إلى الناس ، وساس الأمور سياسةً حسنةً ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وخطب له نظام شاه بأحمد نكر ، وعماد شاه في برار ، ومحمد شاه ببرهانبور ، وسار بعساكره العظيمة إلى «مالوه» فملكها ، ثم أغار عليه همايون بن بابر التيموري ، فانهزم منه سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة ، وسار إلى بلاد السواحل ، ولما رجع همايون المذكور إلى دهلي كرَّ راجعاً إلى أحمد آباد ، وضبط بلاده مرَّةً أخرى ، وسمع أنَّ الإفرنج نزلوا ببندرديو ، وكان طلبهم في زمان الفترة ليستعين بهم في قتال همايون المذكور ، فسار إلى «بندرديو» مع أصحابه ، ليرجعهم إلى بلادهم ، فقتلوه على غفلة منه ، وقبضوا على «بندرديو» ، وكان ذلك في رمضان ثلاث وأربعين وتسعمئةً .

محمود شاه بن لطيف خان بن المظفر

ولي الملك بعد عمه بهادر شاه ، واستقلَّ به ثماني عشرة سنة وشهرين ، ولما فتح «جونه كدّه» و«جانبانير» وغيرهما من البلاد ، وصار لمحمود من حدٍّ مندر إلى حدِّ السند من «جونه كدّه» وإلى «سوالك بربت» من «جالون» و«ناكور» ، وإلى «ناسك» «ترمك» من «بكلانه» ، ومن «برهانبور» إلى «برار» ، و«ملكابور» من أرض دكن ، وإلى «كركون» ، ونهر «نربده» من جانب «برهانبور» ، ومن جانب «إيدر» إلى «جيتور» و«كونبلنير» ، ومن جانب البحر إلى حدود «جيول» ، والله يؤتي ملكه من يشاء ، وفتح قلعة «أدير» سنة ست وخمسين وتسعمئة ، وكان محمود شاه خاتمة سلاطين كجرات ، وبه بعد حادثة المغل عمرت وتراجعت ، وأمَّها أهل الجهات.

ومن أعماله الصالحة ما وقفه على الحرمين الشريفين من قرى بنواحي كنباية ، ومن أبنيته بمكة المشرفة رباط بسوق الليل يشتمل على مدرسة ، وسبيل ، ومكتب الأيتام ، وخلاوي أرضيه وسطحيه ، ورباط بباب العمرة وسبيل على طريق جدَّة ، وله غير ذلك من المآثر الحسنة ، قتله أحد غلمانه في سنة إحدى وستين وتسعمئة.

أحمد شاه الكجراتي

ولي الملك بعد محمود شاه ، وكان من سلالة أحمد شاه الأول ، واسمه رضي الملك ، فلقبوه أحمد شاه ، وجعلوه لعبة بأيدي الوزراء ، قتل سنة تسع وستين وتسعمئة.

مظفر شاه الكجراتي

ولَّوه بعد أحمد شاه ، وقالوا: إنه ولد محمود شاه ، وتغلب عليه الوزراء جداً ، فما كان له من السلطة إلا الاسم ، حتى أنَّ ذلك جرَّ إلى تحاسدهم فيما بينهم ، واختلاف كلمتهم ، فأدَّى إلى انقراض ملكهم ، وزوال شوكتهم ، وانتقال الدولة منهم إلى أكبر شاه بن همايون التيموري سنة ثمانين وتسعمئة ، وفر مظفر شاه إلى ناحية من نواحي بلاده ، وعاد إلى بلاد كجرات بعد سنة ،

وقبض أكثر بلادها ، مثل أحمد آباد ، وبهروج ، وبرودة ، وكنباية ، فهزم عسكر أكبر شاه ، ونهبهم ، وقتل بعض الوزراء الكبار ، وأخذ ماله ، ولم يزل يعظم أمره ، ويكثر عسكره إلى مستهل المحرم سنة اثنتين وتسعين ، فاختلف عسكره فيما بينهم ، وكان ذلك سبب هزيمتهم ، واختفى مظفر شاه في بعض الأماكن ، ورجع أمر كجرات إلى أكبر شاه ، وأما بهروج ، فكانت قلعتها حصينةً منيعةً ، وكانت فيها جماعة من أصحاب مظفر شاه ، فمنعوها مدَّةً ، وحاصرها جماعة من وزراء المغل إلى أن أخذوها سلخ رمضان من تلك السنة .

* * *

الباب السابع
في ذكر السلاطين الشرقية بجونبور

كانت مملكة هذه البلاد لملوك دهلي عهداً بعد عهد إلى زمن ناصر الدين محمود شاه الفيروزي ، فولّى عليها الملك سرور وزيره ، وكان من الخصيان ، ناظراً لحرم محمد شاه الدهلوي ، فرقاه محمد إلى درجة الوزارة ، ولقبه بخوجه جهان ، ثم ولّاه محمود علي ولاية جونبور ، وبهار ، وترهت سنة ست وتسعين وسبعمئة ، ولقبه بملك الشرق .

ملك الشرق خواجه جهان سرور

ضبط البلاد ، وفتح القلاع الحصينة ، والحصون المتينة ، وخضع له ملوك «بنكاله» ، وكانت الخطبة بتلك البلاد لمحمود شاه الدهلوي ، إلى أن مات سنة اثنتين وثمانمئة ، ومدة سلطته ست وستون وبضعة أشهر .

مبارك شاه الشرقي

كان اسمه قرنفل ، رباه خوجه جهان المتقدم ذكره ، وجعله بمنزلة ولده ، وأوصى له بالسلطة ، فلما مات خوجه جهان المذكور ، ولي الملك مكانه قرنفل ، ولقب نفسه مبارك شاه ، وضبط البلاد ، وساس الأمور ، وركب بالمظلة ، وخطب لنفسه ، فهو أول من استقل فيها بالخطبة والسكَّة .

مات سنة أربع وثمانمئة ، ومدته سنة وبضعة أشهر .

إبـراهيم شاه الشرقـي

لما مات مبارك شاه ، ولي الملك صنوه إبراهيم شاه ، وتوجه إلى قنوج لتسخيرها ، فصدَّه عنه محمود شاه الدهلوي فرجع ، ثمَّ سار إلى دهلي ، ونزل بساحل «جمنا»، وكان مظفر شاه صاحب كجرات بنواحي أجمير ، فلما سمع به، حفظ العهد الفيروزي ، فتوجَّه لنصرة محمود شاه ، فرجع إبراهيم إلى ملكه ، ثم سار إلى دهلي بعد مدَّة ، وقاتل مبارك شاه الخضرخاني بحدود «بيانه» ، وحاربه عامة نهاره، ولما فصل الليل بينهما ، ركب إبراهيم ، ورجع إلى ملكه ، ثم خرج إلى «كالبي» ، وبلغه وصول صاحبها هوشنك شاه الغوري ، فرجع .

وكان من خيار السلاطين ، ساس الناس بالعدل والإحسان ، وأحسن السيرة فيهم ، لما جمع الله سبحانه فيه من الدين ، والعقل ، والمروءة ، وخلال الخير فيه بغاية من الكمال ، فصار المرجع والمقصد ، واجتمع لديه خلقٌ كثير من العلماء ، كالقاضي شهاب الدين الدولة آبادي ، والقاضي ناظم الدين الكيلاني ، والشيخ أبي الفتح بن عبد المقتدر الدهلوي ، وأمثالهم ، فبنى لهم المدارس ، والجوامع ، وصارت جونيور مدينة العلم ، وكانت مدته أربعين سنة ، مات سنة أربع وأربعين وثمانمئة .

محمـود شـاه الشرقـي

ولي الملك بعد أبيه؛ واستقلَّ به نحو عشرين سنة ، وكان عادلاً باذلاً ، كريماً محسناً إلى الناس ، ساس الأمور سياسةً حسنةً ، وبنى المدارس ، والجوامع بجونبور ، وخرج إلى كالبي فاستولى عليها ، ثم خرج عليه محمود شاه الخلجي ، صاحب مالوه ، فاصطلحا على أن تكون لصاحبها خانجهان ، وكان الخلجي غلب عليه ، ثم اشتغل محمود بالغزو ، وفتح جهان آباد ، وتوفي بأوده سنة اثنتين وستين وثمانمئة .

محمـد شـاه الشرقـي

ولي الملك بعد أبيه ، وتعدَّى على الناس ، فمالوا إلى إخوته ، واتفقوا على الحسين بن محمود ، وكانت مدته خمسة أشهر .

حسيـن شـاه الشرقـي

ولي الملك بعد أخيه محمد شاه ، وافتتح أمره بالعقل والدهاء ، وجمع العساكر العظيمة ، فسار إلى «أرّيسة» ، وقاتل صاحبها ، ثم صالحه على مال يؤدِّيه ، وبنى قلعة بنارس سنة ٨٦٩ هـ ، وبعث عساكره إلى قلعة «كواليار» ، ففتحها عنوةً ، ثم صالح صاحبها على مال يؤدِّيه ، وسار نحو دهلي سنة ٨٧٨ هـ ، فتواضع له صاحبها بهلول اللوديّ ، وتنزل معه ، حتى رضي من الملك بدهلي ، وما يليها إلى بنجاب ، ويكون ما سواه له ، وهو يأباه ، فسار إليه ، وقاتله ، وانهزم حسين شاه ، وتخلف عنه الكثير من استعداده ، ثم استعدَّ مرَّةً ثانيةً ، وسار إلى دهلي ، وحاربه بهلول ، وهزمه ، ثم استعدَّ ، ووصل إلى دهلي ، وهزمه بهلول ، وفي هذه المرة تبعه إلى جونبور ، وأقام ولده باربك بن بهلول سلطاناً بجونبور ، فسار حسين شاه إلى أقصى بلاده ، وقنع على أقطاع تحصل له منها خمسمئة ألف ، ولما تولى المملكة إسكندر بن بهلول سار إليه ، وأخرجه إلى «بنكالة» فانقرضت الدولة الشرقية عليه سنة إحدى وثمانين وثمانمئة ، وكانت مدته تسع عشرة سنة ، مات سنة خمس وتسعمئة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثامن
في أخبار ملوك «مَالْوَهْ» بمَنْدَو

كانت مملكة هذه البلاد لملوك دهلي عهداً بعد عهد ، إلى زمن محمد شاه بن فيروز شاه الدهلوي ، فولاها الحسين الغوري ، ولقبه دلاور خان ، وكان من نسل السلطان شهاب الدين محمد بن سام الغوري ، فضبط البلاد ، وساس الأمور ، ولما تزلزل شأن السلطة بدهلي ؛ استقلَّ بالملك .

دلاور شـاه الغَـوري

استقل بالملك أربع سنين ، وكانت مدة ولايته في تلك البلاد عشرين سنة ، وكان شجاعاً مقداماً ، كريم النفس ، فتح الفتوحات العظيمة ، وملك القلاع والبلاد ، وأحسن إلى الناس ، ومات سنة ثمان وثمانمئة .

هـوشنـك شاه الغَـوري

لما مات دلاور شاه ، ولي بعده ولده البخان ، ولقب نفسه هوشنك شاه ، وسار بعساكره إلى قلعة «كهيرله» فقاتل صاحبها «هرسنكه رائي» وقتله ، وملك القلعة ، وأغار عليه مظفر شاه الكجراتي ، وقبض عليه ، وحبسه سنة . ثم أطلقه ، وولاَّه على تلك البلاد ، وهو الذي أسس القلعة الحصينة بمندو ، وانتقل من «دهار» إلى تلك القلعة ، وجعلها دار ملكه ، واستقلَّ بالملك ثلاثين سنة ، مات سنة ثمان وثلاثين وثمانمئة .

www.abulhasanalinadwi.org

محمد شاه الغَورِي

لما مات هوشنك شاه ، ولي بعده ولده عزمين خان ، ولقب نفسه محمد شاه الغوري ، وجعل الحل والعقد بيد محمود بن المغيث الخجلي ، واشتغل بالملاهي والملاعب ، فقتلوه ، وكانت مدته سنة وبضعة أشهر .

محمود شاه الخلجي

ولي الملك يوم الإثنين لخمس بقين من شوال سنة تسع وثلاثين وثمانمئة ، وكان من كبار الأمراء ، اتفق النّاس عليه بعد محمد شاه الغوري ، وكان عمره حينئذ أربعاً وثلاثين سنة ، واستقلّ بالملك أربعاً وثلاثين سنة ، وذلك من غرائب الاتفاقات .

وكان عادلاً كريماً ، رحيماً باسلاً ، مقداماً ، نهض إلى «كهندو» سنة ٨٤٤ هـ ، وشن الغارة بها ، ثم سار إلى «كهيرله» ، وصالحه صاحبها ، ودخل في طاعته ، ثم سار إلى «سركجه» ، وفي سنة ٨٤٧ هـ نزل على كركون ، وفتحها عنوةً ، وفي سنة ٨٥٥ هـ خرج إلى الغزو بديار «هاروني» ، و«كتواس» ، و«ديوستير» و«ميتهوني» ، وبعث ولده غياث الدين لغزو «ديهرواه» وما يليها ، فعمّت الغارة بتلك الديار ، ثم إلى «رنتهنبور» ، واستولى على ما سوى القلعة ، وعطف إلى «أجمير» ، فملكها ، وخلّف بها ولده أعظم همايون ، وأضاف إليها ولاية رنتهنبور ، ومصّر بلدة خلجي بور قريباً من جبور ، وبقي بها إلى أن دخل في طاعته رانا كوينها ، وفتح «دسور» وفتح ميوار وأعمالها ، وبعث أمراءه إلى البلاد ، ففتكوا بأهلها ، وقبضوا عليها .

ومما يعاب عليه أنّه عبث ببلاد المسلمين مرّةً ، وقصد كجرات وبرهانبور ، وبلاد دكن من غير طائل .

وبالجملة ، فإنّه كان ممن جمع الله فيه كثيراً من خلال الخير ، واجتمع عنده العلماء والمشايخ ، فبنى لهم المدارس والزوايا ، وبنى مارستاناً كبيراً ببلده مندو ، وأجرى على العلماء وطلبة العلم الأرزاق والرواتب ، وأحسن إلى

الناس ، وردَّ المظالم وسدَّ الثغور ، وفتح الفتوحات العظيمة . مات سنة ثلاث وسبعين وثمانمئة .

غياث الدين شاه الخَلْجِي

ولي الملك بعد أبيه محمود شاه ، واستقلَّ به ثلاثاً وثلاثين سنةً . ولم يعزل أحداً من عمال أبيه ولا غيَّر شيئاً كان في أيامه ، فكأنَّ أباه به لم يمت ، ثم استدعى بأولي الحل والعقد من وزرائه وأمرائه إلى مجلس مخصوص لهم ، وقال : طالما تقلدت صارماً ، وأدمت القراع ، وأذقت السمَّ النقاع ، حتَّى فتحت القلاع ، وأخليت البقاع ، وساعدني عليه جنون الشباب ، وسايرني عقل ينتهز ما عليه المرء يثاب ، وأمَّا الآن ، وقد نزل بي المشيب ، ولا يصلح معه إلا الدعة ، فسآخذ منها بنصيب ، وسبيل كل ذي عمل الآن أن يكون عليه كما كان ، ولا يراجعني فيه إلا عند طوارئه ، ووضع الحل والعقد بيد ولده ناصر الدين ، ثم صرف عمره بأرغد عيش ، حتى قام عليه ولده ناصر الدين ، وجلس على سرير الملك ، وعزل والده ، ويقال : إنه سم والده ، وقيل : إنه كان عليلاً ، فمات في أوائل جلوسه سنة خمس وتسعمئة .

ناصر الدين شاه الخَلْجِي

ولي الملك مكان أبيه ، وشدَّد على أمراء أبيه ، وألزمهم بكفران نعمته ، وخروجهم عن التعصُّب له ، وهو حي ، حتى كان منه ما كان في حقه ، وقلَّد ولده محمود خان نيابة عنه في أعمال عمِّه أعظم همايون ، فاستقرَّ بأجمير ، وصفا الملك لناصر الدين ، فاستقلَّ إحدى عشرة سنة .

مات سنة ست عشرة وتسعمئة على فراشه ، وولي مكانه ولده محمود .

محمود شاه الخَلْجِي

لما مات ناصر الدين ، ولي مكانه ولده محمود شاه ، واستوزر «مدني رائي» الوثني ، فخرج الأمر عن اختياره في سائر أموره ، فكان «مدني رائي» في بداية حاله يتظاهر بما يرضي به محمود شاه ، وكلما وجد مجالاً سعى في إخراج

الأمراء ، وكان كلما باعد مسلماً؛ قرب كافراً ، حتى تمكن من المملكة ، واستقلَّ فيها أبناء جنسه ، فحينئذ عمل ما شاء ، وشيَّد الكنائس والأوثان ، وشاع الكفر في البلاد كما كان ، وضيق على محمود شاه فخرج من منزله ذات يوم ، وسار إلى كجرات ، واستنصر السلطان مظفر شاه الكجراتي ، فنهض السلطان إلى مالوه ، واستخلص تلك البلاد من الهنادك ، ووهبه محمود شاه ، وترك عنده ولده تاج خان.

فلما مات مظفر شاه الكجراتي ، وتولى المملكة بهادرشاه؛ استدعى صنوه تاج خان ، فأبى ذلك محمود شاه ، فركب بهادر شاه إليه وقاتله ، وملك البلاد وعزله ، وأمر بحبسه في قلعة من بلاده ، فقتل في أثناء الطريق خدعةً في سنة سبع وثلاثين وتسعمئة ، وبقيَت بلاد «مالوه» تحت أمر ملوك كجرات إلى سنة إحدى وأربعين وتسعمئة ، ثم خرجت من أيديهم ، حتى صارت من توابع دهلي سنة ثمان وستين وتسعمئة وانتقلت إلى أكبر شاه التيموري.

* * *

الباب التاسع

في ملوك الطوائف في أقطار الهند

ملوك السِّنْد

فتح بلاد السند محمد بن القاسم الثقفي في حدود سنة ثلاث وتسعين ، وضبط البلاد بحسن تدبيره ، فصارت في حوزة الإسلام ، وتسلطت عليها العرب مدَّةً طويلةً ، ثم تسلطت عليها مرازبة تلك البلاد من قبيلة «سومره» ، وامتدَّت أيامهم إلى مئة سنة ، وذهب تاريخهم أدراج الرياح ، ثم انتقلت عنه إلى قبيلة سمَّة ـ بتشديد الميم ـ وكانوا يؤدون الخراج إلى ملوك دهلي مرَّةً ، ويعصونهم أخرى ، فأول من فاز بحكومة السند من قبيلة سمَّة هو جام أخراه بن بابنيه ، ومدته كانت ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم ولي أخوه «جام جونا» ، ومدته أربع عشرة سنة ، ثم ولي ابنه «جام ماني» وخالف ملوك دهلي ، فأغار عليها فيروز شاه سنة اثنتين وستين وسبعمئة ، فخرج إلى كجرات ، ثم أغار عليها بعد سنة ، وفتح البلاد ، وقبض على ماني ، وجاء به إلى دهلي ، ثم أطلقه بعد مدَّة ، وأعطاه مملكة السند ، وكانت مدَّته خمس عشرة سنة ، ثم ولي ابنه «جَّام تماجي» ، ومدته ثلاث عشرة سنة ، ثم ولي بعد جام صلاح الدين ، ومدته إحدى عشرة سنة. ثم ولي ولده جام نظام الدين ، ومدته سنتان وبضعة أشهر ، ثم ولي ولده جام علي شير ، ومدته ست سنين وبضعة أشهر ، ثم ولي ولده جام كران ، وقتل بعد يوم ونصفه ، واتفق الناس على فتح خان بن الإسكندر ، وكان من قبيلة «ستمكان» أيضاً ، واستقل بالملك خمس عشرة سنة ، ثم ولي صنوه جام تغلق ، وامتدت أيامه إلى ثمان وعشرين سنة؛ ثم ولي بعده جام مبارك ، وكان من تلك القبيلة ، ولم تمتد أيامه أكثر من ثلاثة أيام فاتفق الناس على جام

إسكندر ، وكانت مدته سنة ونصفها ، ثم اتفقوا على جام سنجر ، فاستقل بالملك ثماني سنين وبضعة أشهر ، ثم ولي بعده نظام الدين المعروف «جام نندا» ، وفي عهده دخل شاه بيك أرغون القندهاري في بلاد السند ، وقبض على بعض البلاد ، ثم رجع إلى قندهار ، وامتدَّت أيام نندا إلى ثمان وأربعين سنة ، ثم ولي ولده جام فيروز ، وخرج عليه صلاح الدين ، وكان من تلك القبيلة ، وذهب إلى كجرات ، فأعانه مظفر شاه الكجراتي ، وكان المظفر صهراً لعمِّه ، فجاء صلاح الدين وانتزع السلطة من فيروز ، فاستعان فيروز شاه بيك القندهاري ، فأرسل شاه بيك عسكراً إلى مملكة السند ، وجلس فيروز على سرير آبائه ، ثم جاء شاه بيك سنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وتسلَّط على بلاد السند ، وانقرضت دولة ستمكان ، واستخرج تاريخه بعضهم بقوله : «خرابي سند» .

وكان شاه بيك عالماً كبيراً ، له مصنفات ، مات سنةِ ثلاثين وتسعمئة ، وولي بعده ولده شاه حسين ، واستقل بالملك اثنتين وثلاثين سنة ، ومات سنة اثنتين وستين وتسعمئة ، ثم ولي بعده سر عسكره[1] عيسى ترخان بدار الملك «تهته» ، ومحمود خان أحد الأمراء ببلدة بهكر ، وكانا يختصمان مرَّةً ، ويصطلحان أخرى ، وكانت مدَّة عيسى ترخان ثلاث عشرة سنة ، ومات سنة خمس وسبعين وتسعمئة ، وولي بعده ولده مرزا باقي ، وامتدَّت أيامه إلى ثماني عشرة سنة ، مات سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة ، وولي بعده ولده مرزا جاني ، وفي أيامه دخلت عساكر أكبر شاه بن همايون التيموري بقيادة عبد الرحيم بن بيرم خان في بلاد السند ، فانتقلت سلطة السند إلى أكبر شاه المذكور سنة إحدى وألف .

وأما محمود خان البهكري ، فكان ظالماً يسفك الدِّماء بغير حق ، وامتدت أيامه إلى عشرين سنة ، ثم مات وانتقلت بهكر إلى أكبر شاه المذكور سنة اثنتين وثمانين وتسعمئة .

* * *

---

(١) سر عسكره ، يعني : أمير الجيش ، والقائد الحربي .

ملـوك مُلْـتَـانْ

لما ضعفت أركان السلطة بدهلي في عهد أبناء فيروز شاه ، وتواترت حملات التتر على ملتان ، اضطر الناس إلى أن يولُّوا عليهم أحداً ، فاتفقوا على الشيخ يوسف أحد سلائل الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني سنة سبع وأربعين وثمانمئة ، فاستقلَّ بالملك ، وكان «راي صهره» رئيس الأفاغنة ، يريد أن يتولى المملكة ، فاحتال على الشيخ ، وقبض عليه ، وولي الملك ، ولقب نفسه قطب الدين لنكاه ، واستقلَّ بالملك ست عشرة سنة ، مات سنة أربع وسبعين وثمانمئة ، ثم ولي الملك ولده حسن شاه لنكاه ، وقدم في عهده جام بايزيد ، وجام إبراهيم من تهته ، فولي بايزيد بلد «شور» ، وولي إبراهيم ، بلد «اج» وكان بايزيد من أهل الفضل اجتمع لديه كثير من العلماء ، وامتدَّت أيام حسين شاه إلى أن كبرت سنه ، فاعتزل عن الناس ، وولي مكانه ولده فيروز شاه ، ولكنَّه كان سيىء الفهم ، فقتل مسموماً ، فخرج حسين شاه من العزلة ، وولى مكانه محمود بن فيروز شاه المسموم ، واستوزر له جام بايزيد ، وكان محمود شاه أيضاً خفيف العقل ، فأراد أن يدفع وزيره بايزيد ، ويعيش كيف شاء ، فخرج بايزيد إلى أقطاعه ، وخطب بالسلطان إسكندر بن بهلول اللودي ، ولما دخل بابر شاه التيموري دهلي ، أمر شاه حسين القندهاري ملك السند أن يضمَّ إلى بلاده ملتان ، فسار شاه حسين إلى تلك البلدة ، فحاصرها ، ومات محمود شاه سنة إحدى وثلاثين وتسعمئة عن سبع وعشرين سنة فولي بعده ولده حسين شاه ، فشدَّد ملك السند المحاصرة ، وأدام الحصار إلى سنة وبضعة أشهر ، حتى فتحها سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة .

ملـوك بنكـالـه

فتحها عز الدين محمد بن بختيار الخلجي بأمر قطب الدين أيبك ، لعلَّه سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، ومات سنة اثنتين وستمئة ، وولي الملك مكانه محمد شيران الخلجي ، وانطلق «علي مردان» أحد الأمراء إلى دهلي ، وتقرب إلى قطب الدين أيبك ، فاستعمله على بنكاله ، فرجع ، وقاتل محمد شيران

المذكور ، فسار إلى أودية الجبال ، فلم ير له عين ولا أثر ، وتولى المملكة علي مردان ، وضبط البلاد ، ولما مات قطب الدين أيبك المذكور بدهلي ، استقلَّ بالملك ، ولقب نفسه علاء الدين ، مات سنة تسع وستمئة ، فاتفق الناس على عوض بن الحسين الخلجي ، فلقب نفسه غياث الدين ، وبنى جسراً كبيراً من لكهنوتي إلى لكهنور ، وفي الشعبة الغربية من نهر «كنكا» ، ومن جانب آخر إلى «ديو كوت» في الشعبة الشرقية ، كان مسيرة عشرة أيام ، فاستراح الناس به ، وبعث إليه شمس الدين الأيلتمش السرايا غير مرَّة ، ثم سار بنفسه سنة اثنتين وعشرين وستمئة ، واصطلحا على مال يؤديه ، وقبَض على «بهار» ثم سيَّر ولده ناصر الدين محمود سنة أربع وعشرين وستمئة بعساكره العظيمة ، فقاتله ، وانهزم منه غياث الدين ، وقتل ، وتولَّى المملكة ناصر الدين محمود بن أيلتمش ، ولم تجاوز أيامه سنتين ، مات سنة ست وعشرين وستمئة ، فسار أيلتمش إلى «بنكاله» سنة سبع وعشرين ، وأصلح الفاسد ، ثم استعمل علاء الدين خان المشهور بعزة الملك ، فتولى المملكة ثلاث سنين ، ثم ولي سيف الدين الترك ، فاستقام بها ثلاث سنين ، ثم ولي عز الدين طغانخان ، وامتدت أيامه إلى ثلاث عشرة سنة.

وفي أيامه قدم التتر من طريق «تبت» إلى «بنكاله» سنة اثنتين وأربعين وستمئة ، فبعث إليهم السلطان علاء الدين مسعود الدهلوي قره بيك تيمور خان بعساكره العظيمة ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأخرجهم من تلك البلاد ، فاستعمله السلطان المذكور على «بنكاله» فتولى المملكة عشرة أعوام ، ثم استعمل عليها ناصر الدين محمود الدهلوي جلال الدين خان أحد أركان الدولة ، ولم يلبث بها إلا سنةً واحدةً ، ثم عزل ، وولي مكانه أرسلان خان ، لعله سنة ست وخمسين وستمئة فتولى المملكة زماناً ، ثم ولي ولده تاتار خان ، ولم يزل أميراً على تلك البلاد على عهد غياث الدين بلبن الدهلوي ، ثم ولي طغرل ، فضبط البلاد ، وسار بعساكره إلى جاجنكر ، وغنم أموالاً وفيلةً ، وأظهر العصيان على بلبن ، ولقب نفسه مغيث الدين سنة ثمان وسبعين وستمئة ، فبعث إليه غياث الدين بلبن السرية ، وأمرِ عليها «البتكين» أحد كبار الأمراء ، فقاتله ، وانهزم منه ، فسار إليه بلبن بعساكره العظيمة ، وقاتله ثم قتله ، واستعمل على «بنكاله» ولده ناصر

الدين محمود المشهور ببغراخان ، فتولى المملكة زماناً ، ولما مات أبوه غياث الدين ، وولي بعده معز الدين بن ناصر الدين المذكور بدهلي ، توجه لقتاله ، والتقيا بالنهر ، وسمي لقاؤهما «قران السعدين» ، وقد ذكرنا ذلك عند ذكر السلطان معز الدين ، فترك السلطة لولده ، وعاد إلى «بنكاله» ، وتوفي بها سنة إحدى وتسعين وستمئة ، ثم ولي ابنه ركن الدين ، ومات سنة اثنتين وسبعمئة ثم ولي صنوه شمس الدين ، وامتدت أيامه إلى عشرين سنة ، مات سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة ، فولي ابنه شهاب الدين ، وخرج عليه أخوه غياث الدين ، واستقلَّ بالملك ، فذهب شهاب الدين إلى دهلي ، واستنصر بغياث الدين تغلق ، فنصره ، وولاه مكان أخيه ، وأخذ غياث الدين أسيراً ، ثم لما ولي الملك محمد شاه بن غياث الدين تغلق بدهلي ، أطلق غياث الدين على أن يقاسمه ملكه ، فمكث عليه ، فقاتله حتى قتله ، واستعمل على «بنكاله» أحد أمرائه ، لعلَّه تاتارخان ، فقتله العسكر ، واستولى على ناحية لكهنوتي «علي المبارك» ، وخالفه «فخر الدين» بسدِّ كانوان ، واستقلَّ بالملك ، واشتدَّت الفتنة بينهما ، ثم خرج على علي المبارك شاه الحاج إلياس ، وغلب عليه ، وقتله ، وولي الملك ، ولقب نفسه شمس الدين ، ومات فخر الدين ، فولي بعده اختيار الدين بسدكانان ، واستقل بها سنتين ، ثم غلب شمس الدين المذكور على سائر البلاد ، وبنى بلدة حاجي بور في بلاد ترهت ، ونقل مركز الحكومة من «سناركاؤن» إلى «بندوه» ، وسار إليه فيروز شاه الدهلوي بعساكره ، وقاتله ، فخرج شمس الدين إلى قلعة «أكداله» وتحصَّن بها ، ولما رجع فيروز شاه عاد إلى «بندوه» ، وضبط البلاد مرَّةً ثانية ، وأرسل إلى فيروز شاه هدايا جميلةً ، مات سنة تسع وخمسين وسبعمئة ، وكانت مدته ست عشرة سنة وبضعة أشهر ، ثم ولي ابنه سكندر شاه ، وأرسل إلى فيروز شاه الدهلوي أموالاً وفيلةً ، واستقل بالملك تسع سنين ، ثم ولى ابنه غياث الدين ، واستقل بالملك سبع سنين وبضعة أشهر ، مات سنة خمس وسبعين وسبعمئة ، وكان من خيار السلاطين ، ثم ولي ابنه سلطان سيف الدين ، ولقب نفسه سلطان السلاطين ، واستقلَّ بالملك عشر سنين وبضعة أشهر ، مات سنة خمس وثمانين وسبعمئة وكان على قدم أبيه في الشجاعة والكرم ، وتأليف القلوب ، وإرضاء الناس ، ثم ولي ابنه

شمس الدين ، وكان خفيف العقل ، فغلب عليه «راجه كنيش» الوثني أحد أمرائه ، فلما مات شمس الدين سنة سبع وثمانين وسبعمئة ، استقلَّ بالملك ، وامتدت أيامه إلى سبع سنين ، ثم ولى ابنه «جيت مَل» ، وأسلم بمحضر من الأمراء ، ولقب نفسه جلال الدين ، وكان عادلاً كريماً؛ ونقل مركز الحكومة من «بندوه» إلى «كور» ، وامتدت أيامه إلى سبع عشرة سنة ، مات سنة اثنتي عشرة وثمانمئة ، ثم ولي ابنه أحمد شاه واستقلَّ بالملك مدَّةً ، مات سنة ثلاثين وثمانمئة ، وولي بعده ناصر الدين شاه بهكره من سلائل الملوك الماضية ، وامتدت أيامه إلى اثنتين وثلاثين سنة ، مات سنة اثنتين وستين وثمانمئة ، ثم ولي ابنه باربك شاه ، واستقلَّ بالملك سبع عشرة سنة ، مات سنة تسع وسبعين وثمانمئة ثم ولي ابنه يوسف شاه ، وكان من خيار السلاطين ، عادلاً فاضلاً ، كريماً ، امتدت أيامه إلى سبع وثمانين سنة ، مات سنة سبع وثمانين وثمانمئة ، ثم ولي ابنه فتح شاه ، وكان عالماً خبيراً بدقائق الأمور ، أحسن إلى الناس ، وأصلح الفاسد من الأحباش ، الذين كانوا متغلبين على الدولة ، فنقموا عليه وقتلوه ، سنة ست وتسعين وثمانمئة ، ثم ولي بعده قاتله «باربك» ، وكان عبداً حبشياً ، فلم تمتد أيامه من ثمانية أشهر ، فقتله «أنديلي» الحبشي ، واستقلَّ بالملك ، ولقب نفسه فيروز شاه ، ومات سنة تسع وتسعين وثمانمئة ، ثم ولي ابنه محمود شاه ، وقيل إنه كان ولد فتح شاه المذكور ، وكانت الوزراء متغلبةً عليه ، حتى قتله «بدر» الحبشي ، واستقلَّ بالملك ، ولقب نفسه مظفر شاه ، ومدته ثلاث سنين وخمسة أشهر ، ثم قتله السيد الشريف حسين بن أشرف الحسيني المكي ، كان وزيراً له ، واستقلَّ بالملك ، ولقب نفسه علاء الدين ، وكان من خيار السلاطين ، امتدت أيامه إلى بضع وعشرين سنة ، مات سنة سبع وعشرين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه «نصرة» ، وأحسن إلى إخوته ، مات سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة ، وولي بعده ابنه محمود شاه ، وخرج عليه شيرشاه السوري ، وأخرجه من بلاده ، فذهب إلى دهلي ، واستنصر بهمايون بن بابر التيموري ، فسار همايون بعساكره العظيمة إلى «بنكاله» سنة خمس وأربعين وتسعمئة ، وقاتله ثم هزمه ، ولما رجع من تلك البلاد إلى آكره ، اختطفها شيرشاه مرَّةً أخرى ، وولّى على ملك البلاد خضرخان أحد أمراء الدولة ، وبعد زمان يسير

عزله ، وولّى محمد خان السوري ، فاستقام له الأمر إلى آخر عهد سليم شاه ، ولما مات سليم شاه المذكور ، ولي ابنه ، ثم قتله محمد شاه العدلي ، واستقلَّ بالسلطة ، وخرج عليه محمد خان المذكور ، وقاتله ، وقتل في المعركة ، فقام مقامه ابنه سليم خان ، وقيل : اسمه خضرخان ، ولقب نفسه بهادرشاه ، فاستقام له الأمر ست سنين ، ثم ولي المملكة صنوه جلال الدين ، واستقام له الأمر خمس سنين ، ثم ولي ابنه ، وقتل بعد سبعة أشهر من ولايته ، وتغلب قاتله غياث الدين واستقلَّ سنةً ، ثم قتله تاج خان كراني ، فضبط البلاد ، وأحسن إلى الناس. واستقلَّ بالملك تسع سنوات ، ثم ولي صنوه سليمان الكراني ، واستقل بالملك خمساً وعشرين سنة ، وكان من خيار السلاطين ، مات سنة إحدى وثمانين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه بايزيد خان ، ثم أخوه داود خان ، ووقع الاختلاف بينه وبين لودي خان أحد الأمراء ، فأدى إلى انقراض ملكه ، وانتقال الدولة منه إلى أكبر شاه التيموري سنة ثلاث وثمانين وتسعمئة.

ملوك خَانْدِيْس

أول من نال الإمارة بخانديس ، هو الشيخ أحمد بن محمد العمري المشهور بملك راجه بن خانجهان ، وقيل : خواجه جهان الفاروقي ، أقطعه فيروز شاه الدهلوي سنة أربع وثمانين وسبعمئة ، قريةً بتهالنير ، تعرف بكسروند بفتح الكاف وضم الراء المهملة وسكون النون بين الواو والدال المهملة ، فاستأذن أحمد في سكناها ، وتخلَّف عنه ، وساس الأمور سياسةً حسنةً ، وكان من مريدي الشيخ زين الدين الجشتي الدولة آبادي ، مات يوم الجمعة ثاني شعبان سنة إحدى وثمانمئة ، ثم ولي ابنه نصير خان ، وفتح قلعة «آسير» ، فقدم الشيخ زين الدين المذكور من دولة آباد ليهنئه على الفتح ، فاستقبله نصير خان على نهر تبتي ، وكلفه أن يتقدم إلى القلعة ، فلم يجبه ، ولم يعبر النهر ، وأقام بساحله ، فعبر نصير خان النهر ، وعمَّر بلدةً حيث أقام الشيخ ، وسماها باسمه زين آباد ، وعمَّر بلدةً أخرى ، حيث أقام نفسه ، وسماها برهانبور على اسم شيخ شيخه برهان الدين الغريب ، وجعلها دار ملكه في التاسع عشر من ربيع الأول ، مات سنة إحدى وأربعين وثمانمئة ، وكانت مدته أربعين سنة ، ثم ولي ولده عادل

www.abulhasanalinadwi.org

خان ، ومدته ثلاث سنين وبضعة أشهر ، توفي في الثاني عشر من ذي الحجة ، سنة أربع وأربعين وثمانمئة ، ثم ولي ولده مبارك خان ، وامتدت أيامه إلى سبع عشرة سنة وستة أشهر ، مات في العشر الآخر من جمادى الأولى سنة إحدى وستين وثمانمئة ، ثم ولي ولده عادل خان ، وكان اسمه قبل الإمارة عين خان ، لهذا لقب عيناً عادل خان ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وامتدَّت أيامه إلى ست وأربعين سنة وبضعة أشهر ، مات سنة سبع في الخامس عشر من ربيع الأول ، وبوفاته اختلَّ نظام الملك إلى أن استقلَّ عادل خان ، وبيانه : أنَّ الأمراء اتفقوا بعده على غزنين خان بن داود خان بن مبارك خان ، فجلس على سرير الملك ، وبعد شهر خلعه بعض الأمراء ، ونصبوا أباه داود خان ملكاً ، وخرج بعضهم عليه ، فاقتتلوا مدَّةً ، واتفق موت غزنين خان ، وقد سموه ، فلحق بعض الأمراء المتحاربين بعالم خان بن نصير خان الفاروقي ، وكان عالم خان بن بنت السلطان محمود بن محمد الكجراتي الكبير ، فاستمدَّت والدته من أبيها السلطان محمود ، فنهض السلطان إلى برهانبور ، ونصب ابن بنته عالم خان ، ولقَّبه بأعظم همايون عاد خان الفاروقي ، فقام بالملك في السابع عشر من ذي الحجة سنة أربع عشرة وتسعمئة ، وامتدَّت أيامه إلى تسع عشرة سنة ، ولم يزل يتردَّد في جهاتها ، ويستفتح ما عليها من الحصون ، والقصبات المسورة ، والقرى المضبوطة ، مات في عاشر رمضان سنة ست وعشرين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه محمد شاه ، وكان ابن أخت بهادرشاه الكجراتي ، اختص به أيام سلطته بكجرات ، حتى كان يجلس معه على سريره ، ورفع شأنه بالمظلة ، وخاطبه بالسلطان محمد شاه ، وهو أول من لقب به من أهله ، وبعد بهادر شاه أجمع ملوك كجرات على سلطته ، فطلبوه من برهانبور إلى أحمد آباد ، فمات في الطريق سنة أربع وأربعين وتسعمئة : فاتفق الأمراء على ولده أحمد شاه ، وكان طفلاً صغيراً ، رضيعاً ، فقام بوكالته عمه مبارك خان ، ثم استقلَّ بالملك ، ولقب نفسه مبارك شاه ، وفتح «هاندية» و«بيجانكر» ، وأضاف إلى ملكه جهات عديدةً ، وامتدَّت أيامه إلى اثنتين وثلاثين سنة ، مات سنة أربع وسبعينَ وتسعمئة ، ثم ولي ابنه محمد شاه ، واستقلَّ بالملك عشر سنين ، وكان حليماً كريماً ، يؤثر الصرف على الجمع ، وله في ذلك مآثر حسنةٌ ، ولم يكن له مع

وزيره السيد زين الدين سوى الاسم ، مات سنة أربع وثمانين وتسعمئة ، ثم ولي أخوه راجه علي خان ، واستقلَّ بالملك إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، مات سنة خمس وألف ، ثم ولي ابنه بهادر خان ، وفي عهده انقرضت الدولة الفاروقية ، وانتقلت إلى أكبر شاه التيموري سنة تسع وألف .

ملـوك بِـيْجَابُـوْر

إنهم كانوا يعرفون بعادل شاهيه ، وقيل : إنهم كانوا من آل عثمان من ولد السلطان مراد ، المتوفى سنة أربع وخمسين وثمانمئة ، احتالت زوجة مراد في إبقاء ابنه يوسف فأعطته خواجه عماد الدين محمود الساوي التاجر ، فجاء به إلى ساوه ورباه في حجره ، ثم جاء به إلى الهند ، وقدَّمه إلى الملوك البهمنية زمن نظام شاه ، ولم يزل يترقى في أمره حتى ولي بيجابور ، واستقلَّ بها سنة خمس وتسعين ، وقيل سنة ست وتسعين وثمانمئة ، وكان شيعياً ، فروّج مذهب الشيعة الإمامية ببلاده ، وامتدَّت أيامه إلى عشرين سنة ، مات سنة ست عشرة وتسعمئة ، ثم ولي ابنه إسماعيل ، وامتدَّت أيامه إلى تسع عشرة سنة ، مات سنة إحدى وأربعين وتسعمئة ، ثم ولي ولده ملوخان ، وخلع بعد ستة أشهر ، ثم ولي أخوه إبراهيم ، وترك مذهب الشيعة الإمامية ، وصار حنفياً ، وامتدَّت أيامه إلى أربع وعشرين سنة ، مات سنة خمس وستين وتسعمئة ، ثم ولي علي ، وكان شيعياً على مذهب أجداده ، وفي عهده قدم الأمير فتح الله الشيرازي ، ولازمه مدَّة حياته ، قتل سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ثم ولي المملكة ابن أخيه إبراهيم بن طهماسب بن إبراهيم ، وهو ابن تسع سنين ، فصار الحل والعقد بأيدي الوزراء ، ولما بلغ سن الرشد ، استقلَّ بالملك ، وصار حنفياً على مذهب جده إبراهيم ، وصنف له محمد قاسم بن غلام علي الإسترابادي كتابه «كلزار إبراهيمي» في التاريخ ، مات سنة سبع وثلاثين وألف ، وولي بعده ولده محمد شاه ، وفتح البلاد والقلاع ، ودخل كرناتك ، وامتدت أيامه إلى أربع وثلاثين سنة ، مات سنة سبع وستين وألف ، ثم ولي ولده علي ، واستقلَّ بالملك ست عشرة سنة ، وحاربه «المغل» و«المرهتة» غير مرة ، مات سنة ثلاث وثمانين وألف ، ثم ولي ولده سكندر ، وكان ابن خمس سنين ، فصار لعبةً في أيدي

الوزراء المتغلبين ، واستمرَّ على ذلك أربع عشرة سنة .

وكان عالمكير ينتهز الفرصة ، ويحاربه ، فيغلبه مرَّةً ، وينهزم عنه أخرى ، والمرهتة أيضاً يقاتلونه مرَّةً ، ويقاتلون عالمكير أخرى ، فأدى ذلك إلى انتقال الدولة منه إلى عالمكير ، وكان ذلك سنة سبع وتسعين وألف .

ملوك أَحْمَدَ نَكَرْ

كانوا من ذرية نظام الملك حسن البحري ، الذي كان وثنياً من براهمة بيجانكر ، أسر في عهد أحمد شاه البهمني ، وأسلم على يده ، فسماه الحسن ، ولم يزل يترقَّى في أمره حتى لقبه محمد شاه البهمني الملك ، وولاه على تلنكانه ، ولما مات محمود كاوان ، استوزره ، وجعله أمير الأمراء ، ولما مات محمد شاه ، صار وكيل السلطنة ، فأقطع ابنه أحمد قطائع الأرض ، وأضاف إليها القلاع والبلاد ، ثم قتل ، واستقلَّ ابنه أحمد ببلدة جنير ، ولقب نفسه أحمد نظام شاه البحري ، ومصَّر بلدة أحمد نكير فيما بين «جنير» و«دولة آباد» ، وجعلها دار ملكه سنة تسعمئة ، مات سنة أربع عشرة وتسعمئة ، فولى ابنه برهان ، وكان ابن سبع سنين ، فصار لعبة بأيدي الوزراء ، ولما اشتد أزره ، وبلغ ، استقلَّ بالملك ، وتشيَّع سنة أربع وأربعين وتسعمئة ، وأخرج أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة ، ووظف اللاعنين عليهم ، وأمرهم أن يلعنوهم على رؤوس الأشهاد ، مات سنة إحدى وستين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه الحسين ، واستقلَّ بالملك إحدى عشرة سنة ، مات سنة اثنتين وسبعين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه المرتضى المعروف بديوانه (أي المجنون) ، واعتزل في بيته ست عشرة سنة ، لا يدخل عليه إلا رجل أو رجلان من غلمانه ، فإن حدث أمرٌ عظيمٌ في الملك ، يكتبونه في الرقاع ، ويرسلونها إليه ، فيردها بأحسن ما يجاب ، ومدته أربع وعشرون سنة ، قتله ابنه الحسين ، وولي الملك بعده سنة ست وتسعين وتسعمئة ، ومدته شهران وثلاثة أيام ، ثم ولي الملك إسماعيل بن برهان بن الحسين ، ولاه الأمراء ، وكان والده غائباً ، فلما سمع ذلك دخل بلاده ، وقبض عليه ، وكانت مدته سنتين ، ثم ولي برهان المذكور ، واستقلَّ بالملك أربع سنين ، مات سنة ثلاث وألف ، ثم ولي ابنه إبراهيم ، وقتل في حرب وقعت بينه

وبين عادل شاه البيجابوري ، وكانت مدته أربعة أشهر ، واختلف الأمراء فيمن يولّى الأمر ، فولي منجهوخان أحد كبار الأمراء أحمد بن الطاهر ، وادّعى أنَّ الطاهر من ولد خدابنده بن برهان بن أحمد نظام شاه ، وجاند سلطانه تريد أن تولى بهادر بن إبراهيم نظام شاه ، وكان في المهد ، وولي بعضهم موتى شاه أحد المجاهيل ، فوقع النزاع ، وغلب منجهوخان عليهم ، وقبض على بهادر بن إبراهيم ، فحبسه في قلعة جوند ، ولما كان مشفقاً من الأمراء ، استقدم عساكر أكبر شاه إلى بلاده ، ثم ندم عليه ، وجدَّ في الدفاع ، وخرج ليحشد الجنود ، وجاءت العساكر الأكبرية بقيادة مراد بن أكبر شاه ، وعبد الرحيم بن بيرم خان ، وكان معها راجه علي خان البرهانبوري أيضاً ، فحاصروا القلعة ، واجتهدت جاند سلطانه من داخل القلعة بالدفاع بما لا مزيد عليه ، ثم اصطلحوا المدة ، وكانت مدة أحمد شاه ثمانية أشهر ، ثم اتفقوا على بهادرشاه المذكور ، وبعث إليه أكبر شاه العساكر العظيمة مرَّةً أخرى ، فقاتلوه أشدَّ قتال ، وقبضوا على بهادرشاه ، فحبسوه بقلعة كواليار ، وكانت مدته ثلاث سنين ، ولما رجع أكبر شاه إلى بلاده ، اتفق الناس على مرتضى بن علي بن برهان نظام شاه ، فولوه عليهم ، ووقع الخلاف بين الأمراء ، وكلٌّ واحد منهم كان في صدد حكمه ، حتى غلب عنبر الحبشي ، وأخذ زمام الأمور بيدهٖ ، ولم يبق للمرتضى إلا اسم السلطة ، مات عنبر سنة ثلاث وثلاثين وألف ، ومدته ثلاثون سنة ، ثم قام مقامه ولده فتح خان ، وقتل مرتضى شاه سنة ثمان وثلاثين وألف ، واستقلَّ بالملك بنفسه ، وبعث إليه شاهجهان الدهلوي العساكر العظيمة ، وقاتلوه ، ففوَّض إليهم مفاتيح القلاع ، وانقرضت الدولة سنة اثنتين وأربعين وألف .

ملوك كَوْلكُنْدَهْ

كانوا من ذرية سلطان قلي الهمداني التركي ، ورد في بلاد دكن في عهد محمد شاه البهمني ، ودخل في غلمانه ، ولم يزل يترقّى أمره ، حتى ولاه محمود شاه على تلنكانه ، ولقبه بقطب الملك ، فضبط البلاد ، وفتح القلاع والحصون ، ولما استقلَّ عادل الملك ، ونظام الملك ، وعماد الملك في أقطاعهم ، استقلَّ قطب الملك أيضاً ببلاد تلنكانه ، وجعل كلكندّه دار ملكه سنة

ثماني عشرة وتسعمئة ، وروَّج مذهب الشيعة بتلك البلاد ، وامتد زمانه إلى ثلاث وثلاثين سنة ، مات سنة خمسين وتسعمئة ، فولي ولده جمشيد ، واستقلَّ بالملك سبع سنين ، مات سنة سبع وخمسين وتسعمئة ، ثم ولي أخوه إبراهيم ، وكان عاقلاً مدبراً ، صاحب همَّة ونجدة ، فتح القلاع والبلاد ، ووسَّع حدود ملكه إلى «كرناتك» ، وأحسن إلَى الناسً ، وغمرهم بإحسانه ، وبالغ في تعمير البلاد ، وتكثير الزراعة ، وقصده أهل الفضل والكمال من بلاد شاسعة ، وامتدَّت أيامه إلى اثنتين وثلاثين سنة ، مات سنة تسع وثمانين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه محمد قلي ، ومصر بلدة كبيرة باسم عشيقته «بهاك نكر» ، ثم بدل اسمها «بحيدر آباد» ، وجعلها دار ملكه ، وبنى بها مدرسةً عاليةً ، ومارستاناً كبيراً ، وقصوراً شامخةً ، وحدائق ذات بهجة ، حتى صارت من أحسن بلاد الهند ، وكان على قدم أبيه في العدل والإحسان ، بعث إليه عباس الصفوي سلطان العجم هدايا جميلةً ، منها التاج المرصع ، وكانت مدته إحدى وثلاثين سنة ، مات سنة عشرين وألف ، ثم ولي ابن أخيه محمد .

ومن آثاره الباقية «مكة مسجد» بحيدر آباد ، مدته خمس عشرة سنة ، مات سنة خمس وثلاثين وألف ، ثم ولي ولده عبد الله ، واستقلَّ بالملك ثمانياً وأربعين سنة ، مات سنة ثلاث وثمانين وألف ، ثم ولي ختنه أبو الحسن تانا شاه ، ومن محدثاته «جار محل» ، و«كوشه محل» بحيدر آباد ، وانقرضت الدولة في أيامه بعد حروب شديدة بينه وبين عالمكير ، امتدَّت إلى اثنتي عشرة سنة ، وكان ذلك سنة ست وتسعين وألف .

ملوك بَرَارْ

رأسهم ورئيسهم فتح الله عماد الملك ، وكان من هنادك «بيجانكر» أسر ودخل في غلمان خانجهان أمير العسكر في «برار» ، ثم أسلم ، وصار له شأن ، وترقَّى كثيراً ، فلما مات خانجهان المذكور ، دخل في خدم محمد شاه البهمني ، وولي على «برار» ولقب بعماد الملك ، واستقلَّ بالملك سنة اثنتين وتسعين وثمانمئة ، ولي بعده ابنه علاء الدين ، ولقب نفسه عماد شاه ، واستقلَّ بالملك مدةً طويلة ، ومات سنة سبع وستين وتسعمئة ، ثم ولي ابنه «دريا عماد

شاه». ثم ابنه برهان عماد شاه، وكان صغيراً، فتغلب عليه تفال خان، وحبسه في قلعة «نرناله» واستقلَّ بالملك، فسار إليه مرتضى نظام شاه بعساكر، وقبض عليه، فحبسه، وخرج الملك من تلك الأسرة، وانتقل إلى نظام شاه سنة اثنتين وثمانين وتسعمئة.

ملوك العائلة البريدية
بأحمد آباد وبِدَرْ

وهم ينتسبون إلى القاسم البريد، كان من غلمان الأتراك، اشتراه محمد شاه البهمني، ورباه في حجره، فلم يزل يترقَّى أمره حتى تغلَّب على الملك في عهد محمود شاه البهمني، فلم يبق له من السلطة إلا الاسم، ثم استقلَّ بالملك وأمر أن يقرأ الخطبة باسمه في البلاد، غير أحمد آباد وبدر، وتركهما لمحمود شاه المذكور، وكانت مدته اثنتي عشرة سنة، مات سنة عشر وتسعمئة، ثم ولي المملكة ابنه الأمير البريد، ومات محمود شاه في عهده، وفرَّ كليم الله آخر ملوك البهمنية إلى أحمد نكر، فاستقلَّ بالملك، ولقب نفسه أمير بريد شاه، وكانت مدته تسعاً وثلاثين سنة، مات سنة ثمان وأربعين وتسعمئة، ثم ولي المملكة ابنه على البريد، ولقب نفسه علي بريد شاه، وامتدَّت أيامه إلى ثمان وثلاثين سنة، مات سنة سبع وثمانين وتسعمئة، ثم ولي ابنه إبراهيم البريد، ومدته سبع سنين، مات سنة أربع وتسعين وتسعمئة، ثم ولي أخوه القاسم البريد، ولم تمتدَّ أيامه إلا أربع سنين، مات سنة ثمان وتسعين وتسعمئة، ثم ولي ابنه علي البريد الثاني، وحاربه ملوك دكن غير مرَّة، ومدته اثنتا عشرة سنة، مات في سنة عشر بعد الألف، ثم ولي ابنه الأمير البرِّيد الثاني وكان سيىء التدبير، فتغلَّب عليه «مرزا علي» أحد أركان الدولة سنة ثماني عشرة وألف، ففرَّ البريد إلى حيدر آباد، ومات بها سنة ١٠٢٠ هـ، واستقلَّ مرزا علي المذكور بمدينة بدر اثنتي عشرة سنة، ثم سار إليه عادل شاه البيجابوري، وقاتله ثم قبض عليه، وذهب به إلى بيجابور، وولي على تلك المملكة مرجان، أحد غلمان البريد، فتولى المملكة ثلاثين سنة، وقتل في محاربة عالمكير سنة ١٠٦٤ هـ، وانتقل الملك إلى شاهجهان بن جهانكير الدهلوي.

ملـوك أَوَدْه

كان مملكة أوده لملوك دهلي ، ثم انتقلت إلى السلاطين الشرقية ، ثم انتقلت إلى ملوك دهلي ، وولي عليها محمد أمين الشيعي النيشابوري ، في عهد محمد شاه الدهلوي ، وولي بعده ختنه منصور علي خان صفدرجنك ، فاستقلَّ بالملك ، ومدته سبع عشرة سنة ، مات سنة سبع وستين ومئة وألف ، ثم ولي ولده شجاع الدولة ، وكان يسكن «أجودهيا» ، فمصَّر بلدةً بمقربها ، وسماها فيض آباد ، وجعلها دار ملكه ، وحارب الإنكليز غير مرَّة ، وانهزم ، وامتدَّت أيامه إلى إحدى وعشرين سنة ، مات سنة ثمان وثمانين ومئة وألف.

ثم ولي ولده آصف الدولة ، وترك فيض آباد ، وبنى بلكهنؤ عمارات شامخة ، وكان غراً كريماً ، جواداً متصلباً في المذهب ، لم يزل مشتغلاً بالملاهي والملاعب ، وأزمة الأمور كانت بأيدي نوابه ، ولذلك خرجت من يده قطعةٌ كبيرةٌ من المملكة إلى سيطرة الإنكليز ، وامتدَّت أيامه إلى ثلاث وعشرين سنة ، مات سنة اثنتي عشرة ومئتين وألف.

ثم ولي وزير علي خان المقرُّ له بالنسب ، وكان مغبون العقل ، فعزله الإنكليز بعد أربعة أشهر ، وولوا سعادة علي بن شجاع الدولة الأمير الحازم الباسل ، وأخذوا منه قطعةً كبيرة مما تلي إله آباد ، فافتتح أمره بالعدل والسياسة ، والدَّهاء ، ولم يزل مجتهداً في تعمير البلاد ، وتكثير الزراعة مع شدة الحرص على جمع المال ، حتى جمع في خزانته اثنين وعشرين كروراً من النقود ، (٢٢٠ مليون) ، وكان يريد أن يسترد الملك من الإنكليز ، ولكن حالت المنية بينه وبين تلك الأمنية ، فمات مسموماً سنة تسع وعشرين ومئتين وألف ، فولَّوا مكانه ولده غازي الدين الحيدر ، فاستقلَّ بالملك ، ولقب نفسه شاه زمن ، واصطنع له التاج المكلل ، والسرير المزركش بإشارة الحكومة الإنكليزية رغماً لأكبر شاه الدَّهلوي ، وخلافاً لآبائه ، فإنهم كانوا يقنعون بألقاب الوزارة ، مات سنة ست وأربعين ومئتين وألف ، فولي بعده ابنه نصير الدين الحيدر ، وبذل ما جمع جدُّه من الأموال الطائلة ، وأرخى عنانه في أنواع الملاعب والملاهي ، وأصناف الشهوات النفسانية ، مات سنة ثلاث وخمسين ومئتين

وألف ، فولّوا مكانه محمد علي بن سعادة علي المذكور ، وله ستون سنة ، فافتتح أمره بالعدل والسَّخاء ، وجدَّ في رتق ما فتق أسلافه من مهمات الأمور :

. . . . ولـن يصلـح الـعـطار ما أفسد الدهـر

مات سنة ثمان وخمسين ومئتين وألف ، فولي مكانه ابنه أمجد علي ، فقصر همته على ترويج مَذهب الشيعة ، مات سنة ثلاث وستين ومئتين وألف .

فولي مكانه ابنه واجد علي ، فاشتغل بمهمات الأمور سنتين ، ثم ألقى السلطة بيد الوزير ، واشتغل بالرقص والغناء ، وضرب الأوتار ، وغير ذلك ، وقصر همته على ذلك ، حتى فاق أقرانه ، بل على من سبقه من الناس ، فأدَّى ذلك إلى انقراض الدولة ، وانتقالها إلى السلطة الإنكليزية ، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف .

ملـوك بنكالـه ، وبِهار ، وأرَيْسَـهْ

كانت مملكة بنكاله بعد ما فتحها أكبر شاه التيموري لأبنائه ، حتى ولي عليها نواب جعفر خان سنة ست عشرة ومئة وألف ، ولقبه عالمكير مرشد قلي خان ، فمصَّر بلدةً كبيرةً سماها مرشد آباد ، وجعلها دار ملكه ، ومدته اثنتان وعشرون سنة ، مات سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف ، ثم ولي بعده ختنه شجاع الدولة ، واستقلَّ بالملك ، ومدته أربع عشرة سنة ، مات سنة اثنتين وخمسين ومئة ألف ، ثم ولي ولده علاء الدولة ، وخرج عليه وزيره لله وردي خان ، فخلعه بعد سنة وشهرين ، وولي مكانه ، واستقلَّ بالملك ست عشرة سنة ، مات سنة تسع ومئة وألف ، ثم ولي سبطه سراج الدولة ، وحارب الإنكليز ، فانهزم في معركة «بلاسي» ، فقويت سيطرة الإنكليز على الهند من تلك الساعة ، فولّوا مكانه جعفر علي خان ، وكان نائباً عنه في «أريسه» ، فاستقلَّ بالملك سنة سبعين ومئة وألفي ، ثم خلعه الإنكليز ، وولّوا مكانه ختنه قاسم علي خان ، ثم وقع النزاع بينه وبين الإنكليز ، فخلعوه ، وولّوا مكانه جعفر علي خان المعزول ، واشترطوا أن يؤديهم خمسة لكوك (نصف مليون) من النقود كلَّ سنة ، ثم ولي ولده نجم الدولة ، ثم صنوه سيف الدولة ، وفي عهده حصلت للإنكليز سلطةٌ تامَّةٌ على بلاد بنكاله كلِّها ، فرتبوا له أحداً وأربعين لكَّاً ومئتين ، وثمانين ألفاً ، .

ومئةً وإحدى وثلاثين من النقود الإنكليزية ، وبعده ولي صنوه مبارك الدولة المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومئة وألف ، ثم نظام الملك المتوفى سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف ، ثم ولده زين العابدين المتوفى سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ، ثم ولده أحمد علي خان ، ثم ولده همايون جاه ، المتوفى سنة أربع وخمسين ومئتين وألف ، ثم ولده منصور علي خان ، وكلهم كانت لهم أرزاق ورواتب من جهة الإنكليز ، لا سلطة لهم على بلادهم ، وكانت رواتبهم تنقص كلما مات أحدهم ، وكان للمنصور المذكور سنة عشر لكّاً (مليون وستمئة ألف) ولما مات المنصور ، قام مقامه حسين علي خان.

أيـام بنكـش بناحيـة فَـرْخَ آبَـادْ

كانت ناحية فرخ آباد لملوك دهلي عهداً بعد عهد ، حتى قدم عين خان من أفغانستان في عهد عالمكير ، وسكن بمئو رشيد آبَاد ، ودخل في الجندية ، وولده محمد خان تدرَّب على الفنون الحربية في ظل والده ، ثم دخل في الفرسان تحت قيادة ياسين خان ، الرشيد آبادي عند «راجه جهتربال» صاحب «بنديلكهند» ، ولما مات ياسين خان ، اتفق الناس عليه ، وجعلوه قائداً لهم ، وكانوا أربعة آلاف ، فافتتح بعض الحصون ، وحصلت له الأموال ، ثم لما مات صاحب «رتيا» ، واختلف أبناء «برتهي سنكه» و«رام جندر» فيما بينهما في أمر الرئاسة ، استعان به «رام جندر» وغلب على أخيه بإعانته ، فأعطاه الصلات الجزيلة ، فقويت شوكته ، واجتمع لديه اثنا عشر ألفاً من الفرسان ، ثم لما نهض فرخ سير من أرض بنكاله ركب إليه بعساكره ، وبذل جهده في المعارك العظيمة بينه وبين عمه معز الدين ، حتى دخل فرخ سير بدار الملك ، واستقلَّ ، فأعطاه أربعة آلاف منصباً رفيعاً ، وأعطاه «كالبي» ، و«كونج» ، و«سونْدّه» ، و«مهوبه» ، و«سرى» ، و«جالون» من بلاد «بنديلكهند» وغيرها ، سنة أربع وعشرين ومئة وألف ، فمصَّر بلدةً في أقطاعه ، وسمَّاها فرخ آباد ، وجعلها مستقراً له.

ولما حارب محمد شاه الدهلوي أميريه عبد الله خان وحسين علي خان ، سار إلى دار الملك بعشرة آلاف وخمسمئة من فرسانه ، وقاتل الأمراء المتغلبة ، فزاد

محمد شاه في منصبه ، حتى صار مع الأصل ، والإضافة سبعة آلاف ، ولقبه غضنفر جنك ، وأضاف إلى أقطاعه ، وأقطعه بهوج بور ، وشمس آباد ، وولاه على أكبر آباد ، ثم على أجمير ، ومالوه ، وإله آباد؛ سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف ، واستطالت حكومته بناحية فرخ آباد ، من بلدة «كول» إلى «أكبر بور» في مئة ميل ، مات سنة ست وخمسين ومئة وألف ، فولي بعده ولده قائم جنك ، واستقلَّ بالملك ، فأراد صفدر جنك صاحب أوده أن يكسر قوته ، وقوة الأفاغنة ، الذين كانوا متغلبين على روهيلكهند؛ لأنه لم يرض أن يكون ملكه فيما بين الأفاغنة ، فحرَّض أحمد شاه الدهلوي أن يأمره بأن يركب بعساكره إلى روهيلكهند ، ويقبض على أموال علي محمد خان ، بعد وفاته ، سنة ١١٦١ هـ ، فركب إلى روهيلكهند بعساكره ، وقتل قائم جنك سنة إحدى وستين ومئة وألف ، مع إخوته وأقاربه ، فولي مكانه صنوه إمام خان ، فسار إليه صفدر جنك ، وقبض عليه ، وحبسه بقلعة إله آباد ، ثم أمر بقتله ، وقبض على أم قائم جنك ، ثم أخذ عنها ستين لكاً ربية ، (ستة ملايين) ، وقبض على بلاد الأفاغنة ، وترك لأم قائم جنك فرخ آباد ، مع اثنتي عشرة قرية ، وولي «نول رائي» على بلاد بنكش ، فطلبت أم قائم جنك ابن بعلها غالب جنك ، وأقامته مقام ولدها ، فركب بعساكره إلى نول رائي ، سنة ثلاث وستين ومئة وألف ، وقتله ، وقبض على البلاد ، ثم سار إليه صفدر جنك ، واستصحب معه «سورج مل» صاحب «بهرت بور» ، وإسماعيل خان ، فاجتمعت عنده سبعون ألفاً من الرجالة ، والفرسان ، وقاتل الأفاغنة ، وانهزم بمشيئة الله سبحانه ، فقبض غالب جنك على بلاد أوده أيضاً ، ثم سار صفدر جنك إلى فرخ آباد ، واستنصر المرهتة ، ففتح بعض الحصون والبلاد ، وقتل جمعاً كثيراً من الأفاغنة ، فصالحه غالب جنك على فرخ آباد ، وسبع عشرة عمالة ، ونصفها من البلاد يحصل له منها كل سنة تسعة عشر لكاً من الربية ، (مليون وتسعمئة ألف) ، ومات غالب جنك سنة خمس وثمانين ومئة وألف ، فولي مكانه ولده مظفر جنك ، ثم ولده رستم علي خان ، وقتل صنوه إمداد علي خان وكان شيعياً ، فغضب عليه آصف الدولة صاحب أوده ، وقاتله ، ونزع منه ملكه ، وأعطاه لناصر جنك بن إمداد علي خان المذكور ، ثم نزع منه ملكه الإنكليز ، ورتبوا له

تسعة آلاف شهرية ، وثلاثة آلاف للحرم ، وألفين لنفقات العزاء الجاري في المحرم سنة أربع عشرة ومئتين وألف ، مات سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف ، فقام مقامه ولده خادم حسين خان ، ثم تجمل حسيَن خان ، ثم ولده تفضل حسين خان ، واتِّهم بالخروج على الإنكليز سنة ثلاث وسبعين ومئتين وألف ، فقبض عليه الإنكليز ، وأجلوه إلى الحرمين الشريفين .

أيام الأفاغنة بَرَوْهِيْلكَهَند

قدم داود بن شاه عالم بن محمود بن شهاب الدين الأفغاني ، من جبال «روه» في أيام شاه عالم بن عالمكير ، فأقام بناحية «بريلي» ، واجتمع الأفاغنة لديه من نواحي الهند ، فملك بعض الأقطاع قهراً ، واستيلاءً على مرازبة تلك البلاد ، وقويت شوكته في مدة قليلة ، فسموا تلك الناحية «روهيلكهند» ، ولما صار داود صاحب العدَّة والعَدد ، لحق به الحافظ رحمة خان ، و«دوندي خان» ، وسردار خان ، وفتح خان ، ونجيب خان ، وحيدر خان ، وغيرهم ، ولما نهب قرية «بانكولي» من أعمال «بريلي» ، وقتل الناس من قوم الزط ، حصل له طفل صغير ، فسماه علي محمد ، ورباه ، وعلمه ، فلما مات داود خان ، اتفق الناس على علي محمد المذكور ، فقام مقامه في بلدة «آنوله» ، وقبض على بلاد كثيرة ، ووسع ملكه قهراً وعنوةً ، ومات سنة إحدى وستين ومئة وألف ، فاتفق الناس على ولده سعد الله ، واجتمعوا تحت لوائه ، وقاتلوا ، وقتلوا مدَّةً على جري عادتهم ، ثم اختلفوا فيما بينهم ، فقسموا البلاد ، ورتبوا لسعد الله المذكور ثمانية لكوك في كلِّ سنة ، وجعلوه أميراً عليهم ، واستولى الحافظ رحمة خان على بلدة «بريلي» وشاهجهان بور ، وبيلي بهيت ، وغيرها من البلاد ، وملك دوندي خان مراد آباد ، ونواحيها ، وانتزع سردارخان جبل «آرارات» و«سهينا» وغيرها ، وأخذ فتح خان «آنوله» ، و«بدايون» ، و«أسهيت» وغيرها ، واستقلَّ فيض الله بن علي محمد المذكور برام بور ، وشاه آباد ، وتملَّك عبد الله بن علي محمد المذكور «أوجهياني» وغيرها ، فتغلَّب كلُّ واحد منهم على أقطاعه .

وكان الحافظ رحمة خان أكبرهم في حسن الخلق ، والتواضع ، وكرم

السجايا ، وأرشدهم في كمال الرئاسة ، وحسن مسلك السياسة ، وجودة التدبير ، والشجاعة والشهامة ، وكان صفدرجنك صاحب أوده عدوّاً للأفاغنة ، لايرضى أن تكون لهم سيطرة في جهات ملكه ، فحرض أحمد شاه الدهلوي على أن يأمر قائم جنك صاحب فرخ آباد أن يركب بعساكره إلى روهيلكهند ، ويقبض على أموال علي محمد ، فركب قائم جنك إليهم ، فاجتمعوا تحت قيادة سعد الله المذكور ، وشاوروا فيما بينهم فبعث سعد الله رسولاً إلى قائم جنك ، وبذل جهده في المصالحة فيما بينهم ، فأبى ذلك قائم جنك ، وقاتلهم أشدَّ قتال ، حتى كاد أن يهزمهم ، ولكن الله سبحانه نصرهم عليه ، فقتلوه ، وقتلوا كثيراً من رجاله ، فاستقلَّ الأفاغنة في بلادهم مدَّةً من الزمان ، ومات صفدر جنك ، فولي مكانه شجاع الدولة ، ووافقهم مدَّةً على نفاق ، فلما تمَّ الصلح بينه وبين الإنكليز؛ أراد أن يستأصلهم بإعانة العساكر الإنكليزية ، فاجتمع الأفاغنة ، وشاوروا في ذلك ، وأراد رحمة خان أن يدفع الداهية بدفع الأموال ، فلم يرض بذلك أحد منهم ، وركب إليهم شجاع الدولة ، ومعه العساكر الإنكليزية ، واشتدَّ القتال بينهم ، وقتل رحمة خان في المعركة ، فانهزم الأفاغنة ، وزحفوا إلى أودية الجبال ، وقبض شجاع الدولة على بلادهم ، ثم حضر عنده فتح الله بن دوندي خان ، ومحبة خان بن رحمة خان ، وغيرهما من بعض الأمراء ، فرتَّب لهم بما لا يناسب بحالهم ، ومكث فيض الله بن علي محمد في أودية مع أتباعه ، فلما رأى شجاع الدولة ثباته في المقاومة ، صالحه على بعض الأقطاع من رام بور ، وشاه آباد ، وغيرها ، وكان ذلك سنة ثمان وثمانين ومئة وألف .

أخبار نجيب الدَّولة وأولاده

نجيب خان بن أصالة خان بن عناية خان الأفغاني ، كان من قبيلة عمر خيل ، قدم الهند مع عمه بشارة خان ، ودخل في عساكره علي محمد خان ، وخدمه مدَّةً ، ولما توفي علي محمد خان سنة إحدى وستين ومئة وألف ، سار نحو دهلي ، وتقرَّب إلى غازي الدين خان ، فشفع له إلى أحمد شاه الدهلوي ، فلقبه نجيب الدولة ، وأقطعه بجنور ، وسهارنبور ، وشيركوت ، وأفضل كده ، وجعله أمير الأمراء ، فبنى قلعة في أقطاعه ، ومصر بلدة نجيب آباد ، وجعلها

مركز الحكومة ، مات سنة أربع وثمانين ومئة وألف ، فقام بالأمر ولده ضابطة خان ، وضبط البلاد ، وساس الأمور أياماً ، ثم خرج عليه المرهتة ، ووافقهم شجاع الدولة صاحب أوده ، فأخرجوه من أقطاعه سنة أربع وثمانين ومئة وألف ، فتقرَّب إلى عبد الأحد الكشميري ، فشفع له عند شاه عالم ، فأقطعه ناحيةَ سهارن بور ، فجاء إليها ، وسكن بغوث كده ، مات سنة سبع وستين ومئة وألف ، فقام بالأمر ولده غلام قادر ، وفتح «ديره دون» وقبض على «تهان» و«هابرّ» و«كاندهله» وغيرها من العمالات ونزعها من أيدي المرهتة ، وتقرَّب إلى شاه عالم ، فخلع عليه ، ثم نزع على كده من أيدي المرهتة ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وسار نحو دهلي ، ودخل القلعة ، ومدَّ يده إلى خزائنها ، وصرع شاه عالم ، ثم اقتلع عينيه بالخنجر ، ثم ذهب إلى «ميرته» ، وتبعه المرهتة فقبضوا عليه ، وعذبوه ، ثم قتلوه سنة إحدى ومئتين وألف .

الدَّولـة الإسلاميـة بـمَيْـسُوْر

كانت مملكة ميسور لمرازبة الهند المشركين ، تحت سيطرة الإسلام ، فلما ضعفت الدولة الإسلامية ، وكادت أن تنقرض ، قويت شوكة الهنادك بنواحي الهند ، واستقلُّوا حيث كانوا ، فاستقلَّ مرازبة ميسور في نواحيه ، وكان حيدر علي خان بن فتح علي خان بن علي خان الكوهيري ، الحيدر آبادي ، المولود سنة ١١٥٠ هـ ، موظفاً لركابهم أباً عن جدٍّ ، وكان تدرَّب على الفنون الحربية في ظل والده ، ثم قام مقامه في الخدمة العسكرية ، وتدرَّج إلى الإمارة ، وجمع العساكر العظيمة تحت لوائه ، وكان «راجه نندرام» ملك ميسور مائلاً إلى التعبُّد ، فألقى عنان السلطة بيد وزيره «كنارو» ، فلما رأى كنارو أنَّ حيدر علي خان صار قويَّ الشوكة خافه ، ودبر الحيلة لاستئصاله ، واستقدم المرهتة إلى بلاده ، فلما اطلع حيدر علي خان على ذلك ، حارب «كنارو» ، وقاتله ، وهزمه ، فاستوزره «نندرام» ، وألقى بيده الحل والعقد ، فقبض على نندرام ، واستقلَّ بالملك ، واستولى على أكثر بلاد المرهتة ، ووسع ملكه إلى نواحي مدراس ، فخافه الإنكليز ، فاتفقوا مع آصف جاه على خلافه ، وحاربوه غير مرَّة .

مات حيدر علي خان سنة ست وتسعين ومئة وألف ، فولي مكانه ولده «تيبو سلطان» وكان مقداماً باسلاً ، شجاعاً ، عالي الهمة ، وله من كمال الرئاسة ، وحسن مسلك السياسة ، والصرامة ، والفطنة بدقائق الأمور ، وجودة التدبير ، والخبرة بالخفي والجلي ، ما لا يمكن وصفه مع ميله إلى معالي الأمور ، والمعرفة للأدب ، وصحبة أهل الفضائل ، حصل له ألقاب السلطة من سلطان تركية ، ولما كانت الدولة الإنكليزية لا تأمنه ، وترى فيه العدوَّ اللدود للإنكليز ، ركب إليه الإنكليز بعساكرهم سنة ١٧٨٣ م = ١١٩٨ هـ فهزمهم السلطان ، وقتلهم ، ثم ركب إليه الإنكليز سنة ١٧٩٠ م = ١٢٠٥ هـ ، ودبروا الحيلة لاستئصاله ، فأغاروا عليه ، واستصحبوا معهم جنود المرهتة ، وعساكر الدولة الآصفية ، فدخلوا في أرضه ، ودوخوا البلاد ، وهزموه ، ثم اصطلحوا معه على بعض الشروط ، فلما رأى السلطان جدهم في استئصاله ، رغب إلى «فرنسا» ، واستقدم قوادهم إلى «سرير نك بتن» ، فركب إليه الإنكليز بعساكرهم القاهرة ، مرَّةً بعد مرّةً ، سنة ١٧٩٨ م = ١٢١٣ هـ ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، وضايقوه غاية المضايقة ، حتى قتل السلطان في قلعة «سرير نك بتن» ، سنة أربع عشرة ومئتين وألف ، وانقرضت دولته .

أخبار كَرْنَاتَك

كانت بلاد كرناتك تحت سيطرة ملوك دهلي ، عهداً بعد عهد ، يولُّون عليها الأمراء ، فلما ولي آصف جاه على بلاد دكن ، وذهب معه أنور الدين بن محمد أنور بن نعمة الله بن عبد الحي العمري ، الكوباموي ، فولاه على كرناتك سنة سبع وخمسين ومئة وألف ، فاستقلَّ بها مدة ، وقتل سنة اثنتين وستين ومئة وألف ، فولي مكانه ولده محمد علي خان ، فأقام بحصن «ترجنابلي» زماناً ، ثم انتقل إلى مدراس ، وجعلها دار ملكه ، وتوسَّل بأحمد شاه الدهلوي ، فلقبه والاجاه أمير الهند ، واستخدم العساكر الإنكليزية ، رغماً لفرنسا ، ورتب لهم إحدى وعشرين لكّاً من النقود ، (مليونين ومئة ألف) شهرية ، ورتب قريباً من ذلك أقساطاً لديونه ، وكان عادلاً كريماً ، باذلاً ذا عقل وديانة ، مات سنة عشر ومئتين وألف ، فولي بعده ولده عمدة الأمراء ، وبَنى القصور الفاخرة

بمدراس ، وبذل الأموال الطائلة ، مات سنة ست عشرة ومئتين وألف ، فولي بعده تاج الأمراء حسين علي خان ، وطلب منه الإنكليز أن يفوض إليهم من بلاده بقدر ما عليه من الديون ، فأبى ، فراجعوا عظيم الدولة بن أمير الأمراء بن والا جاه ، وكان مغبون العقل ، فرضي بتفويض بلاده كلها ، فرتب الإنكليز له ولأقاربه ثمانياً وعشرين لكًّا ، (مليونين وثمانمئة ألف) من النقود في كلِّ سنة ، واستولوا على بلاد كرناتك كلها ، مات سنة أربع وثلاثين ومئتين وألف ، فولي بعده ولده أعظم جاه ، ومات بعد ستة أعوام سنة إحدى وأربعين وألف ، فولي بعده ولده محمد غوث في صباه ، وتمتَّع بالمعاش مدَّةً طويلة ، مات سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف ، ولم يكن له ولد ، فأراد عمُّه عظيم جاه أن يقوم مقامه ، فلم ترض به الدولة الإنكليزية ، ورتبت له خمساً وعشرين ألفاً كل سنة ، مات سنة تسعين ومئتين وألف ، فقام مقامه ولده ظهير الدولة ، فرتبوا له خمسة آلاف فقط ، ولقبوه «برنس آف آركات» ، مات سنة ست وتسعين ومئتين وألف ، ولا يزال ذلك الراتب جارياً على أولاده.

* * *

الباب العاشر

في تاريخ الملوك والأمراء في الهند في العصر الحاضر
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول ـ في السلطة الإنكليزية على أرض الهند

اعلم أن الهند كانت آمنة من مطامع الفاتحين ، لبعدها عن دول التمدن القديم حول البحر المتوسط ، حتى جاءها إسكندر بن فيلقوس المقدوني ، في أول القرن الرابع قبل الميلاد ، فافتتحها ، ولم تطل سيادته عليها ، فعادت إلى استقلالها ، فلما ظهر الإسلام ، كانت في جملة ما افتتحها المسلمون ، فانتشر الإسلام بين أبنائها ، وتسلطت الدول الإسلامية من الترك ، والتتر ، والأفغان ، وأما الغربيون فإنهم كانوا سادرين في غفلتهم في ظلمات من الجهل ، حتى إذا أخذوا بنهضتهم الأخيرة منذ بضعة قرون ، وعملوا على التماس أسباب المدنية ، كان في جملة مساعيهم في هذا السبيل ، الرحلة لاكتشاف طريق التجارة في أنحاء المعمورة ، وخصوصاً في الشرق ، وكانوا يسمعون بالهند وغناها ، ممن يفد عليهم من التجار الذين كانوا يترددون بينهم وبينها ، براً وبحراً ، فسافر كولمبوس سنة ١٤٩٢ م = ٨٩٨ هـ ، في الأوقيانوس الأتلانتكي ، وهو يتوقع الوصول إلى الهند من جهة الغرب ، فإذا هو قد عثر بأمريكا ، فشغلته عما سواها ، وأصبح ارتياد الهند من حظ واسكودّي كاما الرحالة ، البرتكالي ، فدار حول رأس الرجاء الصالح (كيب آف كدّهوب) ، وقطع الأوقيانوس الهندي سنة ١٤٩٨ م = ٩٠٤ هـ ، حتى أتى الهند ، فرأى فوق ما كان يسمعه من خصبها وثروتها ، ونقل ذلك إلى دولته ؛ فبعث ملك برتكال جيشاً لاحتلالها ، أو افتتاحها ، فدافع أهل الهند عن أوطانهم ، فغلبهم

البرتكاليون على كثير من السواحل ، واستأثروا بتجارة الهند ، لا يشاركهم فيها أحد من الدول ، فتَمتعوا بذلك الاحتكار قرناً كاملاً ، من سنة ١٥٠٠ م = ٩٠٦ هـ إلى سنة ١٦٠٠ م = ١٠٠٩ هـ .

ولما كانت طباع البرتكاليين لا تساعدهم على الاحتفاظ بتلك الزعامة ، لأنهم كانوا أقرب إلى الغزاة منهم إلى التجارة ، لما تعودوه من الحروب الدينية بينهم وبين المسلمين في الأندلس ، فما لبثوا أن رأوا الدول الأخرى تسابقهم إلى الاجتزاء من تلك الغنيمة ، وأسبقهن إلى خرق ذلك الحجاب أهل «هولانده» ، وما زالوا حتى غلبوا على البرتكاليين ، ونحن إنما نظر في سيطرة الإنكليز على تلك البقاع .

والإنكليز أمةٌ تجاريةٌ استعماريةٌ ، وكانت أكثر الدول طمعاً في الهند ، قبل أن يكتشفها «واسكودي كاما» عن طريق رأس الرجاء ، وكانوا يلتمسون الوصول إليها من الشمال الغربي ، حاولوا ذلك سنة ١٤٩٦ م = ٩٠٢ هـ فلم يفلحوا ، ثم أرادوا السفر من الشمال الشرقي غير مرة بين سنة ١٥٥٣ م ، و١٦٦١ م = ١٠٧٢ هـ فأخفقوا ، وقد ضحوا في هذا السبيل بغير واحد من رجالهم ، أهل الرحلة والعلم ، على أنَّ بعضهم كانوا يسافرون إلى الهند ، من طريق رأس الرجاء بعد اكتشافه للتجارة أو نحوها ، ولكنَّهم لم يجدوا سبيلاً للتملُّك ، أو الاحتكار ، سبق غيرهم إلى ذلك ، فاستنبطوا تدبيراً عاد عليهم بالفائدة العظمى ، وهو أنهم ألفوا لذلك شركةً تجاريةً ، هي شركة الهند الشرقية .

قيل في سبب إنشائها : إنَّ أهل «هولانده» رفعوا أسعار التوابل ، التي كانوا يحملونها من الهند ، ويبيعونها للإنكليز إلى ضعفي ما كانت عليه ، فشقَّ ذلك عليهم ، فاجتمعوا سنة ١٥٩٩ م ، برئاسة محافظ المدينة ، وقرروا تأليف شركة تجارية ، تعامل الهند مباشرة ، ورفعوا قرارهم إلى ملكتهم «إيلزبته» فأوفدت إلى سلطان الهند ، تستأذن لتلك الشركة في المتاجرة ببلاده ، فأذن لها ، فأصدرت الملكة أمراً بإنشائها سنة ١٦٠٠ م ، وكان اسمها يومئذ «شركة تجار لندن ، وحاكمهم إلى الهند الشرقية» ، وكان رأس مالها مئةً وخَمسةً وعشرين سهماً ، قيمتها (٧٢٠٠٠٠) جنيه ، ثم ازدادت ، حتى بلغت (٤٠٠٠٠٠٠) جنيه ، ثم تألفت شركات أخرى لمثل هذا الغرض ، وقامت تنازع بينهما قرناً كاملاً ، حتى

اتحدت سنة ۱۷۰۹ م ، إلى شركة واحدة ، سميت «شركة تجار الإنكليز المتحدة للتجارة في الهند الشرقية» ، ثم عرفت شركة الهند الشرقية ، فأخذ الإنكليز يتَّجرون أولاً مع جزائر الهند ، ولم يدخل الهند نفسها ، لأنَّ أهل برتكال وأهل هولندة ، كانوا يمنعونهم بقوة السلاح ، وجرت في سبيل ذلك حروبٌ كثيرةٌ ، وسفكت فيها دماءٌ غزيرةٌ ، والإنكليز كانوا يترقبون الفرص ، حتى تمكَّنوا من احتلال البر ، فكان أول بلد نزلوه ، بلدة مدراس ، ثم أخذوا يحتلون البلد بعد البلد ، باسم التجارة ، وأهَل برتكال وأهل هولاندة يتقهقرون بين أيديهم ، مما يطول شرحه ، وكان الإنكليز يقاسون اضطهاداً من سلطان الهند ، ومعاكسةً من رعاياه ، فرأت الشركة المشار إليها أن تحتاط للدفاع عن مركزها في مثل هذه الأحوال ، فابتاعت الأرض ، وابتنت القصور والحصون ، فحسدتها الدول الأخرى ، فأخذت تقلدها بإنشاء الشركات التجارية الشرقية ، وقام النزاع بين هذه الشركات ودولها ، وكل دولة تطلب الاستئثار بتلك البلاد ، واستعمارها لنفسها ، فكانت الغلبة أخيراً للشركة الإنكليزية ، وانحلت سائر الشركات ، وضعفت ، وأصبح الفوز الأول للإنكليز ، ثم تحوَّل هذا الفوز إلى السيادة كما سترى .

كيف تسلَّط الإنكليز على الهند

كانت الهند في أثناء تلك المنافسة تحت سلطة الإسلام ، وبلغت معظم اتساعها في أيام عالمكير بن شاهجهان الدَّهلوي ، ثم أخذت بالتقهقر ، لأنَّ عالمكير لما توفي لم يخلفه رجلٌ قادرٌ ، فتضعضعت مملكته ، وأخذت في الانحلال ، وأصبحت كلُّ مملكة من ممالك الهند تطلب الاستقلال لنفسها ، واتفق قدوم نادرشاه وأحمد شاه وغيرهما ، فاكتسحوا الهند ، ولكنهم زادوها ضعفاً ، فلم تمض على وفاة عالمكير خمسون سنة ، حتى استقلَّ جماعة المرهتة ، وهددوا دار الملك دهلي ، وخلع «الراجبوت» سيادة الدولة الإسلامية ، واقتدى بهم آخرون في بنكاله وأوده وغيرهما ، وبعض هذه الدول كانت تحافظ على سيادة سلطان الهند بالاسم ، وأما الإنكليز فإنهم تخلصوا من منافسة أهل برتكال في آخر القرن السادس عشر ، ومن منافسة أهل «هولانده» في

آخر القرن السابع عشر ، ولكنَّها ظلت تخاف عدواً أشدَّ وطأةً من كليهما ، وهو فرنسا ، وكانت قد نالت حظَّها من تلك الغنيمة ، واحتلت مدناً أقامت فيها شبه حاكم يحافظ على تجارتها ، ففي أواسط القرن الثامن عشر ، كان نائبها في الهند «دوبليكس» يقيم في «بانديجري» ، ونائب الإنكليز «كلايو» ، يقيم في مدراس ، والنزاع بين الإنكليز والفرنساويين قديم ، لكنه تجدَّد سنة ١٧٤٧ م بأوربة ، وامتد إلى الهند ، فتحارب «كلايو» ، و«دوبليكس» في الهند ، وفي أثناء ذلك سنحت للإنكليز حادثةٌ ، فاستولوا على بنكاله ، وكيفية ذلك أنَّ حكومتها أفضت سنة ١٧٥٦ م إلى سراج الدولة ، وكان شاباً في الثامن عشر من عمره ، فغلب عليه الطيش ، وأخذته العزة ، فطارد رجالاً من أهله إلى كلكتة ، وهي معسكر الإنكليز في ذلك العهد ، فاكتسح المدينة ، ففرَّ الإنكليز ، ثم بعد قليل أتت نجدة الإنكليز ، فأنقذت المدينة ، ثم ركب سراج الدولة بعساكره من الهنود والفرنساويين ، فحاربهم في «بلاسي» ، وانهزم منهم لخيانة ختنه جعفر علي خان فقويت سلطة الإنكليز من تلك الساعة ، فولوا مكانه جعفر علي خان المذكور ، وبعد زمان يسير خلعوه ، وولوا مكانه قاسم علي خان ، ثم بعد مدَّة خلعوه ، وولوا مكانهَ جعفرَ علي خان المعزول ، فاستغاث قاسم علي خان شاهَ عالم صاحب الهند ، وشجاع الدولة أمير أوده ، فاتفقوا على المحاربة مع الإنكليز ، وركبوا بعساكرهم إلى بنكاله ، سنة ١٧٦٤ م ، وهزمهم الإنكليز هزيمةً فاحشةً في «بكسر» وقبضوا على شاه عالم ، ثم حصلوا منه أثناء تحصيل العشر والخراج في بنكاله ، وبهار ، وأرّيسه ، على مال يؤدُّونه كلَّ سنة ، فدخلت بنكاله وغيرها في سلطانهم تحت حكومة «كلايوّ» ، وانفرد الإنكليز بسيادة الهند ، باسم الشركة الهندية الشرقية ، التي ذكرناها ، وهو نوعٌ من الحكومة ، لم يسبق له مثيل ، وكانت الشركة تولي أمورها حاكماً عسكرياً معه الجند .

وأول أولئك الحكام ، «كلايو» ، ثم «وارن هستنكز» ، ولي سنة ١٧٧٢ م ، فقبض على أكثر بلاد الهند صلحاً وعنوةً ، وحارب حيدر علي صاحب ميسور سنة ١٧٨٠ م ، في «كرناتك» ، وهزمه ، وقبض على بعض بلاده ، وأسس مدرسةً عاليةً بمدينة كلكته سنة ١٧٨١ م ، ثم ولي مكانه «كارنوالس» سنة

١٧٨٣ م ، فحارب السلطان «تيبو» بن حيدر علي المذكور غير مرَّةٍ ، ثم ولي مكانه «سيرجانشور» سنة ١٧٩٣ م ، ثم ولي «مارنكتن» سنة ١٧٩٧ م ، وحارب السلطان «تيبو» سنة ١٧٩٩ م ، فقتله ، وقبض على أكثر بلاده ، وترك بعضها لمرازبة «ميسور» ، وحارب المرهتة ، وقبض على أقطاع دهلي ، وآكره ، وأرّيسه ، ودخل في سلطان الإنكليز ما وراء «نهر الكنك» كلها ، وبعض بلاد كجرات ، وقدم في عهده دعاة المسيحية في الهند ، فانتشروا في أقطاعها ، ثم ولي مكانه «كارنوالس» مرَّةً ثانيةً سنة ١٨٠٥ م ، ومات سنة ١٨٠٧ م ، فولي مكانه «اللورد منتو» ، فحارب الفرنساويين ، وأهل هولاندة في بعض الجزائر خارج الهند ، وهزمهم ، ثم ولي مكانه «اللورد مويرا» سنة ١٨١٣ م ، فحارب المرهتة في «ناكبور» ، وبعض بلاد دكن ، فهزمهم ، وقبض على بلادهم كلها ، وفتح قلعة «هاتهرس» وغيرها ، ثم ولي «اللورد امهرست» سنة ١٨٢٣ م ، وسيَّر عساكره إلى آسام ، وأراكان ، وغيرهما ، فأدخلها تحت سلطته ، ثم ولي «وليم بتنك» سنة ١٨٢٧ م ، فقبض على بلاد «كور» ، وأسس مدرسةً عظيمة بكلكتة لتعليم الصناعة الطبية ، وأعمال اليد ، وأسس المدارس الكثيرة في أقطاع الهند ، لتعليم العلوم الغربية ، واللغة الإنكليزية ، وبذل جهده في نشر العلم ، وتحسين المحاكم العدلية ، ثم ولي «اللورد أكلند» سنة ١٨٣٦ م ، فبعث عساكره إلى أفغانستان ، من شجاع الملك بن تيمور شاه بن أحمد شاه الدراني ، ليجلسه على سرير جده ، فقبضوا على تلك البلاد ، وولوا شجاع الملك المذكور عليها ، ولكنه كان لعبةً في أيدي الإنكليز ، فقام عليه الناس ، فقتلوا شجاع الملك ، والعساكر الإنكليزية كلها ، فرجعوا إلى أرض الهند ، ثم ولي مكانه «اللورد النبرا» سنة ١٨٤٢ م ، فسيَّر عساكره إلى أرض السند ، وملكها ، ثم ولي مكانه «اللورد هاردنك» سنة ١٨٤٤ م ، فحارب طائفة السكة أربع مرات ، وهزمهم كلَّ مرَّة ، وأخذ منهم بعض البلاد والقلاع ، ثم ولي مكانه «اللورد دلهوزي» سنة ١٨٤٨ م ، فقبض على بلاد بنجاب كلها ، وبعث سلطانها «دليب سنكة» إلى لندن ، ووظفه ، ثم ملك ناكبور وأعمالها ، وملك أرض أوده ، ووظف واجد علي شاه اللكهنوي ، ونقض العهود ، وفي عهده أسس «بريسيدّنسي كالج» بمدينة كلكتة ، سنة ١٨٥٣ م ، وأسست المدارس لتعليم

البنات ، فولي مكانه «اللورد كينك» سنة ١٨٥٦ م .

وفي أيامه ثارت العساكر الإنكليزية ، المؤلفة من الهنادك ، وأهل الإسلام ، فحدثت الثورة العظيمة سنة ١٨٥٧ م ، وانقضت سنة ١٨٥٨ م ، وكانت نتيجتها أنَّ الهند بعد أن كانت تحت سيطرة الشركة التجارية ، دخلت في سلطة إنكلترا ، فأعلنت الدولة أنَّ الهند ملك لها ، وولي مكانه «اللورد ايلجن» سنة ١٨٦٢ م ، ومات سنة ١٨٦٣ م ، فولي مكانه «اللورد لارنس» ، واستقل بالحكومة إلى سنة ١٨٦٩ م ، ثم ولي «اللورد ميو» فقتل في جزيرة «اندمن» ، أثناء النزهة ، بيد شير علي المسجون بها ، فولي مكانه «اللورد نارته بروك» سنة ١٨٧٢ م ، وفي أيامه قدم «برنس آف ويلز» ابن ملكة «وكتوريا» سنة ١٨٧٥ م ، فاستقبله بالترحيب والإكرام ، وعظمه بما يليق بشأنه ، ثم ولي «اللورد لتن» سنة ١٨٧٦ م ، وفي أيامه عقدوا حفلةً عظيمةً بمدينة دهلي ، وجلس «لتن» على سرير الملك نيابةً عن «وكتوريا» ملكة إنكلترا ، وأعلن أنها قيصرة الهند ، وولي مكانه «اللورد ربن» سنة ١٨٨٠ م ، وكان كثير البر بأهل الهند ، ثم ولي «اللورد دفرن» سنة ١٨٨٤ م ، وحارب ملك برهما ، فأسره ، وقبض على بلاده ، ثم ولي مكانه «اللورد لينسدّون» سنة ١٨٨٨ م ، وهو رتب العسكرية على نظام جديد ، وجعلها تحت إمرة القائد الكبير ، وولي مكانه «اللورد ايلجن بن ايلجن» المتوفى بالهند سنة ١٨٩٤ م ، فأقام حدود الهند ، وحارب الأفاغنة بنيراه ، وألحق «جترال» بالهند ، ثم ولي مكانه «اللورد كرزن» سنة ١٨٩٩ م ، وأقام بالهند إلى سنة ١٩٠٥ م ، وتوفيت في أيامه بالهند ملكة «وكتوريا» ملكة انكلترا ، وقيصرة الهند سنة ١٩٠١ م ، وتولى المملكة مكانها ابنها «ايدّورد السابع» ثم ولي «اللورد منتو» حفيد «منتو» المذكور ، فيما تقدم ، وكان حسن الأخلاق ، كثير البر بأهل الهند ، ومات في أيامه «ايدورد السابع» ملك إنكلترا ، وقيصر الهند ، سنة ١٩١٠ م ، وتولى المملكة مكانه ابنه «جورج الخامس» ، ثم ولي «اللورد هاردنك» حفيد هاردنك ، السالف ذكره ، سنة ١٩١٠ م ، وانتقل في عهده مركز الحكومة من كلكته إلى دهلي ، حين وفد إليها الملك «جورج الخامس» ملك إنكلترا ، وقيصر الهند للتتويج ، سنة ١٩١١ م ، ثم ولي مكانه

«اللورد جيمس فورد» سنة ١٩١٦ م ، ثم ولي مكانه «اللورد ريدنك»[١] سنة ١٩٢١ م ـ ١٩٢٦ م ، [وخلفه «اللورد أرون» ١٩٢٦ م ـ ١٩٣١ م ، وجاء مكانه «اللورد ويلنج دون» ١٩٣١ م ـ ١٩٣٦ م ، وتبعه «اللورد لينلته جو» ١٩٣٦ م ـ ١٩٤٤ م ، وخلفه «اللورد ويول» ١٩٤٤ م ـ ١٩٣٧ م ، وجاء مكانه نائب الحكومة الإنجليزية في الهند الأخير «اللورد ماؤنت بيتن» ٢٠ فبرائر ١٩٤٧ م ـ ١٤ أغسطس ١٩٤٧ م ، وفي أيام نيابته وقع التقسيم ، واستقلت الهند ، وقامت باكستان ، كما سيأتي قريباً ، وأصبح الحاكم العام للهند من ١٥ أغسطس ١٩٤٧ م ـ إلى ٢١ يونيو ١٩٤٨ م ، ثم بدأ الحاكم العام ينتخب من الشعب إلى أن ألغي هذا المنصب ، وصار يخلفه رئيس الجمهورية للهند[٢]] .

* * *

(١) وهو الذي لعب دوراً مهماً في إحباط حركة الخلافة ، وحركة التحرير التي وحدت المسلمين والهنادك ، وجعلتهم يكافحون الاستعمار جنباً لجنب ، وفي إحداث الوحشة وسوء التفاهم بين زعماء الهند؛ وكان إنجليزياً يهودياً ـ الندوي .

(٢) زيادة أضيفت بعد وفاة المؤلف ـ الندوي .

الفصل الثاني

في أخبار ثورة الهند للتخلص من سلطة الإنكليز

إنك قد علمت مما تقدم أنَّ الإنكليز تسلَّطوا على أرض الهند بقوة التمدن الحديث ، وأهل الهند يومئذ في دور تقهقرهم ، وانحلال دولتهم ، وقد انقسموا على أنفسهم ، ولولا ذلك ماً استطاعت إنكلترا أن تحكمهم بجند لا يتجاوز عدده عشرات الألوف ، وأهل الهند مئتا مليون أو يزيدون ، فوقعت هيبة الإنكليز في نفوسهم ، واعتقدوا فيهم الفضل عليهم قوةً وذكاءً ، فرضخوا لسلطانهم ، واحتملوا نيرهم مرغمين ، وفي نفوسهم غلٌّ ، وقلوبهم كارهةٌ ، والإنكليز من الجهة الأخرى أعانتهم الفرص على نشر سلطانهم ، ورأوا انقياد أهل الهند ، فازدادوا عتواً واستبداداً ، واستخفوا بذلك الشعب ، وأزلُّوه وكان رجال الشركة المشار إليها ، من أكبر رؤوسها إلى أصغر خدمتها ، ينظرون إلى الهند نظرهم إلى فريسة وقعت بين أيديهم ، لا يهم أحدهم منها إلا أن يختطف ما يبلغ إليه إمكانه من خيراتها بأية وسيلة كانت ، ويعود إلى بلده ، فكانوا يرتكبون في سبيل ذلك منكرات ، وأهل الهند كانوا يرغبون ، ويكظمون ، ومنهم فيالق من الفرسان ، والمشاة تحت قيادة ضباط من الإنكليز ، فمكثوا يترقبون فرصة يثبون فيها على حكامهم ، وهؤلاء في غفلة ، واستخفاف ، يسيئون معاملة أولئك الجنود الوطنيين.

فلما أقبلت سنة ١٨٥٦ م ، أخذ أهل الهند يسعون في تدبير الوسائل لخلع ذلك النير ، فألفوا العصابات السرية ، ووضعوا لأنفسهم رموزاً ، وعلامات ، يتناقلون بها أغراضهم وآراءهم بين المدن والقرى ، مع اختلافهم في الأديان ، ولم يقدموا على هذا الخطر العظيم ، لو لم تكن الجندية معهم ، وما من أمة تنهض لمثل هذا العمل إلا بالجند.

وكانت سلطة الإنكليز قد امتدَّت تحت حكومة دلهوزي قبل الثورة ، على بلاد «ناكبور» ، و«سوترا» ، و«برار» ، و«جهانسي» و«أوده» ، وأدخل دلهوزي إلى الهند كثيراً من ثمار التمدن الحديث ، كالتلغراف ، والبريد ، والسكك الحديدية ، وسهل التجارة ، ولكنه كان عازماً على تجريد أهل الهند من كل قوة ، وجعل بلادهم ملكاً لإنكلترا ، فهالهم ذلك ، وزد عليه أنَّ الجنود الهندية كانت تكره الإنكليز للأسباب التي قدمناها ، فإنَّ ضباطها الوطنيين كانوا محرومين عن الارتقاء إلى الرتب الصغرى بعد خدمة طويلة ، وهم الواسطة بين كبار ضباط الإنكليز والعساكر الهندية ، والسببُ الأخيرُ الذي عقبته الثورة مباشرةً : أنَّ الحكومة أدخلت في جنديتها من البنادق الجديدة؛ التي تعرف ببنادق الانفليد ، تقتضي استخدامها أن يمسح فشكها بالدهن ، فشاع بين الجنود أنَّ الدهن الذي تصرفه الحكومة لهذا الغرض ، مؤلف من شحم الخنزير ، وشحم البقر ، وأنَّ الغرض من استخدامها إهانة أهل الهند ، وحرمانهم من الارتقاء في طبقات الاجتماع عندهم ، فهاج غضبهم لذلك هياجاً شديداً ، فنشرت الحكومة منشورات تؤكِّد فيها كذب هذه الإشاعة ، فلم تلق إصغاءً ، وهاجت أحاسيس الوطنيينً ، فاستعرضت كوكبة من فرسانهم في الثالث والعشرين من إبريل سنة سبع وخمسين وثمانمئة وألف م ، ببلدة ميرتة على مسيرة أربعين ميلاً من دهلي عاصمة الهند ، ودفعت إليهم الفشك ، وأمرتهم أن يستخدموه ، فتناولوه مكرهين ، إلا خمسة وثمانين جندياً ، أبوا استعماله ، فحكم عليهم بالسجن عشر سنين ، صدر الحكم في تاسع مايو ، وتلي على جمهور الجنديين من الإنكليز والهنادك ، ثم أثقل المحكومون بالقيود ، وسيقوا إلى السجن مشاةً مسافة ميلين ، فشكا بعضهم العجز عن المشي بتلك الأثقال ، فلم يسمع صوته ، فعظم ذلك على الجنود الوطنية ، وعدُّوه إهانةً لهم ، فاتفقوا على إنقاذ المسجونين ، واعترضهم الإنكليز ، فدفعوهم ، وقتلوا منهم ضابطاً كبيراً ، وقتلوا كثيراً من الإنكليز في بلدة ميرته ، فاتحدت الحامية الإنكليزية هناك ، وصوبوا على العصاة المدافع والبنادق ، يحاولون قتالهم بها ، ففروا ، وتركوا المدينة للإنكليز ، ولجؤوا إلى دهلي دار ملك الدولة الإسلامية .

وكان فيها يومئذٍ سراج الدين أبو ظفر بهادرشاه ، وكان شيخاً طاعناً في

السن ، يناهز التسعين من عمره ، ومعه أبناؤه ، وأحفاده ، وأعوانه يقيمون بقصر الإمارة ، كأنهم دولة قائمة بنفسها ، ولم يكن لهم سيادة حقيقية أو حكومة ، ولكن أهل الهند ينظرون إليه نظرهم إلى الحاكم ، فلما فر العصاة من بلدة ميرتة ، جاؤوا إلى قصر الإمارة بدهلي ، وهم ينادون أنهم لا يعرفون ملكاً عليهم إلا بهادرشاه ، ثم رفعوا العلم الهندي على سور ذلك القصر ، يطلبون البيعة لصاحبه ، وإهلاك الإنكليز ، الذين جاؤوا ليسلبوهم ملكهم ، ويضلوهم عن دينهم ، فبعد أن بدأت الحركة بتمرد موضعي ، تحوَّلت إلى ثورة عامَّة ، فوافقهم جند دهلي ، وثاروا على ضباطهم ، فقتلوا بعضهم ، وهمّوا بسائر الإنكليز المقيمين هناك ، فقتلوا بعضهم ، وفرَّ الباقون ، وكان يوماً مريعاً ، بالغ الهنود فيه بالقتل والسلب.

فلما بلغت هذه الأخبار إلى كلكتة ، أكبرها «اللورد كيننك» وقواده ، فتولاهم الغضب والخوف معاً ، لقلة جندهم ، بالنسبة إلى الجند الهندي ، لأنَّ الإنكليز لم يكن يتجاوز عددهم في الهند كلها (٦٠٠٠٠) رجل ، بعضهم بعيد عنهم على حدود أفغانستان و«بيكو» ، وبعضهم مشتت في أماكن أخرى ، وأما الجنود الهندية ، فكان عددها نحو (٣٢٠٠٠٠) مقاتل ، والطريق بين كلكتة ودهلي في أيديهم ، ليس للإنكليز فيه حصن ، ولا حامية ، ولكن السعد خدم هذه الدولة ، لأنها كانت قبيل ذلك الحين في حرب ببلاد الفرس ، ولها جيش كبير على حدودها ، فاتفق في تلك الأثناء الفرار من الحرب ، وعقد معاهدة الصلح ، فتلك الجنود الإنكليزية التي كانت هناك أصبحت مدداً لجندها في الهند ، وكانت من الجهة الأخرى ، فقد أنفذت حملة عسكرية إلى الصين ، فبعث «اللورد كيننك» إليها أن توافيه لإنقاذ الهند ، واشتغل بالإعداد والترتيب ، والتجنيد ، فلم يدع رجلاً ولا غلاماً إلا جنده ، وفرق السلاح ، وتأهب للعمل.

وكانت الثورة قد امتدَّت كامتداد النار في الهشيم ، فهاج أهل الهند في «أندور» و«أعظم كدّه» و«جبل بور» و«إله آباد» ، فضلاً عن دهلي ، وميرته ، ولولا حزم كيننك وتدبيره ، لقضي على سلطة الإنكليز هناك من ذلك الحين ، لأنه بعث حملةً بقيادة «جنرل انسون» لمحاصرة دهلي ، فتوفي بالهيضة ، وخلفه آخر ، أصيب بها أيضاً ، فخلفه «جنرل ريد» فأصابه ضعف عام اضطره إلى

الانسحاب ، فأفضت القيادة إلى «جنرل ولسن» وهو الذي أنجز العمل ، وفتح دهلي بعد حصار بضعة أشهر ، وقد دافع عنها أهل الهند دفاع اليأس لعلمهم أنهم إذا غلبوا قتلوا ، وكان عددهم (٣٠٠٠٠) مقاتل ، والإنكليز (٧٠٠٠).

فدخل الإنكليز دهلي ، والدماء جاريةٌ في أسواقها ، وأسرع ضابط إنكليزي بشرذمة من جند إلى قصر الإمارة ، للقبض على بهادر شاه ، فعلم أنه لجأ إلى مقبرة هَمايون ، وهي قصر رفيع ، خارج البلدة ، على قبر جده همايون بن بابر شاه التيموري ، على خمسة أميال من شاهجهان آباد ، فركب إليه ، وأمر المقيمين هناك بتسليم سلاحهم ، فأبوه ، فأرسل إلى بهادر شاه نفسه أن يسلم سلاحه ، على أن يضمن له حياته ، فقبل ، فجيء به على محفة ، وحملوه إلى المدينة ، وأقاموه في قصرها ، لا يخافون بأسه لكبر سنه وَضعفه ، لكنهم احتالوا بالقبض على من بقي من أبناء الملوك من تلك العائلة الجليلة ، وقتلوا كلهم بين يديه ، تعذيباً له ، وأهانوه كلَّ الإهانة ، وقتلوا كل من وجدوا في المدينة من العلماء ، والأشراف ، وأعيان البلدة ، ووجوه الناس ، ونهبوا أموالهم ، وخربوا دورهم وأثاثهم ، حتى صارت البلدة خاويةً على عروشها.

فكان خبر سقوط دهلي ضربةً كبيرة على سائر مدن الهند ، فهاج القوم ، وبينهم جماعات ، في نفوسهم ضغائن على الإنكليز ، وكانوا صابرين عليها ، أو كاظمين لها ، فلما رأوا ما كان من قهرهم ، وتغلبهم؛ هبوا للانتقام ففتكوا بمن كان بين أظهرهم منهم ، وبالغ الهنود في التشنيع بالقتل ، كما فعل «نانا راؤ» في كانبور.

وقس على ذلك أعمال الثوار في أرض أوده ، حتى اضطرت القوة العسكرية المقيمة هناك ، أن تتقهقر إلى مدينة لكهنؤ ، وتتحصن بها ، وتحمي من يلجأ إليها ، ولكنها ما لبثت أن حوصرت ، وقتل قائدها «لارنس» ، فأصبح هم «كيننك» إنقاذ لكهنؤ ، لأهميتها ، ولكثرة من فيها من الإنكليز ، فعهد بإنقاذها إلى «جنرل هيولاك» ، وكان «سرجيمس أوترم» في حملة أخرى بأرض أوده ، فأزمع على المسير ، للانضمام إلى «هيولاك» و«أوترم» أرقى رتبة منه ، لكنه عرف خبرته في الفنون الحربية ، فلم يطلب الرئاسة عليه ، بل قدم نفسه ، وجنده تحت أمره ، فزاد ذلك في إقدام «هيولاك» ، وتشدُّده في رفع الحصار عن

لكهنؤ ، وكان يومئذ في كلكتة ، وبينها وبين لكهنؤ مسافة بعيدة ، كلها للأعداء ، فسار هيولاك بينهم كالسيف القاطع في الخشب اليانع ، حتى أتى كانبور ، وفيها «ناناراؤ» فخرج إليه ، وارتدَّ خائباً مهزوماً ، وانتقم الإنكليز للأطفال والنساء ، الذين قتلهم «ناناراؤ» انتقاماً شديداً ، تشمئز منه النفوس ، حتى انتقده كتاب الإنكليز ، وعابوا مرتكبيه المتمدنين ، أكثر مما عابوا قتله لناناراؤ ، واشتد الحصار على لكهنؤ ، وحاميتها يصخبون ، ويستغيثون مخافة أن يصيبهم ما أصاب أهل كانبور ، فأسرع هيولاك بجنده ، والأعداء يعترضون في الطريق ، وهو يقلل جموعهم ، حتى وصل لكهنؤ ، وجنده مع أوترم لا يزيد على (٥٦٠٠) مقاتل ، وعدد أهل الهند يربو على (٥٠٠٠٠) ، ولكن النظام يجعل العشرة تقاوم المئة ، وتغلبها ، ولا نطيل الشرح في تفصيل الوقائع ، فالإنكليز على قلَّة عددهم ، انتصروا على أهل الهند ، فأفرجوا عن لكهنؤ وغيرها ، وفتحوا سائر المعاقل ، لكنهم خسروا كثيراً من كبار قوادهم ، وفي جملتهم هيولاك ، فإنه مات هناك بالإسهال الكبدي ، وقد صبر أهل الهند ، وجالدوا.

وانقضت الثورة في أواسط سنة ثمان وخمسين وثمانمئة وألف م ، وكانت نتيجتها أنَّ الهند بعد أن كانت تحت سيطرة الشركة التجارية دخلت في سلطة إنكلترا ، فأعلنت الدولة أنَّ الهند ملك لها ، تتصرَّف بها كما تشاء.

* * *

الفصل الثالث

في ذكر أمراء الهند في العصر الحاضر

قد علمت مما قدَّمناه ، أنَّ بلاد الهند كلها تحت سلطة الإنكليز في عهدنا هذا ، غير إمارات ، والإمارة عبارة عن قطعة أرض تحت إمرة أحد الأمراء ، وهي أيضاً تحت سلطة الإنكليز ، في الأمور الخارجية ، وأما الأمور الداخلية ، فهي مفوضة إلى الأمير .

والإمارات كثيرةٌ في الهند ، أكثرها للهنادك ، وبعضها للمسلمين ، ونحن لا نطيل الكلام بذكر ما في أيدي الهنادك من الأرض ، ولا نذكر كل مافي أيدي المسلمين ، خوفاً للإطالة ، فنذكر منها أشهرها في الذكر ، وأكبرها في المالية ، نحو حيدر آباد ، وبهوبال ، ورام بور ، وتونك ، وبهاول بور ، وجونا كدّه ، وغيرها ، تاركين ذكر ما سواها لأجل الاختصار .

حَيْدَرْ آبَاد (دكـن)

أما مملكة حيدر آباد ، فهي في إقليم دكن ، لا تضاهيها إمارة في الهند في الإيراد ، والمصاريف ، وسعة المساحة ، وكثرة السكان .

أما مساحتها فثلاثة وثمانون ألف ميل مربع ، يسكنها أحد عشر مليوناً من النفوس تقريباً ، ومعظم أراضيها حجرية ، وهواؤها معتدل ومرطوب ، ويزرع فيها القطن بمقدار يذكر ، وفيها كثير من الترع ، والخزانات للري ، وكذلك بها مناجم الذهب ، والفضة ، والألماس ، وغيرها ، وإيرادها السنوي ينوف عن ستين مليوناً من الربية .

وهي التي تسمى بالدولة الآصفية ، تأسست على يد الأمير نظام الملك آصف

جاء قمر الدين بن غازي الدين بن الخواجه عابد الصديقي الخنفي ، الصدر الأعظم لمحمد شاه التيموري سلطان الهند ، استقلَّ بها خمساً وعشرين سنة ، ومات سنة إحدى وستين ومئة وألف ، ثم قام مقامه ولده نواب نظام الدولة «ناصر جنك» ، ومدته سنتان ، مات سنة أربع وستين ومئة وألف ، ثم ولي المملكة صنوه نواب «صلابت جنك» ومدته إحدى عشرة سنة ، وكان لعبةً بأيدي الوزراء ، لم يكن له من السلطة إلا الاسم ، خلعوه سنة خمس وستين ومئة وألف ، ثم ولي صنوه نظام الملك نواب نظام علي خان الآصف جاه الثاني ، واستقلَّ بها أربعاً وأربعين سنة ، وكان ملكاً حازماً شهماً مقداماً ، مات سنة ثماني عشرة ومئتين وألف ، ثم ولي ولده نواب «سكندرجاه» وكان فاضلاً ، استقلَّ بالملك ستاً وعشرين سنة ، مات سنة أربع وأربعين ومئتين وألف ، ثم ولي ولده نواب ناصر الدولة ، واستقلَّ بالملك ثمانياً وعشرين سنة ، مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين وألف ، ثم ولي ولده نواب أفضل الدولة وامتدَّت أيامه إلى اثنتي عشرة سنة ، مات سنة خمس وثمانين ومئتين وألف .

ثم ولي ولده مير محبوب علي خان ، وكان ابن أربع سنين ، فصار الحلُّ والعقد بيد وزيره مختار الملك ، فساس الأمور ، وأحسن إلى الناس ، ورتق ما فتق من مهمات الدولة ، حتى ظلَّت آمنةً مطمئنةً ، ولما توفي الوزير المذكور سنة تسع وتسعين ومئتين وألف ، أخذ المحبوب بيده عنان السلطة ، ونحا نحوه في الرئاسة والسياسة ، وبذل بذل البرامكة ، حتى صار محبوب القلوب ، مات لأربع خلون من رمضان سنة تسع وعشرين وثلاثمئة وألف .

ثم ولي ولده مير عثمان علي خان ، وهو أكبر أولاده ، وقد جمع الله سبحانه فيه من خصال الخير ، وفضله على بعض أسلافه في الفضل ، فتحمَّل أعباء السلطة بهمَّة عالية ، ومهارة فائقة ، وخبرة تامَّة لشؤون بلاده ، بدون استعانة غيره منذ مدَّة من الزمان ، وفي سنة ١٣٣٨ هـ أصدر إرادته السنية بتنظيم الجمعية التشريعية ، سماها «باب الحكومة» ، ورتب بنفسه برنامج أعمالها ، تحتوي هذه الجمعية على تسعة أعضاء ، منها الصدر الأعظم وثمانية أركان ، وأنشأ جامعةً مستقلة لبلاده ، سماها الجامعة العثمانية ، ومن مميزاتها الخاصة أنها تعلم جميع العلوم ، والفنون الحديثة والقديمة بالأردو ، أما تعليم

اللغات الأجنبية ، فهو كاللغات الثانوية غير الإنكليزية ، فإنها لازمةٌ فيها ، وأسس دار الترجمة العامرة التي تنقل العلوم الحديثة إلى اللغة الأردوية ، [وقد قامت بترجمة مئات من الكتب العلمية بالأردو ، فزادت في ثروة لغة «أردو» ، وسهلت مهمة التعليم في اللغة الوطنية[1] ، ومن مآثره الجليلة دائرة المعارف العثمانية التي نشرت كتباً قيمةً في الحديث ، وأسماء الرجال ، والتاريخ واللغة ، وعلوم الحكمة ، والعلوم الرياضية للمتقدمين ، كان يتسامع بها الفضلاء ، ويحن إليها العلماء ، ولم تر ضوء الشمس ، فكانت مآثرة علميةً تذكر وتشكر[2]] .

ومن مآثره أنه يرسل مئات من الطلبة المنتخبين سنوياً إلى جامعات أوربة لتكميل الدراسات العالية على نفقاته الخاصة ، وزيادة على ذلك ، هو يساعد كثيراً من المدارس ، والمعاهد الدينية في معظم أقطار الهند مساعدةً مالية ، ثم إنَّه يكرم العلماء والشيوخ ، كما أنه يكرم الشيوخ والصالحين ، ويصرف جانباً من الأموال على الأعمال الخيرية ، ومن أخص خصائصه ومميزاته أنَّ عطاياه ليست محصورةً على علماء المسلمين ، بل هي تعمُّ الوثنيين ، والمجوس ، والنصارى ، وغير ذلك من أهل الملل والنحل ، ومما يجدر بالذكر أنَّ أغلب الملوك في أيامنا هذا ، تراهم غافلين عن فرائض الدين ، ومعرضين عن أحكام الشريعة ، ولكن إذا رأيته تجده خاضعاً لكتاب الله وأحكامه ، وقد اتسع نطاق كرمه حتى امتدَّ من أقصى الهند إلى أقصاها ، وهذه الأسباب التي دعت أركان ندوة العلماء وجمهور المسلمين إلى تلقيبه بمحيي الملة والدين[3] ، [وألغيت الإمارات على أثر التقسيم سنة ١٩٤٧ م ، إلا حيدر آباد ، فقد بقيت متمسكةً بوضعها ، مطالبة للاحتفاظ بشخصيتها وكيانها ، حتى دخلتها الجيوش الهندية في سبتمبر ١٩٤٨ م فانضمَّت إلى الجمهورية الهندية] .

---

(١) تأسست دار الترجمة في ١٩١٧ م ، قد نقلت من الإنجليزية إلى الأردوية ٣٥٨ كتاباً ، تعطل نشاطها بعد الانضمام ١٩٤٨ م .

(٢) نشرت دائرة المعارف أكثر من مئة وخمسين كتاباً يرجع تاريخ تأليفها إلى ما قبل القرن الثامن الهجري وكانت مخطوطةً نادرة .

(٣) توفي في ١٤/ ذي القعدة ١٣٨٦ هـ ، الموافق ٢٤/ فبراير ١٩٦٧ م .

بَـهْـوَبَـالْ

إمارة في «مالوه» ، مساحتها ستة آلاف وسبعمئة وأربعة وستون ميلاً مربعاً ، وهي بأيدي أسرة أفغانية من سلالة دوست محمد بن نور محمد بن جان مجمد ـ بالجيم ـ ابن خان مخمد ـ بالخاء المعجمة «الميرازي» «التيراهي» ، قدم دوست محمد سنة ثماني عشرة ومئة وألف ، ودخل بلاد «مالوه» في زمان الفترات ، واستولى على كثير من القرى والبلدة ، ومات سنة اثنتين وخمسين ومئة وألف ، وكان ولده «يار محمد» عند موته بحيدر آباد عند آصف جاه ، فلقبه بالنواب ، وولاه على «بهوبال» ، فقدَّمها ، واستقلَّ بالملك ثلاثاً وثلاثين سنة ، مات سنة سبع وستين ومئة وألف ، فولي ولده «فيض محمد» وامتدَّت أيامه إلى أربع وعشرين سنة ، مات سنة إحدى وتسعين ومئة وألف ، ثم ولي أخوه «حياة محمد» وهو عاهد الإنكليز بالسلم والاتفاق ، مات سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف ، ثم ولي ولده «غوث محمد» وصار لعبةً بيد وزير محمد بن شريف محمد بن فاضل محمد بن دوست محمد المذكور ، واعتزل ، ومات وزير محمد سنة إحدى وثلاثين ومئتين وألف ، فولي ولده «نظير محمد» وكان ختناً لغوث محمد المذكور ، ومدته ثلاث سنين ، مات سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف ، ثم وليت زوجته «قدسيه بيكم» بنت غوث محمد المذكور ، وكانت بنتها «سكندر بيكم» ابنة سنة وثلاثة أشهر ، فلما بلغت من الرهاق زوجوها بجهانكير محمد بن أمير محمد بن وزير محمد المذكور ، ثم خلعوها ، وولوا جهانكير محمد المذكور سنة ثلاث وخمسين ومئتين وألف ، ومدته سبع سنين ، مات سنة ستين ومئتين وألف ، ثم وليت زوجته نواب «سكندربيكم» بنت «قدسيه بيكم» المذكورة ، وامتدَّت أيامها إلى خمس عشرة سنة ، وكانت تحسن الإدارة والسياسة .

ثم وليت بنتها نواب شاهجهان بيكم ، وتزوجت بعدما توفي زوجها «باقي محمد» بالسيد صديق حسن بن أولاد حسن الحسيني البخاري القنوجي صاحب أبجد العلوم ، فصار الحل والعقد بيد القنوجي مدَّةً طويلةً ، وكانت صاحبة الفضل والكرم ، وربة النعم ، عمرت الديار ، وأحيت المدارس العلمية ، وبنت المساجد العظيمة ، وقرَّرت الرواتب للمحصلين ، وأجرت أرزاقاً كثيرة على

الفقراء والمحاويج ، ولم تزل تساعد العفاة والواردين بمملكتها من الحجاج والمسافرين ، توفيت سنة تسع عشرة وثلاثمئة وألف .

ثم وليت بنتها نواب سلطان جهان بيكم [سنة ١٣١٩ هـ وتوفيت في ذي القعدة ١٣٤٨ هـ] ولها ثلاثة أبناء ، أكبرهم نواب نصر الله خان بن نواب أحمد علي خان اللوهاروي وهو ولي العهد ، [ومات سنة ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م ، فولي مكانه النواب حميد الله خان بن أحمد علي خان المذكور سنة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م ، وتوفي ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ، وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٧ م.

رَامْبُوْر

إمارة ، مساحتها أحد وأربعون وتسعمئة ميل مربع بروهيلكهند ، ومجابيها نحو ثلاثين لكّاً ، (ثلاثة ملايين) ، ولي عليها فيض الله بن علي محمد خان ، كما قدمناه في أيام الأفاغنة ، واستقلَّ بالملك مدَّةً ، وبنى المدارس والمساجد برام بور ، مات سنة ١٢٠٨ هـ ، ثم ولي ولده محمد علي خان الشيعي ، فقتله أخوه غلام محمد خان ، فسار إليه آصف الدولة يحيى علي خان الشيعي اللكهنوي بعساكره وقاتله ، ثم أخرجه من بلاده ، وولي أحمد علي بن محمد علي خان المذكور ، وامتدَّت أيامه خمساً وأربعين سنة ، ثم ولي محمد سعيد خان بن غلام محمد خان المذكور ، وامتدَّت أيامه إحدى وثلاثين سنة ، مات سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ، ثم ولي ولده يوسف علي خان الشيعي ، واستقلَّ عشر سنين ، مات سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف .

ثم ولي ولده نواب كلب علي خان الحنفي ، وكان عالماً كريماً ، محباً لأهل العلم ، سافر إلى الحرمين الشريفين ، فحجَّ ، وزار سنة ١٢٩٠ هـ وبذل مالاً كثيراً على أهلها ، مات سنة خمس وثلاثمئة وألف ، ثم ولي ولده نواب مشتاق علي خان ، وكان مجهول الكيفية ، مات سنة سبع وثلاثمئة وألف .

ثم ولي ولده نواب حامد علي خان ، وترك مذهب أهل السنة وصار شيعياً على مذهب جدِّ أبيه المذكور ، [ومات سنة ١٣٤٩ هـ = ٢٠ من يونيو ١٩٣٠ م ،

وخلفه ابنه النواب رضا علي خان ، ومات سنة ١٣٨٦ هـ = ٦ مارس ١٩٦٦ م ، وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٧ م .

تَـوْنَـكْ

إمارة في «راجبوتانه» ، مساحتها أربعة عشر ومئة وألف ميل مربع ، ومجابيها نحو خمسة عشر لكّاً ، (مليون ونصف) وهي منقسمة على ستة أقطاع : (١) تونك (٢) بندّاوه (٣) علي كدّه ، (٤) جهبرّه ، (٥) نيماهيرّه ، (٦) سرونج ، ويسكن أميرها في «تونك» ، وهي بلدة قديمة على نهر «بناس» على خمسين ميلاً من جيبور ، وأميرهم من الأفاغنة ، أولهم نواب ميرخان بن حياة خان بن طالع خان النبيري ، خدم مدة في «راكهو كدّه» ، ثم في بهوبال ، ثم دخل في «اندور» ، وخدم راجه «جسونت راؤهولكر» ، ثم تدرج إلى القيادة ، وحصلت له أقطاع من الأرض في «راجبوتانه» وقطعة في «مالوه» ، وعقد الصلح عليها بالإنكليز سنة ١٨١٧ م ، وامتدَّت أيامه إلى سبع عشرة سنة ، مات سنة ١٨٣٤ هـ .

فولي بعده ولده نواب وزير الدولة ، وكان أميراً باذلاً فاضلاً ، من أصحاب سيدنا الإمام أحمد بن عرفان البريلوي الشهيد ، لم يكن مثله أحد من الأمراء في اتباع السنة السنية ، مات سنة ١٨٦٤ م ، فولي ولده نواب محمد علي خان ، وكان تلواً لأبيه في العلم والعمل ، ولكنه كان شديد البطش ، قوي الهمة ، كجده ميرخان ، ولذلك خلعه الإنكليز سنة ١٨٦٧ م ، فولي بعده ولده نواب إبراهيم علي في صغر سنه ، وهو أيضاً حليم كريم يقتفي آثار أبيه وجده في اتباع الشريعة المطهرة في الجملة ، وهو يناهز السبعين ، وله أبناء كثير ، أكبرهم عبد الحفيظ خان ، وكان ولي عهده ، [فمات في حياة أبيه ، ومات إبراهيم علي خان في ٢٥ من محرم سنة ١٣٤٩ هـ = ٣٠ يونيو ١٩٣٠ م ، وخلفه النواب سعادت علي خان ، ومات غرة رجب ١٣٦٦ هـ؛ وخلفه النواب فاروق علي خان ، ومات غرة صفر ١٣٦٧ هـ ، وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٧ م].

بَـهَـاوَلْ بُـوْر

إمارة في إقليم السند ، مساحتها (١٥٩١٨) ميل مربع ، ومجابيها نحو اثنتين

وعشرين لكًّا ، (مليونان ومئتا ألف) ، وهي تحت إمرة أسرة عباسية ، أسسها نواب صادق محمد خان العباسي ، ومات سنة ١٧٤٦ م ، فولي بعده نواب محمد بهاول خان الأول ، ومصَّر بلدةً كبيرة بنواحي «ملتان» ، وسماها باسمه «بهاول بور» في عهد محمد شاه الدهلوي سنة ١٧٤٨ م ، ومات سنة ١٧٤٩ م ، فولي مكانه صنوه نواب محمد مبارك خان ، ومات سنة ١٧٧٢ م ، فولي بعده ابن أخيه نواب محمد بهاول خان الثاني ، ولقبه شاه عالم الدهلوي ، ركن الدولة نصرت جنك ، مخلص الدولة حافظ الملك ، فتوارثها نسله بعده ، مات سنة ١٨٠٩ م ، فولي ولده نواب صادق محمد خان الثاني ، وقتل سنة ١٨٢٥ م ، فولى بعده نواب بهاول خان الثالث ، واستنصر الإنكليز في حربه بطائفة السيخ ، مات سنة ٨٥٢ م ، فولي بعده ولده سعادت يارخان ، ولقب نفسه نواب صادق محمد خان الثالث ، وقاتله أخوه «فتح يارخان» فقبض عليه ، وولي الملك ونصر الإنكليز في الثورة العامة في الهند ، مات سنة ١٨٥٨ م ، فولي ولده نواب محمد بهاول خان الرابع ، ومات سنة ١٨٦٦ م ، فولي ولده نواب صادق محمد خان الرابع ، ومات سنة ١٨٩٩ م ، فولي بعده ولده نواب بهاول خان الخامس ، ورحل إلى الحجاز للحج والزيارة ، فمات بعدن سنة ١٩٠٧ م وقت إيابه من ذلك السفر المبارك ، فولي بعده ولده نواب صادق محمد خان الخامس ، وهو طفل صغير لقبه «ركن الدولة نصرت جنك» مخلص الدولة حافظ الملك ، [وألغيت الإمارة في عهده] ١٤/ اكتوبر ١٩٥٥ م .

جَـوْنَـا كَـدّه

إمارة في كجرات ، مساحتها (٣٢٨٣) ميل مربع ، ومجابيها نحو خمسة عشر لكًّا ، (مليون ونصف مليون) ، و«جونا كدّه» بلدة كبيرة من بلاد «كاتهياوار» ، يسكن بها أمير تلك الناحية من أبناء نواب شيرخان ، وهو الذي أسس تلك الرئاسة في عهد محمد شاه الدهلوي ، مات سنة ١٧٥٨ م ، فولي ولده نواب مهابت خان ، ومات في شبابه سنة ١٧٧٥ م ، فولي ولده نواب حامد خان الأول ، ومات سنة ١٨١١ م ، ثم ولي ولده نواب بهادر خان ، وانعقد الصلح بينه وبين الإنكليز ، مات سنة ١٨٤٠ م ، فولي بعده ولده نواب مهابت خان

الثاني وامتدَّت أيامه إلى مدَّة طويلة ، مات سنة ١٨٩٢ م ، فولي ولده نواب محمد رسول خان ، ومات ، فولي بعده ولده نواب شير زمان خان ، وخلفه نواب محمد مهابت خان [وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٧ م].

خَيَرْ بُور

مساحتها (٦٠٥٧] ميلاً مربعاً في ولاية السند ، أسسها مير فتح علي خان «تالبور» البلوجي ، سنة ١٨٨٣ م ، وولي ملكه بعد ابن أخيه ميرسهراب خان ، ووسع ملكه إلى صحزاء «جيسلمير» ، وانعقد الصلح بينه وبين الإنكليز سنة ١٨٣٢ م ، وولي بعده ولده مير علي مراد خان ، وتولى المملكة خمساً وستين سنة ، مات سنة ١٨٩٤ م ، وله إحدى وثمانون سنة ، وولي بعده ولده ميرفيض محمد خان ، ومات سنة ١٩٠٩ م ، ثم ولي ولده مير إمام بخش خان ، ومات سنة ١٩٢١ م ، [وخلفه مير علي نوازخان المتوفى ١٩٣٥ م ، وخلفه مير فيض محمد خان تال بور ، وألغيت الإمارة في عهده] ١٤/ اكتوبر ١٩٥٥ م.

بَالَنْ بُور

إمارة ، مساحتها (٣١٧٧) ميلاً مربعاً في كجرات ، ومجابيها نحو خمسين ألفاً وأربعة لكوك ، وهي بأيدي أسرة أفغانية مهدوية من أتباع السيد محمد الجونبوري المتمهدي المشهور ، وانتقل رأسهم ورئيسهم من «بهار» إلى «مارورار» في عهد محمد شاه التغلق ، وسكن بجالور ، وقاتل الكفار ، فغلب عليهم ، وتوارثت الإمارة في أبنائه بجالور إلى عهد شاهجهان الدهلوي ، فلما ولي عالم كير على «كجرات» من تلقاء والده ، أخذ عنهم «جالور» ، وأقطعهم «بالن بور» ، وكان حينئذ الأمير مجاهد خان رئيس تلك الطائفة ، فاستولى على «بالن بور» ، وأحسن إلىّ الناس ، مات سنة ١٠٧٤ هـ ، فولي ابن أخيه كمال خان المتوفى سنة ١١١٨ هـ ، ثم ولده فيروز خان المتوفى سنة ١١٣٢ هـ ، ثم ولده كريم داد خان المتوفى سنة ١١٤٨ هـ ، ثم ولده «بهار خان» المتوفى سنة ١١٥٧ هـ ، ثم ولي عمه «بهادر خان» بن فيروز خان ، ومات سنة ١١٩٧ هـ ، ثم ولي ولده سليم خان ، ومات سنة ١٢٠٠ هـ ، فولي ولده شيرخان ، ومات

سنة ١٢٠٧ هـ ، وولي بعده شمشير خان بن عثمان خان بن مجاهد خان بن عثمان خان بن فيروز خان المتقدم ذكره ، وعزل في ١٢١٠ هـ ، فولي بعده فيروزخان بن فتح خان الذي كان أخاً كبيراً لكمال خان المتقدم ذكره ، وقتل في سنة ١٢٢٧ هـ ، فولي ولده فتح خان ، وصار في ظل حماية الدولة الإنكليزية ، ومات سنة ١٢٧٠ هـ ، فولي ولده ديوان «زور آور خان» ، ومات سنة ١٢٩٤ هـ ، فولي ولده نواب «سرشير محمد خان» زبدة الملك ، وله أولاد ، أكبرهم «طالع يارخان» فخلف أباه في سنة ١٩١٨ م ، وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٧ م ، مات سنة ١٩٥٧ م.

رَادَهَنْ بُــوْر

إمارة في «كجرات» ، مساحتها (١١٥٠) ميلاً مربعاً ، ومجابيها نحو خمسة لكوك ، يسكن بها أمير تلك الناحية ، وهو من نسل بهادر خان البابي ، الذي قدم الهند في عهد شاه جهان التيموري ، وولي الخدمات الجليلة ، ثم ولي ولده شيرخان ، ثم ولده جعفر خان ولي ناحية «رادهن بور» سنة ١٦٩٣ م ، ثم ولي ولده «خانجهان خان» ، وأقطعه سلطان الهند ناحية «رادهن بور» ، ثم لولده كمال الدين خان ، وتوارثت تلك الأقطاع في أولاده ، وصالحهم الإنكليز سنة ١٨٢٠ م ، فلما مات نواب شيرخان سنة ١٨٢٥ م ، ولي بعده مير آدم ، ثم نواب «زور آورخان» واستقلَّ بالملك إلى سنة ١٨٧٤ م ، ثم ولي نواب بسم الله خان ، ثم مير آدم ، ثم نواب محمد شير خان. [المتوفى ١٩٠٩ م وخلفه جلال الدين خان جي المتوفى ١٩٣٧ م ، وخلفه مرتضى خان جي جواهر خان جي ، وألغيت الإمارة في عهده].

جَــاوْرَهْ

إمارة في «مالوه» ، مساحتها (٥٦٨) ميلاً مربعاً ، ومجابيها نحو ثمانية لكوك (ثمانمئة ألف) ، أسسها نواب غفور خان ، وصالح الإنكليز سنة ١٨١٨ م ، مات سنة ١٨٢٥ م ، فولي بعده نواب غوث محمد خان ، وامتدَّت أيامه إلى زمانٍ طويلٍ ، مات سنة ١٨٦٥ م ، فولي ولده نواب إسماعيل خان ، ومات سنة

١٨٩٥ م ، فولي ولده نواب افتخار علي خان ، [المتوفى ١٩٤٧ م ، وألغيت الإمارة في عهده].

[قَـلاَتْ]

[كانت إمارة «قلات» ممتدةً من وسط «بلوجستان» إلى الجنوب الغربي ، مساحتها (١٤١٧٠٧) كيلو متراً مربعاً ، وكانت منقسمة بين أربعة أجزاء ، وهي: سروان ، جهلوان ، كجهي ، مكران ، يحكمها وزير أو نائب عن الأمير.

يبلغ عدد نفوسها إلى (٤٩٢٤٠٦) عند الاستقلال ، ومجابيها (٢٢٥٦٠٠٠) ربية ، وقد آثرت الانضمام إلى باكستان عند الاستقلال في ١٤/اكتوبر ١٩٥٥ م.

وقد كان تأسيس هذه الإمارة على يد نصير خان الأول في القرن الثامن عشر المسيحي ، ومات سنة ١٧٩٥ م ، وخلفه ولده محمود خان ، ومات سنة ١٨١٩ م ، وتولى الحكم محراب خان.

وكانت تتمتع بشبه استقلال تحت سيادة «أفغانستان» أيام نفوذ الشركة الشرقية الهندية ، وأنهى بذلك العلاقة بأفغانستان ، وقبل حماية الشركة ، ومات نصير خان سنة ١٨٥٧ م ، وخلفه خدا دادخان ، وتنازل عن العرش لولده محمود خان سنة ١٨٩٣ م ، ومات سنة ١٩٣١ م ، وخلفه أخوه الأصغر محمد أعظم جان خان ، ولكنه لم يلبث أن مات سنة ١٩٣٣ م ، وخلفه ولده أحمد يارخان ، واستمرَّ إلى سنة ١٩٤٧ م ، حين قامت باكستان ، وكانت اللغة السائدة في الإمارة «البلوجية» و«الفارسية»].

[كَـمْبَـيْ]

[وهي تقع في ولاية كجرات ، مساحتها (١٠١٥) كيلو متراً مربعاً ، وعدد النفوس فيها (٩٦٥٠١] ، ومجابيها (١٨٨٧٠٠٠) ربية سنوياً.

وقد تأسست في عهد حاكم كجرات من قبل الحكومة المغولية مرزا جعفر

نظام الثاني ، المعروف بمؤمن خان الذي كان شيعياً ، وقد ألغيت الإمارة في عهد مرزا حسين ياورخان ، الذي اعترف به حاكماً سنة ١٩٣٠ م].

كَهمْبَايَتْ

إمارة في كجرات ، مساحتها (٣٥٠) ميلاً مربعاً ، ومجابيها خمسة لكوك (نصف مليون) ، أسسها مرزا جعفر المشهور بمؤمن خان ، وولي عليها ختنه نظام خان ، فلما مات مرزا جعفر سنة ١٧٤٢ م ، وقام ولده مفتخر خان ، وقتل نظام خان المذكور ، وولي مكانه بكهمباية ، واستقلَّ بالملك إلى سنة ١٧٨٤ م ، ثم ولي بعده ختنه محمد قلي خان ، مات نحو سنة ١٧٩٠ م ، ثم ولي ولده فتح علي خان وصالح الإنكليز ، مات سنة ١٨٢٣ م ، فولي صنوه نواب «بنده علي خان» ، مات سنة ١٨٤١ م ، فولي ابن أخيه نواب حسين ياور خان ، مات سنة ١٨٨٠ م ، فولي بعده نواب جعفر علي خان ولقبه «نجم الدولة ممتاز الملك مؤمن خان بهادر دلاور جنك» ، [وخلفه ولده نواب مرزا حسين ياور خان ، ولقبه «نجم الدولة ممتاز الملك نجم ثاني» ، وفي عهده ألغيت الإمارة ، وضمت إلى الجمهورية الهندية].

مَالِيرْ كَوْتَلَهْ

إمارة في بنجاب ، مساحتها (١٦٥) ميلاً مربعاً ، ومجابيها خمسمئة ألف ، وهي لأبناء الشيخ صدر الدين بن أحمد بن المليح القتال الداربهني ، المتوفى سنة ٩٢١ هـ ، قدم الهند سنة ٨٧٤ هـ ، وأقام على نهر «ستلج» ، واشتغل بالعبادة ، فاجتمع به «بهلول اللودي» ، وأحسن الظن ، وزوجه ابنته ، وأقطعه عدة قرى في تلك الناحية ، فعمر لها قرية سماها «مالير» فتوارثت في نسله ، أسس بايزيد بن فتح محمد إسحاق بن شاه محمد بن عيسى بن صدر الدين المذكور قريباً من «مالير» قلعةً صغيرة ، وهي التي يسمونها «كوتله» ، فوليها بعده ولده نواب فيروزخان المتوفى سنة ١٠٨٣ هـ ، ثم ولده نواب شير محمد خان ، وهو الذي أسس قلعة شيربور ، مات سنة ١١٢٤ هـ ، وولي بعده ولده غلام حسين ، ثم صنوه جمال خان ، وأذعن الطاعة لأحمد شاه الدراني ، مات

سنة ١١٦٩ هـ ، ثم ولي بعده نواب «بهيكن خان» المتوفى سنة ١١٧٧ هـ ، ثم صنوه «بهادر خان» ، ثم صنوه عمر خان ، ثم أسد الله خان ، ثم عطاء الله خان ، ثم نواب وزير خان بن بهيكن خان بن جمال خان ، وأذعن الطاعة للإنكليز ، مات سنة ١٨٢١ م ، ثم ولده نواب أمير خان المتوفى سنة ١٨٢٢ م ، ثم ولده نواب محبوب علي خان المتوفى سنة ١٨٥٧ م ، ثم ولده نواب سكندر علي خان المتوفى سنة ١٨٧١ م ، ثم ولي نواب إبراهيم علي خان ، [وخلفه نواب أحمد علي خان ، وحكم مدَّةً طويلة (١٩٠٨ م ـ ١٩٤٧) وخلفه النواب افتخار علي خان ، وفي عهده ألغيت الإمارة].

بَـالاسْنَـوْر

إمارة في أرض كجرات ، مساحتها (١٨٩) ميلاً مربعاً ، ومجابيها نحو خمسين ومئة وألف ، وهي بأيدي أبناء شير خان البابي ، أولهم سردار خان بن شيرخان المذكور ، ثم ولده «جمعيت خان» ، ثم صلابت خان المتوفى سنة ١٨٣٠ م ، ثم ولي ابن عمه عابد خان ، وعزلوه سنة ١٨٢٢ م ، فولي صنوه «عبدل خان» ومات سنة ١٨٣١ م ، فولي بعده نواب «زور آور خان» وامتدَّت أيامه إلى زمان طويل ، مات سنة ١٨٨٢ م ، فولي بعده ولده نواب منورخان.

بَـاؤِنـي (كـدوره)

إمارة في «بنديلكهندّ» ، مساحتها (١٢٢) ميلاً مربعاً ، ومجابيها مئة ألف ، قنع عليها نواب عماد الملك بن غازي الدين بن قمر الدين الصديقي الوزير بعدما خرج من دهلي ، وولي بعده نواب نصير الدولة ، وتوسل إلى الإنكليز ، مات سنة ١٨١٥ م ، فولي بعده ولده نواب أمير الملك ، ومات سنة ١٨٥٩ م ، فولي بعده ولده نواب مهدي حسين واستقلَّ بها زماناً ، ثم اعتزل ، وأقام مقامه ولده نواب محمد حسين سنة ١٨٨٣ م ، ثم ولي ولده نواب رياض الحسن ، ثم ولي ولده نواب مشتاق الحسن ، ولقبه «أعظم الأمراء افتخار الدولة صاحب جاه مهين سردار ظفر جنك» [وألغيت الإمارة في عهده ١٩٤٧ م].

جَنْجِيْرَةْ

إمارة في مقاطعة بمبئي ، مساحتها (٣٢٤) ميلاً مربعاً ، وكانت مجابيها (١٦٠٠٠٠٠) ربية ، عند استقلال الهند ، وهي بأيدي الأحباش ، الذين كانوا مملوكين لملوك أحمد نكر ، ولما تسلَّطت عليها السلاطين التيمورية ، أذعنوا لهم الطاعة ، ومنهم سيدي عنبر ، وهو أول من استقلَّ بالملك ، مات سنة ١٦٤٢ م ، ثم ولي سيدي يوسف خان ، ثم سيدي فتح خان ، ثم خيرات خان ، ثم يعقوب خان ، ثم سرل خان ، ثم سنبل خان ، ثم عبد الرحمن خان ، ثم حسن خان ، ثم سيد خان ، ثم إبراهيم خان ، ثم محمد خان ، ثم جوهر خان ، ثم جمرود خان ، ثم إبراهيم خان ، ثم محمد خان ، ثم إبراهيم خان ، وهو أذعن الطاعة للإنكليز ، مات سنة ١٨٧٩ م ، فولي بعده ولده سيدي أحمد خان ، وخلفه محمد خان ، وفي عهده ألغيت الإمارة .

سِجِيْن

إمارة في مقاطعة بمبئي[١] ، مساحتها (٤٢) ميلاً مربعاً ، أميرها من أبناء أحباش «جنجيره» ، خرج منها «بالوميان» سنة ١٧٨٤ ، فأقطعه المرهتة هذه القطعة ، مات سنة ١٨٠٢ م ، فولي بعده ولده سيدي إبراهيم محمد ياقوت خان ، ومات سنة ١٨٥٣ م ، فولي ولده عبد الكريم خان ، ومات سنة ١٨٦٨ م ، فولي ولده إبراهيم محمد ياقوت خان الثاني ، ومات سنة ١٨٧٣ م ، فولي ولده عبد القادر خان ، وتنازل عن الإمارة لولده الذي لم يبلغ سن الرشد ، فتولت حكومة الهند إدارة الإمارة ، حتى تسلَّم زمام الحكم إبراهيم محمد ياقوت خان الثالث سنة ١٩٠٧ م ، واستمرَّ إلى سنة ١٩٣٠ م ، فخلفه ولده سيدي محمد حيدر خان ، وفي عهده ألغيت الإمارة .

تذييل وتكميل

[لما كانت وفاة المؤلف في أوائل سنة ١٩٢٣ م = ١٣٤١ هـ ، وحدثت بعد

---

(١) انقسمت هذه الولاية إلى قسمين : قسم يسمى الآن «مهاراستر» ، وقسم يسمى «كجرات» ، وإمارة «سجين» تقع في ولاية كجرات الجديدة .

وفاته حوادث جسام في الهند ، قررت مصيرها ، وغيَّرت خريطتها السياسية ، والإدارية ، واستقلّت البلاد ، وحصل التقسيم ، وبرزت إلى الوجود الهند الحديثة المستقلة ، اقتضى ذلك استعراضاً جديداً للتطورات السياسية والإدارية ، ووضع البلاد ، وإحصائيات جديدة.

وقد قام بهذا الاستعراض الوجيز نجل المؤلف الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني ، مدير ندوة العلماء[1] ، فندرجه في الكتاب «تذييلاً وتكميلاً» له ، بعد إدخال زيادات وتغييرات حدثت بعد وفاته].

استقلال الهند في سطور:

في سنة ١٩٢٠ م سرت في حركة الاستقلال بالهند موجةٌ جديدةٌ من القوة والاندفاع ، وأصبحت تتقدَّم تقدُّماً مطَّرداً ، وفي سنة ١٩٤٥ م وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وخرج الإنجليز من هذه الحرب ـ رغم أنهم كانوا فاتحين غزاةً ـ منهوكي القوى ، خائري الأعصاب ، وقد كان الجاري والمعمول به قبل الحرب ، أن التجنيد كان يختصُّ بطبقات خاصَّة من الهنود ، ممن كانت وفيةً لبريطانيا ، فاتسع نطاقه في أثناء الحرب ، وشمل مختلف الطبقات والعناصر ، وكان في هذه الطبقات رجال تأثروا بالحركة الوطنية ، وتجاوبوا معها ، فلما انتهت الحرب قامت كل من القوات الجوية ، والبحرية ، والبرية ، وضباط الجيش والجنود ، والضباط المدنيون يؤيدون الحركة التحريرية جهاراً ، وعلى وجه عام ، وتضامنوا معها علناً ، وأصبحوا يبدون عواطفهم ورغباتهم بمرأى من الإنجليز ومسمع ، وقد حدث في خلال ذلك أن «سوبهاش جندربوس» نظم القوات الهندية التي وقعت أسيرة في أيدي اليابان ، وكون منها جيشاً هندياً وطنياً ، وصادف هذا الحادث الانتخابات العامة في بريطانيا ، فاز فيها حزب العمال بأكثرية ساحقة.

وفي عام ١٩٤٦ م أرسلتَ حكومة العمال وفداً وزارياً إلى الهند ، كان الغرض منه بدء المفاوضات مع المؤتمر الوطني الهندي ، والرابطة الإسلامية (مسلم ليك) ، ووضع مشروع لاستقلال الهند ، وقد نجح الوفد بموافقة كلا

---

(١) توفي سنة ١٩٦١ م = ١٣٨٠ هـ.

الفريقين في وضع خطة للهند المتحدة المستقلة ، وكان المشروع يتلخَّص في أنَّ الدفاع ، والشؤون الخارجية ، والمواصلات تتعلق بالحكومة المركزية ، بينما تكون الولايات بما فيها من ولايات ذات أكثرية مسلمة ، مستقلةً في شؤونها الأخرى.

في عام ١٩٤٦ م ، ترك مولانا أبو الكلام آزاد رئاسة المؤتمر الوطني بعد أن استمر سبع سنوات كاملة رئيساً له ، وخلفه جواهر لال نهرو ، وعقد مؤتمراً صحفياً ، قال فيه رداً على سؤال : «إنَّ مجلس التشريع ، هو الذي يضع دستور الهند غير مقيد نفسه بحلف أو معاهدة» ، وهنالك رفض مسلم ليك هذا المشروع ، ومنذ ذلك اليوم نشأ الخلاف بين الهنادك والمسلمين ، ووقعت بينهما اشتباكاتٌ شديدةٌ.

وأرادت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٤٦ م أن تقيم حكومة وطنية في الهند لفترة الانتقال ، وكانت النتيجة أن قامت في الهند حكومة أهلية مؤلفة من المؤتمر الهندي الوطني ، ومسلم ليك ، وذلك بمحاولة الحاكم العام «اللورد ويول» ، ولكنها لم تلبث أن اعترضت في طريقها عراقيل من أجل النزاع القائم بين المؤتمر الهندي ، ومسلم ليك ، وفي هذه الظروف أرادت حكومة «المستر إيتلي» أن تحدِّد وقتاً لاستقلال الهند ، وأما «اللورد ويول» نائب الملك في الهند ، فكان رأيه ألا تتعجَّل في هذه القضية ، بل ننتظر إلى أن تهدأ الخلافات بين الحزبين ، فيتفقان على مشروع الحكومة ، ولكن «المستر إيتلي» أصرَّ على رأيه رغم معارضتهما ، فاستقال «اللورد ويول» وغادر الهند ، فعيَّن «المستر إيتلي» «اللورد ماؤنت بيتن» مكانه في عام ١٩٤٧ م ، وجعله الحاكم الجديد ، وأمره بأن يعلن استقلال الهند قبل ٣٠ يونيو ١٩٤٨ م ، وهكذا كان ، وفي ١٤

أغسطس من نفس العام وقع التقسيم فعلاً .

وهنا برز سؤال ، وهو إذا كان يمكن أن تنضم البنجاب ، والبنغال إلى إحدى الدولتين ، أم توزع في كلتا الدولتين ، وتركوا هذا الأمر إلى رأي مجلس النواب لكلتا المقاطعتين ، وكان المسلمون في هاتين المقاطعتين في أغلبية ، ولكن تمثيلهم في تلك المجالس كان ضئيلاً على أساس «معاهدة لكهنؤ» بين الحزبين ، فقضت هذه المجالس بتقسيم المقاطعات بأن تؤخذ المناطق التي يكثر فيها المسلمون وتضم إلى الباكستان .

وكان المؤتمر الهندي الوطني يزعم أنه يتمتَّع بأكثرية في مقاطعة سرحد (الحدود الشمالية والغربية) ، كذلك في منطقة «سلهت» ، التي كانت جزءاً من آسام ، ولكن المسلمين كانوا في أكثرية في كلتا المنطقتين ، فقرروا أن يجري فيها الاستفتاء ، وكانت نتيجة ذلك أن انضمت هاتان المنطقتان إلى الباكستان ، وكذلك انضمت مقاطعة «سنده» و«بلوجستان» و«سرحد» وثلثا البنجاب من ناحيتها الغربية ، والمنطقة الشرقية من «بنغال» و«سلهت» إلى الباكستان ، والبقية انضمت إلى الهند مع جزائر «اندمن» و«نكوبار» و«لكاديب» .

أما الإمارات فقد انضمت إلى تلك المقاطعات التي كانت داخلة فيها ، وكانت بجوارها ، إلا «كشمير» ، فكانت حدودها تتصل بكلتا الدولتين ، وأراد «المهاراجا» أن تنضم إلى الهند ، ولكن قبائل باكستان لم ترض بذلك ، وهجمت على كشمير ، واستولت على ثلثها ، ورفعت القضية إلى هيئة الأمم ، ولا تزال محل النزاع والخلاف إلى الآن .

إلـغـاء الإمـارات :

ثمَّ قرَّرت الحكومة الهندية إلغاء الإمارات ، التي كانت تتمتَّع في عهد الإنجليز ، كما وصف في الكتاب بحكم ذاتي في الداخل تحت حماية الإنجليز ، وضمها إلى الحكومة المركزية بشروط خاصَّة ، وتعويضات ، ورواتب سنوية للأمراء ، تستمرُّ ذلك في رؤيتهم ، وكان ذلك في عام ١٩٤٧ م ، فألغيت حكومة الأمراء في هذه الإمارات منذ ذلك الحين ، وأذيب وجودها في الحكومة الهندية الوطنية ، إلا «حيدر آباد» ـ الإمارة الكبرى المسلمة ـ فقد تأخر إلغاؤها

إلى سنة ١٩٤٨ م ، ثم تمَّت العملية ، وانطمست معالم هذه الإمارات ، وانصهرت في بوتقة الهند العامة .

أما تعويضات الأمراء الموعود بها ، فقد تقرر أخيراً إلغاؤها ، هي الأخرى بمرسوم جمهوري أصدره رئيس الجمهورية الهندية «المستر جري» بطلب من رئيسة وزراء الحكومة «المسز غاندي» بنت رئيس الوزراء الأسبق «المستر نهرو» في متوسط عام ١٩٧٠ م ، ورفع «الأمراء» قضية إلغاء التعويضات ضدَّ الحكومة إلى محكمة الاستئناف العليا ، وبحثت المحكمة العليا تحت رئاسة رئيس القضاة في ذلك الحين المستر هداية الله في القضية ، وأصدرت حكمها أخيراً ببطلان الصلاحية من المرسوم الجمهوري في هذا الشأن ، وبصحة نص الدستور باستحقاق الأمراء للتعويضات ، ولكن من المتوقع أن يعدل الدستور الهندي بأغلبة ثلثي أصوات البرلمان ، ليصلح لإلغاء التعويضات ، أو تغييرها إلى شيء آخر ، قريباً .

مساحة الهند وباكستان بعد التقسيم :

الهند = ١٢٦٩٦٤٠ ميلاً مربعاً .

باكستان = الشرقية ٥٤٥٠١ ميلاً مربعاً = الغربية ٣١٠٢٣٦ ميلاً مربعاً .

لـغـات الهند المعترف بهـا

ينصُّ الدستور الهندي على أن لغة «هندي» هي لغة البلاد الرسمية ، ولكن الإنجليزية تبقى كلغة رسمية إلى أجلٍ معدود . ولغة «هندي» تختلف عن اللغة الأردية في الأسماء وحدها ، حيث إنَّ اللغة الأردية تقتبس ما تتجدَّد حاجتها إليه من الكلمات من اللغة العربية والفارسية كثيراً ، ومن اللغة الهندية والإنجليزية قليلاً ، ودامت إلى آخر عهد الإنجليز لغةً شبه رسمية في الهند ، بجنب اللغة الإنجليزية الرسمية الحكومية ، ولذلك دامت تتمتَّع بفهم الناس لها في أنحاء الهند ، بصورة أوسع من كل اللغات الهندية الأخرى ، غير أنَّ أغلبية سكان الهند لكونهم على الديانة الهندوسية ، وعلى حب وتقديس للغتها السنسكريتية الدارسة أحبوا بعد الاستقلال أن تحتل اللغة الهندية المحشوة بالكلمات السنسكرتية محل اللغة الرسمية في الهند ، فقرروا ذلك ، وسمحوا ببقاء اللغة

الإنجليزية في المجال العملي طيلة تستعد اللغة الهندية لاحتلال هذا المركز عملياً.

وإنَّ كثيراً من كلمات لغة «هندي» نفسها مشتركةٌ بينها وبين الأردية، ومقتبسة من العربية أو الفارسية، ولكن أصبح كثيرٌ من الكتاب لا يحبون استعمال هذه الألفاظ، وإن كانت سهلةً ومعقولةً، بل ويتعبون في استبدالها بما يمكن أن ينوب عنها من اللغة السنسكرتية أو الهندية.

واعترف الدستور الهندي بخمس عشرة لغة كبيرة من بين مجموعة اللغات الهندية الكثيرة، وأباح للولايات الهندية أن تختار كلٌّ واحدةٍ منها ما تحبها من هذه اللغات كلغة شعبية وثانوية، وهي كما يأتي:

(١) اللغة الإنجليزية (٢) اللغة التاملية (٣) اللغة البنغالية (٤) اللغة البنجابية (٥) اللغة الكشميرية (٦) اللغة المليالمية (٧) اللغة الكنرّية (٨) اللغة التلوجية (٩) اللغة الآسامية(١٠) اللغة المراهتية (١١) اللغة الكجراتية ١٢) اللغة الأورية (١٣) اللغة السنسكرتية (١٤) اللغة السندية (١٥) اللغة الأردية.

أما الباكستان فهي تتكلم باللغات التالية:

(١) البنغالية (٢) الأردية (٣) البنجابية (٤) السندية (٥) البشتوية (٦) الكشميرية، ولكن لغاتها الرسمية ثلاث: (١) الأردية (٢) البنغالية (٣) الإنجليزية، والعربية تدرَّس كمادة في جميع المدارس الثانوية في باكستان.

نسبة المسلمين في هذه البلاد

انتظمت الهند بعد استقلالها على أربع عشرة مقاطعة، تسع منها من درجة الولايات الكاملة، والبقية من درجة المقاطعات ذات النظام المختلف مع عدد من المناطق التي كانت الحكومة المركزية تشرف على حكمها مباشرة، ثم وقع تعديل في نظام الولايات، وتقرر تشكيلها على أساس اللغات الغالبة الانتشار فيها، ونفذ هذا التشكيل في عام ١٩٥٦ م، وتلت ذلك تعديلاتٌ خفيفةٌ فيما بعد، فأصبح عدد الولايات بعدها سبع عشرة ولايةٍ كاملة، وعشرة مناطق تابعة للحكم المركزي مباشرةً، وهي كما يلي:

١ ـ آندهرابرديش ، عاصمتها حيدر آباد ، واللغة الغالبة فيها هي اللغة التلوجية ، ويعترف باللغة الأردية فيها كلغة ثانية بعد التلوجية ، عدد سكانها نحو ستة وثلاثين مليوناً (٣٥٠٩٨٠٣) نسبة المسلمين فيهم ثمانية في المئة .

٢ ـ آسام ، عاصمتها شيلانك لغتها هي الآسامية ، وعدد سكانها نحو اثني عشر مليوناً (١١٠٨٧٠٢) نسبة المسلمين فيهم أربعة وعشرون في المئة .

٣ ـ بيهار ، عاصمتها «بتنه» ، وعدد سكانها ستة وأربعون مليوناً ونصف (٤٦٠٤٥٠٥) نسبة المسلمين فيها اثنا عشر ونصف في المئة .

٤ ـ مهاراسترا ، عاصمتها «بمباي» ، ولغتها الغالبة هي المراهتية ، وعدد سكانها نحو أربعين مليوناً (٣٩٠٥٥٠٣) نسبة المسلمين فيهم سبعة ونصف في المئة .

٥ ـ كجرات ، عاصمتها «أحمد آباد» ، ولغتها الغالبة هي الكجراتية ، وعدد سكانها عشرون مليوناً ونصف (٢٠٠٦٣٠٣) نسبة المسلمين فيهم ثمانية ونصف في المئة .

٦ ـ كشمير وجمون ، عاصمتها «سري نجار» لغتها الرسمية الإقليمية هي اللغة الأردية ، أما لغتها الشعبية فهي الكشميرية ، وعدد سكانها خمسة وثلاثون مليوناً ونصف مليون (٣٥٥٦٠٠٠٠) نسبة المسلمين فيهم هي فوق ثمانية وستين في المئة .

٧ ـ كيراله ، عاصمتها «تراوندرم» ، ولغتها الغالبة المليالم ، وعدد سكانها نحو سبعة عشر مليوناً (١٦٠٠٩٠٠٣) نسبة المسلمين فيهم نحو ثمانية عشر في المئة .

٨ ـ مدهيا برديش ، عاصمتها «بهوبال» ، وعدد سكانها اثنان وثلاثون مليوناً ونحو نصف مليون (٣٢٠٠٣٧٠٢) نسبة المسلمين فيهم أكثر من أربعة في المئة .

٩ ـ تامل نادو ، (مدراس سابقاً) عاصمتها «مدراس» ، ولغتها هي التاملية ، وعدد سكانها ثلاثة وثلاثون مليوناً وأكثر من نصف مليون (٣٣٠٠٦٨٠٦) نسبة المسلمين فيهم أكثر من أربعة ونصف في المئة .

١٠ ـ ميسور عاصمتها بنغلور ، لغتها هي الكنرية ، أما المسلمون فيها فيتكلمون بالأردية كذلك ، وعدد سكانها ثلاثة وعشرون مليوناً ونصف مليون (٢٣٠٠٥٨٠٦) نسبة المسلمين فيهم نحو عشرة في المئة .

١١ ـ أوريسه عاصمتها «بهنيشوز» ، لغتها هي الأورية ، عدد سكانها سبعة عشر مليوناً ونصف مليون (١٧٠٠٥٤٠٨) نسبة المسلمين فيهم أكثر من واحد في المئة .

١٢ ـ البنجاب عاصمتها جندي كره ، (الهند) ، لغتها هي البنجابية ، ويعرف أهلها الأردية كذلك ، وعدد سكانها عشرون مليوناً (٢٠٠٠٣٠٠٦) نسبة المسلمين فيها بعد التقسيم نحو اثنين في المئة ، أما قبل التقسيم فكانت نحو أربعين في المئة .

١٣ ـ هريانه ، تماثل البنجاب في التفاصيل ، وتشابه منطقة دهلي العاصمة في الخصائص .

١٤ ـ راجستان عاصمتها جيبور ، عدد سكانها عشرون مليوناً (٢٠٠٠١٥٠٥) نسبة المسلمين فيهم ستة ونصف في المئة .

١٥ ـ اترابرديش ، عاصمتها «لكهنؤ» ، لغتها المعترف بها هي «هندي» غير أن أهلها يتكلمون بالأردية ممزوجة بالكلمات الهندية وغير ممزوجة ، ويسمونها رسمياً بهندي ، عدد سكانها نحو أربعة وسبعين مليوناً (٧٣٠٠٧٤٠٦) نسبة المسلمين فيهم ما يقارب خمسة عشر في المئة .

١٦ ـ البنغال الغربية ، عاصمتها «كلكتة» ، لغتها هي البنغالية ، عدد سكانها نحو خمسة وثلاثين مليوناً (٣٤٠٠٩٢٠٦) نسبة المسلمين فيهم نحو عشرين في المئة .

١٧ ـ ناجالنده ، ولاية شكلت من أجزاء الولاية الآسامية ، وهي منطقة جبلية ، عدد سكانها أقل من نصف مليون (٣٦٠٠٠٩) نسبة المسلمين فيهم ضئيلة جداً .

والبقية هي مناطق تابعة لإدارة الحكومة المركزية ، وهي (١) جزائر «اندمان» و«نكوبار» (٢) بشاندي كره (٣) دادر وناجر حويلي (٤) جزائر «لكاديب» ،

وأرمني ديب ، وسكانها ستة وعشرون ألفاً (٢٦٠٠٠) كلهم مسلمون (٥) جوادمن ديو (٦) مني كوئي رامين ديوي (٧) بانديشري (٨) مني بور (٩) ترى بورا (١٠) همانشل برديش ، وأصبحت أخيراً ولاية كاملة مثل ولايات هندية كاملة أخرى.

عدد سكان جميع هذه الولايات سبعة ملايين ونصف مليون نسمة (٧٥٠٠٧٠٢) نسبة المسلمين فيهم أكثر من ثمانية في المئة[١].

في الباكستان مقاطعتان : باكستان الغربية ، وباكستان الشرقية[٢].

الجانب الغربي يضم بنجاب ، وسرحد ، وسنده ، وبلوجستان ، والإمارات[٣].

نصف كشمير تقريباً تحت سيطرة الباكستان.

عدد سكان أهل باكستان حسب إحصاء عام ١٩٦٧ م[٤].

مجموع النفوس : ١١٠,٠٠٠,٠٠٠ (١١٠ مليون نفس).

وعدد المسلمين ٩٦,٨٠٠,٠٠٠ (٩٦ مليون وثمانمئة ألف) ونسبتهم ٨٨٪.

* * *

---

(١) الأعداد التابعة للبلاد الهندية مقتبسة من نتائج الإحصاءات التي أجرتها الحكومة الهندية في عام ١٩٦١ م.

(٢) وهي الآن تجتاز بمرحلة انتقال واضطراب ، ولم يتقرَّر مصيرها حين كتابة هذه السطور.

(٣) وقد ألغيت هذه الإمارات ١٤/ اكتوبر سنة ١٩٥٥ م ، كما كان في الهند.

(٤) حسب ما جاء في تقرير الأمم المتحدة.

جدول أصحاب الديانات في الهند حسب إحصاء ١٩٦١ م[١]

عدد السكان المسلمين بتفصيل المقاطعات والمناطق

(١) آندهرا ٢٠٠٠٧٢٥ مليون نفس
(٢) آسام ٢٠٠٠٧٦٥ مليون نفس
(٣) بيهار ٥٠٠٠٧٨٥ مليون نفس
(٤) كجرات ١٠٠٠٧٤٥ مليون نفس
(٥) كشمير وجمون ٢٠٠٠٤٣٢ مليون نفس
(٦) كيرالا ٣٠٠٠٠٢٨ مليون نفس .
(٧) مدهيا برديش ١٠٠٠٣١٧ مليون نفس
(٨) تامل نادو ١٠٠٠٥٦٠ مليون نفس
(٩) مهاراشترا ٣٠٠٠٠٣٤ مليون نفس
(١٠) ميسور ٢٠٠٠٣٢٨ مليون نفس
(١١) أريسه ٠٠٠٠٢١٥ مليون نفس
(١٢) ناجلاند ٠٠٠٠٠٠ مليون نفس
(١٣) بنجاب وهريانه ٠٠٠٣٩٣ مليون نفس .
(١٤) راجستان ١٠٠٠٣٤ مليون نفس
(١٥) أتربرديش ١٠٠٠٠٧٨٨ مليون نفس

---

(١) وقد جرى الإحصاء سنة ١٩٧١ م ولم تعلن النتائج إلى آخر هذه السنة فاعتمدنا على الإحصاء الماضي ، أما تقديراً فعلمنا أنَّ زيادة السكان في هذه السنوات العشر كانت بربع العدد السابق للسكان .

(١٦) بنغال ٦٠٠٠٩٨٥ مليون نفس

(١٧) المناطق المركزية ٠٠٦١٩ مليون نفس

المجموع ٤٧٠٠٠٠٣٣ مليون نفس

مجموع السكان الهنادك ٣٦٦٠٠٠٠٥٠٠ مليون نفس مجموع السكان البوذيين ٣٠٠٠٠٢٥٠ مليون نفس

مجموع السكان السيخ ٧٠٠٠٨٤٥ مليون نفس مجموع السكان الآخرين ١٠٠٠٦٠٦ مليون نفس

مجموع السكان المسيحيين ١٠٠٠٠٧٢٦ مليون نفس مجموع السكان المسلمين ٤٧٠٠٠٠٠٤٠ مليون نفس

مجموع السكان الجينيي ٢٠٠٠٠٢٧ مليون نفس

المجموع ٤٣٨٠٩٩٤ مليون نفس

وترتيبهم على حسب الأكثرية ونسبتهم المئوية

الهنادك	٨٣٠٠٠٥١	البوذيون	٠٠٠٧٤
المسلمون	١٠٠٠٠٧٩	الجينيون	٠٠٠٤٨
المسيحيون	٠٢٠٠٠٤٤	الآخرون	٠٠٠٣٧
السيخ	٠١٠٠٠٧٩		

* * *

الفن الثالث ـ في الخطط والآثار وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول
في خطة الملوك وعاداتهم في السلطنة ، وفيه عدة فصول

الفصل الأول ـ في خطة الملوك في الأحكام السياسية

اعلم أنَّ الناس يرون أنَّ الأحكام على قسمين: حكم الشرع ، وحكم السياسة؛ فالشريعة هي ما شرع الله تعالى من الدين ، وأمر به ، كالصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وسائر أعمال البر[1].

والسياسة: القانون الموضوع لرعاية الآداب، والمصالح، وانتظام الأحوال، وهي نوعان: (١) سياسة عادلة، وهي إقامة الأمور على أحسن مسلك، والإنصاف للمظلوم من الظالم ، والوفاء بالذمة ، وتأمين السبل ، ونشر المعارف ، وبثِّ كلِّ خير وفضيلة ، ودفع القبائح والمظالم ، ويدخل فيها جميع الأمور اللائقة بالمملكة لتجنيدِ الجند ، وصيانة الثغور ، ومدافعة العدو ، ونحو ذلك فهي من الأحكام الشرعية؛ (٢) سياسة ظالمة ، وهي بخلاف العدالة ، فالشريعة تحرمها ، وأول من وضع «القانون» هو «جنكيز خان» القائم بدولة التتر في بلاد الشرق ، فإنَّه قرَّر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه «ياسة» ، فحرفها

---

(١) هذه حكاية ما اعتقده الناس في العصر الأخير من فصل الدين عن السياسة ، وهو مبدأ مسيحي ، وقد ذهب إليه ، ودان به كثيرٌ من المسلمين في عصور الانحطاط ، ولا يقرَّه الإسلام الذي لا يقبل التجزيء ، وليس ذلك عقيدة المؤلف ، وإنما ذكره كمؤرخ.

الناس ، وزادوا بأولها سيناً ، فقالوا «سياسة» ، وأدخلوا عليها الألف واللام ، فلما مات «جنكيز خان» المذكور التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم «الياسة» وجعلوا ذلك ديناً لهم ، ولم يعرف عن أحد منه مخالفته بوجه من الوجوه ، فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق ، والشمال ، وبلاد «قبجاقَ» ، وأسروا كثيراً منهم ، وباعوهم ، وتنقلوا في الأقطار ، وصاروا إلى أرض الهند ، وانتشرت عاداتهم بها ، وطرائقهم ، وكانوا ربوا بدار إسلام ، وتلقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل ، وفوضوا قاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، وناطوا به أمر الأوقاف ، والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية ، كتداعي الزوجين ، وأرباب الديون ، ونحو ذلك ، واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع إلى حكم السياسة ، فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عاداتهم ، والأخذ على يد قويهم ، وإنصاف الضعيف منه على مقتضى السياسة.

ومن ذلك القانون السياسي: أنَّ من زنى قتل ، ومن تعمَّد الكذب ، أو سحر ، أو تجسس على أحد ، أو دخل بين رجلين وهما يتخاصمان ، وأعان أحدهما على الآخر قتل ، ومن أعطي بضاعةً فخسر فيها ، فإنه يقتل بعد الخسارة الثالثة ، ومن وجد عبداً هارباً ، أو أسيراً قد هرب ، ولم يرده على من كان في يده قتل ، ومن وقع حمله ، أو قوسه ، أو شيء من متاعه ، وهو يكر أو يفر في حالة القتال ، وكان وراءه أحد فإنه ينزل ، ويناول صاحبه ما سقط منه ، فإن لم ينزل ، ولم يناوله ، قتل.

وشرط ألا يكون على أحد من السادة والأشراف مؤونة ولا كلفة ، وألا يكون على أحد من الفقراء ، ولا القراء ، ولا الفقهاء ، ولا الأطباء ، ولا من عداهم من أربابِ العلوم وأصحاب العبادة والزهد ، والمؤذنين ، ومغسلي الأموات كلفة ولا مؤونة.

وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملّة دون أخرى.

وألزم القائم بعده بعرض العساكر وأسلحتِها ، إذا أرادوا الخروج إلى القتال ، وأنه يعرض عليه كل ما سافر فيه عسكره ، وينظر كل صغير وكبير حتى

الإبرة والخيط ، فمن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج إليه عند عرضه إياه ، عاقبه .

وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخرة والكلف في مدة غيبتهم في القتال ، وجعل على العساكر إذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ، ويؤدونها إليه ، ورتب لعساكره أمراء مئين ، وأمراء عشرات إلى غير ذلك من الأحكام ، كما في «الخطط والآثار» للمقريزي .

طبقات ملوك الهند

ثم لا يخفى عليك أنَّ الملوك الإسلامية بأرض الهند كانوا على طبقات ، منهم المملوكون ، والخلجيون ، والتغلقية ، والسادة ، والأفغانية ، ومنهم الملوك التيمورية ، فنحن نجعلهم روماً للاختصار على طبقتين :

الطبقة الأولىٰ

من الملوك الإسلامية : المملوكون ، والخلجيون ، وغيرهما ، كانت خطتهم السياسة في الحكومة على نمط واحد غالباً ، وكانت الخطط في عصورهم كثيرةً لم نقف على شيءٍ كثيرٍ منها ، إلا ما وجدناه متفرقاً في الدواوين ، فهاك بيانها :

«الوزير» وظيفته أجلُّ وظائف أرباب القلم أنَّ صاحبها ثاني السلطان إذا أنصف وعرف حقه ، وخطته تدبير الدولة بتحصيل الأموال وصرفها في النفقات اللازمة ، ولابدَّ أن يكون معه «المشرفون» و«المستوفون» يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ، ويسمُّون الوزير في عرفهم «خواجه جهان» .

«عرض المماليك» الذي تعرض بين يديه العساكر ، وإليه أمرها ، وهنالك قسي كثيرة ، فإذا أتى من يريد أن يثبت في العسكر رامياً أعطي قوساً من تلك القسي ينزع فيها ، وهي متفاوتة في الشدَّة والضعف ، فعلى قدر نزعه يكون مرتبه ، ومن أراد أن يثبت فارساً ، فهنالك طبل منصوب ، فيجري فرسه ويطعنه برمحه ، ومن يريد أن يثبت رامياً فارساً ، فهناك كرة موضوعة في الأرض ،

فيجري فرسه ويرميها ، وعلى قدر ما يظهر من الفرسان في ذلك من الإصابة ، يكون مرتبه .

«الحاجب» يكون على مراتب كثيرة ، منها كبير الحجاب ونائبه ، ويتلوه «خاص حاجب» ونائبه ، ثم «وكيل الدار» ونائبه ، و«شرف الحجاب» و«سيد الحجاب» ، وكانت كل جماعة تحت أيديهم جماعة .

«القاضي» وظيفته تنفيذ الأحكام الشرعية على الناس ، وفصل خصوماتهم بالعدل والشرع ، كما عرفت ، وكانوا يبعثون في كل عمالة قاضياً ، أكبرهم «قاضي القضاة» الذي يلازم الحضرة ، ويسمونه «صدر جهان» .

«أميرداو» الأمير الكبير الذي يحكم على الأمراء ، فمن كان له حق على أمير أو كبيرٍ ، يحضر بين يديه ، ويرزق على هذه الخطة خمسين ألف دينار .

«كوتوال» وظيفته صيانة الناس عن الظلمة ، واللصوص ، وقطاع الطرق ، وغيرهم ، وحفظ الأموال ، والدور ، والزروع ، والقرى .

«الأمير كليددار» موضوعه التسلم لباب السلطان ولرتبه البروردارية ، وطوائف الركابية ، والحرامانية ، والجندارية .

«الأمير وكيل دار» إليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ ، والشراب خانات ، والحاشية والغلمان .

«أمير جامدار» إليه أمر الملبوسات السلطانية ، وما إليها ، وما يدخل فيها ، وما يخرج منها .

«أمير سلاح دار» هو المتولي لحمل سلاح السلطان في المجامع ، والمتحدِّث مع السلطان في السلاح خانات ، وما يستعمل فيها ، وما يدخل فيها ، وما يخرج منها .

«أمير توزك» موضوعه الإخبار عن جلوس السلطان للناس ، وتزيين المجلس ، والبيان عن رتب الأمراء ، ومن يأتي إليه ، ومن لا يأتي ، وما يتعلق بذلك .

«ديوان عرض» موضوعه تبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغ عامة الأمور ،

وتقديم القصص إلى السلطان ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب ، وتقديم البريد .

«دبير» هو الذي يقدم إلى السلطان كل ما ترسم عليه العلامة السلطانية من المناشير ، والتوقيعات ، والكتب ، وكان يخرج من عند السلطان بمرسوم لما يكتب من الرسائل ، ثم يكتبها بعد ذلك .

«المشرف» من يكون عنده حساب المداخل كلّها .

«المستوفي» من يكون عنده حساب المخارج كلّها .

«مجموعه دار» من يكون عنده حساب المداخل والمخارج كلّها .

«إقطاع دار» الأمير الكبير الذي ينوب عن السلطان في ولاية كبيرة من أرض الهند ، وإليه يرفع أمر العساكر المعنية في تلك الولاية ، وأمر المالية التي تؤخذ منها .

«المقطع» الأمير الذي ينوب عن أمير الولاية في العمالة .

«آخور بيكي» موضوعه التحدُّث مع السلطان في أموال الإصطبلات ، والمناخات ، وعلفها ، وأرزاق من فيها من المستخدمين ، وما بها من الاستعمالات والإطلاق ، وغير ذلك .

«شحنة الفيل» موضوعه التحدث مع السلطان في أموال الفيلة ، وأرزاقها ، وأرزاق من فيها ، وما بها من الاستعمالات والإطلاق وغير ذلك .

«شحنة العمارة» موضوعه التحدث في بناء الدور والقصور .

الطبقة الثانية

من الملوك الإسلامية : الملوك التيمورية ، وكانت خطتهم في الأحكام السياسية واحدةً على الأغلب ، والخطط في عصورهم كانت على أقسامٍ كثيرة .

القسم الأول

يشتمل على من يلازم ركاب السلطان في الظعن والإقامة ، وهم بمنزلة

النواب عنه في تدبير الدولة ، وفصل الخصومات ، والسلطة على الناس ، والسياسة فيما بينهم .

«الوكيل المطلق» هو الأمير الكبير الذي بيده خاتم السلطان ، وهو ينوب عنه في مهمات الدولة ، ولا يساويه في مرتبته أحد من الأمراء والوزراء ، وهو دون مرتبة السلطان ، وفوق الأمراء كلهم ، ويكون منصبه أعلى المناصب من خمسة آلاف إلى تسعة آلاف .

«مدار المهام» كانت وظيفته الوزارة بتدبير الدولة ، وتحصيل الأموال ، وصرفها في النفقات اللازمة ، وهو أجل رتب أرباب الأقلام ، ويكون معه «مستوفون» يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ، ويكون منصبه من أربعة آلاف إلى سبعة آلاف .

«الديوان الأعلى» وإليه يرفع حساب الأموال من المداخل والمخارج ، وتتناهى أسبابه ، وإليه يرجع أمر المال كلِّه ، ويكون مِن أمراء الألوف «ميربخشي» إليه يرفع أمر العساكر ، ويأتي إليه من يريد أن يثبت في العساكر رامياً كان أو فارساً ، فيختبره ، ويثبته ، ويجعل لهم الرواتب ، ويعرضهم على السلطان ، ويكون على مدارج كثيرة ، فيكون لكلِّ عسكر من الفرسان ، والرماة ، والبرقندازية وغيرهم بخشي ، أعلاهم «ميربخشي» ، ويكون من أمراء الألوف .

«صدر الصدور» وظيفته تحقيق استحقاق العلماء ، والمشايخ ، والأئمة ، والعجزة ، والأرامل ، والأيتام ، وغيرهم ، للوظائف والرواتب ، والشهريات واليوميات ، والأرض الخراجية ، لتمنح لهم من بيت المال ، وكذلك وظيفته نقد أعمال القضاة ، واستحقاقهم لتلك الخدمة الجليلة ، ويكون من أمراء الألوف .

«قاضي القضاة» وظيفته كل ما يتعلَّق بالأمور الدينية ، من الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والنظر في الأقضية الشرعية ، كتداعي الزوجين ، وأرباب الديون ونحو ذلك ، ويكون من أمراء الألوف .

«مفتي العسكر» وظيفته الإفتاء على مذهب الإمام أبي حنيفة في كل ما يتعلق

بالقضاء من الأمور الدينية ، كالأركان الخمسة ، والأقضية الشرعية ونحو ذلك ، ويكون أيضاً من أمراء الألوف .

«المحتسب» وظيفته النهي عن ارتكاب المنهيات والمحرمات ، كشرب الخمر ، وأكل البنج ، وبلع الأفيون ، وسائر المسكرات ، وعن مباشرة الفواحش ، وزجر الزانيات عن التبرج في مشهد الناس ، وتحقيق الغبن الفاحش ، والجنايات في المكاييل والموازين وتعيين أسعار الغلات والأجناس الأخرى ، إلى غير ذلك من الأمور .

«داروغه عدالت» إليه ترفع القضايا العرفية ، وكان يجلس كلَّ يوم من أول النهار إلى ثلثه ، ليصل إليه المظلومون ممن لا يستطيعون أن يصلوا إلى السلطان ، فينظر في أقضيتهم ، ويحكم بالشرع أو العرف ، وإن لم يستطع ذلك فيقدمها إلى حضرة السلطان يوم الأربعاء من كل أسبوع .

«دبير» وهو الذي ينشيء المنشورات والكتب ، ثم يكتبها الكتاب بقلم جيد حلو ، ويكتب أعلى المنشور بقلم غليظ من مداد الذهب ألقاب السلطان ، وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده عليها ، ويستغني عن علامة السلطان ، ثم يثبت عليها خاتم السلطان ، الذي يكون بيد أمير الأمراء .

«ميرتوزك» موضوعه الإخبار عن جلوس السلطان للناس ، وتزيين المجلس والبيان عن رتب الأمراء ومن يؤذن له ، ومن لا يؤذن له ، وما يتعلق بذلك .

«مير آتش» وبيده أمر المدافع والكولندازية وما يستعمل بها ، وما يدخل إليها وما يخرج منها ، إلى غير ذلك .

«ميرسامان» موضوعه المعرفة بما يحتاج إليه السلطان من الملابس والأقمشة ، والجواهر والسلاح ، وأشياء أخر ، وما بها من الاستعمالات والإطلاق ، وغير ذلك .

«خان سامان» موضوعه جميع ما يتعلق بمصارف المطبخ السلطاني والسقاية ونحوهما .

«داروغه ابتياع» موضوعه يتعلق فيما يشترى من الأقمشة والجواهر والسلاح ، وغير ذلك .

«داروغه جواهر خانه» موضوعه صون الجواهر الخاصة المخزونة، ومعرفتها.

«داروغه كتب خانه» موضوعه صيانة مافي خزانة الكتب الشاهانية من الكتب وغيرها، والقيام عليها.

«داروغه غسل خانه» موضوعه التحدث مع السلطان في أمر الديوان الخاص، من يأتي إليه من الأمراء، ومن لا يأتي، وما يتعلق بذلك.

«داروغه عرض مكرَّر» وخطته العرض المكرر على السلطان أحكامه في المناصب، والأقطاع، ومعاملات أخرى من أبواب المال، وأرباب التحاويل، وغيرها من الأحكام.

«داروغه ذاك جوكي» موضوعه تقديم البريد الذي يأتيه من عرض المماليك وطولها إلى السلطان، فيقرؤها بنفسه.

«داروغه خواصان» وإليه أمر الحاشية والغلمان، وله الحكم على من يخدم السلطان.

«آخور بيكي» موضوعه التحدُّث في أموال الإصطبلات، والمناخات وعلفها، وأرزاق من فيها من المستخدمين، وما بها من الاستعمالات والإطلاق، وغير ذلك.

«شحنة الفيل»، موضوعه التحدث في أموال الفيلة وأرزاقها، وأرزاق من فيها من المستخدمين، إلى غير ذلك من الأمور.

«كوتوال» وظيفته صيانة الناس عن الظلمة واللصوص، وقطاع الطريق، وحفظ الأموال، والدور، والزروع، والقرى، والطرق، والشوارع.

القسم الثاني

في أهل الخدمات السلطانية المأمور بها بإحدى كور الهند، وهم على مراتب مختلفة:

(١) «صوبه دار» وهو القائد الكبير للجنود السلطانية المعينة في ولاية كبيرة

من أرض الهند ، ونائب السلطان في تلك الولاية ، ومدار مهمات الأمور بها ، ويكون منصبه من ثلاثة آلاف إلى سبعة آلاف ، ويلزم عليه حفظ الجنود غير ما يشترط له ، نظراً إلى منصبه ، ويمنح له مال خطير على وجه الإنعام ، ويعطى أقطاعاً من الأرض ، ويكون راتبه السنوي ألفي ألف وأربعمئة ألف تقريباً ، من كل الوجوه ، ويكون مستقره بلدةً كبيرةً تكون مركز الولاية.

(٢) «بخشي» وهو الأمير الكبير الذي يرجع إليه أمر العساكر السلطانية المعينة في تلك الولاية ، وأمر الداغ ، أي: وسم الخيل ، والتصحيح ، وغير ذلك من المهمات العسكرية ، ويكون من تلقاء السلطان ، ويكون من أمراء الألوف.

(٣) «الديوان» إليه يرفع حساب الأموال من المداخل والمخارج ، وتناهي أسبابه ، ويرجع إليه أمر المال كله في تلك الولاية ، ويكون تعيينه من تلقاء السلطان بتوقيع الوزارة الجليلة ، ويكون فيما تحته من العمال (أ) «بيشكار» (ب) «داروغه كجهري» (ج) «مشرف دفتر» (د) «تحويلدار».

وفيما تحته يكون من أهل الأقلام رجال منهم «منشى كجهري» ، «حضور نويس» ، «صوبه نويس» ، «محرر خالصه» ، «محرر دفترتن» ، «محرر دفتر باي باقي» ، «محرر سرشته».

(٤) «فوجدار» وخطته كانت تنبيه المتمردين ، وتأديب القطاع والمفسدين ، وتمهيد بساط الأمن والأمان فيما تحت حكومة الوالي.

«صوبه دار» ويكون مستقره متصرفية من متصرفيات الولاية.

(٥) «الصدر» وكانت وظيفته تحقيق استحقاق العلماء والمشايخ ، والأئمة ، والعجزة ، وغيرهم للوظائف والرتب ، ونقد أعمال القضاة ، واستحقاقهم لتلك الخدمة ، ويكون مستقره دار الحكومة ، حيث يسكن بها «صوبه دار» ، ويكون تعيينه من تلقاء السلطان بتوقيع صدر الصدور.

(٦) «القضاة» وظيفتهم قد عرفت فيما تقدَّم ، وكانوا يعينون في كل عمالة ، وأكبرهم يعين في دار الحكومة ، بتوقيع صدر الصدور ، ويكون في ديوانه من العمال ، المفتي ، والوكيل الشرعي ، ومحرر المناسخة ، والمشرف ، وغيرهم.

(٧) «المحتسبون» وظيفتهم قد عرفت فيما تقدم ، وكانوا يعينون في كل بلدة ، وقرية جامعة ، بتوقيع صدر الصدور ، ومنصبهم على الأغلب مئة وخمسون لأنفسهم ، وعشرة للخيل.

(٨) «داروغه عدالت» وكان يلزم عليه أن يجلس كلَّ يوم في ديوانه من أول النهار إلى ثلثه ، ليصلَ إليه المظلومون الذين لا يصلون إلى نواب السلطان ، فيستغيثون عنده ، فيستقدم الظالم أو وكيله ، ويستنطقه ، فإن كان أمراً سهلاً سعى بالمصالحة بينهما ، ويسترضي المظلوم ، وإن كان أمراً عظيماً نقَّح القضية بالبينة واليمين ، ووجوه أخرى ، ثم يرفعها إلى النواب المأمورين في الكور ، وكان يلزمهم أن يجلسوا في كل أسبوع مرتين لذلك.

(٩) «وقائع نكار» كانوا يعينون في كل ولاية ، ومتصرفية ، وعمالة ، وكل موضع يكاتبون مركز الحكومة ، وكانت وظيفتهم تحرير السوانح ، فكانوا يكتبون ما يسنح في ذلك المقام كلَّ يوم من نقير وقطمير وقت المساء ، وكل ما يسنح في الليل يكتبونه وقت الصباح ، فيبعثونه بالبريد ، فيصل ذلك إلى «داروغه ذاك جوكي» فيقدمه إلى السلطان ، فيفتح بيده الغلاف ويقرؤه بنفسه ، فيقف على سوانح بلاده كلَّ يوم من «قندهار» إلى أقصى بلاد «بنكاله» ، ولما كانت مظنة الخيانة في تحرير السوانح ، يعين أربعة رجال من أهل الدين والأمانة : (أ) «وقائع نكار» ، (ب) «سوانح نكار» (ج) «خفيه نويس» ، (د) «هركاره» ، وكلهم كانوا على مدارج مختلفة ، فإن اختلفوا في السوانح ، كان السلطان يحقق القضايا من جهة أخرى.

(١٠) «كوتوال» وظيفته عرفت فيما تقدم ، وكان يعين بتوقيع «ميرآتش» في مركز الحكومة.

(١١) «تهانه دار» وظيفته هي بعينها وظيفة «كوتوال» يعين بعمالة.

(١٢) «عمل كزار» أي العامل ، ومحصل العشور والخراج ، وكان يلزمه تكثير الزراعة ، وتعمير الأرض بالحرث والنسل.

(١٣) «خزانه دار» أي : الخازن ، وظيفته ضبط المالية وصيانتها ، ثم إرسالها إلى الخزانة العامرة بمركز الحكومة.

(١٤) «قانون كو» يكون في عمالة واحد ، ووظيفته تشخيص الأرض ، وتعيين أقسامها وحدودها ، واستدراك أخبار الزراع والزروع ، وغير ذلك.

(١٥) «تبكجي» وظيفته تشخيص المالية على الزروع ، وضبط الطومار بقيد الحارث ، وجنس الزرع ، وأصناف الأرض ، ومساحتها وتحديدها ، وغير ذلك مما يتعلق بها ، ويكون واحد في كلِّ قريةٍ كبيرةٍ أو قرى عديدةٍ ، يكون مساحتها قريباً من القرية الكبيرة.

دواوين شتى

وكانت دواوين أخرى في الكور غير ما ذكرنا.

منها ديوان السائر ، وفيه من المتعهدين «داروغه» و«الأمين» و«كروره» و«المشرف» و«تحويلدار» وغيرهم ، والضابطة في أخذ المكوس أن يأخذوا من أهل الإسلام في كل أربعين ربية واحدة ، ومن أهل الذمة اثنتين ، ومن النصارى في مئة ربية ثلاث ربيات ونصفها ، ومن الحربيين أربع ربيات.

ومنها ديوان الحدائق ، وفيها أيضاً من المتعهدين «داروغه» و«الأمين» و«كروره» و«المشرف» و«تحويلدار» و«باغبان» مع مئة من الخدم ، أو غير ذلك.

ومنها ديوان بيت المال ، وفيه يخزن أموال الذين ماتوا ، ولا وارث لهم ، وفيه من المتعهدين «داروغه» و«الأمين» و«المشرف» و«تحويلدار» و«الفراش».

ومنها ديوان العمارة ، وفيه من المتعهدين «داروغه» و«المشرف» و«تحويلدار» مع طائفة من المهندسين حسب ما تقتضيه الحاجة.

ومنها بلغور خانه ، وهي عبارة عن دار العجزة ، وفيها من المتعهدين «داروغه» و«الأمين» و«المشرف» و«المتولي».

ومنها دار الشفاء ، وفيها طبيب من أهل الإسلام ، وطبيب من المشركين ، وجراح ، ومن المتعهدين «المشرف» و«تحويلدار».

بلغور خانه

أما بلغور خانه ، فإنها كانت في سنة عشرين وألف وما قبلها من السنين في

ستة أماكن من البلاد العظيمة ، والكور الكبيرة ، فأمر جهانكير بن أكبر شاه الدهلوي في السنة المذكورة ، أن تقام في ستة أماكن أخرى غير ما كانت قائمة فيها ، فصارت اثنتي عشرة بلغور خانه في «دهاكه» و«إله آباد» و«لاهور» و«دهلي» و«آكره» و«أحمد آباد» وغيرها من البلاد.

مارستان أو المستشفى

وأما المارستانات ، ويسمّونها دار الشفاء ، فإنها كانت في بعض البلاد ، كآكره ، ودهلي ، ولاهور ، فأمر جهانكير المذكور سنة عشرين وألف ، أن تنشأ في الأمصار كلّها ، ويرتب فيها طبيب من أهل الإسلام ، وطبيب من المشركين ، وجراح ، والأدوية المركبة ، والعقاقير النافعة ، وشرط أنه إذا جيء بعليل من مقيم أو مسافر ، حرٍّ أو مملوك ، وضيع أو شريف ، يعطى الأدوية والغذاء حتى يبرأ ، ويعطى عند الرخصة ما يحتاج إليه من النقود.

* * *

الفصل الثاني

في ذكر العساكر، وترتيبها، ونظامها

إنك تعلم: أنَّ الملوك الإسلامية بأرض الهند أغلبهم كانوا من الترك والأفغانية، والتتر، وكانت خطتهم في السلطنة مركبةً من الشرع، والسياسة، ولذلك ترى أنهم كانوا يرتبون عساكرهم على نظام جديد، قريب المآخذ من نظام قرره جنكيزخان عظيم التترِ، فرتبوا لعساكرهم أمّراء الألوف، وأمراء المئين، وأمراء العشرات، وسمّوهم «أمراء هزاره» و«أمراء صده» وغير ذلك من الأسماء.

فالأمير «هزاره»، من يكون في عسكره ألف فارس، والأمير «صده»، من يكون فيما تحته مئة فارس، ولهم رجالة غير الفرسان يسمُّونها «بائك»، وكانوا يلزمون أن يعرض عليهم، أو على عرض الممالك العساكر وأسلحتها كلَّ سنة، ويعرض عليهم إذا أرادوا الخروج إلى القتال.

وكان علاء الدين الخلجي أول من رتب العساكر على نظام جديد، وجعل لهم الرواتب، وقسمهم على أصناف، فللصنف الأول منهم مئتانً وأربعون وثلاثون «تنكة»، وللثاني منهم ستة وخمسون ومئة «تنكة»، وللثالث منهم ثمانية وسبعون «تنكة» يعطونها كل سنة.

ثم شير شاه المتوفى سنة ٩٥٢ هـ، وضع القانون لترتيب العساكر ونظامها على أسلوب جديد، منها «داغ» وتصحيحه، وهو أن يعرض الأمراء عساكرهم على عرضِ الممالك، فيحمى الحديد في نار، ثم يسم بها الخيل، ومنها «الحلية» وهو تحرير أسماء الفرسان، وأوطانهم، وحليتهم، وطول قاماتهم، وأعمارهم، وما يختص بهم من الخطوط والسمات، في دفتر خاص لها.

ومنها: أنه وزع عساكره على بلاده ، وعين لهم معسكرات في مقامات عديدة ، ومنها: أنه ألزم عساكره بناء القلاع من الطين في كل منزل إذا أرادوا الخروج إلى القتال ، أو نقلوا من معسكر إلى معسكر آخر ، ومنها: أنه ألزم عساكره أن لا يستأصلوا الزروع في النقل والحركة ، وكان يعزرهم في ذلك أشد تعزير ، ومنها: أنه عين الأمناء ليدركوا نقصان الزروع حال القتال ، ليعوضوا ما ضاع منها ، ومنها: أنه منع عساكره أن يأسروا أحداً من الرعية في القتال.

وقد وضع سليم شاه بن شير شاه بعض القوانين لعسكره ، وأضاف إلى ما وضع والده ، منها: أنه رتَّب عساكره على نظام جديد ، فرتبهم على طوائف صغيرة وكبيرة ، أما الصغيرة فيه (١) خمسون (٢) ومئتانً (٣) وخمسون ومئتان (٤) وخمسمئة ، والكبيرة فهي (١) خمسة آلاف (٢) وعشرة آلاف (٣) وعشرون ألفاً ، ورتب الأمراء عليهم بذلك الترتيب ، ومنها: أنه أمر أن يعيَّن في كل خمسين فارساً كاتب ، يعرف اللغة الفارسية ، وكاتب يعرف اللغة الهندية ، ومنها: أنه رتب القضاة لهم خاصة واحداً من الأفغانية ، وواحداً من المشركين ، ومنها: أنه وسع قانون المعسكر لوالده ، وعين المقامات العديدة من «سناركاؤن» إلى حدود «كابل» ليقيم العساكر بها.

والسلطان أكبر شاه التيموري قد جدَّد تلك القوانين ، وأضاف إليها أشياء لم تكن من قبل ، الأول: أنه جدد قانون «داغ والحلية» سنة ٩٨١ هـ ، والثاني: أنه رتب الأمراء على مدارج كثيرة ، تبتدىء من «ده باشي» إلى «بنج هزاري» ، كما ستقف عليه في فصل آخر ، والثالث: أنه رتب عسكراً جديداً من أشراف الناس وأبطالهم ممن لم يصلوا إلى المناصب ، وسماهم «أحدى» و«أيكه سوار» ، وجعلهم ملازمين لركابه ، والرابع: أنه أجاز للفرسان أن يحرز كلُّ واحد فرسين أو ثلاثة أفراس ، وسماهم: ذوي الأفراس ، وبالفارسية «سوار دواسبهً» و«سه أسبه» ، والخامس: أنه قسم الخيل على ستة أصناف (١) العراقي (٢) المجنس (٣) التركي (٤) يابو (٥) العربي (٦) جنكله «السادس: أنه قسم الأفيال على خمسة أصناف لا نطيل الكلام بتفصيلها ، السابع: أنه قسم الناس أيضاً على أصناف (١) الإيراني ، والتوراني (٢) الهندي (٣) الخالصة.

الثامن: أنَّه قرر الرواتب على أصناف الناس هكذا ، للإيراني والتوراني

خمس وعشرون ربية ، وللهندي عشرون ربية ، وللخالصة خمس عشرة ربية ، وقرر الرواتب أيضاً على أصناف الخيل ، فلصاحب العراقي ثلاثون ، ولصاحب المجنس خمس وعشرون ، ولصاحب التركي عشرون ، ولصاحب «يابو» ثماني عشرة ، ولصاحب العربي خمس عشرة ، ولصاحب «جنكله» اثنتا عشرة ، وقرر الرواتب للرجالة خمس عشرة ، وعشراً ، وثماني ربيات ، و«للتفنكجي» سبع ربيات ، واثنتا عشرة آنة ، وسبعاً وستاً واثنتا عشرة آنة على اختلاف المدارج ، والتاسع : أنه أمر أن يعطى صاحب الدواب نصف مصارفها من بيت المال .

كميـة العسـاكـر الإسلاميـة في الهنـد

أما كمية العساكر الإسلامية بأرض الهند ، فالذي ضبطته من كتب الأخبار ، أنَّ العساكر في أيام السلطان علاء الدين الخلجي كان أربعمئة ألف وسبعين ألف من الفرسان والرجالة؛ وفي أيام فيروز شاه الدهلوي كانت ثمانين أو تسعين ألفاً من الفرسان ، غير العبيد الذين كانوا فرساناً ، وغير الرجالة منهم؛ وفي أيام شير شاه السوري كانت مئة ألف وخمسين ألفاً من الفرسان ، وخمساً وعشرين ألفاً من الرجالة ، وخمسة آلاف مِّن الأفيال؛ وفي أيام شاهجهان التيموري كانت مئة ألف من الفرسان وثمانية آلاف من أهل المناصب ، وسبعة آلاف ممن يسمُّونه : أحدى و«برق انداز» وكانوا فرساناً ، وثلاثين ألفاً من أهل البندقيات والمدافع وبان ، ويسمُّونهم على الترتيب «تفنكجي» و«توبجي» و«كوله انداز» و«باندار»؛ وكانت عساكر أبناء الملوك والأمراء الذين كانوا ذوي المناصب الجليلة مئة ألف وخمساً وثمانين ألفاً وهي غير ما كان معيناً في العمالات عند «فوجدار» و«كروري» والعاملين وغيرهم؛ والعساكر التي كانت تلازم ركاب السلطان بدار الملك خمس وثلاثون ألفاً من الفرسان ، وعشرة آلاف من الرجالة ، ولا ينقصون عنها في الظعن والإقامة .

والمدافع كانت على قسمين : الأول «هم ركاب توب خانه» وهي المدافع الصغار خمسون أو ستون من الصفر ، تحمل على عربة تسير بها فرسان ، وفي كلِّ عربة رجلٌ يطلق المدفع يسمُّونه «كولنداز» ، ومعها فرس يقوده واحد من

الرجالة ، وفي تلك المدافع يكون مدفع من الصفر في غاية الحسن والبهاء ، ويحمل على السرير تغطيه أعلام حمراء ، وهذه المدافع كانت تلازم ركاب السلطان في الظعن، والإقامة، والقسم الثاني المدافع الكبار، بعضها من الصفر، وبعضها من الحديد ، لا تكاد تسير بها إلا ٢٠ زوجاً من الثيران الأقوياء.

القـوة البحريـة

أما القوة البحرية في أيام شاهجهان المذكور ، فإنها كانت مؤلفة من ألف فلك ، وفي كلٍّ واحد منها سبعون أو ثمانون رجلاً من الملاحين ، وطائفة من «تفنكجي» و«كولنداز» و«توبجي» و«تير انداز» و«باندار» وأهل السيوف ، ومن أهل الطبول ، والأبواق ، والأنفار والصرنايات ، ومن النجارين والحدادين وغيرها من أصناف المحترفة ، وكان مجموعهم سبعين ألفاً من الناس ، يرزقون من الخزانة السلطانية ، وتلك البحرية كانت في «بنكاله» ، وكانت رواتبها تعود إلى محاصيل تلك الأرض.

تعبيـة الصفوف في القـتال

أما تعبية الصفوف في القتال ، فكانوا يقدمون المدافع ، وينصبونها في مقام مرتفع يربطونها بالسلاسل ، لئلا تقتحم جيوش الأعداء وتتجاوزها ، ثم من ورائها ينصبون «زنبور خانه» وهي الجمال يشدون على ظهرها «زنبورك» وهي تشابه الجزائل الفلكية ، ويقعد عليه واحد من الفرسان يطلقه على الأعداء ، ومن ورائها صفوف الرجالة يسمُّونهم «تفنكجي» وهم مسلحون بالبندقيات ، ومن ورائهم صفوف الفرسان.

وكانوا يقيمون الجيوش على ثلاثة أقسام: الميمنة ، والميسرة ، والقلب ، يسمُّونها «جرانفار» و«القول» وتلك الجيوش تشتمل على الأبطال ، والسلطان يكون على الفيل في القلب ، وعليه مظلَّةٌ حمراء تختصُّ به ، ويقدِّمون كلَّ ذلك فئةً كبيرةً من جيوشهم طليعة لهم ، ويسمُّونها «هراول».

صفة القتال

وإذا أرادوا القتال يأمرون بإطلاق المدافع ، و«الزنبورك» ، والبندقيات ، والسهام ، أولاً فأولاً ، ثم يستعملون الرِّماح والسيوف ، وكلٌّ واحدٍ من الفريقين يريد أن يقطع السلاسل ، ويقتحم على الجيوش .

* * *

الفصل الثالث

في ذكر المناصب وأهلها

المناصب التي كانت في الدولة التيمورية موزعة على مدارج كثيرة ، تبتدىء من «ده باشي» أي: العشرات ، وتنتهي إلى «بنج هزاري» أي: خمسة آلاف للأمراء ، وإلى «ده هزاري» أي: عشرة آلاف لأبناء الملوك في عهد أكبر شاه التيموري وإلى «نه هزاري» أي: تسعة آلاف للأمراء ، وإلى ستين ألفاً لأبناء الملوك في أيام شاهجهان الدَّهلوي ، وفيما بعده ، وكلٌّ منصب منها كان محدوداً على عدد من الأمراء ، لا يزيد عنه ، وينقص في بعض الأوقات لموت أحدهم ، أو سببٍ آخر ، وكان ينبغي لكلٍّ واحد من أهل المناصب أن يحرز من الخيل والأفيال ، والنوق ، والبغال ، والعربات ، وغيرها ما فرض عليه نظراً إلى منصبه ، ونحن نريد أن نقتصر على أشهر المناصب خوفاً من الإطالة ، ونفصِّلها في الجدول؛ ليتضح ذلك :

جدول أهل المناصب ورواتبهم وما يلزم كلاً واحد منهم

المناصب	الخيل	الركاب	البغال	الأفيال	العربات	رواتبهم الشهرية
ده هزاري	٦٨٠	١٦٠	١٤٠	٢٠٠	٣٢٠	٦٠٠٠٠
هشت هزاري	٥٤٠	١٣٠	٣٤	١٧٠	٢٦٠	٥٠٠٠٠
هفت هزاري	٤٣٠	١١٠	٢٧	١٣٨	٢٢٠	٤٥٠٠٠
بنج هزاري	٣٣٧	٨٠	٢٠	١١٠	١٦٠	٣٠٠٠٠
جهار هزاري	٢٧٠	٦٥	١٧	٨٠	١٣٠	٢٢٠٠٠
سه هزاري	٢٠٠	٥٠	١٤	٧٠	١٠٠	١٧٠٠٠
دو هزاري	١٥٠	٣٠	٧	٤٠	٦٠	١٢٠٠٠
هزاري	١٠٤	٢١	٤	٣٠	٤٢	٨٢٠٠
نهصدى	١٠٠	٢٠	٤	٣٠	٤٠	٧٧٠٠
هشت صدى	٨٢	٢٠	٥	٢٨	٣٤	٥٠٠٠
هفت صدى	٥٨	١٧	٣	١٩	٢٧	٤٠٠٠
شش صدى	٣٨	١٤	٢	١٥	٢١	٣٥٠٠
بانصدي	٣٤	١٣	٢	١١	١٥	٢٨٠٠
جهار صدى	٢٠	٥	٠	١٠	١٢	٢٠٠٠
سه صدى	١٥	٤	٠	٧	١١	١٤٥٠
دو صدى	١٣	٣	٠	٥	٧	٩٧٥
يوز باشي	١٠	٢	٠	٣	٥	٧٠٠
بنجاهي	٨	١	٠	٢	٢	٢٥٠
بستي	٥	٠	٠	١	٠	١٣٥
ده باشي	٤	٠	٠	٠	٠	١٠٠

الفصل الرابع
في نظام المملكة وعاداتهم في الجباية

الملوك الإسلامية من المملوكين وما بعدهم ممن يتبعهم، كانوا يقسمون الأرض على الكور الكبيرة، ويولُّون على كلٍّ منها واحداً من الأمراء، يسمُّونه «إقطاع دار» وهو ينوب عن السلطان في ناحيته، وإليه يرفع أمر العساكرُ المعينة في تلك الكورة، وتؤخذ منه الأموال التي تحصل منها.

ثم إنهم كانوا يقسمون الكورة على عمالات كثيرة، ويعينون في كلٍّ منها أميراً يسمُّونه «المقطع»، ثم لما جاء شير شاه السوريّ، وتولى المملكة قسم الأرض المحروسة على إيالات، والإيالة على متصرفيات، والمتصرفية على عمالات، فقسم الأرض المحروسة على ست ومئة ألف عمالة، وفي كلٍّ عمالة منها ولّى واحداً من رجاله ينوب عنه في كل ماله وما عليه، وولّى عاملاً، وسماه «شقدار»، وخازناً سماه «فوطه دار»، وكاتبين: أحدهما عارف باللغة الهندية، وثانيهما عارف باللغة الفارسية، ثم ولى أميناً في كلٍّ عمالة ليفصل القضايا فيما بين الناس، أو فيما بين الملك ورعاياه في حدود الأرض، وينظر العمال لئلا يخونوا في الأموال، ولا يظلموا أحداً من الرعية، وسماه «المنصف».

وفي كلٍّ متصرفية ولّى أميراً من أمرائه ينوب عنه في تلك المتصرفية، وسمَّاه «فوجدار»، وولّى أميراً من الأمراء يرفع إليه أمر العمال، وسمَّاه «صدرشقدار»، وولّى أميراً من الأمراء يرفع إليه أمر المنصفين، وسمَّاه «صدر منصف».

وفي الولاية كان يولي كبيراً من الأمراء، ينوب عن السلطان في تلك

www.abulhasanalinadwi.org

الولاية ، وإليه يرفع أمرهم جميعاً ، وإليه يرفع أمر العساكر المعينة في تلك الولاية.

ثم إنه وضع قانوناً لذلك ، وأمر أن يُنقل العمال من عمالة إلى أخرى بعد سنتين ، وأمر بمساحة الأرض كلِّها ، وأمر أن تمسح في كلِّ سنة ، وأن تجيء الأموال على ما يحصل من الأرض المزروعة ، فيكون حصة منها للزراع ، ونصفها للمقدم ، ويكون ثلث ما يحصل من الأرض للسلطان ، فكأنه قطع عرق النزاع فيما بين الراعي والرعيَّة ، فظلت البلاد آمنةً مطمئنةً في عهده.

وأما الملوك التيمورية ، فكبيرهم أكبر شاه ، مشى أثر شير شاه المذكور ، وقسم ملكه على اثني عشر قطعاً كبيراً ، وكل منها على عدة متصرفيات ، وكل متصرفية على عمالات ، ولما بلغت الدولة التيمورية أقصاها فيما بعده ، زادت الأقطاع ، حتى كان في عهد حفيده عالمكير اثنان وعشرون قطعاً كبيراً.

أما في «الصوبة» فكانوا يولون عليها غير واحد من الأمراء (١) «صوبة دار» ، وهو القائد الكبير للجنود السلطانية المعينة في تلك الولاية ، وينوب عن السلطان في مهمات الأمور ، (٢) «بخشي» ، (٣) «ديوان» ، (٤) «الصدر» ، (٥) «القاضي» ، (٦) «المفتي» ، (٧) «الوكيل الشرعي» ، (٨) «المحتسب» ، (٩) «داروغه عدالت» ، (١٠) «كوتوال» ، (١١) «وقائع نكار».

وأما في «المتصرفية» ، فيكون فيها (١) «فوجدار» ، (٢) «بخشي» ، (٣) «ديوان» ، (٤) «القاضي» ، (٥) «المحتسب» (٦) «داروغه عدالت» ، (٧) «كوتوال» ، (٨) «وقائع نكار» ، ويرفع أمورهم إلى الولاة المأمورين في الولاية.

وأما في العمالة ، فيكون (١) العامل ، ويسمُّونه «عمل كذار وكروري» وهو محصل العشور والخراج ، (٢) «خزانة دار» وهو الخازن ، (٣) «قانون كو» ، (٤) «تبكجي» ، (٥) «تهانه دار» ، (٦) «وقائع نكار» ، (٧) «القاضي» ، (٨) «داروغه سائر».

* * *

الفصل الخامس

في عادات ملوك الهند في العدل والقضاء

قد عرفت أنَّ الناس كانوا يرون منذ مدَّة أنَّ الأحكام على قسمين: حكم الشرع، وحكم السياسة، ولذلك ترى ملوك الهند يفوضون إلى القضاة كل ما يتعلَّق بالأمور الدينية، وكانوا يأخذون السياسة بأيديهم، فنصبوا أنفسهم للأمور السياسية، واهتمُّوا بها، فكانت المظالم والأوامر المبتوتة النهائية بأيديهم، وعليهم الإنصاف للمظلوم من الظالم، وإيصال الحق إلى صاحبه على مقتضى السياسة.

أمّا المملوكون، وفيما بعدهم من الملوك، فكانوا يولون القضاة في سائر البلاد من أرض الهند، ويفوضون إليهم كل ما يتعلق بالأمور الدينية من أركان الخمسة، وأمر الأوقاف، والأيتام، ويجعلون لهم النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين، وأرباب الديون، ونحو ذلك، أكبرهم قاضي القضاة الذي يلازم ركاب السلطان.

ويولون الأمير الكبير الذي يحكم على الأمراء، فمن كان له حق على أمير أو كبير يحضر بين يديه، وكان من شروطه أن يكون جليل القدر، عظيم الهيبةً، ظاهرَ العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنَّه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة، وتثبت القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين الصفتين، ويسمُّونه «أمير داد».

ويولون الشحنة لصيانة الناس عن الظلمة، واللصوص، وقطاع الطرق، وكذلك لحفظ الأموال، والدور، والزروع، والقرى، ويسمونه «كوتوال».

ويولُّون أميراً على النهي عن ارتكاب المحرمات والمسكرات، وعن مباشرة

الفواحش ، وزجر الزانيات عن التبرج في مشهد الناس ، وتحقيق الغبن في المكاييل والموازين ، وتعيين أسعار الغلاَّت وغيرها ، ويسمونه «المحتسب» ، فهذه خطط كانت في عصورهم ، وأمورهم ترفع إلى السلطان بدار الملك ، أو إلى نوابه في الإقطاع ، كلما كانوا يجلسون للناس في الديوان .

ما أحدثه شيرشاه في السياسة

ثم لما جاء شير شاه السوري ولَّى الأمناء في كلِّ عمالة فضلاً عن القاضي ، والمفتي ، و«كوتوال» وغيرهم ، ليفصل القضايا فيما بين الناس ، وفيما بين السلطان ورعاياه في حدود الأرض ، ولينظر في العمال؛ لئلا يخونوا في الأموال ، ولا يظلموا الرعايا ، وسماه : «المنصف» .

وولَّى على كل متصرفية أميراً من أمرائه ، يرفع إليه أمر المنصفين ، وسماه «صدر منصف» ، ثم يرفع أمورهم إلى السلطان درجةً بعَد درجةٍ .

الملوك التيمورية

أما الملوك التيمورية ، فإنَّهم كانوا يولون القضاة في كلِّ عمالة ، وبلدة صغيرة ، وكبيرة ، أكبرهم «قاضي القضاة» الذي يلازم ركاب السلطان ، ويسمّونه «قاضيَ العسكر» ، ويفوضون إليهم كلَّ ما يتعلق بالأمور الدينية ، ويولُّون في ديوانهم من العمال «المفتي» و«الوكيل العام» و«محرر المناسخة» و«المشرف» وغيرهم ، ويولُّون الصدور في الولايات لنقد أعمال القضاة ، ويولون «كوتوال» في الولاية ، «تهانه دار» في كلِّ عمال ، ويولُّون رجالاً من المعروفين بالصلاح والديانة على المحاكم العدلية ، ويسمّونهم «داروغه عدالت» يولُّونهم في مركز الحكومة ، فترفع إليهم القضايا العرفية ، وكانوا يجلسون في ديوانهم من أول النهار إلى ثلثه ، ليصل إليهم المظلومون الذين لا يستطيعون أن يصلوا إلى نواب السلطنة ، ينظرون في أقضيتهم ويحكمون بالشرع أو العرف ، فإن لم يستطيعوا ذلك ، قدموا إلى «صوبه دار» أو «فوجدار» حيثما كانوا ، وكان اللازم عليهم أن يجلسوا في دار الحكومة يوماً أو يومين في

كل أسبوع ، وخطتهم تنقيح الأقضية كل التنقيح حتى يعرفوا لبابها ، وما عليها ، ومالها ، ثم الحكم بالصواب في ذلك.

سنّتهم في الجلوس للناس

وكانت السنَّة المستمرة للملوك التيمورية ، أنَّهم كانوا يخصُّون يوماً من الأسبوع للعدل ، فكانوا لا يجلسون بالديوان العام يوم الأربعاء من كل أسبوع ، ويجلسون بدولت خانه ، فيحضر لديه القضاة ، وأهل الفتوى ، وأرباب العمائم ، فيعرض عليه ناظر العدلية الشكاة واحداً بعد واحد ، فيستنطقه السلطان بنفسه ، ويسأله بغاية اللين والرأفة ، ويحكم بما يفتيه العلماء ، فإن كان المستغيث من بلدة بعيدة ، وكانت قضيته بحيث لا تفصل إلا بتلك البلدة ، بعث منشوراً إلى واليه بتلك البلدة بأن يستدرك الحقيقة ، ويفصل القضية بما يفتيه العلماء ، وإن لم يستطع ذلك فليرسل المتخاصمين إلى الحضرة.

قال برني آر الفرنساوي الرحالة:

«من عادة السلطان أن يجلس بدار العدل يوماً في كل أسبوع لا يترك ذلك أصلاً ، ويعرض عليه ناظر العدلية عشرة عرائض للمستغيثين واحداً بعد واحد».

سيرة عالمكير في ذلك

وكان السلطان عالمكير بن شاهجهان الدهلوي يبالغ في ذلك ، وكان يجلس بدولت خانه كلَّ يومٍ بعد الإشراق ، فيرفع إليه ناظر العدلية الأقضية ، فيحكم بما يلقي الله سبحانه في روعه ، ثم يجلس بالديوان العام ، ثم بالديوان الخاص ، ويرفع إليه ناظرالعدلية المستغيثين ، ويفحص القضايا ، فيستنطق المتخاصمين بحضرته ، ويتأمل في القضايا ، ويحكم بما أراه الله سبحانه ، وربما يدعوهم فيما بين الظهر والعصر أيضاً ، ولا يكلُّ من ذلك البتة.

الوكالة

وعالمكير هو أول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء ، فولّى رجالاً

www.abulhasanalinadwi.org

من أهل الدين والأمانة في دار القضاء بكلِّ بلدة وعمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية ، والديون الواجبة عليه ، وأذن للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضي ، وهو أول من وضع المحتسبين في بلاده ، كما عرفت في موضعه .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل السادس
في ذكر دور سلاطين الهند

دار السلطان بدهلي تسمى «دولت خانه» في أيام المملوكين وفيما بعدهم من الملوك ، ولها أبوابٌ كثيرةٌ ، فأما الباب الأول ، فعليه جملة من الرجال موكلون به ، ويقعد به أهل الأنفار ، والأبواق ، والصرنايات ، فإذا جاء أمير أو كبيرٌ ضربوها ، كذلك بالبابين : الثاني والثالث ، وبين البابين الأول والثاني دهليز كبير ، فيه دكاكين مبنية من جهتيه ، يقعد عليها أهل النوبة من حراس الأبواب ، وأما الباب الثاني ، فيقعد عليها البوابون الموكلون ، وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة ، يقعد عليها نقيب النقباء ، وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده ، وعلى رأسه «كلاه» من ذهب مرصّعٍ بالجواهر ، في أعلاه ريش الطواويس ، والنقباء بين يديه ، على رأس كلٍّ واحد منهم شاشية مذهبة ، وفي وسطه منطقة ، وبيده سوط نصابه من ذهب أو فَضة ، ويفضي هذا الباب الثاني إلى مشور كبير متسع ، يقعد به الناس ، وأما الباب الثالث ، فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب .

ومن عاداتهم ألا يدخل من هذا الباب أحدٌ ، إلا من عينه السلطان لذلك ، ويعين لكلِّ إنسان عدد من أصحابه وناسه يدخلون معه ، وكل من يأتي إلى هذا الباب يكتب الكتَّاب أنَّ فلاناً جاء في الساعة الأولى ، أو الثانية ، أو بعدهما من الساعات إلى آخر النهار ، ويطالع السلطان ذلك بعد العشاء الآخرة ، ويكتبون أيضاً بكلٍّ ما يحدث بالباب من الأمور .

ومن عاداتهم أيضاً : أنه من غاب عن السلطان ثلاثة أيام فصاعداً لعذر أو بغير عذر ، فلا يدخل هذا الباب بعده ، إلا بإذن من السلطان ، فإن كان له عذر من

مرض أو غيره ، قدم بين يديه هديةً مما يناسبه إهداؤها إلى السلطان ، وكذلك القادمون من الأسفار ، فالفقيه يهدي المصحف ، والكتاب ، وشبهه ، والناسك يهدي المصلى والسبحة ، والسواك ، ونحوها ، والأمراء ومن أشبهم يهدون الخيل ، والركاب ، والسلاح ، وهذا الباب الثالث يفضي إلى المشور الهائل الفسيح المساحة ، المسمى «هزار أسطون» ومعنى ذلك ألف سارية ، وهي سوار من خشب مذهبة ، وعليها سقف خشب منقوش بأبدع نقش ، يجلس الناسَ تحته ، وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام .

وأما الملوك التيمورية ، فكانت لهم قصور شامخة في لاهور ، ودهلي ، وآكره وفي غيرها من البلاد ، يسكنون بها في أغلب الأوقات ، وتلك القصور العالية في قلاعٍ عظيمة ، أما دهلي فإنه كان في القلعة المعلاة ، المبنية من الحجارة المنحوتة في غاية الحسن والحصانة ، ولها أبواب ، أما الباب الأول فإن تدخل فيه تجد طريقاً واسعاً ، في وسطه نهر يجري إلى القصور الشاهانية ، وفي جانبيه صفتان مبنيتان من الحجارة ، وفي روائها إيوانات واسعة يقعد عليها أهل النوبة من حفاظ الأبواب ، والمستخدمون من أهل الحرفة والصناعة ، وكذلك الباب الثاني ، فيه طريق واسع إلى القصور الشامخة ، وبينه وبين الباب الثالث دكاكين ، مبنية من جهتيه ، يقعد عليها المستخدمون من أهل الصناعة كالخراطين ، والمصورين وغيرهما ، يشتغلون بصنائعهم كلَّ يوم ، وفي جهتيه طرق إلى دور كثيرة ذات أنهار وحياض ، وفوارات وبساتين ، يسكن بها الأمراء من أهل النوبة يوماً وليلةً ، وفي بعضها دواوين السلطان ، وفي ورائها المشور الهائل الفسيح الساحة ، المبني من حمر الحجارة المنحوتة ، المنقوشة بأبدع نقش ، وسقفه مذهبٌ مرفوعٌ على سوار رفيعة منقوشة ، ومحاريب في غاية الحسن والحصانة ، وعلى بابه الكبير بناءٌ عال يقعد فيه أهل الأبواق والأنفار ، والصرنايات ، يضربونها في أوقات معينة من اليوم والليلة ، وفي وسط هذا القصر الشامخ متصلاً من الجدار الشرقي بناءٌ صغير من بيض الحجارة المنقوشة بأبدع نقش ، وعليها سقفٌ منها مرفوعٌ على أربعة قوائم ، وكلُّها مذهبةٌ يسمّونها «نشيمن ظل اللهي» يعني : مجلس السلطان ، يجلس السلطان مجلساً عاماً كل يوم ، ولذلك يسمّون ذلك القصر بالديوان العام . . . ويقوم الأمراء بين يديه ،

وأبناء الملوك ، وعظماء الهند حسب مدارجهم في القرب والإمارة ، ويحضر بها الناس أدناهم وأعلاهم من كلِّ طبقة ودرجة ، ممَّن يريد الاستغاثة أو له غرضٌ من الأغراض ، وبعد ذلك قصرٌ رفيعُ البناءَ مبنيٌّ من بيض الحجارة ، منقوش الجدران باليواقيت ، والجواهر الثمينة ، لا يكاد يوجد لها نظير في الدنيا ، وفيه أيضاً بناء حسن لجلوس السلطان ، يجلس به كلَّ يومٍ مجلساً خاصَّاً ، فيحضر لديه كبار الأمراء ، ويقومون بين يديه حسب مدارجهم ، ويعرضون عليه مهمات الدولة ، ولذلك يسمونه «خلوت خانه» و«غسل خانه» و«دولت خانه» ، و«الديوان الخاص» ، وسبب تسميتها بغسل خانه : أن أكبر شاه التيموري أسس قصراً بين الديوان العام والحرم ، وبنى فيه الحمام ليغتسل فيه ، ويجلس ذلك القصر بعد قيامه عن الديوان العام ، فيتمثل بين يديه الوزراء ، ويكلمونه في مهمات الدولة ، فسماها الناس بغسل خانه ، ثم لما جلس شاهجهان بن جهانكير الدهلوي على سرير الملك ، سمَّاها بدولت خانه ، ثم بعد ذلك القصور المشيدة ، والمباني الشريفة ، والبساتين البديعة ، والحمام المليح ، والبروج المشرفة على نهر «جمنا» كلُّها من المرمر ، تجري فيها الجداول والأنهار ، ولا نظير لها في الحسن ، وغرابة الشكل ، وندرة الصنعة .



www.abulhasanalinadwi.org

الفصل السابع
في ذكر جلوس السلطان للناس

كان المملوكون ومن بعدهم من الملوك يجلسون للناس في الديوان العام كل يوم بعد العصر ، أو أول النهار ، وجلوسهم على مصطبة مفروشة بالبياض ، فوقها حشية ، ويجعل خلف ظهرهم مخدَّةٌ كبيرةٌ ، وعن يمينهم مَتكأ ، وعن يسارهم مثل ذلك ، وقعودهم كجلوس الإنسان للتشهد في الصلاة ، فإذا جلس ، وقف أمامه الوزير ، ووقف خلف الوزير ، وخلفهم الحجاب ، وكبير الحجاب ، ونائبه ، ثم يتلوه «خاص حاجب» ونائبه ، ثم وكيل الدار ونائبه ، وشرف الحجاب ، وسيد الحجاب ، وجماعة تحت أيديهم ، ثم يتلو الحجاب النقباء ، وهم نحو مئة أو يزيدون ، وعند جلوس السلطان ينادي الحجّاب والنقباء بأعلى أصواته بسم الله ، ثم يقف على رأس السلطان كبير الأمراء ، وبيده المذبة يشرد بها الذباب ، ويقف مئة من «السلحدارية» عن يمين السلطان ، ومثلهم عن يساره بأيديهم الدرق ، والسيوف ، والقسي ، يقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضاة ، ثم خطيب الخطباء ، ثم سائر القضاة ، ثم كبار الفقهاء ، ثم كبار الشرفاء ، ثم المشايخ ، ثم إخوة السلطان ، وأبناؤه ، وأصهاره ، ثم الأمراء الكبار ، ثم يؤتى بخيل كثيرة مسرجة وملجمة بجهازات سلطانية ، فيوقف نصف هذه الخيل عن اليمين ، والنصفَ الآخر عن الشمالَ بحيث يراها السلطان ، ثم يؤتى بأفيال مزينة بثياب الحرير والذهب ، مكسوةٌ أنيابها بالحديد لقتل أهل الجرائم ، ويوقف أيضاً نصفها عن اليمين ، ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين ، وكل من يأتي من الناس المعينين للوقوف في الميمنة والميسرة يطأطىء رأسه عند موقف الحجاب ، ثم ينصرف إلى موقفه لا يتعدَّاه أبداً ، ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلِّهم بأيديهم التروس

والسيوف ، فلا يمكن أحداً الدخول بينهم إلا بين أيدي الحجاب القائمين بين يدي السلطان .

وأما الملوك التيموريون ، فإنَّهم كانوا يجلسون للناس كلَّ يوم أول النهار في البرج المشرف على نهر «جمنا» ، وبينه وبين النهر ساحةٌ كبيرةٌ يملؤها الناس من الهنادك والمسلمين ، فكانوا يسجدون له ، ويركعون من بعيد ، وتعرض عليه العساكر في تلك الساحة الواسعة ، والأفيال العظيمة للمصارعة ، والخيل للرهان ، ويجلس بها نحو ساعتين ، ثم يذهب إلى الديوان العام ، ويجلس بها على سرير السلطة ، وكان مرتقاه على طول القامة ، وتحته كانت حلقةٌ واسعةٌ من الفضلة ، يقف فيها أبناء الملوك ، وكبار الأمراء ، وعظماء الهند ، وسفراء الملوك ، كلهم يقفون كما يقف الناس للصلاة ، وربما يأذن السلطان لأبنائه أن يقعدوا فيقعدون على سرير صغير أخفض من سرير السلطان تحته ، ويسمونه «صندلي» ، ومن ورائهم يقف عامة الأمراء ، ويتلوهم الناس من كلِّ صنف ودرجة أعلاهم وأدناهم ، ثم يؤتى بالأفراس المسرجة الملجمة بالجهازاتَ السلطاَنية ، والأفيال المزينة بثياب الحرير والذهب ، وعلى ظهورها الهوادج الفخيمة من الذهب والفضة ، ويؤتى بالظباء ، والمها ، والجواميس ، والكلاب المعلمة ، وغيرها من أصناف السباع ، والطيور المعلمات للصيد ، فيوقفونها بمرأى السلطان ومشهده ، وإذا جلس السلطان على سريره سلم عليه الناس ، وأظهروا عبوديتهم ، والآداب الخاصة ، ثم يقفون حسب درجاتهم ، ثم يمثل بين يديه الأمراء الوافدون من الأقطار في ذلك المشهد ويترخص منه الأمراء المأمورون في إحدى الجهات ، فيخلع عليهم ، ويؤذن لهم أن يركبوا ، ويعرض عليه عرائض أبناء الملوك ، وولاة الجهات ، وكبار الأمراء وهداياهم ، فكان السلطان يتناول عرائض كبار الأمراء بيده ، ويقرؤها بنفسه ، وعرائض صغارهم يتناولها الوزراء، ويعرضون مطالبها على السلطان ، ويعرض عليه «الميربخشي» مطالب أهل المناصب للزيادة في الرواتب ، أو لغرض آخر ، و«الميرآتش» يعرض عليه أغراض «البرقندازية» وغيرهم ، و«صدر الصّدور» يعرض عرائض الصدور ، والقضاة ، وغيرهم ، ويعرض عليه أغراض العلماء ، والأشراف ، وسائر أهل الاستحقاق ، و«ناظر العرض المكرر» يعرض عليه الأحكام السلطانية

في المناصب والإقطاع وغير ذلك ، و«آخوربيكي» يعرض عليه الأفراس الخاصة ، و«شحنة الفيل» الفيلة الشاهانية على الرسم المعتاد ، فيراها السلطان ، ويعاتبهم إذا رآها في حال غير مرضية ، ثم يعرض عليه متولي الداغ والتصحيحة (أي الوسم) فرسان الأمراء مع أفراسهم ، التي امتازوا بالوسم حالاً ، فإن رآها السلطان بحال لا يرضيه عاتب «التابين باشي» ، وكان السلطان يجلس «بالديوان العام» نحو خَمس ساعات نجومية ، ثم يذهب إلى «الديوان الخاص» ، فيحضر لديه الوزير و«الديوان» و«الميربخشي» و«صدر الصدور» وغيرهم من كبار الأمراء ، فيكلمه الوزير في مهمات الدولة ، وديوان الكل في الأموال الخالصة الشريفة ، ورواتب أهل المناصب والميربخشي في العسكرية ، وصدر الصدور في أهل الحاجات ، والسلطان يجاوبهم في ذلك بما يبدو له ، ويكتب بيده بعض التوقيعات ، ويحكم في بعضها أن يكتبه الوزير ، ثم يعرض عليه المناشير التي أنشأها الوزير ، فيطالعها ، ويصلحها إن رأى خللاً في عباراتها ، وكانت السنة المستمرة في المناشير أنها إذا رآها السلطان وأصلحها وكتبها الخطاطون تعرض عليه مرَّةً ثانيةً ، ثم يختم على ظهرها واحد من أبناء السلطان الذي يكون صاحب الرسالة ، ويكتب بيده الرسالة ، ويكتب فيما تحته ديوان الكل تعريفه ، ثم تبعث إلى الحرم ، أو إلى وكيل السلطة فيختم عليه بخاتم الكبير السلطاني ، ويسمونه «مهراوزك» .

وكذلك يمثل بين يده أهل الصنعة والبناء فيهديهم إلى ما يريد .

كان يجلس بهذا الديوان نحو خمس ساعات ، ثم يدخل في الحرم ، ويجلس بعد العصر بالديوان الخاص مرَّةً ثانيةً ، فيمثل بين يديه الأمراء ويكلمونه في المهمات كأول النهار كما تقدم .

والسنَّة المستمرة فيهم

والسنة المستمرة فيهم أنهم كانوا يخصُّون يوماً في كلِّ أسبوع للعدل ، فكان كل واحد منهم لا يجلس بالديوان العام يوم الأربعاء بل يجلس بالديوان الخاص ، فيحضر لديه القضاة ، وأهل الفتوى ، وأرباب العمائم ، فيعرض عليه ناظر العدلية الشكاة واحدةً بعد واحدة ، فيستنطقهم السلطان بنفسه ، ويسألهم

بغاية اللين والسهولة ، ويحكم بما يفتيه العلماء ، وإن كان المستغيث من بلدة بعيدة ، وكانت قضيته مما لا تفصل إلا بتلك البلدة بعث منشوراً إلى واليه في تلك البلدة أن يستدرك الحقيقة ، ويفصل القضية بما يفتيه العلماء ، وإن لم يستطع ذلك فليرسل المتخاصمين إلى دار الخلافة ، وكان عالمكير بن شاهجهان الدّهلوي يبالغ في ذلك ، كما عرفت فيما تقدم .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثامن

في ذكر الأعياد والمَوَاسم

اعلم أنَّ الملوك الإسلاميين بأرض الهند كانوا إلى مدَّة من الدهر ، لا يعلمون إلا العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى ، يركبون فيهما للصلاة مع الملوك والخواص ، وأرباب الدولة ، والأقرباء ، والكتاب ، والحجاب ، والنقباء ، والقواد ، والعبيد ، والفيلة ، كلُّها مع زينتها من الحرير والذهب والجوهر ، ويرفع على رأس السلطان «الجتر» أي المظلة المصنوعة من الحرير المرصَّعة بالجوهر ، قائمها من الذهب الخالص ، وترفع أمامه الغاشية ، ويمشي بين أيديهم العبيد ، والمماليك ، ويمشي بين أيديهم النقباء نحو ثلاثمئة ، أو يزيدون ، وفي أيديهم مقارع أنصبتها من ذهب ، ويركب القاضي الأكبر ، وسائر القضاة ، والفقهاء ، وكان كل أمير من الأمراء ينتظر السلطان بمنعرج الشارع على كلِّ طريق ، وهو في خدمه ، وفرسانه ، وطبوله ، وأعلامه ، فإذا خرج السلطان من باب القصر مع ما ذكرناه من المشاة ، وخلفه مراتبه ، وهي الأعلام ، والطبول ، والأبواق ، والأنفار ، والصرنايات ، وخلفهم جميع أهل دخلته يلحقون به مع أفواجهم ، وأعلامهم ، وطبولهم ، فإذا وصل السلطان إلى باب المصلى ، وقف على بابه ، وأمر بدخول القضاة ، وكبار الأمراء ، ثم نزل ويصلي الإمام ويخطب ، فإن كان عيد الأضحى ، أتى السلطان بجمل فنحره برمح ، ثم يركب الفيل ويعود إلى قصره.

ويفرش القصر يوم العيد ، ويزين بأبدع الزينة ، وتضرب الباركة على المشور كله شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة ، وتحفُّها القباب من

كل ناحية ، ويصنع شبه أشجار من حرير ملون ، فيها شبه الأزهار ، ويجعل منها صفوف ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه جشية مغطاة ، وينصب السرير الأعظم في الصدر ، وهو من الذهب الخالص ، كلُّه مرصع القوائم بالجواهر ، ويرفع «الجتر» المرصع بالجواهر على رأس السلطان ، وعندما يصعد على السرير ينادي الحجاب ، والنقباء بأصوات عالية : بسم الله ، ثم يتقدَّم الناس للسلام ، فأولهم القضاة ، والخطباء ، والعلماء ، والشرفاء ، والمشايخ ، وإخوة السلطان وأقاربه ، وأصهاره ، ثم أمراء العساكر ، ثم كبار الأجناد ، واحد إثر واحد ، ويعرضون على السلطان هداياهم ، فإذا فرغوا ، وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم .

وأما الملوك التيموريون فإنَّهم أكثروا الأعياد ، ومشوا على طريقة المجوس والوثنيين ، لاسيما أكبر شاه التيموري ، فإنه كان يفعل كل ما يفعله الوثنيون ، ويستحسنه ، ويرسم القشقة ، وهي لطخة حمراء على جبينه يوم العيد في برج سنبله ، ويربط سلكاً من الجواهر على أيدي البراهمة ، ويربط «راكهي» وهي عبارة عن صوف مفتل يربطونه في يوم معهود من كل سنة ، ولكن الملوك فيما بعده من أبنائه تركوا ذلك ، فنترك ذكره ، ونذكر ما كان على آخر عهدهم .

فمنها «النيروز» ، وهو عيدٌ كبيرٌ عندهم من أول يوم دخلت الشمس في برج الحمل إلى ما تقطع عشرة درجات منه ، فتأتي في درجة الشرف ، يزينون فيها القصور السلطانية بأبدع الزينة ، والسلطان كان يجلس للناس في الديوان العام ، ويحضر الأمراء فيحيونه ، ويعرضون عليه الهدايا الثمينة من الأفيال ، والخيل ، والأقمشة ، والجواهر وغيرها ، ويقومون بين يديه على هيئة القيام للصلاة ، فيمنحهم المناصب والإقطاع .

ومنها «سالكره» وهو يوم ولد فيه السلطان ، و«سال» في اللغة السنة ، و«كره» بكسر الكاف الفارسية العقدة ، يسمونه «بسالكره» ، لأنهم يعقدون في سلك الصوف المفتول عقدةً في ذلك اليوم ، وكان السلطان يجلس بالميزان ، فيوازنونه مرَّةً بالذهب ، ومرة بالفضة ، وعشر مرات بأجناس الحبوب من الحنطة ، والشعير ، وغيرهما ، ثم يتصدقون بكل ذلك على الفقراء والمساكين ،

ويفرحون في ذلك كل الفرح ، ويزينون القصور ، والدور غاية الزينة ، وكانوا يفعلون ذلك مرتين في السنة ، مرَّةً بالدورة القمرية ، ومرَّةً بالدورة الشمسية .

ومنها عيد الفطر ، فكان السلطان يركب إلى المصلى ، ومعه الأمراء في جيوشهم وأعلامهم ، ثم يجلس في قصره فيحييه الأمراء ويعرضون عليه الهدايا[1] ، فيمنحهم المناصب والأقطاع .

وكان عالمكير بن شاهجهان الدهلوي قد رفع النيروز ، لأنه من أفعال المجوس ، واستبدله بعيد الفطر ، فكان يظهر الفرح والسرور من العيد إلى العشر الأوائل من شوال .

ومنها عيد الأضحى ، فكان يركب السلطان فيه للصلاة مع جيوشه ومعه الأمراء مع جيوشهم ، فيصلي وينحر الجمل في المصلى ، ويجلس للناس ، ويقبل هداياهم ، ويعطيهم الأقطاع والمناصب نحو ما مرَّ .

وفـي غيـر ذلك من الأيـام

فإنهم كانوا في ليلة النصف من شعبان يزينون الليلة بالشموع ، ويتصدقون بالأموال الطائلة ، وفي رمضان يزينون المساجد ، ويتصدقون ويوسعون في الأطعمة ، وفي ربيع الأول يزينون القصور ، ويعقدون المجالس تذكاراً لمولد النبي ﷺ ، ويتصدَّقون ، وفي العشرة الأولى من المحرم يتصدقون تذكاراً لشهادة الإمام حسين بن علي رضي الله عنهما ، وفي ليلة السابع والعشرين من رجب يزينون المساجد والمحافل ، ويتصدَّقون تذكاراً لمعراج النبي ﷺ .

وأما صدقاتهم في تلـك الأيام ، فكان شاهجهان بن جهانكير الدهلوي ، ومن قبله من الملوك التيموريين يتصدَّقون باثني عشر ألف ربية في المحرم ، ومثلها في ربيع الأول ، وبعشرة آلاف في رجب ، وبخمسةَ عشر ألفاً في شعبان ، وبعشرين ألفاً في رمضان ، فكانوا يتصدَّقون في تلك الأيام تسعة

---

(١) عادتهم في تقديم هذه الهدايا أن تكون دنانير يجعلها أحدهم في راحة كفيه اليمنى واضعاً ظهر يده اليمنى على راحة كفه اليسرى ، ثم يقدمها إلى السلطان راكعاً .

وسبعين ألفاً ، فلما جاء عالمكير بن شاهجهان الدَّهلوي أمر أن يتصدق بها في تلك الأيام ، وزاد عشرة آلاف ربية غيرها في كل شهر غير الأشهر المذكورة ، فكان يتصدَّق بتسعة وأربعين ألفاً ومئة ألف في السنة ، غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم غير المذكورة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل التاسع
في خروج السلطان إلى بلاده

إذا أراد السلطان أن يخرج من دار الخلافة إلى إحدى جهات ملكه ، يكون معه من العسكر خمسة وثلاثون ألف فارس ، وعشرة آلاف رجالة ، ومن المدافع قريباً من سبعين مدفعاً ، يسمونها «همركاب توب خانه» ، وجماعة من الأمراء وأهل المناصب والأحديين غير من يسافرون معه من أهل الحرف والصنائع ، والنجارة والسوقة ، وأهل الخدمة لأغراضهم ، وأغراض الأمراء المسافرين معه ، فيكون في ركابه قريباً من ثلاثمئة ألف من الناس ، فيكون معسكره على سبعة أميال من الأرض تقريباً ، ويكون له من كل شيء من الخيم وغيرها مثنى مثنى ، إحداها تتقدم منزلاً ، ويقال لها «بيش خيمه» لئلا يتجشم السلطان كلفةً في أثناء السفر ، وأما ترتيب المعسكر ، فيكون على ذمة «ميرسامان» وهو يقسم قطعات الأرض على الأمراء لخيامهم ، وينتخب قطعةً كبيرةً في وسط المعسكر للخيام السلطانية ، ويرفعها من سطح الأرض ، ثم يحيط تلك البقعة بالسياج ، وهي الثياب الخشنة التي يصنعونها كالجدران ، وينصب في إحدى الجوانب باب كبير في غاية الحسن والارتفاع ، فإن دخلت فيه وجدت خيمةً كبيرةً مرتفعة حمراء يسمونها «عام خاص» ، وهي الخيمة التي يجلس بها السلطان للناس صباحاً ومساءً ، كما يجلس في الديوان العام بدار الخلافة ، ثم بعد ذلك تجد خيمةً أصغر منها ، ويسمُّونها «غسل خانه» يجلس بها السلطان كلَّ يومٍ مساءً يحضر بها كبار الأمراء للتحية ، ثم بعد ذلك تجد خيمة أصغر منها ، ويسمُّونها «خلوت خانه» ، ويجلس بها السلطان في الأوقات الخاصة ، ويحضر بها المقربون من الأمراء ، ثم تجد بعد ذلك خيمةً محاطةً بسياج أحسن من الخيام المذكورة ، ويسمُّونها «خاص الخاص» ، وهي للسلطان خاصَّةً ، لا يدخل فيها

أحدٌ من الناس ، وتتصل من تلك الخيمة خيم المخدرات السلطانية ، وتتصل بها خيم أهل الخدمة للحرم السلطاني ، وتتصل بالخيم السلطانية في جانبيه خيم مستطيلة للخيل السلطانية المسرجة الملجمة بالجهازات السلطانية ، وكذلك في كلا جانبيه ينصبون المدافع المذكورة ، وأما خارج الباب المذكور فتكون خيمةٌ كبيرةٌ على محاذاته «للطبلخانه» فيها الأنفار ، والأبواق ، والصرنايات ، يضربونها في أوقاتها ، كما يضربونها بدار الخلافة ، وتتصل بها خيمةٌ كبيرةٌ ، يسمونها «جوكي خانه» يسكن بها الأمراء من أهل النوبة يوماً وليلةً ، كما كانوا يسكنون بدار الخلافة ، وأما في جهاتها الثلاث ، فينصبون خياماً كثيرة لأهل الخدمات والإدارات السلطانية ، «كالسلاح خانه» و«توشك خانه» و«آبدار خانه» و«باور جيخانه» أي المطبخ السلطاني ، خمس عشرة خيمة ، وفيما وراء الخيام السلطانية تكون خياماً للخيل ، والأفيال ، والجمال ، والكلاب المعلمة ، والسباع ، والطيور المعلمات للصيد.

وأما خيام الأمراء فتكون حول الخيام السلطانية ، والأبواب كلُّها تكون إلى الخيام السلطانية المذكورة ، والسلطان يركب على الأفيال العظيمة ، عليها الهوادج الكبيرة من الذهب والفضة ، وربما يركب على الخيل المسرجة بالحرير والذهب ، والأمراء كلُّهم يركبون على خيلهم في حالة السفر.

❊ ❊ ❊

الفصل العاشر

في آداب التحيَّة بين أيدي السلاطين

أنت تعلم أنَّ الإسلام ما وضع للناس تحيةً غير التسليم والترحيم ، حتى أنَّ الناس كانوا يدخلون على الخلفاء ويقولون : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! وهو لا يشمئز منه ، ثم لما تداولت السلطة بأيدي الترك ، والتتر ، لم يقنعوا بذلك ، ووضعوا لها آداباً ورسوماً غير ما وضع لهم الشارع ، وسابق في ذلك بعضهم بعضاً ، حتى جاء كبيرهم أكبر شاه التيموري فإنه وضع لها قواعد وآداباً ، فجعل التحية على ثلاث أصناف : أولها «الكورنش» وهو أن يضع يمينه على جبينه ، ويطأطىء رأسه إلى الصدر ، وثانيها «التسليم» وهو أن يضع ظاهر الكف من يمناه على الأرض ويقوم ، ويضع باطنه على الرأس ، وثالثها «السجدة» كما يسجد في الصلاة .

ثم إنَّه وضع لها أوقاتاً ، أما «الكورنش» فإنه إذا برز السلطان لجلوسه للناس ، أو إذا حضر أحد بين يديه فيلزم عليه أن يفعله ، ثم يقوم مقامه ، وأما «التسليم» فإنه إذا سعد أحد من الأمراء بزيارة السلطان أول مرة ، أو قدم من سفر ، أو خلع عليه ، وأعطى الخيل ، والأفيال ، والمنصب ، والأقطاع ، أو إذا رخص له السلطان إلى إحدى الجهات فيلزم عليه أن يفعل ذلك ثلاث مرات ، وفي غير ذلك من العطايا فيكفيه تسليم واحد ، وأما «السجدة» فإنه إذا كان السلطان في الديوان الخاص وأذن لواحد من الأمراء أن يقعد ، فعليه أن يسجد بين يديه ، ثم يقعد مكانه .

فلما جاء شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي نهى الناس أن يسجدوا له ، لما ورد النهي عن ذلك في الشريعة المطهرة ، وأمر أن يضع كفيه على الأرض ، ثم

يقبل ظاهرهما ، وسمى ذلك «زمين بوس» واستثنى من ذلك العلماء والمشايخ ، وأجاز لهم أنَّهم إذا أدركوا السلطان أن يسلموا عليه بالتحية المسنونة ، وإذا رخص لهم أن يقرؤوا الفاتحة ، ثم بعد ذلك نهى الناس عن «زمين بوس» أيضاً ، لأنها تشابه السجدة ، ووضع مقامه التسليم الرابع .

ثم لما جاء عالمكير بن شاهجهان المذكور نهاهم عن «الكورنش» سنة ١٠٨٢ هـ ، وأمر أنهم كلما أدركوا السلطان فليسلموا عليه بالتحية المسنونة .

هذا ما كان من أمر التحية ، فأما آداب القيام والقعود بين أيدي الملوك ، فإنها كانت أيضاً من مخترعات أكبر شاه التيموري ، لأن الناس قبله ربما كانوا يقعدون بأيدي الملوك ، فهو أول من أمرهم بالقيام كما يقوم الناس للصلاة ، ووضع له آداباً : الأول ، أنَّ السلطان إذا كان يجلس للناس فأبناء الملوك والأمراء كلهم يقومون بين يديه كما يقوم الرجل في الصلاة ، الثاني : أن الولد الأكبر وولي عهده بعده يقوم فيما بين ذراع منه إلى أربعة أذرع لا يتجاوز ذلك ، ويتلوه شقيقه فيما بين ذراع ونصف إلى ستة أذرع ، ثم يتلوه شقيقه الآخر على تلك المناسبة .

الثالث : أنَّ الأمراء من الرتبة الأولى يقومون فيما بين ثلاثة أذرع منه إلى خمسة عشر ذراعاً ، ثم يتلوهم الأمراء من الرتبة الثانية ، ويقومون على بعد ثلاثة أذرع ونصف منهم ، ثم يتلوهم الأمراء من كل طبقة ودرجة ، ويقومون على تلك المناسبة ، ثم يتلوهم الناس عامة .

وكذلك وضع للقعود أيضاً آداباً : الأول : أنَّ السلطان إذا كان يجلس في «الدولت خانه» يقعد أبناؤه بين يديه ، كما يقعد الرجل في الصلاة ، وكان السلطان يجلس على السرير بتلك الهيئة ، الثاني : أنَّ السلطان إذا أذن لواحد من الأمراء في القعود يسجد له ، ثم يقعد بتلك الهيئة . الثالث : أن الأمراء إذا قعدوا بين يديه بأمره ، قعد الكبار منهم فيما بين خمسة أذرع منه وعشرين ذراعاً ، ويتلوهم صغار الأمراء بالمناسبة المذكورة في القيام .

❊ ❊ ❊

الباب الثاني

في فصولٍ مهمَّة لابدَّ من استحضارها عند النظر في أخبار الهند

الفصل الأول ـ في ذكر السنين والشهور والساعات

أسماء الشهور القمرية ، ووجه تسميتها بتلك الأسماء مذكور في الكتب المطولة ، وفي السنة اثنا عشر شهراً ، وهي: المحرم ، ثم صفر ، ثم ربيع الأول ، ثم ربيع الآخر ، ثم جمادى الأولى ، ثم جمادى الآخرة ، ثم رجب ، ثم شعبان ، ثم رمضان ، ثم شوال ، ثم ذو القعدة ، ثم ذو الحجة ، ومدارها على الهلال، وهي السنة القمرية، وهو حساب المسلمين لعباداتهم، وأعيادهم ، ومبدأ السنة القمرية من زمان هجرة النبي ﷺ ، وأول من وضع التاريخ الهجري سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والهجرة النبوية إنما وقعت في ربيع الأول ، ولكنهم بدؤوا التاريخ بأول شهر السنة ، وهو المحرم .

وأما السنة الشمسية فيعرف حسابها بدوران الشمس ، فابتداؤها بحساب الرومية من «مهرجان» وهو أول الشهور بلسانهم ، ثم تشرين الأول ، ثم تشرين الآخر ، ثم كانون الأول ، ثم كانون الثاني ، ثم شباط ، ثم آذار ، ثم نيسان ، ثم آيار ، ثم حزيران ، ثم تموز ، ثم آب ، ثم أيلول ، ومبدؤها بالفارسية من أيام النيروز ، وأول الشهور عندهم فروردين ، ثم أردي بهشت ، ثم خورداد ، ثم تير ، ثم مرداد ، ثم شهريور ، ثم مهر ، ثم آبان ، ثم آذر ، ثم دي ، ثم بهمن ، ثم اسنفديار .

وأول الشهور عند الهنود: جيت ، ثم بيساكر ، ثم جيته ، ثم أسارّه ، ثم ساون ، ثم بهادون ، ثم كنوار ، ثم كاتك ، ثم أكهن ، ثم بوس ، ثم ماكه ، ثم بهاكن.

وأول الشهور عند الأوربيين: جينوري ، ثم فبروري ، ثم مارج ، ثم أبريل ، ثم مئي ، ثم جون ، ثم جولائي ، ثم اكست ، ثم سبتمبر ، ثم أكتوبر ، ثم نوفمبر ، ثم دسمبر.

والشهور الشمسية بعضها تكون تسعة وعشرين يوماً ، وبعضها ثلاثين يوماً ، وبعضها أحداً وثلاثين؛ وشهر من الشهور الإنكليزية يكون ثمانية وعشرين يوماً ، والضابطة في الشهور الفارسية هذا البيت:

لا ولا لب ، لا ولا لاشش مه أست   لل لط ولط ، لل شهور كوته است

المسلمون في الهند وطريقهم في التاريخ

وأما المسلمون في الهند ، فكانوا من سالف الزمان يحسبون عباداتهم ومعاملاتهم بدوران القمر ، ويبدؤون السنة القمرية من زمان هجرة النبي ﷺ ، ثم لما ولى المملكة أكبر شاه التيموري ، أمر الشيخ فتح الله الشيرازي سنة ٩٩٢ هـ أن ينشيء تاريخاً جديداً ، يقوم على الدورة الشمسية ، فأسسه على الزيج الألغ بيكي ، وجعل مبدأه من جلوس السلطان المذكور على سرير السلطة ، وحط الكبيسة عنه ، وأخذ الشهور الفارسية ، فسماه أكبر شاه المذكور بالتاريخ الإلهي ، وروّجه في الهند ، وأسس عليه حسابات المملكة ، فبقيت مشهورةً في الهند إلى انقراض الدولة ، ثم لما غلب الإنكليز على أرض الهند جعلوا السنين الميلادية في معاملاتهم ، فلم يبق للشهور الفارسية والسنة الإلهية عينٌ ولا أثرٌ إلا في الدولة الآصفية ببلاد دكن.

الساعات النجومية

أما الساعات النجومية ، فإنَّ أهل الهند كانوا يقسمون الليل والنهار على ستين جزءاً متساوية: ويسمُّون كلَّ جزء منها الساعة ، وفي اللغة الهندية

«كهري» ، وكانوا يبدؤون الليل والنهار من غروب الشمس وطلوعها ، فكل ما وصلت الشمس إلى نقطة الاعتدال الربيعي والخريفي يتساوى الليل والنهار في الساعات ، فيكون ثلاثين ساعة في الليل ، وكذلك في النهار ، ثم حين تنحرف الشمس عن النقطتين المذكورتين ، يتفاوت الليل والنهار بقدر الانحراف ، ولذلك تتفاوت الساعات الليلية والنهارية.

ثم إنهم قسموا الليل والنهار على ثمانية أقسام: أربعة في الليل ، وأربعة في النهار ، وسمُّوا كلَّ قسم منها «بهر» بفتح الباء الهندية وكسر الهاء وسكون الراء المهملة ، والمشهور أنَّ في كل «بهر» ثماني ساعات ، ولكن الحساب لا يساعده إلا بالكسر.

* * *

الفصل الثاني
في ذكر النُّقود بأرض الهند

النقود التي كانت جاريةً في العصور الماضية بأرض الهند، كانت مختلفة باختلاف العهود والأزمان، لم نقف على أكثرها، فلنقتصر منها ما وقفت عليه ثم إنا نزنها على النقود الإنكليزية المروجة في زماننا هذا بقدر الاستطاعة.

فليعلم أنَّ النقود التي كانت مروجةً أيام المملوكين وفيما بعدهم، كانت على ثلاثة أقسام: (١) الذهبية، ويسمُّونها «تنكة» وزنها «تولة واحدة» غالباً، (٢) الفضية، ويسمُّونها أيضاً «تنكة» ووزنها أيضاً كان «تولة واحدة»، (٣) النحاسية ويسمونها «جيتل» بكسر الجيم، وزنها «تولة واحدة»، وقيل تولة وثلاثة أرباع منها، وكان «التنكة الفضية» واحدةٌ منها تعدل خمسين جيتلاً.

والنقود التي كانت مروجةً بأرض «دكن» أغلبها «هن» بضم الهاء وسكون النون وكانت سكة ذهبية توازن ثلاث «ماشات» وربع «رتى»، وقيمته في أيام قطب شاه ثلاث ربيات ونصف ربية.

والنقود التي كانت مروجةً في أيام الملوك التيمورية كانت على أصناف: (١) الأشرفي، السكة الذهبية، وكانت مختلفةً، بعضها أغلى من بعض، فأغلاها توازن مئة تولة، وواحدة منها ثمنها ألف ربية إنكليزية، ثم تنقص منها شيئاً فشيئاً، وكانت هذه النقود يبذلها السلاطين على الأمراء بطريق الصلاة، والجوائز، وأما ما كانت مروجةً في المعاملات، فهي توازن تولة واحدة، أو ناقصاً منها بقدر «ماشه» واحدة، ومنها ما كانت توازن تولة واحدة، فكان ثمنها عشر ربيات إنكليزية، وما كانت ناقصةً عن «توله» بقدر «الماشه» قيمتها تسع ربيات إنكليزية، وهذا في عهد أكبر شاه التيموري، وأما في أيام عالمكير بن

شاهجهان الدَّهلوي ، فكان ثمن الأشرفي سبع عشرة ربية إنكليزية ، (٢) الربية ، وهي السكة الفضية ، فهي أيضاً كانت مختلفة ، أشهرها كانت توازن إحدى عشرة «ماشه» وأربع «رتي» ثمنها ست عشرة آنه ، (٣) «بيسه» وهي السكة النحاسية توازن «توله» واحدة وثماني «ماشات» وسبع «رتي» وثمنها كان قريباً من ثمن «دام» ، (٤) «دام» وهي أيضاً سكة نحاسية كانت توازن «تولة» واحدة وثمان «ماشات» وسبع «رتي» ، فخمسة «دام» ثمنها آنتان بالسكة الإنكليزية ، وعشرة منها ثمنها أربع آنات إنكليزية ، وأربعون «داماً» ثمنها ربية إنكليزية وأربعمئة «دام» ثمنها عشر ربيات إنكليزية ، وأربعة آلاف منها ثمنها مئة ربية ، وأربعون ألفاً منها ثمنها ألف ربية إنكليزية ، وقس على ذلك سائرها .

وأما النقود الإنكليزية المروجة في زماننا هذا بأرض الهند ، فالأشرفي سكة ذهبية ويسمُّونها «ساورن» و«كني» ثمنها خمس عشرة ربية ، و«الربية» سكة فضية توازن اثنتي عشرة «ماشه» تبادل بأربعة وستين فلساً نحاسياً ، وأربعة فلوس منها يسمُّونها «آنه» ، وفي كل فلس ثلاثة «بائي» واثنتا عشرة «بائي» في كل «آنه» ، و«أته أني» سكة فضية ثمنها ثماني آنات ، و«جوآني» أيضاً سكة فضية ثمنها أربع آنات ، و«دوأني» أيضاً سكة فضية ثمنها آنتان ، و«بيسه» سكة نحاسية وهي الفلوس ثمنها ثلاثة «بائي» .

دليل موازين الهند ومقاييسها ونقودها

بحيث إنَّ كلَّ بلد في العالم مختلفٌ عن غيره في الثقافة وألوان المدنية تعمُّ فيه أوزان ومقاييس تَخصُّه ويتعامل فيه بها ، كذلك كانت للهند أوزان ومقاييس ونقود مختلفة عن أوزان البلدان الأخرى ومقاييسها ونقودها ولا يزال بعض هذه الأوزان والمقاييس والنقود سارياً إلى اليوم وبعضها قد انقطع ودخل في التاريخ ، وبحيث إنه يصعب فهم مقادير الأشياء إلا بمعرفة تلك الموازين السارية العمل في الزمن الذي نقرأ تاريخه ، فوجب أن نقدم معادلةً بينها وبين الموازين التي تعرف في العصر الحاضر ، وهي كما يلي :

أولاً ، الأوزان :

رَتي وتعادل ١٢١ ملِّي جرام ونصف .

ماشه (وهي ٨ رَتّي) وتعادل ٩٧٢ ملّي جرام.
تُوله (وهي ١٢ ماشه) وتعادل ١١ جراماً و٦٦٤ ملّي جرام.
سير (وهي ٨٠ توله) وتعادل ٩٣٣ جرام و١٢٠ ملّي جرام.
مَنْ (وهي ٤٠ سير) وتعادل ٣٧ كيلو جرام و٣٦٠ جارم.

ثانياً: المقاييس وأخصها جَزْ وأجزاؤه:

جَزْ ويكتب في الهند كَزْ ويسمى بالياردة في البلاد العربية اليوم بصورة عامة، وهو أقصر من متر بنحو تسعة سنتيمترات ونسبته إلى متر أنه يساوي منه ٠,٩١٤٣٨٣ جزءاً يعني يعادل أكثر من ٩١ سنتيمتراً.

فيث أحد الأجزاء الثلاثة من كل جز، ويسمى بالقدم في البلاد العربية.

إنش أحد الأجزاء الاثني عشر من كل قدم ويسمى بالبوصة في بلاد العرب.

جرَه أحد الأجزاء الستة عشر من كل جز يعني الياردة.

ثالثاً: النقود وكانت تقوم بأوزان المعدن الذي كانت تشتمل عليه وهي كما يلي:

- تَنْكا من الذهب ووزنه ١ توله يعني ١١ جرام و٦٦٤ ملّي جرام.
- تَنْكا من الفضة ووزنه ١ توله يعني ١١ جرام و٦٦٤ ملّي جرام.
- تَنْكا من النحاس ووزنه ١ توله يعني ١١ جرام و٦٦٤ ملّي جرام.

وخمسون جيتلاً يعادل تنكاً فضياً واحداً.

- هُنْ من الذهب ووزنه ٣ ماشه و١/٣ رتي يعني ٣ جرام و٩٣١ ١/٣ ملي جرام وهو يساوي ثلاث روبيات ونصف روبية.
- أشرفي من الذهب ووزنه ١٠٠ توله يعني ٦٦١١ جرام و٣٨٠ ملي جرام وهو يساوي ألف روبية.
- أشرفي من الذهب نفسه ولكنه بوزن توله واحد فقط وقيمته تساوي جزءاً واحداً من مئة أجزاء أشرفي الكبير.
- روبية من الفضة ووزنها ١١ ـ ماشه و٤ رتي يعني ١١ جرام و١٧٨ ملّي جرام.

بيسه من النحاس ووزنها ١ ـ توله و٨ ماشه و٧ رتي يعني ٢٠ جراماً و٢٩٠ ملّي جرام.

دام مثله ووزنها ١ توله و٨ ماشه و٧ رتي يعني ٢٠ جراماً و٢٩٠ ملّي جرام، واثنان ونصف من كل واحد منهما يساوي آنةً واحدةً.

خمسة دامات	وهي آنتان.
عشرة دامات	وهي أربع آنات.
أربعون داماً	وهي ١٦ آنة: روبية واحدة.
٤٠٠ دام	عشر روبياتٍ.
٤ آلاف دام	مئة روبية.
٤٠ ألف دام	ألف روبية.

جنيه من الذهب ويساوي ١٥ روبية.

روبية من الفضة ولكنَّها بوزن ١٢ ماشه وهي تساوي ٦٤ بيسه.

بيسه من النحاس وأربع منها تساوي آنةً واحدة.

جوني وهي أربع آنات.

أتهنّي وهي ثماني آنات.

* * *

الفصل الثالث

في تحقيق المَوَازين وتفصيلها

اعلم أنَّ الموازين بأرض الهند كانت متشتةً لا يحصرها البيان ، ولكن غرضنا بيان الموازين التي كانت رائجةً في عهد الإسلام ، وأشهرها «الحبة» التي يقال لها «رتي» و«سرخ» توازن ٢ ١/٨ كرين الإنكليزي ، و«الماشه» توازن ثماني «حبات» ، و«توله» توازن اثنتي عشرة «ماشه» والآثار كانت مختلفةً ببلاد الهند على اختلاف الدهور والأعوام: (١) كان بعضها يوازن في العصر السالف ثمانية عشر «داماً» ، (٢) وبعضها يوازن اثنين وعشرين «داماً» ، (٣) وفي أوائل عهد أكبر شاه توازن ثمانية وعشرين «داماً» ، (٤) وفي أواخر عهده ثلاثين «داماً» ، وخمسة «تانك» أي «توله» وثماني «ماشات» ، (٥) وفي أيام شاهجهان وولده عالمكير كان توازن ستين فلساً عالمكيريا ، والفلوس العالمكيرية توازن أربع عشرة ماشه ، (٦) وفي عهد محمد شاه الدّهلوي كان توازن أربعة وستين فلساً عالمكيرياً ، (٧) وفي هذا العصر توازن ثمانين توله ، وأما «المن» فهو أربعون آثار مطلقاً .

وأما الذراع ، فكانت تنقسم على أربع وعشرين حصة متساوية ، يقال لكل حصة منها طسوج ، والطسوج قدر حبتين ، والحبة قدر شعيرين ، والشعير قدر ستة خرادل ـ إلى غير ذلك من التقسيمات ، وفي بعض الديار قسموها على أربع وعشرين إصبعة مضمومة ، وقدَّروا الإصبع على ست شعيرات مضمومة عرضاً ، وفي بعضها قدَّروها على يد وشبر وإصبعين ، وقسموها على ست عشرة إصبعاً ، وسمَّوا كلَّ أربع أصابع منها «كره» بكسر الكاف الفارسية ، ومعناه العقدة .

وأما الذراع الذي يستعمل في العمارات ، فالمشهور منه ما يكون سبع

قبضات ، وبعضهم مدُّوا الإبهام في السابع ، والسلطان سكندر بن بهلول اللودي قدره على اثنتين وثلاثين إصبعاً ، وأكبر شاه التيموري قدره إحدى وأربعين إصبعاً ، وحفيده شاهجهان قدره اثنتين وثلاثين إصبعاً .

وأما الجريب وهو الذراع التي تمسح بها الأرض ، فالمشهور منها في العصر السالف خمسون أو خمس وخمسون ذراعاً ، وأكبر شاه المذكور قدرها ستين ذراعاً ، ووضع الجريب من أنبوبات القصب ، وأدخل فيها سلسلة من الحديد لئلا يزيد وينقص .

تقسيم الأرض بحسب المساحة

وأما تقسيم الأرض بحسب المساحة على حصص متساوية ، فمنها «بيكه» بكسر الموحدة وسكون التحتية ، قطعة من الأرض ، في الطول والعرض ستون ذراعاً ، فإن نقصت طولاً أو عرضاً فيمسحونها بالمكسر . ويقدرونها ثلاثة آلاف وستمئة ذراع مكسراً ، ثم يقسمونها على عشرين حصة متساوية ، ويسمُّون كلَّ واحد منها «بسوه» بكسر الموحدة وسكون السين المهلمة ، ثم يقسمونها على عشرين حصَّة متساوية ، ويسمُّون كلَّ حصة «بسواسه» بكسر الموحدة ، ثم يقسمونها إلى غير ذلك من التقسيمات التي يعرِّفها أهل الفن ، ولا طائل تحتها .

وأما الميل ، ويسمونه في اللغة الفارسية «كروه» ، وفي اللغة الهندية «كوس» بضم الكاف ، فهو خمسة آلاف ذراع ، والذراع اثنان وأربعون إصبعاً ، كما مرَّ .

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع

في أصناف الأرض في بلاد الهند

لا يخفى عليك أنَّ المشتغلين بأخبار الملوك ، لم يضبطوا أصناف الأرض من جهة القبض والتصرُّف ، فنحن نقتصر على ما وجدنا في الدولة الآصفية بحيدر آباد ، لأنها أشبههم في العوائد والمالية إلى هذا اليوم .

فاعلم أنَّ أرض الهند من جهة القبض والتصرف كانت على أصناف :

(١) الخالصة الشريفة ، (٢) صرف خاص ، (٣) بائيكاه ، (٤) جاكير ، (٥) الإنعام ، فالخالصة الشريفة : الأرض التي تحصل منها المالية للسلطان ، وتجتمع في بيت المال ، وهي تكون تحت ديوان الكل ، وأما صرف خاص ، فالأرض التي تحصل منها المالية ، وتجتمع في الخزانة الشاهانية ، والسلطان ينفق فيما يحتاج إليه من ملبوسه ، ومطعومه ، وخدمه ؛ وأما بائيكاه ، فالأرض التي أعطاها السلطان أمراءه لحشد الجيوش والعساكر ؛ وأما جاكير فهي على ثلاثة أقسام : الأول : «التحفة» أو «إنعام التحفة» ، وهي الأرض التي يعطيها السلطان لبعض المستحقين ، وتكون موروثة في أولاده ، والثاني «ذات جاكير» وهي لمن يعطيه السلطان خاصَّةً لذاته ، ولا يجري الإرث فيها ، والثالث «تنخواه محلات» وهي تكون بدلاً للرواتب الواجبة على السلطان ، وأما إنعام ، فهي الأرض التي يعطيها السلطان تبرعاً ، أو صلةً للخدمة ، وتكون أقلَّ من قرية .

أصناف الأرض من غير تلك الجهة

والأرض تنقسم من غير تلك الجهة على أقسام : الأول «بيشكش» وهي

الأرض التي تكون بأيدي المرازبة ، ويأخذ عنها السلطان النذور المعينة ، ولا يسامح فيها شيئاً عند الجدب والغلاء ، ويكون أمر الأرض بيدهم من كل الوجوه؛ والثاني «سربسته» أو بالمقطعه ، وهي التي تكون بيد المرازبة أقل مرتبة من الأرض المذكورة ، وإن كانت تشابهها في بعض الوجوه ، ويأخذ عنهم السلطان النذور المعينة ، ولا يعفو عند الجدب والغلاء؛ والثالث «بن» مقطعه ، الأرض التي تشابه الأرض المذكورة في بعض الوجوه ، وتكون أقل مساحةً منها ، ويأخذ للسلطان النذر المعين عليها ، والرابع «أكرهار» الأرض التي تكون بأيدي البراهمة لمعابدهم ، ويؤخذ منها شيء معين على طريق النذر؛ والخامس «مكاسا» الأرض التي يؤخذ شيء معين من محاصلها ، وكانت بأيدي الناس في العهد السالف ، والسادس «أملي» بضم الهمزة ، الأرض تشابه المكاسه ، والفارق بينهما أن هذه كانت لأبناء الوطن فقط .

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس
في العشر والخراج وغير ذلك

اعلم أنَّ الملوك الإسلامية بأرض الهند لم يكونوا على خطَّة واحدة في أخذ المالية ، ولم يكونوا سواء في الملك ، ولذلك كانت مختلفةً ماليتهم ، فمنهم من كان يأخذ العشر والخراج على ما حدَّه الشرع ، ولا يزيد على ذلك ، ومنهم من كان يزيد على حدود الشرع ، ويأخذ المكوس على أنواع كثيرة ، ومنهم من يأخذ الجزية من أهل الذمة ، ومنهم من يبطلها ، ومنهم من كان حاز البلاد كلها من أقصى بنكاله إلى كشمير ، ومنهم من اقتصر على دار الملك دهلي ، وعلى ما يليها من البلاد.

فأما طريقهم في أخذ المالية ، وعوائدهم في ذلك ، فمنها أنَّ علاء الدين الخلجي كان يأخذ الخراج من الأرض بقدر نصف المحاصيل ، وأمر أن يؤخذ من كلِّ مقدم ، وجودهري ، ومن عامة رعاياه بغير استثناء وفق المساحة بقدر النصف ، وكان يأخذ المكوس على أنواع كثيرة ، كمكس العليف ، والبيوت ، والاحتساب ، والمصادرات ، وغير ذلك من ثلاثة وعشرين صنفاً.

ومنها أن فيروز شاه الدهلوي أبطل المكوس والمالية التي ليس لها أصل في الشرع ، وكان يأخذ من الأرض المزروعة عشرها ، والزكاة من المسلمين ، والجزية من أهل الذمة ، ومما يحصل من المعادن خمسها وخمس الغنائم ، ومنها أن شير شاه السوري وضع القوانين لأخذ المالية ، وأمر بمساحة الأرض كلَّ سنة ، وقرَّر المالية على أجناس الغلَّة ، وكان يأخذ ثلث ما يحصل من الأرض المزروعة ، وكذلك أسس القواعد للمكس ، وأمر أن لا يؤخذ المكس من أهل التجارة إلا مرتين: مرَّةً إذا دخلوا بأموال التجارة في بلاده ، ومرَّةً إذا بيعت ، ومنها أكبر شاه التيموري فإنه أيضاً وضع قواعد كثيرةً لأخذ المالية ،

الأول: أنه أمر بمساحة الأرض وتحديدها على أنواع الأرض، والثاني: أنه قسم الأرض المزروعة على ما يسقى من الأمطار، وما يسقى من الآبار والأنهار، والثالث: أنه جعل فيما يسقى من الأمطار نصف المحاصيل حقه، ونصفها حق الزراع، وفيما يسقى من الآبار والأنهار بقدر الثلث، وفي أمثال قصب السكر التي يحتمل الزراع بها متاعب كثيرة بقدر الربع والخمس، أو السدس، أو السبع، حسبما تقتضيه الحالة، والرابع: قدر نصاب نظم المالية تبلغ خمسة وثلاثين نوعاً، ومنها: أنَّ عالمكير بن شاهجهان الدهلوي أبطل ثمانين نوعاً من المكس في سنة ١٠٦٩ هـ، ونهى في سنة ١٠٨١ هـ أن يؤخذ من المسلمين شيء في أموالهم التجارية، ثم أمر أنه إذا بلغت أموالهم النصاب يؤخذ عنهم على وجه الزكاة ربيتان ونصف الربية في المئة، ويؤخذ من الهنادك ضعفها، ومن النصارى ثلاث ربيات، وأمر في سنة ١٠٨٢ هـ أن تؤخذ الجزية من أهل الذَّمة.

ماليـة ملـوك الـهنـد

وأما ماليتهم فإنها لا تكاد تضبط لاختلاف الأحوال، والأزمان، والنقود، وأصناف المالية، وجملة القول فيها ترجع إلى فصول:

الأول: المالية كانت على أصناف: (١) العشر والخراج، (٢) المكوس، (٣) الجزية، (٤) نذور الأمراء من الجواهر الثمينة، والأفيال، والأفراس، والأقمشة، والسلاح، والذهب المسكوك، وغير ذلك عند قدومهم من البلاد، وفي الأعياد، وأيام الفرح والسرور وغيرها، (٥) مصادرة أموال الأمراء بعد وفاتهم، وهذا كان من عوائد الملوك التيمورية خاصَّةً.

الثاني: أنَّ المالية كانت تختلف باختلاف العهود والأزمان، فمنهم من يأخذ قدر النصف، ومنهم من يأخذ قدر العشر، ومنهم من يأخذ قدر الثلث، ومنهم من يكتفي بالعشر، والزكاة، والجزية، ومنهم من يأخذ قدر ما تيسر له من العشر والخراج، والجزية، وأصناف المكس، والأسلاف من مؤرخيهم لم يضبطوا ماليتهم بأصنافها، فاستكثروا من تسجيع الألفاظ، والتأنق في أخبار الحروب وأيامهم، ولم أجد لها ذكراً في غيرها من المؤلفات.

الثالث: أن الرَّحالين الأوربيين «كوليم هاكنس» و«منيكي وكيترو» و«جميلي كاريري» و«برنير» وأمثالهم قد ضبطوا ماليتهم في كتبهم، ولكنَّهم خبطوا خبط عشواء، بعضهم في تشخيص المالية، وبعضهم في تقويمها بالنقود الأوربية، وبعضهم في تقديرها، فظن بعضهم أنها محاصيل الأرض، وبعضهم أنها من سائر الأبواب، فلا يصلح للاعتماد، وما ذلك إلا تخمين وظن، كما هو دأبهم غالباً، والظنُّ لا يغني من الحقِّ شيئاً.

ولكننا بعد غاية التفتيش نقتصر على ما أمكن بيانه من تصريحات المشتغلين بأخبار الملوك المقربين لديهم، كالسراج العفيف، ونظام الدين، وعبد الحميد، وبختاورخان، وأمثالهم.

فليعلم أنَّ محاصيل الأرض كانت في عهد فيروز شاه الدهلوي ستة كرور وخمسة وسبعين لكَّاً، (٦٧٥٠٠٠٠٠) تنكة، وكانت مالية الأرض الخالصة التي تختص بذاته، وبما يتعلق به، وهي أرض دهلي وما تليها من البلاد والقرى، فيما بين النهرين: الجون، والستلج، ثمانين لكَّاً (٨٠٠٠٠٠٠) تنكة، والتنكة كانت ذهبية وفضية، والفضية كانت قدر تولة واحدة، فتكون أقرب إلى الربية.

وأما في عهد أكبر شاه التيموري المالية من محاصيل الأرض فقط، كانت ستمئة وأربعين كروراً داماً، ذكره نظام الدين في الطبقات، وهي تعادل ستة عشر كروراً، (١٦٠٠٠٠٠٠٠) ربية إنكليزية.

وأما في عهد جهانكير بن أكبر شاه التيموري في آخر عهده من الدنيا، المالية من محاصيل الأرض فقط سبعمئة كرور داماً، وهي تعادل سبعة عشر كروراً وخمسين لكَّاً، (١٧٥٠٠٠٠٠٠) ربية، كما في بادشاه نامه.

وأما في عهد شاهجهان بن جهانكير التيموري، فقد زادت المالية على القدر المذكور، فإنَّه أضاف في بعض الإيالات شيئاً كثيراً من المحاصيل، ونقص في بعض منها كأحمد آباد، وبعض بلاد الدكن للجدب والغلاء، فزادت المالية قدر مئة كرور دام، ثم إنه فتح دولة آباد، وتلنكانه، وبعض بلاد أخرى فزادت المالية بها ثمانين كروراً داماً، فصارت مع الأصل والإضافة ثمانمئة وثمانين

كروراً داماً ، وهي تعادل اثنين وعشرين كروراً (٢٢٠٠٠٠٠٠٠) ربية ، كما في «بادشاه نامه» .

وأما في عهد عالمكير بن شاهجهان التيموري كانت جبايات الهند على ما صرَّح به بختاورخان في مرآة العالم تسعمئة وأربعة وعشرين كروراً ، وسبعة عشر لكّاً ، وستة عشر ألفاً ، واثنين وثمانين داماً ، وهي تعادل ثلاثة وعشرين كروزاً ، وعشرة لكوك ، واثنين وأربعين ألفاً وتسعمئة واثنتين (٢٣١٠٤٢٩٠٢) ربية وواحدة من عشرين بالكسر .

هذا ما ظفرنا به في كتب الأخبار ؛ وفوق كل ذي علمٍ عليم .

❊ ❊ ❊

الباب الثالث

الفصل الأول
في الشَّوارع العامَّة والبريد

الشوارع التي كانت من مستعمرات الملوك الإسلامية في الهند كثيرةٌ ، لا تكاد تحصر ، وها نحن نذكر ما كان منها أشهر وأذكر .

منها الشارع الذي كان بين وادي السند وحضرة دهلي ، وكانت مدينة سيوستان من السند بينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام ، وبين بلاد السن ومدينة دهلي مسيرة خمسين يوماً .

ومنها الشارع الذي كان بين مدينة دهلي ومدينة دولة آباد على مسيرة أربعين يوماً ، والطريق بينهما تكتنفه الأشجار من الصفصاف وسواه ، فكأن الماشي عليه في بستان ، وفي كلِّ ميلٍ منه ثلاث داوات وهي البريد ، وفي كل داوة ما يحتاج المسافر ، فكأنه يمشيَ في سوق مسيرة أربعين يوماً .

ومنها الطريق إلى بلاد «تلنك» والمعبر ، وفي كل منزلة قصر للملوك ، وزاوية للوارد والصادر ، فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق .

ومنها الشارع الذي كان بين مدينة دهلي وبين «دهار» مدينة «مالوه» ، وبينهما أربعة وعشرون يوماً ، وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الأميال ، فيما بين كل عمودين ، فإذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار في يومه ، وما بقي له إلى المنزل ، أو إلى المدينة ، فقصدها وقرأ النقش الذي في الأعمدة فعرفه .

وهذه الشوارع الأربعة كانت معمورةً إلى مدَّة الدهور ، ينتفع بها العامة ،

وقد رآها محمد بن بطوطة المغربي في رحلته إلى الهند ، ومرَّ بها ووصفها كما ذكرناه .

ثم لما ولي المملكة شير شاه السوري أسس شوارع أخرى ، منها : الشارع الكبير الذي يمتد من قلعة «رهتاس كدّه» التي بناها شيرشاه المذكور في «بال ناته جوكي» على عشرين ومئة ميل من لاهور إلى بلدة «ساركاؤن» من أرض بنكالة على مسيرة أربعة أشهر .

ومنها : الشارع الذي يمتد من آكره إلى «جوده بور» ، وإلى قلعة «جتور» ، ومنها : الشارع الذي يمتد من آكره إلى «برهان بور» من بلاد «خانديس» ومنها : الشارع الذي يمتد من لاهور إلى ملتان .

وهذه الأربعة تكتنفها الأشجار المثمرة ، وبني عليها سبعمئة وألف رباط ، وبني في كل رباط دوراً ومساكن للهنادك ، ولأهل الإسلام على حدة ، وعلى أبواب الرباطات السقاية المملوءة بالماء يشرب منها ، وفي كلٍّ منها رجَل موكل من البراهمة يسقي الهنادك الماء البارد ، وإذا احتاجوا إلى الغسل يعطيهم الماء الساخن ، ويسوي لهم الطعام ، ويفرش لهم البسط ، ويأتي بالعلف للدواب ، وكل من ينزل في تلك الرباطات يعطي له المآكل والمشارب ، وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر على حسب منزلته بلا قيمة ، فلا يفتقر أحدٌ من المسافرين إلى حمل زاد في تلك الطرق ، وكان في كلِّ رباط مسجد فيه الإمام والمؤذن على نفقة السلطان ، وفي كل رباط جماعةٌ من الشحَنة ، واتباعه من المحافظين ، وفي كلِّ رباطِ فرسان للداوة .

ثم لما ولي الملك سليم شاه بن شيرشاه أسس بين كل رباطين من أبنية والده ، رباطاً ، وبنى المساجد ، وحفر الآبار ، ووظف السقاة بها ، وأضاف أفراس الأداوات .

ثم لما ولي الملك أكبر شاه التيموري توجَّه إلى إصلاح الشوارع ، وأمر سنة ٩٨١ هـ أن يحفر الآبار في كل ميل من «آكره» إلى «أجمير» ، وأن يبنوا المنارات في كل ميل .

ثم لما ولي ولده جهانكير اعتنى بإصلاح الشوارع فوق ما اعتنى به أسلافه ،

فأمر في سنة ١٠٢٨ هـ أن ينصب المنارات في كل ميل على الشارع بين لاهور وآكره ، وأن يحفر الآبار في كل ثلاثة أميال على الشارعٍ المذكور ، وأن يغرس الأشجار المظلة في جانبيها ، وأمر أن يبنى الرباطات في الممالك الخالصة من الخزانة الشاهانية ، وفي أقطاع الأمراء من نفقتهم ، وأن يبنى المساجد ، ويحفر الآبار في كل رباط ، فامتثلوا أمره ، وغرسوا الأشجار المظلة ، وحفروا الآبار ، وأنشؤوا الرباطات في كل خمسة أميال تقريباً.

وأمر في سنة ١٠٣١ هـ لإصلاح الشوارع بين لاهور وكشمير ، وأن تبنى القصور العالية في كل منزل من منازلها فأسس أحد عشر قصراً رفيعاً في أحد عشر منزلاً.

وليعلم أنَّ من يريد السفر إلى كشمير من لاهور ، فله أربع طرق: (١) طريق «بكهلي» ، وفيها خمسة وثلاثون منزلاً ، والمسافة بين لاهور وكشمير من هذا الطريق مئة وخمسون ميلاً ، (٢) طريق «جومكه» ، وفيها تسعة وعشرون منزلاً ، والمسافة بين لاهور وكشمير من هذا الطريق مئة واثنان ميلاً ، (٣) طريق «بنوج» ، وفيها ثلاثة وعشرون منزلاً ، والمسافة بينهما تسعة وتسعون ميلاً ، (٤) طريق بير «بنجال» وكشمير من هذا الطريق على مسيرة ثمانين ميلاً ، منها ثمانية منازل في أرض مستوية ، واثنا عشر منزلاً في أودية الجبال ، وفي هذا الطريق أسست القصور بأمر جهانكير المذكور هذا.

ولما ولي الملك شاهجهان بن جهانكير أمر بإصلاح الشوارع وعمارة الرباطات ، فأسس علي مردان خان في أيام حكومته بكشمير شارعاً كبيراً من كشمير إلى «راجوري» ، وحفر الآبار ، وأجرى العيون ، وأسس رباطات كثيرةً في الطريق ، تجد آثارها في «تهته» و«بهرام» و«كله» و«سوخته» و«بوّشيانه» و«شاجه مرك» و«هيره بور».

ثم لما ولي عالمكير بن شاهجهان وكل أميراً من أمرائه سنة ١٠٧٢ هـ لإصلاح الطريق بين لاهور وكشمير ، وأمر بإصلاح الشارع من آكره إلى «أورنك آباد» ومن لاهور إلى كابل ، وأمر أن يعمر الرباطات القديمة في تلك الشوارع ، وأن يؤسس الجديدة فيها ، فأسست بأمره الرباطات الجديدة ، والخانات من الأحجار ، والجصّ والآجر في غاية الحصانة والمتانة ، وحفرت الآبار فيها ،

وبنيت المساجد ، وفي كل منزل من منازلها بنيت خاناتٌ كبيرةٌ للواردين والصادرين ، لينزلوا فيها ، ويحفّظوا أموالهم وأفراسهم ، وأسست الجسور الكبيرة والقناطر الكبيرة على الأنهار في تلك الطرق ، أنفق فيها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة .

البـريـد

أما البريد ببلاد الهند فهما صنفان «بريد الخيل» ويسمُّونه بالتركية : «أولاق» بضم الواو وآخره قاف ، وهو خيل للسلطان في كل مسافة أربعة أميال ، و«بريد الرجالة» ، فيكون في مسافة ميل منه ثلاث رتب ، ويسمونه «الداوة» بالدال المهملة والواو ، وهي ثلث الميل ، وترتيب ذلك أن يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة، ويكون بخارجها ثلاث قباب، يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة، قد شدوا أوساطهم ، وعند كلِّ واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين ، بأعلاها جلاجل من نحاس، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده، والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى ، وإذا كانت الكتب كثيرة ، أو شيء أثقل يدخلها في الصرة ، والصرة يعلقها في المقرعة ، ويأخذ رأسها باليد ، ويضع جانبها الآخر على الكتف حيث تقع الصرة على ظهره ، ثم يعدو بمنتهى جهده ، فإذا سمع الرجال الذين في القباب صوت الجلاجل تأهبوا له ، فإذا وصلهم ، أخذ أحدهم الكتاب أو الصرة من يده، ويجري بأقصى جهده ، وهو يحرك المقرعة حتى يصل إلى الداوة الأخرى ، ولا يزالون كذلك حيث يصل الكتاب أو الصرة إلى حيث يراد منه، وهذا البريد أسرع من بريد الخيل ـ ذكره ابن بطوطة في كتابه .

وكان الضابطة في البريد في السير أيام الملوك التيمورية أن يسيروا في ساعة نجومية ميلاً ، والميل خمسة آلاف ذراع عندهم ، حتى كان يلزم عليهم أن يقطعوا المسافة فيما بين أحمد آباد ودهلي في اثني عشر يوماً ، وإن اقتضت الضرورة ففي أسبوعٍ واحد ، وإن تأخروا عن ذلك فكانوا يعزرون بالمال ، ويؤخذ عن المتعهدين ربع رواتبهم الشهرية ، كما في مرآة أحمدي .

* * *

الفصل الثاني
في الحِياض والأنهار

الحياض والأنهار التي كانت من مستعمرات ملوك الهند ، لم يصل إلينا أخبارها غير حياضٍ وأنهارٍ معدودة .

منها الحوض العظيم الذي أسسه شمس الدين الألتمش نحو سنة ٦٢٧ هـ ببلدة دهلي خارجها من حمر الأحجار المنحوتة ، وطوله نحو ميلين ، وعرضه على النصف من طوله ، ومساحته من الفدادين مئتان وست وسبعون فداناً ، وقد رآه محمد بن بطوطة المغربي ، وذكره في كتابه فقال : «وبخارج دهلي الحوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين الألتمش ، ومنه يشرب أهل المدينة ، وهو بالقرب من مصلاها ، وماؤه يجتمع من ماء المطر ، وطوله نحو ميلين ، وعرضه على النصف من طوله ، فالجهة الغربية منه من ناحية المصلَّى مبنية بالحجارة ، مصنوعة أمثال الدكاكين ، بعضها أعلى من بعض ، وتحت كلِّ دكان دُرج ينزل عليها إلى الماء ، وبجانب كلِّ دكان قبةُ حجارة فيها مجالس للمتنزهين والمتفرجين ، وفي وسط الحوض قبةٌ عظيمةٌ من الحجارة المنقوشة ، مجعولة طبقتين ، فإذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل إليها ، إلا في القوارب ، فإذا قلَّ الماء دخل إليها الناس ، وداخلها مسجد ، وفي أكثر الأوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون إلى الله ، المتوكلون عليه ، وإذا جفَّ الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر ، والخيار ، والقثاء ، والبطيخ الأخضر ، والأصفر ، وهو شديد الحلاوة ، صغير الجرم» انتهى .

وقد تهدَّم بطول الزمان ، فأصلحه علاء الدين الخلجي سنة ٧١١ هـ ، ثم أصلحه فيروز شاه الدَّهلوي في أيام حكومته ثم خرب ، فلم يلتفت إليه أحد من الملوك .

ومنها الحوض الخاص ، فيما بين دهلي ودار الخلافة ، أسسه علاء الدين محمد شاه الخلجي سنة ٦٩٥ هـ ، قال ابن بطوطة : «وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ، ويسكن حوله أهل الطرب ، وموضعهم يسمَّى «طرب آباد» ولهم سوق هنالك من أعظم الأسواق ، ومسجد جامع ، ومساجد سواه كثيرة ، وأخبرت أنَّ النساء المغنيات الساكنات هنالك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعاتٍ ويؤمهنَّ الأئمة ، وعددهن كثيرٌ ، وكذلك الرجال المغنون» انتهى.

وهذا الحوض أيضاً خرب بطول الزمان ، فحفره فيروز شاه الدَّهلوي ، وجعله كما كان من قبل ، وبنى بجانبه مدرسةً عظيمةً جامعةً بين الحسن والحصانة نحو سنة ٧٥٥ هـ.

ومنها نهر ، اختلجه فيروز شاه الدهلوي من نهر ستلج سنة ٧٥٦ هـ ، وأتى به إلى «جهجهر» على ثمانيةٍ وأربعين ميلاً من ينبوع النهر.

ومنها نهر ، أخرجه فيروز شاه المذكور من نهر الجون الكبير حيث يجري في أودية جبال «مندّي» و«سرمورة» واصل بها سبعة أنهار أخرى ، ثم أتى به إلى «هانسي» ثم إلى «آبسين» ومصَّر بها بلدةً كبيرةً ، وسمَّاها حصار فيروزه ، وحفر دون الحصار بركةً كبيرةً ، ينتهي إليها ماء النهر ، وذلك سنة ٧٥٧ هـ.

ومنها نهر ، أخرجه فيروز شاه المذكور من ماء «كهكر» وأتى به إلى حصار «سرستي» ثم إلى ماء «سركهتره» و مصَّر بها بلدة كبيرة وسماها فيروز آباد.

ومنها نهر ، أخرجه فيروز شاه المذكور من الجون الكبير ، وأتى به إلى فيروز آباد دهلي ، وأدخل ماءه في بركة كبيرة بها.

ومنها نهر ، أخرجه فيروز شاه المذكور فيما بين «سرستي» و«سليم» حيث كان تل كبير ، فحفره وواصل ماء سرستي بماء السليم ، فاستقت به أرض قفراء من «سرهند» ، ومنصور بور ، والسنّام ، وغيرها من البلاد.

ومنها نهر ، أخرجه فيروز شاه المذكور من نهر الجون مما يلي خضر آباد ، وأتى به إلى «سفيدون» على ثلاثين ميلاً منها ، ولما خرب ذلك النهر أصلحه شهاب الدين الدَّهلوي أيام أكبر شاه التيموري ، وسماه بالنهر الشهاب.

ومنها نهر ، اختلجه السلطان زين العابدين الكشميري ، وأتى به إلى «كوه ماران» بأرض كشمير.

ومنها نهر اختلجه زين العابدين المذكور من شعبٍ من شعوب نهر السند ، وأتى به إلى قصره في «نوشهره».

ومنها نهر اختلجه زين العابدين المذكور ، وأتى به من «شوبيان» إلى «زينه بور» ومنها: أنَّ زين العابدين المذكور أسس الثغور لسدِّ ماء «دل» الذي كان ينصب إلى نهر «جهلم» ، ثم حفر جدولاً فيه ليخرج الماء ويسقي الأرض.

ومنها نهر في أودية «أولر» وكانت خربةً قفراً لا تصلح للحرث والزرع ، فأخذ الماء من ماء «يومر» فصلحت الأرض كلُّها للزراعة.

ومنها إبراهيم بتن ، حوض كبير ، بناه إبراهيم قطب شاه سنة ٩٦٠ هـ بأرض حيدر آباد ، ومنها «حسين ساكر» حوض كبير ، بناه حسين بن أسد الكلبركوي ختن إبراهيم قطب شاه المذكور في سنة ٩٦٥ هـ بأرض حيدر آباد ، وبذل عليه مئتي ألف «هن» ، وهي سكة ذهبية تساوي الواحدة منها ثلاث ربيات ونصفاً.

ومنها نهر ، اختلجه علي عادل شاه البيجابوري سنة ٩٦٧ هـ على مسافة فرسخين من بيجابور إلى بركة كبيرة ، حفرها في تلك البلدة ، وقسم الماء منها بالجداول الطينية إلى القصور والحدائق.

ومنها نهر ، اختلجه مولانا نور الدين السفيدوني أيام أكبر شاه التيموري ، وأخرجه من الجون الكبير ، وأتى به إلى «كرنال» ، ثم إلى غيرها من البلاد على مسافة خمسين ميلاً ، وانتفع به خلقٌ إلى طول الدهر ، ثم خرب.

ومنها موتي تالاب ، حوض كبير في بلدة «جالنه» من بلاد الدكن خارج القلعة على نصف ميل منها جانب الغرب ، صنعوه في أيام العنبر الحبشي ، وأما تسميته بموتي تالاب؛ فهي لصفاء الماء ونقائه.

ومن نوادر ما صنعوه عين الماء ببلدة «أورنك آباد» خارج البلدة قريباً من نهر «هرسول» صنعوه سنة ١٠٠٩ هـ بأمر العنبر المذكور على نفقة مئتي ألف وخمسة وثلاثين ألفاً ، تحت نظارة ديار خان ، وهو تحت سطح الأرض على صخرة صماء ، يجتمع فيه ماء المطر الذي يصبُّ على اثني عشر ميلاً مربعاً ، وهو أربعةً

عشر ذراعاً إنكليزياً ، تحت الأرض ثلاثة آلاف ومئة ، وثلاث وثلاثون ذراعاً إنكليزياً ، وعرضه ذراع واحد ، وعمقه من ذراعين إلى ثلاثة أذرع وثلث ذراع ، وسقفه مبني بالآجر والجص على شكل بيضوي ، وجدرانه من الصخرة المذكورة ، وفيه على بعد نحو ست وستين أو مئة ذراع مداخل لدخول الناس فيه للنقاء ، وأما الماء الذي يجتمع فيه فقدر ثمان وعشرين مئة ألف ، وأربعة عشر ألفاً وتسعمئة وثلاثة وسبعين (٢٨١٤٩٧٣) صاعاً في اليوم والليلة . وفيه مخرج يسمونه «جدر بمبه» ليخرج عنه إن أرادوا ذلك ، وحيث يمرّ على نهر «هرسول» ، صنعوا فيه جدولين من الحجارة ، قطر كل واحد منهما نحو ثلاثة أذرع ، ويبتدىء هذا النهر من واد على نهر «هرسول» وينتهي إلى نهر صنعوه تحت الأرض ، ومروا به إلى حوض يسمونه «كتوكله» فيصب الماء في الّحوض ، ويجتمع فيه ، ثم يخرج منه في الجداول الطينية تحت الأرض إلى باب البلدة ، المسمى بباب دهلي في خزانة الماء التي صنعوها عند ذلك الباب ، وكذلك يذهب إلى «شاه كنج» ويجتمع في الخزانة المصنوعة بها ، ثم ينقسم الماء على أهل البلدة لطريق الجداول الطينية تحت الأرض ، وهذا من أبدع ما صنعوه من العيون والأنهار .

ومنها نهر ، اختلجه علي مردان خان بأمر شاهجهان التيموري ، وأتى به من نهر «راوي» إلى ناحية لاهور نحو سنة ١٠٥٢ هـ ، وكانت مسافته تسعة وثلاثين ميلاً ، وبذل عليه السلطان المذكور مئة ألف ربية ، ثم لما علم أن هذا النهر لا يفي بما تقتضيه الضرورة ، وكل عليه علاء الدين التوني ، وأعطاه مئة ألف أخرى لإصلاحه ، فأصلحه قريباً من عشرة أميال ، وحفر نهراً جديداً ، وأتى به إلى حديقة «شالامار» في ناحية لاهور ، قريباً من ثلاثين ميلاً .

ومنها نهر بهشت ، الذي أخرجوه من نهر «شهاب» ، وأتوا به من «سفيدون» إلى القصور السلطانية شاهجهان آباد سنة ١٠٥٥ هـ ، بأمر شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي ، وأصلحوا ميلاً .

ومنها نهر ، اختلجوه بأمر أكبر آبادي محل زوجة شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي ، على مسافة خمسة أميال من دهلي .

ومنها حوض بحيدر آباد ، أسسه مير محمد سعيد الأردستاني معظم خان

خانان ، المشهور بميرجمله ، بناه في أيام عبد الله قطب شاه الحيدر آبادي سنة ١٠٦٠هـ.

ومنها نهر «هرسول» من إنشاء نواب قمر الدين خان الحيدر آبادي ، مؤسس الدولة الآصفية بحيدر آبادر ، اختلجه بناحية «أورنك آباد» ، وخرب بعد مدَّة من الدهر ، فاعتنى به مير عالم خان الوزير ، وأنفق عليه أموالاً طائلةً ، فصار مما ينتفع به الناس ـ كما في «حديقة العالم».

ومنها نهر «إبراهيم بتن» ، اختلجوه أيام الملوك الآصفية ، يجري ستةً وخمسين ميلاً ، وينتهي إلى «إبراهيم بتن» حوض إبراهيم قطب شاه ، وأنفقت عليه الدولة الآصفية عشرة لكوك (مليوناً) ، وستة وخمسين ألفاً من الربيات.

ومنها نهر «ملكا بور»، يجري اثنين وثلاثين ميلاً، أخرجوه من نهر «موسي» ، وذهبوا به إلى «حسين ساكر»[1]، وهو أيضاً من مستعمرات الدولة الآصفية.

ومنها «مير عالم ساكر» حوض كبير ، أسسه مير عالم بحيدر آباد على نفقته ، وكان من الوزراء ، واسمه أبو القاسم بن الرضي الحسيني التستري.

ومنها: «عمده ساكر» ، أسسه النواب بشير الدولة عمدة الملك آسمان جاه الحيدر آبادي سنة ١٣٠٨ هـ على نفقته بحيدر آبادر ، وكان من الوزراء ، اسمه محمد مظهر الدين بن محمد سلطان الدين بن فخر الدين العمري الحيدر آبادي.

تـذييـل

وإنني رأيت في كتب الأخبار أنَّ غياث الدين تغلق شاه اختلج أنهاراً عديدةً ، ولكنِّي ما وقفت على حدودها ومواقعها ، ولذلك تركت ذكرها ، وقد قرأت: أنَّ فيروز شاه الدَّهلوي اختلج خمسين نهراً ، فمن ذلك وجدت ستة أنهر ، لها ذكر في الكتب ، والباقية غير معلومة ، وقد قرأت أنَّ بابر شاه التيموري حفر عدَّةً من الأنهار بناحية آكره ، وكذلك ملوك السند القدماء ، وملوك الدكن ، لهم أياد

(١) أنشئت هذه البركة بعد إبراهيم قطب شاه (رابع الملوك القطبشاهية في دكن) ، وأشرف عليه الصوفي المشهور في عهده «حسين شاه ولي» فنسبت إليه ، ومن روافد هذه البركة «نهر ملكابور» ، ومياه أخرى ، تتجمع في فصل الأمطار.

طائلةٌ في حفر الأنهار ، وتخصيب الأرض ، ولكني ما وجدت ذكرها في كتب الأخبار ، فتركت ذكرها ، فما ذكرت من ذلك ؛ فهو قليل من كثير من مستعمرات المسلمين .

* * *

الفصل الثالث

الحدائق والبساتين

لم يكن بالهند في عهد الهنادك من الفواكه والأشجار المثمرة ، غير «الأنبه» ، و«الجامن» و«الكتهل» و«التمر الهندي» وأمثالها ، فلما جاء الإسلام ، وعمَّر الملوك الإسلاميون بلادها وقراها ، وحفروا الآبار والأنهار ، جلبوا من البلادِ البعيدة أثماراً وفواكه ، وغرسوا أشجارها بأرض الهند ، وأسسوا الحدائق والبساتين ، فإنَّك كل ما ترى من الفواكه والرياحين في أرض الهند ، كالنخيل ، والتفاح ، والخوخ ، وأصناف الليمون ، وأقسام النارنج ، والأعناب ، وأمثالها من الفواكه الكثيرة ، فإنها من آثار الملوك الإسلاميين ، والأمراء ، فإنهم اعتنوا بها أشدَّ اعتناء ، حتى صارت الهند كلُّها حديقةً غناء ، ممتلئةً من أصناف الفواكه وأقسام الرياحين ، لا يقدر أحد منا أن يضبط ذلك ويحصر ، ولو كان مؤرخاً كبيراً ، وبارعاً في التاريخ والجغرافية ، وسأذكر هاهنا ماله خصوصية بوجه من الوجوه.

فأول من أنشأ البساتين بالهند هو ما ذكر في التاريخ: أنَّ علاء الدين محمد شاه الخلجي أسس ثلاثين حديقةً بناحية دهلي ، وملأها من الفواكه ، والرياحين ، والأشجار المثمرة ، ومن ذلك: أنَّ فيروز شاه الدَّهلوي ، أصلح حدائق الخلجي المذكور ، وأسس ألفاً ومئتين حديقة بناحية دهلي ، وثمانين حديقةً بناحية «سالوره» وأربعاً وأربعين حديقةً بناحية «جتور» ، وجلب من البلاد البعيدة سبعة أقسام من العنب سوداً وبيضاً ، حتى كان العنب يباع بعهده بجيتل واحد رطلان.

ومنها ، ما أسس السلطان زين العابدين الكشميري حديقةً غناء بأرض «زينة

كر» قريباً من قرية «تريهه كام» ، كانت في ميلين مربعة. وجلب من البلاد الشاسعة الفواكه والرياحين ، وملأ الحديقة منها ، وحفر الأنهار ، والجداول التي تتخللها ، وكذلك أسس حديقة برنيه بور ، وببلاد أخرى من أرض كشمير ، حتى صارت مخضرة.

ومنها ، أنَّ محمود شاه الكجراتي ، أسس الحدائق والبساتين في بلاده ، وحرَّض الناس على ذلك ، وأمر أن يعطي الصلة لكل من يغرس الأشجار المثمرة بأرض كجرات ، ولو شجراً واحداً. فمال إليه الناس حتى الأرامل والعجزة ، فإنهم أنشؤوا الحدائق ، وغرسوا الأشجار المثمرة في أرضهم ، وجلبوا الأثمار والفواكه من بلاد أخرى ، حتى صارت أرض كجرات مخضرةً في زمان يسير ، وحصلت فيها منَّ الأشجار والأثمار مالم يكن بها أبداً ، فمن جملة ذلكَ ، كانَت حديقة الفردوس من إنشاء محمود شاه المذكور ، طولها خمسة أميال ، وعرضها ميل ، وغرس فيها مئة ألف من الأشجار المثمرة.

ومنها «نعمة آباد» ، الحديقة الغناء ببلدة «بيدر» ، أنشأها علاء الدين بن أحمد شاه البهمني ، وكانت في غاية الوسعة ، والفسحة ، وفيها قصورٌ عاليةٌ ، وأبنيةٌ فاخرةٌ ، مدحها الأرزقي ، وغيره من الشعراء ، وأول قصيدة الأرزقي هذا البيت :

كوتى كه ماه ومشترى أز برج آسمان تحويل كرده أند بباغ خدائيكان

ومنها الحديقة الغناء ، التي أنشأها عماد الدين محمود الكيلاني ، الوزير ببلدة أحمد آباد ، بيدر ، ملأها بأصناف الأثمار ، والرياحين. وزرع بها الزعفران ، فحصل له من أحسن ما يكون ، كما في «تاريخ فرشته» ، وكذلك أنشأ حديقةً ببلدة بيجابور ، وكانت من أبدع الحدائق وأحسنها.

ومنها الحديقة الغناء ، نسَّقَها محمود شاه الخلجي ببلدة ظفر آباد بغلجه من بلاد «مالوه» سنة ٨٤٥ هـ ، وغرس بها الأشجار من كل نوع وصنف ، ذوات الأزهار والأثمار.

ومنها «باغ نظام» الحديقة التي أنشأها أحمد بن حسن البحري نظام شاه بقرية «تيكابور» ، حيث حصلت له الفتوحات العظيمة ، وأحاطها بالجدران ، وأسس

فيها القصور الفاخرة له ، في حدود سنة ٨٨٥ هـ ، ثم مصَّر بتلك الأرض بلدةً حسينة وسماها «أحمد نكر».

ومنها «فرح بخش» ، الحديقة الغناء ، التي أنشأها نعمة خان السمناتي بأمر مرتضى نظام شاه بأحمد نكر ، فلم يستحسنها ، وأمر وزيره صلابة خان أن ينشيء مكانها حديقةً أخرى ، فامتثل أمره ، وأنشأ حديقةً فوق ما يوصف سنة ٩٩١ هـ ، وللملك القمي قصيدةٌ غراء في ذلك ، أولها:

أي تو بهشت برين إين جه شكوهست وشان

بيشكهت شه نشين بار كهت شه نشان

وكان صلابة خان يعتني بذلك أشدَّ اعتناء ، فإنه أنشأ الحدائق والبساتين بأرض أحمد نكر ، وحرَّض الناس على ذلك ، قيل: إنه غرس خمسمئة ألف من الأشجار المثمرة.

ومنها الحديقة الغناء ، التي أنشأها شاهوار خان ببلدة «بيجابور» بأمر صاحبها إبراهيم عادل شاه سنة ١٠١٠ هـ ، وكانت فوقَ ما يصفها الواصفون ، وقد تأنق في مدحها محمد قاسم في تاريخه بعبارات بليغة ، ووصفها الشلِّي في تاريخه ، وقد أدركها حين قدومه إلى الهند ، وقال في القصر المشرف على تلك الحديقة: «إن تحته بركة ، كأنما عناها الشاعر بقوله:

وبركة للعيون تبدو في غاية الحسن والصفاء

كأنها إذ صفت وراقت في الأرض جزء من السماء

خفيفة الماء العذب ، لطيفة الهواء الرطب ، وبستان معروف الأشجار ، ومؤنق الثمار ، وهو متنزه بديعي حسن ، وبمحاسنه يذهب عن القلب الحزن:

عليه من بهاء البدر نور ووصف الشمس يكسوه الشعاعا»

ومنها الحديقة الغناء ، التي أنشأها محمد قلي قطب شاه بحيدر آباد ، خارج البلدة في أرض أريض ، طولها أربعة أميال ، وعرضها ميلان ، وبنى فيها قصوراً فاخرةً ، وملأها بأنواع الأشجار المثمرة ، والرياحين ـ كما في «حديقة العالم».

ومنها الحدائق الأربع ، أنشأها بابر شاه التيموري بناحية آكره ، وجلب الفواكه والأثمار ، وأصناف الرياحين من حديقته التي أنشأها بكابل قبل قدومه

إلى الهند ، وحفر الآبار والأنهار ، وأجرى العيون ، وكان بابر شاه المذكور مولعاً بحفر الأنهار وغرس الأشجار ، وهو أول من رتب الحدائق على أسلوب جديد ، وقسمها على أقسام كثيرة ، كما ترى في هذا الزمان ، وأهل الهند لَم يكونوا يعلمون ذلك فيما قبله .

ومن الحدائق الأربع التي أنشأها بابر شاه المذكور «كل أفشان» حديقة غناء بآكرة ، وكانت فيها من الأشجار المثمرة ، كالأعناب بأصناف من الصباحي ، والحبشي ، والكشمش ، وغيرها ، والأنناس التي جلبها من البلاد البعيدة ، وأنواعاً كثيرةً من الأشجار التي يزين بها الحدائق ، كالسرو ، والصنوبر ، والجنار ، والسفيدار ، والبيدموله ، والصندل ، وغيرها ، فكثرت الأثمار في أرض الهند ، وتنوعت في تلك الأيام ، كالحبحب ، والخوخ ، واللوز ، والفستق ، والرمان الحلو ، والحامض ، وغير ذلك ، كما في «الآئين» و«التزك» .

ومنها الحدائق التي أنشأها نواب محمد قلي خان بأرض كشمير ، حين كان والياً بها . ما بين سنة ٩٩٦ هـ و١٠١٠ هـ ، في عهد أكبر شاه التيموري ، وأصلح الحدائق التي كانت فيها من إنشاء ملوك كشمير ، وجلب «شاه آلو» من «كابل» فغرس بها ، واخترع القلم[1] في الأشجار وهو أول من اخترع ذلك ، وأهل الهند لم يكونوا يعلمون طريقته قبل ، ثم تتابع الناس ، وصار ذلك سبباً لازدياد الفواكه ، كميةً وكيفيةً .

ومنها الحدائق التي أنشأها جهانكير بن أكبر شاه التيموري بأرض كشمير على ماء «ترياك» ، وهي عينٌ يجري منها نهر «البهت» الذي يسمونه «جيلم» ، ويأتي إلى «سري نكر» ، ثم إلى أرض بنجاب ، فأحاط العين بالجدران ، ثم أسس حولها القصور والحدائق .

ومنها الحديقة التي أنشأها نواب مقرب خان الجهانكيري ببلدة «كرانه» ، وبذل عليها أموالاً طائلةً ، وغرس فيها من الأشجار ، مالم تكن في أرض الهند قط ، وجمع من أصناف الأنبج ما كانت متفرقةً في سائر بلاد الهند ، وكانت فيها ثلاثمئة شجر من «السرو» رآها جهانكير ، وذكرها في تزكه .

---

(١) التلقيح .

ومنها شالامار ، حديقة غناء ، كانت بكشمير ، أنشأها شاهجهان بن جهانكير التيموري سنة ١٠٢٨ هـ في أيام والده جهانكير ، وأنشأها على الماء «دل» ، وواصل بينهما بعين أخرجها من «دل» ، وطولها خمسمئة قدم تكتنفها الأشجار من «جنار» والخضرة في الأرض ، والطريق إلى الحديقة كانت من تلك العين الجارية ، فإن وصلت إلى منتهى تلك العين ، وصلت إلى قصر رفيع في وسط الحديقة أسسوها للمصيف ، ثم تصل إلى عين جارية أحسن من تلك العين ، أفرشوها بالحجارة ، وفي وسطها الفوارات الكثيرة ، والفاصلة فيما بين الفوارتين خمس عشرة قدماً ، فإن وصلت إلى منتهى تلك العين تجد قصراً رفيعاً في منتهى الحديقة ، وفي جانبيه حوضان مدوران ، فيهما كثيرٌ من الفوارات ، وتكتنفها الأشجار من «جنار» ، وهذان القصران عليهما قبتان رفيعتان ، وحولهما إيوانات ، في كلِّ واحدٍ منها أربعة أبواب :

بابان إلى جانبي النهر ، وبابان إلى الجسور التي تمرُّ بها إلى سطح الأرض ، وكلٌّ من تلك الأبنية أسست من الحجارة المنحوتة أبدع نحت ، والقول الفصل في تلك الحديقة : إنها كانت من نوادر الهند ، لا تماثلها حديقةٌ في الدنيا في ذلك العصر .

ومنها الحديقة التي أنشأها شاهجهان المذكور سنة ١٠٥٢ هـ بمدينة لاهور على نحو شالامار ، التي أنشأها بكشمير ، ولذلك سماها أيضاً «شالامار» وأنفق على عمارتها ستمئة ألف ربية ، وهي على ثلاث طبقات تجري فيها الأنهار ، وحوض ملآن من الماء ، وفيها فواراتٌ كثيرةٌ تعجب الناس .

وكذلك أنشأ حديقة بدار الملك دهلي ، تجري فيها الأنهار ، وفيها مئة واثنتا عشرة فوارة ، منها تسع وأربعون فضية ، وحوض كبير ملآن من الماء ، ونهر كبير عرضه ستة أذرع ، وفيها أبنيةٌ فاخرةٌ من بيض الحجارة وحمرها ، وأشجارٌ من أصناف الفواكه والرياحين .

وكذلك أنشأ الحدائق ببلدة آكره ، وأحمد آباد ، وبلاد أخرى ، ومنها الحديقة الغناء ، أنشأتها أكبر آبادي محل زوجة شاهجهان المذكور ببلدة دهلي على ميلين ونصف من القلعة المعلاة في حوالي سنة ١٠٦٠ هـ ، على نحو

شالامار ، وأنفقت على الجداول والأنهار والقصور العالية بها مئتي ألف ربية ، كما في «بادشاه نامه» .

ومنها الحديقة التي أنشأتها نواب جهان آراء بيكم بنت شاهجهان المذكور ببلدة دهلي سنة ١٠٦٠ هـ ، وأجرت العيون والأنهار تتخللها ، ونصبت فيها الأشجار ذوات الأثمار والأزهار ، وأسست الأبنية الفاخرة بها .

ومنها الحدائق الأربع التي أنشأها نواب ظفر خان التربتي بأرض كشمير في أيام ولايته : الأولى ظفر آباد في حربه ، والثانية «باغ كلشن» في «بونه كدل» ، الثالثة «باغ عنايت» عند مقام الشيخ علي بن الشهاب الهمداني ، الرابعة «حسن آباد» في حسن آباد ، وملأها بأشجار الفواكه والرياحين ، كالزنبق ، والورد ، والكيلاس ، وأصناف من العنب التي لم تكن بأرض كشمير قط .

ومنها الحدائق التي وضعها نواب عبد الرحيم بن بيرم خان ، أمير الأمراء بأرض كجرات ، في أيام ولايته ، وهو أول من زرع البطيخ الأصفر بكجرات ، وجلبه من كابل ، فتتابع الناس ، وكثر في الهند ، ولم يكن قبله منذ مدَّة طويلة ، ومن جملة ذلك «فتح باغ» كانت بأحمد آباد ، رآها جهانكيرً واستحسنها .

ومنها الحدائق التي أنشأها نواب علي مردان خان بأرض كشمير في أيام ولايته : إحداها «علي آباد» كانت بعمالة «مور» في «تيل مل» ، وثانيتها في «نوشهره» ، وأسس القصور العالية في الحدائق وحولها ، تعجب المتفرجين .

ومنها الحديقة التي أنشأها نواب لشكر خان بأرض كشمير ، حين ولي عليها في عهد شاهجهان ، وأسس القصور العالية على ماء «دل» في الجهة الشمالية ، بحدود «بهاك» ، وجعلها مرجعاً ومقصداً للمتفرجين .

ومنها الحديقة الغناء التي أنشأها نواب سيف خان العالمكيري بكشمير ، وسمَّاها «سيف آباد» ، ووضع حديقةً أخرى بناحية سرهند ، وأسس بها الأبنية الفاخرة له .

* * *

الفصل الرابع
في ذكر الجوامع والمساجد بالهند

اعلم أنَّ الملوك الإسلاميين قدأسَّسوا الجوامع والمساجد بالهند، ولاتكاد تُضبط كثرةً، وكذلك الأمراء، قدأسسوا في كلّ بلدة، وعمالة، وقرية، وبذلوا عليها أموالاً طائلةً، لايقدر أحد أن يضبط كلّ ذلك، فلنذكر المعروف هاهنا، ولنطو ذكر الباقي، فأول جامع أسس بمدينة دهلي - على ماأحفظ - الجامع الذي يسمونه قبة الإسلام أو قوة الإسلام، بناه قطب الدين أيبك سنة ٥٨٧ هـ، ولما رجع من بلدة غزنة سنة ٥٩٢ هـ . شرع في بناء الجامع الكبير بأمر السلطان شهاب الدين الغوري من حمر الحجارة المنحوتة أبدع نحت ، ثم لما ولي الملك بعده شمس الدين أيلتمش ، أضاف إلى جانبيه أبنيةً كثيرةً من بيض الحجارة ، وفي أحد جانبيه المنارة العظيمة ، لايكاد يوجد مثلها في الدنيا في الحسن والمتانة ، ولما ولي الملك علاء الدين محمد شاه الخلجي ، أصلح بعض بنائه ، وأمر ببناء المنارة الثانية سنة ٧١١ هـ ، فلم يتم له البناء لحلول الأجل قبل بلوغه إلى منتهى الأمل ، ثم لما ولي الملك محمد شاه تغلق تصدىَّ بتجديد البناء من الحجارة المنحوتة أبدع نحت ، وهذا الجامع رآه الشيخ محمد بن بطوطة المغربي ، ووصفه في كتابه ، قال: "إنه كبير الساحة ، حيطانه ، وسقفه ، وفرشه كلُّ ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصاص أتقن إلصاق، وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة، ومنبره أيضاً من الحجر، وله أربعة من الصحون، وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي كان من "هفت جوش" انتهى.

ومنها الجامع الذي بناه فيروزشاه الدَّهلوي عند ضريح الشيخ نظام الدين البدايوني ببلدة غياث بور بدهلي سنة ٧٩٥ هـ ، وقيل : إنه بناه خضرخان وشادي خان ابنا السلطان علاء الدين الخلجي نحو سنة ٦٩٥ هـ ، وهذا المسجد في غاية من الحسن والمتانة ، كله من حمر الحجارة المنحوتة أبدع نحت ، وفيه ثلاثةً أصحن متسعة ، عليها قبابٌ عاليةٌ البناء ، كلُّها من حمر الحجارة .

ومنها الجامع الكبير ، الذي بناه فيروز شاه المذكور ببلدة فيروز آباد ، بدهلي ، وكان جميل الصنعة ، متقن البناء ، ذا قباب عالية ، إحداها كانت مثمنة ، من الحجارة المنحوتة ، بديعة المثال ، نحت فَي جوانًبها الثمانية ثمانية أبواب (من كتابه «الفتوحات الفيروزية») وليس له عين ولا أثر في هذا العصر .

ومنها الجامع الكبير ؛ الذي أسسه سكندر شاه الكشميري ببلدة «سرى نكر» سنة ٧٩٥ هـ في غاية الحسن والمتانة ، أحرقته النار بعد مدَّة من الزمان ، فأمر ببنائه حسين شاه الكشميري على أساس قديم ، ولكنه مات قَبل أن يتم البناء ، فشمر له وزيره إبراهيم الماكري ، وأتمَّ بناءه سنة ٩٠٩ هـ ، وهو من أبدع الأبنية بأرض كشمير ، استحسنه جهانكير ، وذكره في كتابه المعروف بتزك جهانكيري .

ومنها الجامع الكبير بقلعة «كلبركه» من أبنية الملوك البهمنيين على مثال الجامع الكبير بقرطبة من بلاد الأندلس ، فيه مئة وإحدى عشرة قبة ، أكبرها مرتفع من الأرض بقدر خمسة وسبعين قدماً ، أما السقف منها ، فطوله شرقاً وغرباً (٢٢٥) قدماً ، وعرضه شمالاً وجنوباً (١٦٨) قدماً ، وله بابان شمالاً وجنوباً ، وهذا المسجد يسع ستمئة ألف رجل ، كما في تاريخ «بيجابور» .

ومنها الجامع الكبير ، الذي بني في عهد أحمد شاه الكجراتي بمدينة أحمد آباد سنة ٨١٧ هـ على ثلاثمئة واثنتين وخمسين سارية ، غير سواري الإيوانات الشمالية والجنوبية ، وطوله غير طول الصحن مئة ذراع ، وعرضه غير عرض الصحن خمسون ذراعاً ، وارتفاع المنارتين مئة وست وثمانون ذراعاً ، وله منارتان مرتفعتان غاية الارتفاع ، وثلاثة أبواب عالية البناء ، كما في «مرآة سكندري» .

ومنها الجامع الكبير ، الذي بناه إبراهيم الشرقي بمدينة «جونبور» من

الحجارة المنحوتة، وهو يشتهر بمسجد "أثاله" بفتح الهمزة، كان يصلى فيه السلطان الجمعة والعيدين، والقاضي شهاب الدين الدولة آبادي يدرس به، وحول حجراتٌ كثيرةٌ للطلبة.

ومنها الجامع الكبير أسسه إبراهيم الشرقي المذكور ببلدة جونبور سنة ٨٤٢هـ . ومات قبل أن يتم البناء ، فاعتني به محمود والحسين وبذلا عليه أمولاً طائلة، وتمَّ بناؤه في سبع سنين من الحجارة المنحوتة العظيمة ، كأنه جبل شامخ فوق الأرض، وهو ممالانظير له بأرض الهند في العظم والرفعة.

ومنها الجامع الكبير ، الذي بناه شاه احمد البهمني ببلدة أحمد آباد "بيدر" بكسر الموحدة ، طوله مئة ذراع، وعرضه أربع وعشرون ذراعاً، وأروقته في الطول سبعة عشر ذراعاً ، وفي العرض عشرة أذرع، أنفق على بنائه مئتي ألف ربية، كما في "مختار الأخبار".

ومنها الجامع الكبير، الذي بناه محمود شاه الخلجي صاحب "مالوه" ببلدة "ماندو" (مندو) ، شامخ البنيان من الحجارة المنحوتة ، استحسنه جهانكير، وذكره في كتابه المعروف بتزك جهانكيري ، وقال: إنَّه من أبنية "هوشنك" ، والصواب أن هوشنك شرع في بنائه ، وأتمه محمود، وأضاف إليه.

ومنها الجامع الكبير ، الذي بناه على عادل شاه البيجابوري بمدينة بيجابور بغاية الفساحة والرفعة سنة ٩٨٥ هـ ، وهو مما يعجب المتفرجين ، كما في "بساتين السلاطين".

ومنها الجامع الكبير ببلدة قنوج داخل القلعة في مكان مرتفع، وهو من أبدع المساجد قيل: إنه بناه إبراهيم الشرقي سنة ٨٠٩ هـ ، كما في "غرابت نكار".

ومنها الجامع الكبير ببلدة "أثاوه" ، قريباً من نهر "جمنا " في مكان مرتفع، وهو على شكل مسجد قنوج المذكور، لعلّه من أبنية ملوك الشرق.

ومنها الجامع الكبير بمدينة برهانبور، وبناه عادل شاه بن المبارك الفاروقي

البرهانبوري من الحجارة المنحوتة سنة ٩٧٧ هـ، وهو من أبدع مساجد الهند.

ومنها المسجد الكبير الذي بناه بابر شاه التيموري ببلدة ، "أجودهيا" من الحجارة المنحوتة سنة ٩٢٣هـ.

ومنها "مكّةَ مسجد" بحيدر آباد، شرع في بنائه محمد قطب شاه سنة ١٠٢٣هـ من الحجارة المنحوتة ، وأنفق على بنائه عشرين ألف "هن" . وسماه البيت العتيق " (١) ، ومات قبل أن يتم البناء ، فاعتنى به عبداللّٰه قطب شاه ثم أبوالحسن تانا شاه ، ثم عالمكير بن شاهجهان الدهلوي ، وهوالذى أتمه سنة ١٠٩٨ هـ، وبدّل اسمه بمكة مسجد، طوله سبعون ذراعاً ، وعرضه ثلاث وأربعون ذراعاً، وارتفاعه تسع وأربعون ذراعاً ، كما في "حديقة العالم.

ومنها "جهان نما" الجامع الكبير ببلدة شاهجهان آباد ، بناه شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي في ست سنين، وأنفق عليه ألف ألف ربية ، وهوعلى أكمة خارج القلعة المعلاة على مسافة ألف ذراع منها على جهة المغرب، وهو كبير الساحة ، حيطانه وسقفه وفرشه من حمر الحجارة ، وفي جهاته الأربع إيوانات ، وأربع قباب من تلك الحجارة ، وفي داخل المسجد ثلاث أصحن، وعليها ثلاث قباب من بيض الحجارة المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصاص أتقن إلصاق ، وفيه منارتان مرتفعتان غاية الارتفاع من بيض الحجارة ، تتخللها الحجارة السوداء ، وعليها قبتان ، وفيه ثلاثة أبواب منيعة مرتفعة في الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية ، وفي الساحة الكبيرة حوض ملآن من الماء للوضوء ، وفي أبواب المسجد وطاقاته كتاباتٌ من الحجارة السود المنحوتة من الآيات الكريمة ، وهو مما لانظير له في الدنيا.

ومنها "موتى مسجد" ببلدة أكبر آباد داخل القلعة ، بناه شاهجهان بن جهانكير المذكور في سبع سنين ، وبذل عليه ثلاثمئة ألف ربية، كله من

(١) وتسميته مبنية على حساب الجمل، أي : تاريخ بدء بنائه (١٠٢٣)

المرمر، ارتفاعه من سطح الأرض أحد عشر ذراعاً، وفيه ثلاث قباب، قطر كلٍّ واحدة منها تسعة أذرع، وفيه ثلاث ساحات، منها إحدى وعشرين أود وستة أبراج، وعلى كلٍّ واحدة منها قباب على الشكل المثمن، قطر كلٍّ واحدة منها أربعة أذرع، وطول المسجد ست وخمسون ذراعاً، وعرضه إحدى وعشرون ذراعاً، وارتفاع المسجد عن الساحة الكبيرة بقدر ذراع، وفي جهتيه منارتان مرتفعتان، طول كلٍّ واحدة منهما مئة وسبعون ذراعاً، والعرض ثلاث أذرع ونصف، وعلى ظاهره كتابةٌ من الحجارة السوداء، وفي الساحة الكبيرة حوض ملآن من الماء للوضوء، وفي جهاته الثلاث إيوانات من المرمر، وأبواب ثلاثة في الشرق، والجنوب، والشمال، غاية في الحسن والارتفاع.

ومنها الجامع الكبير، الذي بناه شاهجهان المذكور ببلدة أجمير في مقبرة الشيخ معين الدين السِّجزي، كله من المرمر، وفيه أحد عشر محراباً، وطوله خمس وخمسون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، وطول الساحة سبعون ذراعاً، وعرضها أربعة عشر ذراعاً، وأمر ببنائه سنة ١٠٣٧ هـ.

ومنها الجامع الكبير، الذي بنته نواب جهان آرابيكم بنت شاهجهان المذكور ببلدة آكره خارج القلعة من حمر الحجارة المنحوتة، وأنفقت عليه خمسمئة ألف ربية، كما في «بادشاه نامه».

ومنها المسجد الفتحبوري ببلدة شاهجهان آباد، بنته نواب فتحبوري بيكم زوجة شاهجهان المذكور سنة ١٠٦٠ هـ، طوله خمس وأربعون ذراعاً، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً، كلُّه من حمر الحجارة المنحوتة، وفرشه من بيض الحجارة المنحوتة.

ومنها المسجد الذي ينسب إلى وزير خان ببلدة لاهور، وهو من أبنية الحكيم عليم الدين الجنوتي الملقب بوزير خان، بناه أيام ولايته بلاهور في عهد شاهجهان المذكور، وهو عامر إلى اليوم.

ومنها «موتى مسجد» ببلدة دهلي داخل القلعة المعلاة، بناه عالمكير بن شاهجهان، وكان متعوداً للصلاة بالجماعة في المسجد في كل وقت من أوقاتها، فبناه بين «دولت خانه» وبين الحديقة «حياة بخش»، لئلا تفوته الصلاة

بالجماعة في المسجد ، وهذا المسجد كله من بيض الحجارة المنحوتة ، تربو على اللآلي في الحسن والصفاء ، وبذل عليه مئة ألف وسبعة آلاف ربية ، وتم بناؤه في خمس سنين .

ومنها الجامع الكبير ببلدة لاهور من أبنية عالمكير المذكور، بناه من حمر الحجارة المنحوتة ، وبيضها ، في غاية الحسن والحصانة ، وأنفق عليه خمسمئة ألف ربية ، وهو المشهور "بشاهي مسجد".

ومنها الجامع الكبير بمدينة "بنارس" ، بناه عالمكير من الحجارة المنحوتة ، وهو امن أشهر المساجد في بلاد الهند.

ومنها الجامع الكبير ، بناه عالمكير ببلدة بنارس على شاطئ "نهركنك" من الحجارة المنحوتة ، وهذا المسجد أيضا من أشهر المساجد بأرض الهند، مناراته ٢٨، وارتفاع كلٍّ منها ثمان وثلاثون ومئتا قدم، فوق سطح "كنك" ، وأساسها يمتدُّ إلى حافة الماء.

ومنها الجامع ، الذي بناه عالمكير ببلدة "متهرا"، وهو مسجد رفيع، جميل الصنعة ، متقن البناء.

ومنها الجامع الكبير ، الذي بناه نواب مسعود خان ببلدة "أدهوني" من بلاد دكن سنة ١٠٧٧ هـ ، وهو من أبدع المساجد ، بناه من الحجارة المنحوتة وأنفق على بنائه مئتي ألف ربية، وتاريخ بنائه أيضاً من أبدع التواريخ ، استخرجه بعض الفضلاء من هذه الآية : ﴿فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وآخر بالفارسية وهو هذا "مسعود خان بانى إين مسجد بوده" ، وفي هذا المسجد كتابات بديعة.

ومنها "موتى مسجد " ببلدة دهلي القديمة عند ضريح الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي، بناه شاه عالم بن عالمكير سنة ١١١٢ هـ. كله من بيض الحجارة المنحوتة رصعت فيه الحجارة السود ترصيعا بالغاً.

منها "زينة المساجد"، مسجد رفيع على نهر "جمن" ببلدة دهلي، أسسته نواب زينت النساء بيكم بنت عالمكير سنة ١١٢٢ هـ، كله من حمر الحجارة المنحوتة،وقبابه الثلاث من بيض الحجارة، رصعت فيه الحجارة السود أبدع الترصيع، وفي ساحته حوض، وبفنائه مقبرةً لبانية المسجد.

ومنها "سنهرى مسجد" مسجد ببلدة دهلي ومعناه المسجد المذهب، بناه "روشن الدولة" في عهد محمد شاه التيموري سنة ١١٣٤هـ، ولما كانت بروجه وقبابه كلُّها مذهبةً سموه "سنهري مسجد".

ومنها "سنهري مسجد" ببلدة لاهور، بناه "روشن الدولة" المذكور، وقبابه مطلية بالذهب، ولذلك يسمُّونه "سنهري مسجد".

ومنها "سنهري مسجد" ببلدة دهلي، بناه نواب جاويد خان في عهد أحمد شاه التيموري، كله من الحجر الألماسي من الصحون إلى المنارتين، وقباب المنارتين مطليةٌ بالذهب، ولذلك سمَّوه: "سنهري مسجد".

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الخامس

في المَدَارِس بالهند

اعلم أنَّ المدارس مما حدث في الإسلام ، ولم تكن تعرف زمن الصحابة ، ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الأربعمئة من سني الهجرة ، وأول من بنى مدرسةً في الإسلام أهل «نيسابور» ، وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد ، والمستنصرية بها ، وأما الهند فلم يكن عندهم معرفة لإنشاء المدارس على الطريقة المعروفة الآن ، فإنَّ ملوك الهند كانوا يوظفون رؤساء كل صناعة ، ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ، ويجرون عليهم الأرزاق السنية ، ليقصد كل من اختار علماً ، أو صناعةً رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ، وأولئك الرؤساء والعلماء كانوا يدرسون في المساجد والزوايا ، وفي بيوتهم كل يوم وليلة ، وبعضهم كانوا يدرِّسون حسبةً لله ، لا يترددون على الملوك والسلاطين ، ولا يقبلون نذورهم وجراياتهم ، ومع ذلك بعض الملوك والأمراء أسسوا قصوراً للمدارس ، وبنوا فيها دوراً ، ومساكن ، ومقاصير ، ورتبوا في كل موضع أهل العلم للإفادة ، والتدريس ، ورتب الرواتب للطلبة ، ونحن نذكر منها ما هو أذكر ، وأشهر .

فمن المدارس العظيمة ببلاد السند

المدرسة الفيروزية كانت بمدينة «أج» في أيام ناصر الدين «قباجه» ، ولي التدريس بها منهاج الدين أو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الجوزجاني نحو سنة ٦٢٤ هـ ذكره محمد بن عبد الوهاب القزويني في تعليقاته على «لباب الألباب» للعوفي .

ومنها المدرسة التي كانت بزاوية الشيخ بهاء الدين بن زكريا الملتاني ، يدرس بها في أيام الشيخ أبي الفتح بن محمد بن زكريا الملتاني الشيخ موسى ، والشيخ مجد الدين ، وقد قرأ عليهما في تلك المدرسة الشيخ جلال الدين حسين بن أحمد الحسيني البخاري الأجي ، كما في «جامع العلوم».

ومنها المدرسة الكبيرة كانت بمدينة سيوستان من أرض الهند ، ونزل بها محمد بن بطوطة المغربي الرحالة حين قدم سيوستان سنة ٧٣٤ هـ في أيام محمد شاه تغلق ، وذكرها في كتابه ، قال : «نزلت بتلك المدينة بمدرسة فيها كبيرة ، وكنت أنام على سطحها».

ومنها المدرسة التي بناها نجم الدين بن محمد رفيع السندي ، المتوفى سنة ١١٦٠ هـ بمدينة «بهكر» في حياة شيخه محمد معين بن محمد أمين السندي ، كما في «تحفة الكرام».

ومن المدارس المشهورة بكشمير

المدرسة العظيمة التي بناها السلطان قطب الدين الكشميري المتوفى سنة ٧٩٦ هـ بمدينة «قطب الدين بوره» بأرض كشمير ، وتخرَّج فيها جماعاتٌ من الفضلاء ، منهم الشيخ جوهر المحدث ، كما في «حدائق الحنفية».

ومنها المدارس ، التي بناها السلطان زين العابدين الكشميري ببلاده ، أحسنها المدرسة التي أسسها قريباً من القصور السلطانية ، ورتَّب بها العلماء للدرس والإفادة ، وجعل الأرزاق السنية للطلبة ، وكل ما يحتاجون إليه ، وأمر أن ينشأ المدارس للهنادك في معابدهم ، وللمسلمين في مساجدهم ، وزواياهم ، ووقف عليها الأراضي الزراعية ، كما في تاريخ كشمير.

ومنها المدرسة التي بناها مرزا برهان الدين التوني ، الملقب بفاضل خان بمدينة «سري نكر» أيام ولايته بكشمير ما بين سنة ١١١٠ هـ وسنة ١١١٣ هـ ، في عهد عالمكير بن شاهجهان الدّهلوي ، وبنى عندها مسجداً وحماماً ، ووقف عليها مزارع.

ومن المدارس المشهورة ببلاد بنجاب

المدرسة التي أنشأها العلامة محمد فاضل البدخشي بمدينة لاهور ، وكان متولياً بديوان العدل في معسكر جهانكير ، وولده شاهجهان ، واعتزله سنة ١٠٤٤ هـ ، وتولى الدرس والإفادة بنفسه مدَّةً من الدهر ، تخرج عليه جماعات من الفضلاء .

ومنها المدرسة التي كانت بمدينة لاهور ، يدرس بها نواب قليج خان الأندجاني أيام ولايته على «بنجاب» ، ويتردَّد إلى تلك المدرسة ويدرس الفقه ، والحديث ، والتفسير كلَّ يوم ، كما في «مآثر الأمراء» .

ومنها المدرسة التي أنشأها الحكيم عليم الدين الجتوتي الملقب بوزير خان بمدينة لاهور عند مسجده ، وولَّى التدريس بها عالمين ، ووقف عليها عروضاً وعقاراً .

ومنها المدرسة العظيمة للعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي بمدينة «سيالكوت» ، وقد منحه شاهجهان بن جهانكير الدّهلوي لذلك قرى عديدةً ، فدرس بها العلامة المذكور مدَّةً من الدهر ، ثم ولده الشيخ عبد الله ، ثم أولاده ، وانتفع بها خلقٌ كثيرٌ إلى زمان بعيد .

ومنها المدرسة الكبيرة ببلدة «تهانيسر» قريبة من مقبرة الشيخ عبد الرحيم المشهور بشيخ «جلي» ، حيث كانت كنيسةً للكفار ، فبنوا على أنقاضها مدرسةً من الحجارة المنحوتة ، لعله سنة ١٠٦١ هـ ، ١٦٥٠ م مساحتها داخل المدرسة أربع وسبعون ومئة قدم مربعاً ، وفي كل من جهاتها الثلاث تسعة محاريب ، وفي الجهة الشرقية باب كبير يتَّصل إليها بالدرج الكثيرة ، قيل : إنَّه بناها دارا شكوه بن شاهجهان الدّهلوي .

ومنها المدرسة الكبيرة بنارنول في زاوية الشيخ نظام الدين النارنولي ، وكانت عامرةً إلى مدَّة طويلة ، تخرج فيها جماعاتٌ كثيرةٌ من الفضلاء .

ومن المدارس المشهورة بمدينة دهلي

المدرسة المعزية بمدينة دهلي القديمة عند الجامع الكبير ، وكان بناؤها في

غاية الحصانة والارتفاع ، حتى أنَّ القرامطة لما أغاروا على دهلي في أيام رضية بنت أيلتمش ، دخلوها ظناً منهم أنه جامع كبير يعظم شأنها وارتفاعها ، كما في «الطبقات الناصرية» ، ولم أقف على غير ذلك ، ولكني أظن أنَّ قطب الدين أيبك أسسها وعزاها إلى السلطان شهاب الدين الغوري الملقب بمعز الدين .

ومنها المدرسة الناصرية بمدينة دهلي القديمة ، لعلّها كانت من أبنية السلطان شمس لدين أيلتمش ، بناها على اسم ولده ناصر الدين محمود المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وكل عليها القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني سنة ٦٣٥ هـ في أيام رضية بنت أيلتمش ، كما في «الطبقات الناصرية» .

ومنها المدرسة العظيمة الفيروزية ، بناها فيروز شاه الدهلوي نحو سنة ٧٥٥ هـ على الحوض الخاص بدهلي ، وكانت جامعة بين الحسن والحصانة ، يجري فيها الماء الغزير ، ولا يوجد لها نظير في الدنيا ، كما صرح به القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه ، قال : وفيها من المدرسين جماعات يدرسون في كل علم معقول ومنقول ، أكبرهم الشيخ جلال الدين الرومي ، وصاحبه يوسف بن جمالَ الحسينيَ .

ومنها المدرسة العظيمة في قصر بالابندسيري كانت من أبنية فيروز شاه المذكور ، جميلة الصنعة ، متقنة البناء ، يدرس بها مولانا نجم الدين السمرقندي ، كما في الفيروز شاهيه .

ومنها المدرسة التي بناها فيروز شاه المذكور عند قبر والده فتح خان المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، ثم لما كان نصب على قبر ولده الحجر الذي يقال إنَّ عليه أثر قدم النبي ﷺ ، وأتى به الشيخ جلال الدين حسين الحسيني البخاري من بلاد العرب ، سموها «قدم شريف» ، كما في «تاريخ فرشته» .

ومنهَا المدرسة العظيمة للعلامة عبد الله التلنبي الذي قدم دهلي في عهد إسكندر بن بهلول اللودهي ، فجعله ملك العلماء ، وأنشأ المدرسة ، فتخرج عليه جماعاتٌ من الفضلاء ، وهو الذي وسع نظام الدرس ، وأدخل فيه الكتب الدقيقة من المعقول ، وما كانوا يقرؤون في هذه الديار غير شرح الشمسية في

المنطق ، وغير شرح الصحائف في الكلام فيما قبله ، كما صرح به البدايوني في تاريخه .

ومنها المدرسة الكبيرة للشيخ سماء الدين الملتاني ، المتوفى بدهلي سنة ٩٠١ هـ ، درَّس بها مدَّةً طويلةً ، ثمَّ درس بها أحفاده فتح الله ، وعبد الغفور ، والمفتي جمال الدين أبناء الشيخ نصير الدين بن سماء الدين المذكور ، وانتفع بهم خلقٌ كثيرٌ من العلماء إلى مدَّة طويلة .

ومنها المدرسة الكبيرة المنسوبة إلى الشيخ فريد الدين بن مسعود الأجودهني رحمه الله ، بناها علاء الدين بن نور الدين بن تاج الدين العمري الدَّهلوي على اسم جده المذكور ، سنة إحدى وأربعين وتسعمئة في أيام همايون شاه التيموري ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن ، عند مقبرة الشيخ علاء الدين المذكور ، ذكره بشير الدين في تاريخه .

ومنها المدرسة الكبيرة ، أسستها «ماهم أنكه» مرضعة أكبر شاه التيموري ، وأسست المسجد سنة ٩٦٩ هـ عند قلعة «دين بناه» ، وعمل لها بعض الناس تاريخاً من لفظ «خير المنازل» كما في «يادكار دهلي» ، ولها أعلام باقية إلى الآن .

ومنها المدرسة العظيمة المباركة للشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدَّهلوي المحدث ، وقف عليها جهانكير مزارع من الأرض ، ودرَّس بها الشيخ المذكور مدَّةً من الدَّهر ، ثم أولاده : المفتي نور الحق ، والشيخ علي محمد ، والشيخ محمد هاشم ، وسبطه أبو رضا بن إسماعيل ، وخلق آخرون ، تخرج عليهم جماعات من الفضلاء في كلِّ عصرٍ إلى مدَّة طويلةٍ ، وهي أول مدرسة بدهلي للحديث الشريف .

ومنها المدرسة الكبيرة ، بناها شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي فيما بين سنة ١٠٦٠ هـ وسنة ١٠٧٠ هـ بمدينة جهان آباد عند الجامع الكبير ، وسماها «دار البقاء» ، وولي التدريس بها الشيخ يعقوب البياني ، وتلك المدرسة كانت عامرةً إلى مدَّة طويلة ثم درست ، فعمرها المفتي صدر الدين الدَّهلوي ، وجدَّدها بنفقته ، ثم وظَّف العلماء بها للتدريس ، فدرَّسوا بها زماناً صالحاً ، ثم درست في الفتنة العظيمة سنة ١٢٧٣ هـ ، فلم يبق لها عينٌ ولا أثرٌ .

ومنها المدرسة التي أنشأتها فتحبوري بيكم زوجة شاهجهان المذكور سنة ١٠٦٠ هـ عند المسجد الفتحبوري ، الذي بنته من حمر الحجارة ، وبيضها ، وفيه دور ، ومقاصير ، ومساكن لأهل العلم ، ودكاكين كثيرةٌ حولها ، تُغل ستمئة ربية في كلِّ شهر ، ويرزق منها العلماء والطلبة حتى اليوم.

ومنها المدرسة الكبيرة ، أسستها أكبر آبادي بيكم زوجة شاهجهان المذكور سنة ١٠٤٠ هـ في الجامع الكبير ، الذي بناه من الحجارة المنحوتة ، وفيه دور ، ومقاصير ، ومساكن لأهل العلم ، ودكاكين كثيرةٌ حولها ، وكانت عامرةً إلى آخر عهد الملوك التيموريين ، درّس بها الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي مدّةً من الزمان ، ثم قلعها الإنكليز سنة ١٢٧٣ هـ ، فلم يبق لها عين ولا أثرٌ.

ومنها المدرسة الكبيرة كانت بدهلي ، بناها مير جملة ، واليوم لا يعلم لها عينٌ ولا أثرٌ ، ولكن الموضع الذي كانت به المدرسة ، اشتهر «بمدرسة مير جمله».

ومنها مدرسة عناية الله خان كانت بدهلي ، واليوم لا عين لها ولا أثر.

ومنها المدرسة الكبيرة ، بناها غازي الدين خان الوزير خارج البلدة عن قصر جدِّه غازي الدين خان فيروز جنك في عهد أحمد شاه وعالمكير الثاني ، بناها من حمر الحجارة المنحوتة ، وفيها إيواناتٌ كثيرةٌ في ثلاث جهات ، وفي الجهة الغربية مسجدٌ كبيرٌ عالي البناء ، وعلى جنوب ذلك المسجد حظيرةٌ ، فيها قبر جدِّه ، وقد سلم فضل علي خان الدَّهلوي وزير بلاد أوده سنة ١٨٢٩ م مئة ألف وسبعين ألف ربية إلى الدولة الإنكليزية ، لينفقوا بها تلك النقود على هذه المدرسة ، فجعلها الإنكليز مدرسة الإنكليزية ، وكان من أساتذتها الشيخ نذر محمد الدَّهلوي ، ذكره عبد القادر بن محمد أكرم الرامبوري في كتابه «روز نامه».

ومنها المدرسة الكبيرة لأم غازي الدين المذكور بمدينة دهلي ، ذكرها عبد القادر المذكور في «روز نامه» ، وقال: «هذه المدرسة كانت معروفةً بمدرسة مولانا فخر الدين الدَّهلوي ، انتهى ، وسبب هذه الشهرة أن مولانا المذكور كان يدرِّس بها.

ومنها المدرسة المباركة للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي بمدينة شاهجهان آباد داخل البلدة ، وكان أبوه يسكن خارجها حيث كان قبور أهل ذلك البيت الكريم ، وانتقل الشيخ ولي الله بعد وفاته إلى شاهجهان آباد ، وأعطاه سلطان الهند قصراً داخل البلدة للمدرسة ، فدرَّس بها مدَّة حياته ، ويعرف ذلك القصر بالمدرسة القديمة ، ثم بني عنده قصرٌ جديد ، لعله بعد وفاته ، ويعرف ذلك بالمدرسة الجديدة ، ودرَّس بها الشيخ عبد العزيز بن ولي الله المذكور زماناً ، ولمّا كفَّ بصره ولي التدريس بها أخواه الشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد القادر ، فلما توفيا إلى رحمة الله سبحانه ، درَّس بها سبطاه الشيخ إسحاق ، والشيخ يعقوب ، وابن أخيه الشيخ مخصوص الله بن رفيع الدين مدَّةً طويلةً ، وكانت تلك المدرسة من المدارس العظيمة ببلاد الهند .

ومنها المدرسة الكبيرة بمدينة دهلي في سوق «دريبة» ، بناها نواب روشن الدولة في عهد محمد شاه الدهلوي عند مسجده المشهور بسنهري مسجد سنة ١١٣٤ هـ وكانت عامرةً إلى آخر عهد الملوك التيموريين ، ثم جعلها الإنكليز للجندارمة سنة ١٨٥٧ م .

ومنها مدرسة إرادتمندخان ، كان بمدينة دهلي في سوق «دريبة» عندها مسجد ، كلاهما من أبنية النواب شرف الدولة إراد تمندخان الدهلوي وكان اسمه إرادة الله ، بناهما سنة ١١٣٥ هـ في عهد السلطان محمد شاه المذكور ، ذكره السيد أحمد بن المتقي الدهلوي في «آثار الصناديد» .

ومنها مدرسة إرادتمندخان المذكور ، كانت عند محلة «رودكران» درست بمرِّ الدُّهور ، ولم يبق من بنائها إلا بابها الكبير ، والموقع الذي كانت به المدرسة مشتهرٌ بالمدرسة إلى اليوم ، ذكره بشير الدين بن نذير أحمد الدَّهلوي في تاريخ دهلي .

ومنها مدرسة شاه حسين ، كانت عند مسجده في «بلبلي خانه» بناهما شاه حسين سنة ١١٤٨ هـ ، وذلك المسجد يعرف بمسجد نواب قطب الدين خان المرحوم ، ذكره بشير الدين .

ومنها مدرسة «سدّهوكهوسن» بنتها في محلة «جرخي والان» سنة ١٢٥٣هـ ، ذكره بشير الدين .

ومن المدارس المشهورة ببلدة آكره ونواحيها

المدرسة الكبيرة بمدينة آكره للشيخ رفيع الدين الحسيني الشيرازي المحدِّث ، الذي قدم الهند في عهد إسكندر بن بهلول اللودهي ، وانتهت إليه الرئاسة العلمية بمدينة آكره .

ومنها المدرسة الزينية بآكره ، بناها الشيخ زين الدين الخوافي ، المتوفى سنة ٩٣٠ هـ ، وبنى مسجداً كبيراً عند المدرسة ، ودفن بعد موته بها ، كما في «تاريخ العلماء» .

ومنها مدرسة المفتي أبي الفتح بن عبد الغفور التهانيسري ، المتوفى سنة ٩٨٦ هـ بمدينة آكره ، درس بها خمسين سنة ، وانتهت إليه رئاسة التدريس بتلك البلدة .

ومنها المدرسة العظيمة بأكبر آباد ، كانت من أبنية أكبر شاه ، وكانت أعلامها باقيةً إلى الثورة الهندية سنة ١٢٧٣ هـ ، واليوم مسجده باق ، والمحلة التي كانت بها المدرسة تعرف باسم المدرسة ، كما في تاريخ آكره لسّيل جند .

ومنها مدرسة خس ، بناها مولانا علاء الدين اللاري من العرائش سنة ٩٦٩ هـ في عهد أكبر شاه بمدينة أكبر آباد ، وأرخ لبنائها عبد القادر البدايوني من قوله : «مدرسة خس» .

ومنها المدرسة العظيمة في الجامع الكبير ، الذي بناه جهان آرابيكم بنت شاهجهان سلطان الهند بمدينة أكبر آباد تجاه القلعة ، ووقفت عليها عروضاً وعقاراً .

ومنها المدرسة الكبيرة ، بناها أكبر شاه التيموري ببلدة فتحبور على قلة الجبل بأمر الشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروي ، ورتَّب العلماء بها ، وجعل لهم الأرزاق السنية ، كما في «آئين أكبري» .

www.abulhasanalinadwi.org

ومنها المدرسة الكبيرة بفتح بور سيكري ، تدعى بمدرسة أبي الفضل بن المبارك الناكوري ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن .

ومنها مدرسة البنات ، كانت بمدينة فتحبور ، بنوها من الحجارة المنحوتة ، ونقشوها بأبدع نقوش ، وهي عند القصور الشاهانية ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن ، كما في «آثار خير» .

ومنها المدرسة العظيمة بكواليار ، كانت من أبنية الأمير رحيم داد ، بناها في عهد بابرشاه التيموري ، كما في «آثار خير» .

ومنها المدرسة الكبيرة للشيخ علي أصغر القنوجي بمدينة قنوج ، درَّس بها الشيخ المذكور مدَّة حياته ، ثم درَّس بها ولده «رستم علي» ثم ولده عبد الباسط ، وكانت مدرسةً مباركةً ، تخرَّج فيها خلقٌ كثيرٌ من العلماء .

ومنها المدرسة العظيمة بمدينة فرخ آباد ، كانت من أبنية النواب محمد خان «بنكش» ، والمحلة التي كانت بها المدرسة ، تعرف إلى الآن باسم المدرسة ، كما في «آثار خير» .

ومنها المدرسة العظيمة ، بناها المفتي ولي الله الفرخ آبادي بمدينة فرخ آباد ، سنة ١٢٢٤ هـ ، وسمَّاها باسم مشعر بتاريخ البناء «فخر المرابع» كما في «تاريخ فرخ آباد» .

ومن المدارس المشهورة بجونبور ونواحيها إلى بهار وبنكاله

المدرسة العظيمة للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي عند الجامع الكبير ، الذي بناه إبراهيم الشرقي صاحب جونبور ، وبنى حوله دوراً ومساكن لمن يطلب العلم ويقصد إليه ، وقد تخرَّج فيها جماعاتٌ كثيرةٌ من الفضلاء .

ومنها المدرسة الكبيرة ، التي بنتها «راجي» زوجة محمود بمدينة جونبور سنة ٨٤٦ هـ ، وبنت المسجد عندها ، ورتبت الرواتب للمحصلين ، وأجرت الأرزاق على العلماء ، ثم لما تسلط إسكندر بن بهلول اللودي على مدينة

جونبور ، أمر عساكره أن يهدموا القصور السلطانية ، فهدموها أيضاً ، كما في «تجلي نور» .

ومنها المدرسة الكبيرة ، كانت بجونبور في محلة عزيز الله ، بناها الجنيد «برلاس» أمير تلك الناحية في أيام بابر شاه التيموري ، أو ولده همايون شاه للشيخ عزيز الله بن الشيخ نعيم الله الجونبوري؛ الذي كان من نسل الشيخ محمد بن عيسى الجونبوري ، وهذه المدرسة صارت مقبرةً بمرور الدهور ، كما في «رياض جونبور» .

ومنها مدرسة الشيخ محمد أفضل العثماني ، المشهور بأستاذ الملك ، تخرَّج فيها محمود بن محمد الجونبوري صاحب الشمس البازغة ، والشيخ محمد رشيد صاحب الرشيدية ، وخلقٌ كثيرٌ .

ومنها مدرسة الشيخ محمد رشيد بن مصطفى العثماني الجونبوري في محلة «ميرمست» ، وإني لم أقف على اسم باني المدرسة ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن .

ومنها المدرسة الكبيرة ببلدة بنارس للشيخ نظام الدين البنارسي ، قرأ فيها الشيخ طيب بن المعين ، كما في «كنج أرشدي» .

ومنها المدرسة العظيمة ببلدة عظيم آباد ، بناها نواب سيف الدين خان سنة ١٠٦٧ هـ على ضفة نهر «كنك» في مكان رفيع ، وبنى عنده مسجداً رفيعاً ، وحوله دوراً ، ومساكن العلماء والطلبة ، ووقفَ عليها قرىً عديدةً ، وكان من مُدرسيه السيد ظريف ، والسيد كمال من تلامذة الشيخ نظام الدين اللكهنوي ، كما في الرسالة القطبية ، وكان من مُدرسيه مولانا تاج الدين الأودي ، كما في «سير المتأخرين» .

ومنها المدرسة الكبيرة بدانا بور على ستة أميال من عظيم آباد ، شرع في بنائها نواب آصف خان ، وأتمها نواب «هيبة جنك» ، وبنى عندها مسجداً كبيراً ، كلاهما من الحجارة المنحوتة في غاية الحسن والمتانة ، كما في «غرابة نكار» .

ومنها مدرسة في ضواحي شاه آباد ، بها أوقافٌ خطيرةٌ ، ومكتبةٌ عظيمةٌ ، مصارفها خمسة آلاف ربية في السنة ، وقف عليها شاه عالم قرىً عديدةً ، ومتوليها اليوم صاحب الزاوية بتلك البلدة .

ومنها المدرسة بأورنك آباد من ضواحي «كيا» ، وبها أوقاف تحصل منها أربعمئة ربية في السنة إلى اليوم.

ومنها المدارس الكبيرة برنكبور من بلاد بنكاله ، كانت من أبنية محمد بختيار الخلجي فاتح تلك البلاد ، واليوم لا تذكر ، ولا ترى.

ومـن المـدارس المشهورة ببلاد مَالْـوَهْ وَخَانْديْـس

المدرسة العظيمة بدار الملك «مندو» ، لعلَّها كانت من أبنية «هوشنك شاه» الغوري ، دفن بها «هوشنك شاه» سنة ٨٣٨ هـ ، ذكره محمد قاسم بن هندوشاه في «تاريخ فرشته».

ومنها المدرسة المحمودية؛ التي بناها محمود شاه الخلجي بدار الملك «مندو» لعلَّه في سنة ٨٤٩ هـ ، وأجرى على العلماء وطلبة العلم الأرزاق والرواتب.

ومنها المدرسة الغياثية؛ التي كانت بمدينة شادي آباد «مندو» ، لعلَّه بناها غياث الدين بن محمود الكبير الخلجي صاحب «مالوه» ، له ذكر في ظفر الواله للآصفي.

ومنها المدرسة العظيمة بظفر آباد «نعلجه» ، كانت من أبنية السلطان غياث الدين الخلجي ، وكانت باقيةً إلى عهد محمود شاه الصغير ، كما في «آثار خير».

ومنها المدرسة العظيمة بمدينة «أجين» ، كانت من أبنية الملوك الخلجية ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن ، كما في «تزك أفغاني».

ومنها المدرسة العظيمة ببلدة «سارنكبور» ، كانت من أبنية الملوك الخلجية ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن ، وفيها كتابة نصها: «بناء هذه المدرسة في عهد السلطان الأعظم معين الدنيا والدين محمود شاه الخلجي خلد الله ملكه وسلطنته في عمل ملك «مداريخان» في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وثمانمئة».

ومنها المدرسة الكبيرة ، بناها غانم الملك بقلعة «رائي سين» من أعمال

«مالوه» سنة ٨٩٠ هـ ، وكانت عالية البناء ، وبنى بها دوراً ومساكن للعلماء والطلبة ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن ، كما في «تاج الإقبال» .

ومنها المدرسة الكبيرة بعادل بور من بلاد خانديس ، بناها عادل شاه البرهانبوري ، وولّى الشيخ موسى السندي على التدريس ، كما في «كلزار أبرار» .

ومنها مدرسة الشيخ ظاهر بن يوسف السندي بمدينة برهانبور ، درس بها الشيخ المذكور مدَّةً ، ثم درس بها ابن أخيه عيسى بن قاسم السندي ، ثم أولاده .

ومنها المدرسة الكبيرة ، أنشأها نواب أنور الدين الكوباموي ببلدة برهانبور أيام ولايته عليها ، وولّى الشيخ غلام محمد الكجراتي التدريس بها ، ورتَّب له ولطلبة العلم ستة وثلاثين ألف ربية في كلِّ سنة .

ومن المدارس المشهورة ببلاد كُجْرَات

المدارس الكثيرة التي أنشأها محمود شاه الكجراتي الكبير ببلاد كجرات ، كما في «مرآة سكندري» ، وإنِّي لم أقف على حدودها ، ومواقعها .

ومنها المدرسة التي بناها الشيخ عثمان ، المتوفى سنة ٨٦٣ هـ بعثمان بور ، بناها قريباً من أحمد آباد ، وأعطاه محمد شاه الكجراتي الكتب النفيسة من الخزانة الشاهانية ، فوقفها لطلبة العلم .

ومنها المدرسة ، التي كانت على الحوض المعروف بخان سرور في نهر واله ، خارج البلدة ، يدرس بها مولانا قاسم بن محمد النهروالي ، في عهد قطب الدين شاه الكجراتي .

ومنها المدرسة التي كانت في مقبرة الشيخ حسان الدين عثمان بن داود الملتاني ببلدة نهرواله ، يدرِّس بها مولانا تاج الدين النهروالي ، وبعده ابنه محمد ، وتخرَّج فيها جماعاتٌ من الفضلاء .

ومنها المدرسة العظيمة بسر كهيج في أحمد آباد ، يدرس بها الفقيه حسن العرب في أيام محمود شاه المذكور ، وولده مظفر شاه ، وقد تخرج فيها

جماعاتٌ من الفضلاء كما في «كلزار أبرار».

ومنها مدرسة الشيخ محمد بن طاهر الفتني المحدِّث ، وكان ورث من أبيه مالاً جزيلاً ، فأنفقه على طلبة العلم الشريف ، حتى صار منهم جماعةٌ كثيرةٌ علماء ذوي فنون كثيرة ، كما في «النور السافر».

ومنها مدرسة العلامة وجيه الدين العلوي الكجراتي ، كان يدرس ، ويرتب الرواتب للطلبة ، وبعد موته دفن بتلك المدرسة ، وبنى على قبره صادق خان قبةً ، وعندها أبنيةٌ فاخرةٌ للمدرسة ، وجعل الأرزاق السنية لطلبة العلم ، فدرَّس بها أولاد الشيخ مدَّةً طويلةً ، كما في «تحفة الكرام».

ومنها المدرسة العظيمة ، بناها نواب سيف خان الجهانكيري بمدينة أحمد آباد ، تجاه القلعة سنة ١٠٣٢ هـ حين كان متولياً بديوان الخراج في كجرات في أيام جهانكير بن أكبر شاه التيموري ، كما في «مرآة أحمدي».

ومنها المدرسة الكبيرة ، التي أسسها أكرم الدين الكجراتي المشهور بشيخ الإسلام خان ، حين كان متولياً للصدارة في كجرات ، شرع في بنائها سنة ١١٠٩ هـ ، وفرغ منها سنة ١١١١ هـ ، وبذل عليها من أمواله مئة ألف وأربعة وعشرين ألف ربية ، ومنح لرواتب الطلبة قرىً عديدةً من الأرض الخراجية ، ووكَّل عليها شيخه نور الدين بن محمد صالح الكجراتي.

ومنها المدرسة التي بناها الحاج زاهد بيك التاجر ، عند مقبرة الشيخ محمد بن عبد الله العيدروس بمدينة سورت سنة ١٠٤١ هـ ، في عهد الشيخ جعفر الصادق العيدروس ، كما في الحديقة.

ومنها المدرسة التي بناها نواب ظفر ياب خان عند مسجد المرجان للشامي بمدينة سورت ، وكمَّلها بعده حفيده حاجي ميان ، كما في الحديقة.

ومن المدارس المشهورة ببلاد أَوَدَهْ ونواحيها

المدرسة الكبيرة بلكهنؤ ، للشيخ محمد بن أبي البقاء اللكهنوي ، المشهور بمحمد الأعظم ، وقد تخرَّج فيها كثير من العلماء.

ومنها مدرسة القاضي عبد القادر العمري اللكهنوي بلكهنؤ ، تخرَّج فيها

خلقٌ كثيرٌ ، وتفرقوا في البلاد ، وأسسوا المدارس ، ونفع الله بهم كثيراً من عباده .

ومنها المدرسة التي بناها الحسن السارنكبوري بقرية «برونه» من أعمال «أميتهي» للشيخ جعفر بن نظام الدين الأميتهوي ، وبنى بناءً عالياً للمدرسة ، ودوراً ومساكن لطلبة العلم ، لها آثارٌ باقيةٌ حتى اليوم ، كما في «رياض عثماني» .

ومنها المدرسة التي بناها عبد القادر بن أحمد الأميتهوي ببلدة أميتهي ، كان يدرس بها والده الشيخ أحمد بن أبي سعيد صاحب «نور الأنوار» ، ثم أخلافه بعده ، وقد بناها في حياة والده ، كما في «صبح بهار» .

ومنها مدرسة الشيخ يسير محمد اللكهنوي ببلدة لكهنؤ ، على نهر «كومتي» ، وكانت مطافاً لعلماء البلاد مدَّةً من الدهر ، ولا أعلم من بناها ، درس بها الشيخ بير محمد ، وبعده الشيخ محمد آفاق ، ثم الشيخ غلام نقشبند ، ثم ولده أحمد، والشيخ غلام يحيى البهاري ، والشيخ عبد الرشيد الجونبوري ، وخلقٌ آخرون .

ومنها مدرسة الشيخ نظام الدين السهالوي ببلدة لكهنؤ في قصر أعطاه عالمكير ، وكانت لتاجر إفرنجي ، ولذلك اشتهر «بفرنكي محل» وقد تخرَّج فيها كثيرٌ من الفضلاء ، وعمَّت فيوضهم لأهل الهند .

ومنها المدرسة المنصورية التي بناها حمد الله بن شكر الله السنديلوي ، وولده عسكر علي ببلدة «سنديله» سنة ١١٤٦ هـ ، وأعطى أحمد شاه الدهلوي قرىً عديدةً لنفقتها بإشارة وزيره أبي المنصور خان «صفدر جنك» ، ولذلك سميت المدرسة بالمنصورية ، درَّس بها ملاَّ حمد الله ، وولده حيدر علي ، ومولانا باب الله الجونبوري ، وتخرَّج فيها جماعاتٌ من الفضلاء .

ومنها مدرسة العلامة عبد الجليل البلكرامي ببلكرام ، يدرس بها الشيخ طفل محمد الأترولوي ، وقد تخرَّج فيها جماعةٌ ، ثم درست ، وأعلامها باقيةٌ إلى الآن .

ومنها مدرسة القاضي قطب الدين الكوباموي ببلدة «كوبامئو» ، وهي مدرسة مباركةٌ ، تخرَّج فيها مئاتٌ من العلماء ، كما في «تذكرة الأنساب» .

www.abulhasanalinadwi.org

ومنها المدرسة الوالاجاهية ببلدة «كوبامئو» ، أنشأها نواب محمد علي خان الكوباموي ، أمير ناحية مدراس بنفقته ، ووكَّل عليها القاضي مصطفى علي خان الكوباموي ، لعلَّه في سنة ١٢٠٠ هـ ، فدرَّس بها القاضي المذكور مدَّةً ، كما في «نتائج الأفكار» .

ومنها المدرسة السلطانية ، بناها الحكيم مهدي بن صفي الشيعي ، بمدينة لكهنؤ في عهد السلطان نصير الدين حيدر عند مقبرة سعادة علي خان اللكهنوي ، وبنى الدور والمقاصير عندها للمحصلين .

ومنها المدرسة العظيمة ، بناها الحكيم مهدي علي خان المذكور للكشميريين ، ورتَّب فيها عشرة رجال من العلماء للتدريس ، وقرَّر للطلبة الرواتب الشهرية ، والأطعمة اليومية ، ورتب لخدمتهم الغلمان ، وكان يستمع منهم الدروس ، ويحرضهم على حفظ الدروس ، ويطعمهم ألذ الحلويات والأطعمة ، ذكره علي أكبر الكشميري في «سبيكة الذهب» .

ومنها المدرسة العظيمة ، بناها أمجد علي شاه اللكهنوي ببلدة لكهنؤ ، ورتَّب بها العلماء ، وجعل لهم الأرزاق السنية ، وكان من مدرسيه السيد أحمد علي المحمد آبادي ، والمفتي عباس التستري .

ومنها المدرسة الكبيرة بمدينة «سلون» بفتح السين المهملة وسكون اللام ، بلدة من أعمال رائي بريلي ، وعليها أوقافٌ خطيرةٌ من عطايا الملوك التيمورية ، ومتوليها اليوم صاحب الزاوية بها .

ومن المدارس المشهورة بروهيلكهند

المدرسة المعزية بمدينة «بدايون» عند الجامع الكبير ، كانت من أبنية قطب الدين أيبك ، أو نائبه شمس أيلتمش أيام نيابته ببدايون ، وكان مدرسةً عظيمةً ، تخرَّج فيها كثيرٌ من الفضلاء ، ولها ذكر في «فوائد الفؤاد» ، قال الشيخ المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني :

«إن الشيخ زين الدين كان يسكن في المدرسة المعزية عند الجامع الكبير ببدايون» ـ انتهى ، وإني أظنُّ أنَّ العالم الكبير ركن الدين البدايوني ، الذي قرأ

عليه الشيخ سراج الدين الغزنوي صاحب المصنفات المشهورة ، كان من مدرسي هذه المدرسة .

ومنها المدرسة التي بناها فتح خان خانسامان الأمير ببلدة «آنوله» ، وكان من مدرسيه الشيخ وصل علي بن رحمة الله الجائسي ، كما في «تاريخ جائس» .

ومنها المدرسة التي بناها نواب ضابطة خان بن نجيب الدولة ببلدة «دارانكر» ، وكان من مدرسيه العلامة حسن بن غلام مصطفى اللكهنوي ، والشيخ سالم بن كمال الدين الفتحبوري ، وخلقٌ آخرون ، كما في «أغصان الأنساب» .

ومنها المدرسة العظيمة بمدينة شاهجهان بور ، أسسها نواب رحمة خان على نهر «كرّه» بتشديد الراء المهملة ، وولّى عليها العلامة عبد العلي بن نظام الدين اللكهنوي حين خرج من لكهنؤ يريد الهجرة ، فدرّس بها عشرين سنة ، ثم درست .

ومنها المدرسة العالية برامبور ، أسسها نواب فيض الله خان ، وأجرى الجرايات لطلبة العلم ، وجعل راتباً شهرياً للعلامة عبد العلي اللكهنوي المذكور ، لما توفي نواب رحمة خان ، ثمَّ للشيخ حسن بن غلام مصطفى اللكهنوي ، وتلك المدرسة باقيةٌ إلى الآن .

ومنها المدرسة العظيمة ببلدة «بريلي» ، كانت من أبنية الحافظ رحمة خان المذكور ، درس بها الشيخ رستم علي بن أصغر القنوجي مدَّةً مديدةً .

ومنها المدرسة العظيمة بمدينة «بيلي بهيت» ، كانت من أبنية الحافظ رحمة خان المذكور ، وقف عليها قرىً عديدةً ، لعله سنة ١١٨١ هـ .

من المدارس المشهورة ببلاد دَكَنْ

المدرسة العظيمة بمدينة «إيلجبور» بناها صفدر خان السيستاني بأمر السلطان علاء الدين حسن البهمني سنة ٧٥٠ هـ ، ووقف لها البهمني أقطاعاً من الأرض تحصل منها ثلاثون ألف «هون» كل سنة ، وولي التدريس بها مولانا إبراهيم ، ومولانا يحيى من أهل السند ، وكان من مدرسيه في عهده الشيخ ظاهر بن يوسف السندي ، والشيخ طيب المحدث السندي .

ومنها المدرسة العظيمة التي بناها عماد الدين محمود الكيلاني الوزير بمدينة أحمد آباد بيدر ، طولها شرقاً وغرباً خمس وسبعون ذراعاً ، وعرضها شمالاً وجنوباً خمس وخمسون ذراعاً ، وأسس بجانبيها المنارتين العظيمتين ، وهما في غاية الحسن والارتفاع ، وأحاطها بسور تلحقه دور ، ومقاصير ، ومساكن لطلبة العلم ، وفي داخلها مسجد كبير يصلون فيه ، ويعطون الطعام واللباس ، وكل ما يحتاجون إليه ، ورتب العلماء للتدريس ، وجعل لهم الأرزاق السنية مما وقف عليها من العروض والعقار ، وكان ذلك سنة ٨٧٤ هـ ، وأرخ لبنائها بعضهم من قوله تعالى ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ ، كما في «تاريخ فرشته» ، وتلك المدرسة كانت عامرةً إلى عهد عالمكير بن شاهجهان الدّهلوي ، ولي بها الشيخ محمد حسين البيجابوري للتدريس ، سنة ١٠٩٩ هـ ، كما في «حديقة العالم» ، ثم نزلت الصاعقة عليها سنة ١١٠٧ هـ في ليلة من ليالي رمضان ، وكان الناس مشتغلين بالتراويح ، فسقطت المنارة الجنوبية ، وبعض الجانب الشرقي ، وبعضٌ آخر على الناس ، فمات بها خمسمئة رجل ، منهم محمد حسين المذكور ، كما في «مختار الأخبار» .

ومنها المدرسة الطاهرية ببلدة أحمد نكر داخل القلعة ، كان يدرس بها طاهر بن رضا الهمداني في عهد برهان نظام شاه البحري ، ثم لما قام بالملك ولده حسين نظام شاه ، هدم المدرسة ، وأسس مكانها مسجداً رفيعاً ، كما في «تاريخ فرشته» .

ومنها المدرسة البرهانية بمدينة «أحمد نكر» لبرهان نظام شاه المذكور ، بناها من الحجر والجص سنة ٩٢٩ هـ تجاه القلعة ، ورتّب لمن يقرأ فيها ، ووقف على ذلك ضياعاً ، وأراضي ، ورباعاً ، وكانت الوظائف والأرزاق فيها مخصوصةً بالشيعة ، كما في «تاريخ فرشته» .

ومنها المدرسة العالية بمدينة «بيجابور» بناها علي عادل شاه البيجابوري ، وولي التدريس بها الأمير فتح الله الشيرازي ، فدرس بها زماناً ، ووقف عليها أقطاعاً من الأرض ، كما في «محبوب الوطن» .

ومنها المدرسة العلوية بمدينة «بيجابور» ، بناها القاضي علي محمد بن أسد

الله بن عبد الله بن وجيه الدين العلوي الكجراتي ، ثم البيجابوري في عهد إبراهيم عادل شاه ، وكان لقبه أستاذ الأولياء ، كما في «روضة الأولياء».

ومنها المدرسة التي أنشأها محمد عادل شاه البيجابوري في الآثار الشريفة بمدينة «بيجابور» ، ورتَّب العلماء لتدريس العلوم الدينية من الفقه والحديث ، وأمر أن يعطى الطلبة الأغذية اللطيفة من مطبخه صباحاً ومساءً ، ويعطى كلُّ واحد منهم «هنا» في كل شهر ، ويعطون الكتب من الخزانة الشاهانية ، وكذلك رتَّبَ العلماء في الجامع الكبير لتدريس العلوم النافعة ، وجعل لهم الأرزاق السنية ، كما في «بساتين السلاطين».

ومنها المدرسة التي بناها محمد قلي قطب شاه بمدينة حيدر آباد ، داخل البلدة سنة ١٠٠٦ هـ ، وبنى لها قصراً رفيعاً ، فيه أربع منارات رفيعة ، وقبة عظيمة ، وفي وسطها حوضٌ يفور الماء فيه من الفوارة العظيمة ، وبنى فيها دوراً ومساكن للطلبة ، ووظف لهم ، وجعل للأساتذة الأرزاق السنية من الخزامة الشاهانية ، كما في «حديقة العالم» ولها أعلام باقية يسمُّونها الآن «جارمينار».

ومنها المدرسة العظيمة التي أسستها حياة النساء أم عبد الله قطب شاه الحيدر آبادي ببلدة «حياة نكر» قريباً من إبراهيم «بتن» ، وكانت تصرف عليها مئتي «هون» في كل شهر ، وتلك المدرسة كانت عامرةً إلى عهد أبي الحسن تانا شاه ، كما في «محبوب الوطن».

ومنها المدرسة العظيمة التي بناها محمد خاتون العاملي بأمر عبد الله قطب شاه ببلدة «كولكندّه» خارج القلعة ، وأقطع لها أرضاً ، تحصل منها في كل شهر ألف «هون» ، وكانت هذه المدرسة عامرةً إلى عهد أبي الحسن تانا شاه ، كما في «محبوب الوطن».

ومنها المدرسة التي بناها نواب محمد غياث خان ، المتوفى سنة ١١٤٨ هـ ، بمدينة «أورنك آباد» ، في مغلبورة ، وكان من نُواب آصف جاه الأول ، كما في «مآثر الأمراء».

ومنها المدرسة الكبيرة ، بناها نواب محمد علي خان الكوباموي بمدينة مدراس ، وولى عليها العلامة عبد العلي بن نظام الدين اللكهنوي ، وبعده ولي

التدريس بها ختنه علاء الدين اللكهنوي ، وعبد الواحد بن عبد الأعلى بن عبد العلي المذكور ، ثم جمال الدين بن علاء الدين السالف ذكره ، وكانت مدرسةً مباركةً ، تخرج فيها جماعاتٌ من الفضلاء .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل السادس

في ذكر المَارِستانات

المارستان: بيت المرضى، معرب كما في الصحاح، وأول من اخترع المارستانات بقراط بن أيوقليدس، وأول من بناها في الإسلام الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة ثمان وثمانين، وجعل فيها الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، كما في الخطط والآثار للمقريزي.

المارستان بأرض الهند

فأول من بنى المارستانات على ما أحفظه من كتب الأخبار السلطان فيروز تغلق الدهلوي، فإنَّه بنى خمسة مارستانات، أعلاها الذي كان ببلدة دهلي، رتب فيه الأطباء، وأجرى عليهم ما يسعهم، وأودعها العقاقير، وشرط أنه إذا جيء بالعليل من مقيم أو مسافر، حرٍّ أو مملوك، وضيعٍ أو شريف؛ يعطى الأدوية ويطعم حتى يبرأ، وقد دثر هذا المارستانُ في جملة ما دثر، ولم يبق له عين ولا أثر.

ومنها المارستان الكبير بمدينة «كلبركه»، بناه السلطان علاء الدين حسن بن علي البهمني، ووكَّل عليه الحكيم عليم الدين التبريزي، يعطي لكل من يدخل فيه الأدوية والأغذية من الخزينة الشاهانية، كما في «محبوب الوطن».

ومنها المارستان الذي بناه السلطان زين العابدين الكشميري ببلدة «سرى

نكر» قاعدة مملكة كشمير ، وجمع الأطباء به من الهنادك والمسلمين ، وأجرى عليهم الأرزاق السنية .

ومنها المارستان الذي أسسه محمود شاه الخلجي ببلدة «ماندّو» (مندو) دار ملكه سنة تسع وأربعين وثمانمئة ، وجعل فيها دوراً ومساكن للمرضى ، ودوراً ومساكن للمحبوسين من المجانين على حدة ، ورتب في الأطباء ، وأودعه العقاقير وسائر ما يحتاج إليه من به مرض من الأمراض ، ولم يحص عدد المرضى ، بل جعله سبيلاً لكلٍّ من يرد عليه من غني وفقير ، ولا حدَّد مدة إقامة المريض به ، ووقف عليه القرى ، ووكل عليه مولانا فضل الله الطبيب ، ولقبه بحكيم الحكماء .

ومنها المارستان الذي بناه السلطان علاء الدين بن أحمد شاه البهمني سلطان دكن بمدينة أحمد آباد «بيدر» ، ورتب الأطباء فيه مِن الهنادك والمسلمين جميعهم ، وأجرى عليهم الأرزاق ، ووقف عليه من الأملاك قرىً عديدةً ، كما في «تاريخ فرشته» .

ومنها المارستان الذي بناه محمد قلي قطب شاه الحيدر آبادي بمدينة حيدر آباد ، سنة ست وألف ، ورتب الأطباء فيه ، وأجرى عليهم الأرزاق السنية من الخزينة الشاهانية ، ورتب العقاقير والأدوية ، وسائر ما يحتاج إليه المرضى ، من حرٍّ ومملوكٍ ، وغنيٍّ وفقيرٍ ، كما في «حديقة العالم» .

ومنها المارستان الذي كان بمدينة أكبر آباد ، لعلّه بني في عهد أكبر شاه ، وكان عامراً إلى آخر عهد الملوك التيمورية ، كما في «تاريخ آكره» لسيل جند .

ومنها المارستان الذي كان بمدينة أكبر آباد عند الجامع الكبير والقلعة ، واندرس في الثورة الهندية سنة ١٢٧٣ هـ ، واليوم بها محطة كبيرة للقطار ، كما في «تاريخ آكره» .

ومنها المارستان الذي كان بمدينة «فتح بور سيكري» من أبنية أكبر شاه ، بناه من الحجارة المنحوتة ، وفيه الدور والمقاصير للمرضى ، وأعلامه باقيةٌ إلى الآن .

ومنها المارستان الذي بناه الشيخ أبو الفيض بن المبارك الناكوري عند بيته

بمدينة «فتح بور سيكري» ، ورتب فيه الأدوية ، والأغذية للمرضى من شريف ووضيع ، وغنيٍ وفقير.

ومنها المارستان الذي بناه نواب سيف خان الجهانكيري ، المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ بمدينة أحمد آباد ، تجاه القلعة سنة ١٠٣٢ هـ ، في أيام جهانكير بن أكبر شاه الدَّهلوي ، وسماه دار الشفاء ، حين كان متوالياً بديوان الخراج في إيالة كجرات ، وكان عامراً إلى آخر عهد الملوك التيمورية ، وكّل عليه عالمكير بن شاهجهان الدَّهلوي الحكيم رضا الدين مقام الحكيم محمد تقي الشيرازي سنة أربع عشرة ومئة وألف ، كما في «مرآة أحمدي».

ومنها المارستان الذي كان بمدينة أحمد آباد من أبنية الملوك التيمورية. وكان عامراً إلى آخر عهدهم ، وكّل عليه شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي سلطان الهند الحكيم محمد هاشم.

ومنها المارستان الذي كان بمدينة «سورت» من أبنية الملوك التيمورية ، كان متولياً به الحكيم محمد أشرف ، مات في عهد عالمكير ، فولي ولده بعده.

ومنها المارستان الذي بناه شاهجهان بن جهانكير الدهلوي بمدينة شاهجهان آباد عند الجامع الكبير ، في إحدى جهاته الشمالية والجنوبية ، بناه بين الستين والسبعين بعد الألف ، ورتب فيه الأطباء ، وجعل لهم الأرزاق السنية ، وكان مشهوراً بدار الشفاء.

ومنها المارستان الذي بناه نواب «خير أنديش» خان ، الذي كان اسمه محمد خان ، وكل عليه الحكيم عبد الرزاق النيسابوري ، والحكيم عبد المجيد الأصفهاني ، ومرزا محمد علي البخاري ، والحكيم محمد عادل من المشتغلين بالطب العربي ، وكنول نين ، وسكها نند ونين سكه من الأطباء المصرانيين[١] ، ووقف عليه قرىً وعقاراً لينتفع به المرضى من شريف ووضيع ، وغنيٍ وفقير ، وجعل لهم الأغذية والأدوية ، ذكر ذلك في كتابه «خيرِ التجاربِ».

ومنها المارستان الذي بناه الحكيم مهدي وزير صاحب أوده بمدينة لكهنؤ في

---

(١) إشارة إلى علماء الطب الهندي القديم الذي يسمى «ويدك».

أيام نصير الدين حيدر ، وجعل فيه دوراً ، ومساكن للمرضى ، ورتب فيه العقاقير ، والأدوية المركبة ، والأطباء ، وسائر ما يحتاج إليه من به مرض من الأمراض ، ووكّل عليه مرزا علي أكبر بن الهاج الغوغائي ، كما في «قيصر التواريخ» ، وهو عامرٌ حتى اليوم.

* * *

وفي عهد الملوك التيمورية

وأما المارستانات الشاهانية ، في عهد الملوك التيمورية ، وكانوا يسمُّونها دور الشفاء ، فإنها كانت في بعض البلاد ، كآكره ، ودهلي ، ولاهور ، فأمر جهانكير بن أكبر شاه التيموري سنة ١٠٢٠ هـ أن تنشأ في الأمصار كلِّها ، ويرتب فيها طبيب من المسلمين ، وطبيب من الهنادك ، وجراح ، والأدوية المركبة ، والعقاقير النافعة ، وشرط أنه إذا جيء بالمريض من مقيم أو مسافر ، حرٍّ أو مملوك ، وضيع أو شريف ، يعطى الأدوية ، ويطعم حتى يبرأ ، ويعطى عند الخروج ما يحتاج إليه من النقود ، كما عرفت مما تقدَّم .

* * *

الفصل السابع
في المَقّابر العظيمة للمسلمين

اعلم أنَّ تشييد المقابر وتجصيصها ، وبناء القباب عليها مما أحدثه المسلمون بعد القرون الأولى ، لما حذوا حذو القياصرة ، والأعاجم ، وليس له في الإسلام ذكر ، ولم تكن العرب تعرف ذلك ، اللهم إلا بعض النوادر ، وذلك كما كانوا يصنعون بقبر بعض الأقيال ، وهم ملوك اليمن ، وكان اليمانيون ـ وهم التبابعة من حمير ـ يدفنون ملوكهم بسلاحهم ، وآلاتهم في القبر ، وذلك أنفة وحمية أن يأخذها أحد بعدهم ، وكانوا يدفنون بعض ملوكهم قائماً ، ولا يوسدونه على الأرض ، كما تفعله النصارى بعظمائهم تفاؤلاً ، يذهبون إلى أنَّ الملك قائمٌ ثابتٌ ، ذكره ابن هشام في «التيجان» ، أمَّا الإسلام فقد جاء بهدم جميع الخلال التي فيها شائبة الكبر والخيلاء ، وفيه السرف والتبذير ، فقد صحَّ أنه نهى النبيُّ ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ، كما رواه الشيخان وغيرهما ، وأمر علياً رضي الله عنه أن لا يترك قبراً عالياً إلا هدمه ، ويروى عن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبر ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر؛ وكل هذا سداً للذريعة من الإشراك ، وعبادة القبور.

ثم إنَّ المسلمين أحدثوا في ذلك أموراً ، وتبعوا الأمم الماضية ، وحذوا سنن من قبلهم ، فجصَّصوا القبور ، وبنوا عليها القباب ، وزخرفوا وصرفوا عليها أموال المسلمين بسرف وتبذير ، لا غاية وراءه ، وأمَّا مقبرة المدينة ، وهي بقيع الغرقد ، ومقبرة المعلاة بمكة ونحوهما ، فلم يكن يعرف بها تشييد وتجصيص إلا من عمل المتأخرين.

فمن المقابر العظيمة بالهند

مقبرة السيد سالار مسعود الغازي بمدينة «بهرائج» بناها محمد شاه تغلق الدَّهلوي بالجص والآجر، كما في «تاريخ فرشته»، وقد رآها محمد بن بطوطة المغربي الرحالة، وذكرها في كتابه، وهي موجودة إلى الآن، يصنعون على قبره جميع الأعمال اللائقة بالمعبود، كالسُّجود، والنذور، وغير ذلك.

ومنها مقبرة الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني بمدينة «ملتان»، وهي من المقابر العظيمة من أبنية الملوك والأمراء، وزادوا فيها وقتاً بعد وقت من الأبنية العالية، وفيها قبر والده الشيخ صدر الدين أيضاً.

ومنها مقبرة الشيخ معين الدين السجزي بمدينة «أجمير»، بناها الشيخ حسين بن خالد الناكوري من بيض الحجارة، وهو أول من بني على قبره بناءٌ عال، ثم زاد فيها محمود شاه الخلجي ملك «مندو» أبنيةً سامية، ثم زاد فيها أكبرُ شاه بن همايون التيموري، ثم بنى عنده المسجد شاهجهان بن جهانكير الدَّهلوي، كلها من المرمر سنة ١٠٣٧ هـ، وقد أوجبوا زيارتها كالحجِّ، ويصنعون على قبره جميع الأعمال اللائقة بالمعبود، بل لا يصنعون أكثرها بمكة، ولا يجوز مثلها، كالسجود، والنذور، ونحوها.

ومنها مقبرة الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي بمدينة دهلي القديمة، وهي محاطةٌ بالجدران من المرمر، وبناهاخ فرسير، وفيها مساجد، أحدها من أبنية شاه عالم بن عالمكير الدهلوي، وقد ذكرته في موضع آخر من هذا الكتاب.

ومنها مقبرة الشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني بمدينة «أجودهن»[١]، وفيها باب يسمونه «بهشتي دروازه» أي «باب الجنة» ويزعمون أنَّه من يدخل منه يدخل الجنة، لا محالة.

ومنها مقبرة الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني «بغيات بور»[٢]،

---

(١) وهي معروفة بمدينة «باك بتن» تقع في باكستان الغربية في مديرية «منتكمري».
(٢) وهي معروفة الآن «بنظام الدين» و«سلطان جي».

خارج البلدة من دهلي القديمة ، بناها محمد تغلق شاه ، وفيها مسجد من أبنية أبناء السلطان علاء الدين الخلجي ، على ما قيل من المرمر ، فيها قبور للملوك وأبنائهم .

ومنها مقبرة الشيخ أبي علي القلندر ببلدة «باني بت» ، وفيها ثلاث سوار من حجر المحك ، ومسجد كبير من حمر الحجارة المنحوتة ، والقبر بني من المرمر الأبيض في قبة عالية البناء ، وقيل : إنه بناها أبناء السلطان علاء الدين الخلجي ، وزاد عليها نوابّ مقرَب خان ، ورزق الله خان ، ولطف الله خان ، وغيرهم ، من الأبنية الفاخرة حيناً بعد حين .

ومنها مقبرة غياث الدين تغلق شاه ، بناها ولده محمد شاه تغلق من حمر الحجارة وبيضها ، قريباً من تغلق آباد ، ويسمُّونها دار الأمان وهي من أبدع الأبنية ، وأحسنها إلى اليوم .

ومنها مقبرة الشيخ ركن الدين الملتاني ، بمدينة «مَلتان» ، بناها محمد شاه تغلق في مكان رفيع من الجصِّ والآجرِّ ، منقوشة بأبدع نقوش بيض ولا زوردية ، وهي من أبدع أبنية تلك البلدة .

ومنها مقبرة الشيخ نصير الدين محمود الأودي ، بناها فيروز شاه الدَّهلوي من الحجارة المنحوتة ، وهي ذات قبة عالية ، وشبابيك حسنة ، وزاد فيها محمد شاه الدهلوي في أيامه بعض الأبنية .

ومنها مقبرة الشيخ برهان الدين الغريب ، ويسمُّونها «روضة» وهي على ثلاثة أميال من أورنك آباد ، وفيها قبورٌ كثيرةٌ للملوك والأمراء .

ومنها مقبرة السيد محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي ، بمدينة «كلبركه» وهي على شاكلة مقبرة الشيخ معين الدين السجزي في الأبنية ، والشوكة الشاهانية ، والأعمال المذكورة .

ومنها مقبرة الشيخ بديع الدين المدار المكنبوري ، ببلدة «مكنبور» ، وهي قبةٌ رفيعةٌ ، عالية البناء ، وعندها مسجد من أبنية عالمكير بن شاهجهان الدَّهلوي يحجُّها الناس كلَّ سنة ، كقبر السيد سالار مسعود الغازي .

ومنها مقبرة أحمد شاه البهمني ، المتوفى سنة ٨٣٩ هـ ، بمدينة «بدَر» خارج

البلدة ، وهي قبةٌ عالية البناء ، ارتفاعها ٤٥ ذراعاً ، وهي من أبدع الأبنية وأعجبها حسناً وحصانةً ، وفيها كتاباتٌ بديعةٌ ، ونقوش عجيبةٌ ، لا يعهد مثلها من حيث الصنعة ، وهي من أبنية ولده علاء الدين شاه البهمني ، وتتصل بها قباب ملوك البهمنية من أولاده.

ومنها مقبرة علي بريد ، المتوفى سنة ٩٩٥ هـ ، بمدينة «بدر» بكسر الموحدة ، وهي قبةٌ عاليةٌ البناء على ربوة كبيرة ، ارتفاعها ٧٥ قدماً ، وارتفاع القبة ٦٤ قدماً ، وعليها برج مرتفع علىً عشرَة أقدام ، فارتفاع المقبرة من الأرض ١٥٠ قدماً ، وهي من أبدع عمارات دكن ، وفيها كتاباتٌ بديعةٌ بالنسخ والتعليق ، ونقوشٌ عجيبةٌ بالألوان المختلفة من اللازوردية ، والذهبية وغيرهما.

ومنها مقبرة السلطان همايون بن بابر التيموري ، بمدينة دهلي ، بنتها نواب حاجي بيكم صاحبة همايون المذكور سنة ٩٧٣ هـ ، في ست عشرة سنة ، وأنفقت عليها ألف ألف وخمسمئة ألف من النقود الفضية ، أسستها من حمر الحجارة وبيضها ، في غاية الحسن والمتانة ، لم يكد يوجد لها نظيرٌ في أرض الهند قبل بناء «تاج كنج» ، وفي تلك المقبرة القصور العالية ، والحدائق والجداول ، والفوّارات ، التي تكتنفها الأشجار من كل جانب ، من ذوات الأثمار ، والأزهار.

ومنها مقبرة أكبر شاه التيموري بسكندرة على سبعة أميال من آكره ، بناها ولده جهانكير ، وبذل عليها أموالاً طائلةً في زخرفتها ، وأحدث فيها أموراً عجيبة ، تدهش المتفكر وتعجب الناظر.

ومنها مقبرة جهانكير بن أكبر شاه ، المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ بشاهدره ، على أربعة أميال من لاهور ، بناها ولده شاهجهان من حمر الحجارة وبيضها ، على ربوة كبيرة ، مرتفعة من حمر الحجارة ، وفرشوها بأنواع الحجارة الحسنة ، لا يكاد يوجد لها نظيرٌ ، وبنوا قبره على ضفة ربوة صغيرة ، داخل بناء عال ، من الأحجار الثمينة ، كالعقيق ، واللازورد ، والنيلم ، والسليماني ، والزهرمهره ، والمرجان ، والإبري وغيرها ، وهذا مما لا يوجد له نظير.

www.abulhasanalinadwi.org

ومنها مقبرة اعتماد الدولة بمدينة «آكره» على نهر «جمنا» ، وهي بناءٌ عال من المرمر الأبيض على ربوة كبيرة من حمر الحجارة ، فبابها وشبابيكها في غاية الحسن والحصانة ، والقبور فيها مبنيةٌ من المرمر الأصفر ، وهي من أبدع أبنية الهند.

ومنها المقبرة العظيمة الحسنة التي لا يكاد يوجد لها نظيرٌ في الدنيا ، لا في المشرق ولا في المغرب ، بناها شاهجهان بن جهانكير التيموري لزوجته أرجمند بانو بيكم بمدينة «آكره» على نهر «جمنا» ، يقال: إنه استخدم في بنائها عشرين ألف رجل مدة اثنتين وعشرين[1] سنة ، وإنَّ نفقتها بلغت واحداً وثلاثين ألف ألف وسبعمئة وثمانية وأربعين ألفاً وستاً وعشرين ربية (٣١٧٤٨٠٢٦) ، وهي مبنية من المرمر الأبيض ، قطرها مئة قدم ، وارتفاعها مئتا قدم ، مبنية على شكل مثمن قائم على رصيف عال من الرخام ، مبنيٍّ على رصيف آخر من الحجر الأحمر ، وعند زوايا الرصيف أربع منارات عالية على شكل مخروطي ، ارتفاع كل منها نحو أربعين قدماً ، وفي وسط البناية قبة ، وقطر القبة عشرون متراً ، وكل من داخل الضريح وخارجه منقوش بالفسيفساء الفاخرة على نسق جميل جداً ، وسور القرآن الكريم منقوشةٌ في الفسيفساء الفاخرة على الجدران الداخلية ، وفيه أيضاً ما لا يحصى من النقوش البديعة.

ومنها مقبرة محمد بن إبراهيم شاه البيجابوري بمدينة «بيجابور» ، بناها محمد المذكور في حياته ، وهي قبةٌ رفيعةٌ فسيحةٌ ، نادرة البناء ، متقنة الصنعة ، بديعة المثال ، لا يذكرون مثلها في سائر بلاد الهند[2] ، وهذا البناء

---

(١) يؤيد ذلك ما جاء في كتاب «معين الآثار» المعروف «بتاريخ آكره» لمؤلفه معين الدين الأكبر آبادي ، وقد اعتمد عليه أكثر المؤرخين الأوربيين في ذكر تفاصيل هذا الأثر العظيم ، إلا أنه ذكر أنَّ مدة بنائه كانت عشرين سنة ، أما مجموع تكاليفه فيزيد ما ذكره صاحب «معين الآثار» على ما جاء في هذا الكتاب بعشرة ملايين ، ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى أنه أدخل في بعض بنايات لم يدخلها مؤلف «جنة المشرق» (الندوي).

(٢) قال المؤلف الأثري العظيم «جيمس فرجسن» في كتابه «الفن الإسلامي في الهند»: «لا تزال قبة بيجابور منذ بنائها إلى هذا الحين فريدةً في دقة الصنعة وإبداعها ، من بين الآثار والأبنية ، وتفوق في ذلك «بانثيون» (pantheon) في روما «المعبد الذي دشنه قدماء =

طوله أربعمئة قدم ، وعرضه خمسون ومئة قدم ، وهو محاط بقبَّةٍ عظيمة جداً[1].

ومنها مقبرة الرابعة الدوراني زوجة عالمكير بن شاهجهان ، «بأورنك آباد» ، بناها عالمكير المذكور على شاكلة «تاج كنج» ، في حديقة غناء ، وقبتها مبنية من المرمر ، على ربوة كبيرة مرتفعة ، وفيها أربع منارات ، كما في «تاج كنج» أنفق عليها نحو (٩٠٠٠٠٠) تسعمئة ألف من النقود ، وهي ما لا نظير له في بلاد دكن .

ومنها مقبرة أبي المنصور خان صفدر جنك وزير أحمد شاه الدَّهلوي ، على أربعة أميال من شاهجهان آباد ، بناها ولده شجاع الدولة صاحب أوده على شاكلة «تاج كنج» ، وأنفق عليها ثلاثمئة ألف ربية ، وهي أيضاً من أبدع الأبنية وأحسنها حتى اليوم .

* * *

= الرومان في روما لإكرام جميع المعبودات» (الندوي) .

(١) وقد زار صاحب هذا التعليق هذه القبة سنة ١٩٦٦ م ، فاسترعى انتباهه أن التصفيق في هذه القبة يسمع صداه سبع مرات ، أو ثماني مرات متوالية ، وأغرب من ذلك ، أنه إذا همس إنسان بصوت خافت ، أو أشعل عود الكبريت ، أو حرك الورق عند جدار ، سمع صداه بصوت أعلى عند الجدار المقابل ، الذي يبعد عن الجدار الأول مئة وأربع وعشرين قدماً ، ويشاركها في هذه الصنعة (وصول الصوت إلى مسافة بعيدة من غير مجهار) في جامع مدينة «بيجابور» القديم ، ومقبرة إبراهيم عادل شاه ، (الندوي) .

الفصل الثامن
في ذكر الحُسَيْنِيَّات بأرض الهند

ينبغي لنا أن نتكلم على الحسينية كلاماً عمومياً ، نقدم فيه بيان وجه تسمية الحسينية بهذا الاسم ، قبل الكلام على هذه الأقسام ، فنقول : إنَّ الشيعة عامةً ، والمبتدعة من أهل السنة يتخذون الضرائح من الثياب والقضبان ، كلَّ سنة في محرم ، ويضعونها في بيت يؤسسونه لذلك ، ويصنعون فيه الأعلام ، ويحتفّلون حينما يجتمعون في ذلك البيت ، خاصةً في محرم من أول ليلة منه إلى عاشوراء ، يزينون البيت كلَّ الزينة ، ويوقدون الشموع ، ويذكرون فيه قصة «كربلاء» نظماً ونثراً ، ويبكون ، ويلطمون وجوههم ، ويقدُّون جيوبهم ، والجهلة منهم يصنعون التماثيل من القرطاس ، والخشب ، والثياب ، وغير ذلك ، ويصنعون تمثالاً شبيهاً بالبراق ، ويحملون تلك التماثيل (الأضرحة المصنوعة) ، ويطوفون الأسواق ، والشوارع المعروفة بالطبول والأنفار والأعلام ، وأمامهم طائفة من الناس ينشدون المراثي بلحن شجي ، فيبكون لحظةً ، ثم ينادون بأعلى أصواتهم : حسين ، حسين ، مرات لا تحصى ، وفي كلِّ مرَّة يضربون أيديهم على صدورهم بشدَّة وقوَّة ، حتَّى ترم صدورهم ، وتنفجرَ بالدماء ، ولهم غير ذلك خرافاتٌ ، لا نطَيل الكَلام بذكرها .

والحسينية منسوبةٌ إلى الإمام حسين بن علي رضي الله عنهما ، ويسمُّونها «إمام بارّه» أي بيت الإمام؛ لأنَّ «بارّه» في لغة أهل الهند «البيت» .

فمن الحسينيات المشهورة في الهند ، الحسينية الكبيرة التي بناها نواب آصف الدولة بمدينة لكهنؤ سنة ١٢٠٧ هـ ، وأنفق على بنائها ألفي ألف من النقود ، بنظارة «كفاية خان» الدهلوي ، المهندس ، وهو حفر الأرض خمسمئة

ذراع ، وملأها بالجص والآجر ، ثم بنى عليها أبنيةً ساميةً ، وهي تنقسم على ثلاثة منازل على طول مئة ذراع ، الأول منها وهو محل الأضرحة خمس وعشرون ذراعاً ، والثاني ثلاثون ذراعاً ، والثالث خمس وعشرون ، كلُّها بالجصِّ والآجرِّ ، ولها صحنٌ واسع ، وفي جهاتها الثلاث أبنيةٌ عاليةٌ ، ومسجدٌ كبير ، وهي من أبدع المباني بالهند.

ومنها حسين آباد ، حسينيةٌ كبيرةٌ ، أسسها محمد علي شاه صاحب أوده بمدينة لكهنؤ ، فيما بين سنة ثلاث وخمسين وسنة ثمان وخمسين ومئتين وألف ، بناء رفيع ، أكثرها من بيض الحجارة ، وبنى حولها الأكنان الرفيعة ، والدكاكين الكثيرة ، وحوضاً مستطيلاً عميقاً مترعاً من ماء شفاف ، ومملوءاً من الحيتان ، مكشوف الحيطان ، ذات المعارج المجصصة ، وحولها روضةٌ ، ذات بهجة مفروشة بفروش زمردية ، وأشجار ملتفة ، وأفرز من ماله ، ألف ربية ، ودفعها إلى الدولة البريطانية لينفقوا ربَاها على حسين آباد ، وما فضل منها يصرف زاداً ورواحل ، لزوار المشاهد المقدسة في العراق.

ومنها شاه نجف ، وهي حسينية بناها غازي الدين حيدر ملك أوده ، بين عام ١٢٣٠ هـ و١٢٤٣ هـ = ١٨١٤ م و١٨٢٧ م ، وسماها باسم النجف ، البلد الذي دفن فيه سيدنا علي رضي الله عنه ، وفيها قبره وقبر ثلاث زوجات له ، وهو بناءٌ جميلٌ مزينٌ يضاء ، ويسرج في المحرم.

فصل
في ذكر نوادر ما صنعوه بالهند

اعلم أن الملوك الإسلاميين في أرض الهند صنعوا أشياء عجيبة لا تكاد تحصر ، والغرض هاهنا ما تيسر لنا ذكره.

فمن نوادر ما اخترعوه ساعة عجيبة من مخترعات فيروز شاه الدَّهلوي ، وكانت طاساً من نحاس يخرج منها كلَّ ساعة صوتٌ عجيب ، يترنم بهذا البيت:

هرساعتي كه بر درشاه طاس مى زنند ... نقصان عمر ميشود آن ياد مى دهند

وكان يستخرج منها وقت إفطار الصائم ، وكيفية الظلال ، وزيادة اليوم

ونقصانه ، وغير ذلك من الأشياء ، وكانت تلك الساعة ببلدة فيروز آباد ، دهلي .

ومنها جسر عجيب على نهر «كومتي» بمدينة جونبور ، بناه منعم خان في أيام أكبر شاه التيموري سنة ٩٨١ هـ ، من الحجارة المنحوتة ، وعليها دكاكين مبنية من الحجارة يقعد عليها التجار ، كأن المار به يمشي في السوق ، وأرخ لبنائه بعض الناس من «صراط مستقيم» .

ومنها المدفع الكبير ، بناه محمد بن الحسن الرومي بأمر نظام شاه أبي الغازي سنة ٩٩٤ هـ من الصفر ، وقيل من الفلزات العديدة ، طوله نحو خمسة أذرع ، (١٤ فت ٣ إنج) وقطره نحو ذراعين (٥ فت ٢ إنج) ووزنه ألف ومئة وعشرون منّاً ، ويسمونه «ملك ميدان» وهو اليوم في «بيجابور» .

ومنها البندقية ، التي تطلق اثنتي عشرة طلقة في الدورة الواحدة ، اخترعها الأمير فتح الله الشيرازي في أيام أكبر شاه الدَّهلوي .

ومنها رحى ، كانت تتحرك بنفسها بلا تحريك وتدوير لطحن الحبوب ، اخترعها فتح الله المذكور ، وله مخترعات أخرى .

ومنها الحوض ، الذي بناه الحكيم علي الكيلاني بمدينة لاهور سنة ١٠٠٢ هـ ، وبناه بمدينة آكره أيضاً ، طوله عشرون ذراعاً ، وكذلك عرضه ، وعمقه ثلاث أذرع ، ومن نوادر ما صنع فيه : أنه بنى في خلاله المباني البديعة من الحجارة المنحوتة ، وعلى سقفها منارةٌ رفيعةٌ ، وفي جهاتها الأربعة جسورٌ أربعةٌ ، يصل بها الناس إلى البناء ، ومن البدائع أنَّ أبوابها تنفتح ، ولا يقتحم الماء فيها ، وفيها أثاثٌ وكتبٌ كثيرةٌ ، لا تبتل بالماء .

ومنها ترعة كبيرة بأورنك آباد خارج البلدة ، قريباً من نهر «هرسول» صنعوها سنة ١٠٠٩ هـ بأمر عنبر الحبشي تحت الأرض ، ومرُّوا إلى حوض كبير ، فتصب بالماء في الحوض ، ثم تخرج منها في الجداول الطينية تحت الأرض ، وقد شرحتها في موضع آخر من هذا الكتاب .

ومنها الحمام ، الذي كان بالقلعة المعلاة بدهلي ، من أبنية شاهجهان بن

جهانكير الدَّهلوي ، وكان فيه فتيلة لا تزال مضيئة ، تسخن الماء منذ عهد البناء إلى آخر عهد الملوك .

وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذا الكتاب ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تلـــك آثـــارنـــا تـــدلُّ علينـــا ۔ فـــانظـــروا بعـــدنـــا إلـــى الآثـــار

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الموضوعات

www.abulhasanalinadwi.org